

نظرية المؤامرة أَوَهْمٌ أم حقيقةٌ ؟ [الصوفية]

Conspiracy An Illusion or A Truth



موفق صادق العطار

المؤامرة! لعلها الكلمة الأكثر رسوخاً في أذهان العرب والمسلمين فبعضهم يؤمن إيماناً قطعياً بأن مصائب العرب والمسلمين كلها سببها مؤامرة يحوك أنسجتها الغرب وغيره..وآخرون يؤمنون أن تخلفنا مردّه قصور فكري وتخلف في وعينا السياسي، وبعضهم يؤمن أن مدبّري المؤامرة نجحوا في فرض أنظمة عميلة لها تتآمر من الداخل علينا ..

يعتقد المؤلف أنه من العبث والسخرية أن نلقي بكامل أخطائنا وجُلّ انحطاطنا على نظرية المؤامرة التي يؤمن بها كمٌّ لا بأس به من الذين يدّعون أنهم نخبنا السياسية، طبعاً، من غير إغفال إلى ذكر الأخطاء الفادحة وشبه المميتة التي يرتكبها من يُدعَون بالنخبة!! وافتقارنا إلى مراكز استراتيجية متخصصة تخطط وتبحث ...

ويبدأ المؤلف بعرض بحثه منذ قيام الحركة الصوفية ويحلل مسيرتها ومراحلها وأبرز شخصياتها و أشهر مقولاتها وأفكارها والتي يبدو من ظاهرها الورع والتقوى والصدق والإخلاص، والتي سُرعان ما تحّولت إلى مقولات ممزوجة بأفكار هندوسية وزرادشتية وأفلاطونية مبتدئاً بالتآمرعلى الخلفاء الراشدين الأربعة..مروراً بمؤسسات التآمر في العصر الحديث مثل مركز سياسة الأمن القومي والمجلس الاستشاري للأمن القومي ومنتدى الشرق الأوسط ومؤسسة هدسون ومعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى ويؤكد أن هناك عداء سافراً وليس مؤامرة ويرتد المؤلف راجعاً إلى التصوف حيث يعدد ويحلل ويستنتج ويقارن طرق ومراحل وأعلام و مصطلحات المتصوفة .. ويبرز كيف أطلق فريق من الصوفيين الخراسانيين تلك المقولات، وكيف سعت فرق منهم إلى نشر أفكارهم التي عدّها معظم علماء السُّنة أنها مؤامرة مدبّرة لتشويه العقيدة الإسلامية والسّنة الصحيحة...

فهل نجح هؤلاء الخراسانيون في تحقيق أهدافهم تلك ؟!!

AL - AWA'EL

نظريَّة المُؤامرة
أَ وَهْمٌ أم حقيقةٌ؟!
" الصُّوفيَّة "

قرؤوا فوصلوا

لنقرأ حتّى نصل

الطَّبعة الأُولى

كانون الثَّاني 2006 م



تصميم الغلاف : هلا خلوصي

الإشراف الفنّي : يزن يعقوب

التّدقيق والمُراجعة : إسماعيل الكردي

الكتاب : نظريَّة المُؤامرة

أَ وَهْمٌ أم حقيقة؟! "الصُّوفيَّة"

تأليف : مُوفَّق صادق العطَّار

النَّاشر : الأوائل للنَّشر والتَّوزيع

سُورية . دمشق الإدارة : ص . ب 3397

هاتف : 00963 11 2233013

فاكس : 00963 11 2460063

البريد الإلكتروني : alawael@scs-net.org

التَّوزيع : دمشق ص . ب 10181

البريد الإلكتروني: alawael@daralawael.com

جوَّال : 00963 93 411550

00963 93 418181

موقع الدَّار على الإنترنت :

www.daralawael.com

مُوفَّق صادق العطَّار

نظريَّة المُؤامرة
أَوَهْمٌ أم حقيقةٌ؟!
"الصُّوفيَّة"

Conspiracy
An Illusion or A Truth

الأوائل
2006

قرؤوا فوصلوا ، لنقرأ حتّى نصل

تنويهٌ هامٌّ

من أجل تواصُل أكثر مع السَّادة القُرَّاء ، فقد خَصَّصْنَا آخر (16) صفحة من هذا الكتاب لمنشورات الدَّار ؛ حيثُ يجد السَّادة القُرَّاء قائمة بمنشورات الدَّار ، ولمحة إلى كُلِّ كتاب أصدرتْهُ الدَّار .

هذه القائمة تُعطي انطباعاً عامّاً عمَّا تنشُرُهُ الدَّار من آراء ، كما تُعطي لمحةً عامَّةً إلى الخطِّ الذي تنتهجُه الدَّار ، وهذا - بلا شَكٍّ - سيجعل التَّواصُل أسرع وأقرب وأصدق.

فنرجُو من السَّادة القُرَّاء قراءة هذه الصَّفحات بتأنٍّ وتدبُّر ، ونرجُو مُراسلتنا بملاحظاتكُم واستفساراتكُم عن الكُتُب التي تنشُرُها دارُ الأوائل .

الفهرس

الإهداء 19
تمهيد 21
مُقدِّمة 25
الفصل الأوَّل 33
تمهيد 33
قبول فكرة المُؤامرة : 35
الرَّدُّ على أصحاب نظريَّة المُؤامرة : 41
الفصل الثّاني 63
الإسلام والمُؤامرة : 63
الموقف من بني قينقاع : 66
خيانة بني النّضير : 67
تآمر بني قريظة : 68
العناية الإلهيَّة والحيطة والاستعداد : 69
الفصل الثّالث 73
الرِّدَّة والرُّجُوع إلى الجاهليَّة : 73
المُؤامرة على الفاروق عُمر ﷺ : 74
رُؤُوس المُؤامرة : 76
الحقد على عُمر ﷺ : 77
أعمدة التّآمر : 78
حادثة الاغتيال : 79
ذُيُول شهادة شاهدي العدل : 80

الفصل الرّابع.. 83
التّآمر على عثمان ﷺ: 83
مؤامرة أم فتنة؟!... 84
المؤامرة على عليّ ﷺ: 86
مضاعفات جديدة: 87
الخلافة المميّزة: 88
معركتا الجمل وصفّين: 90
الموقف من الخوارج: 92
التّمكّن من قتل عليّ ﷺ ونجاة معاوية وعمرو بن العاص: 93
مؤامرات العصر: 95
الفصل الخامس.. 97
مؤسّسات للتآمر: 97
مركز سياسة الأمن القومي *Center for Security Policy (CSP)*: 99
المجلس الاستشاري للأمن القومي: 99
منتدى الشّرق الأوسط *Middle East Assembly*: 100
مؤسّسة هدسون *Hudson Institute*: 100
معهد واشنطن لسياسة الشّرق الأدنى: 102
العداء السّافر وليس المؤامرة: 105
مواجهة الحقائق أم الهروب؟!... 107
المقولة والواقع: 109
التّصوّف والمؤامرة: 110
الفصل السّادس: الحركة الصّوفيّة في الإسلام وأبعادها الفكريّة 115
تعريف التّصوّف: 115
النّشأة والبداية: 117
الإسلام والتّصوّف: 120
السّنّة النّبويّة والتّصوّف: 123
الزّهد والتّصوّف: 125

الفصل السّابع 129
النّزعة الجديدة للتّصوّف : 129
الرّقص والسّماع عند الصّوفيّة : 132
الشّيخ الصّوفي والمُريد : 135
خرقة الشّيخ : 138
الفصل الثّامن 141
المفهوم الصّوفي للوَليّ : 141
مراتب وطبقات الأولياء : 143
ختم الولاية : 149
مكانة الوَليّ : 150
النّبي والوَليّ : 153
النّبي مُوسى والعبد الصّالح : 155
الوَليّ الحقّ : 158
الفصل التّاسع 161
إنكار التّصوّف ، لماذا؟ 161
مُعارضو الصّوفيّة : 162
شطحات الصّوفيّين : 172
أبعاد أخرى لإنكار التّصوّف : 176
الفصل العاشر: تصنيف الصّوفيّين وطبقاتهم 185
طبقات الصّوفيّة : 185
الفصل الحادي عشر 199
تصنيفات أخرى للصّوفيّين : 199
المرحلة الأولى : 203
1 ـ حسن البصري (21 ـ 110 هـ) : 203
2 ـ سُفيان الثّوري (97 ـ 161 هـ) : 203
3 ـ إبراهيم بن أدهم (تُوفّي عام 160 هـ) : 204

المرحلة الثّانية : 205
1 ـ أبو عبد الله الحارث بن أسد المُحاسبي : 205
2 ـ ذُو النُّون المصري : 206
3 ـ أبو القاسم بن مُحمَّد بن الجُنيد : 206
المرحلة الثّالثة : 207
1 ـ أبو عبد الله الحُسين بن منصور الحلاّج : 207
2 ـ الإمام أبو حامد الغزالي : 209
3 ـ محيي الدِّين بن عَرَبي : 212
الفصل الثّاني عشر.. 215
الدّفاع عن ابن عَرَبي : 215
رأي الشّيخ عبد الغني النّابلسي في مقولة وحدة الوُجُود : 216
العُلماء الذين أنكروا المقولة : 219
رأي فيلسوف الصُّوفيَّة في وحدة الوُجُود : 223
إنكار مقولة وحدة الوُجُود ، لماذا؟... 226
الفصل الثّالث عشر 231
الخُلفاء الرّاشدون والصُّوفيَّة : 231
ـ أبو بكر الصِّدِّيق ﷺ : 232
ـ عُمر بن الخطاب ﷺ : 233
ـ عُثمان بن عفَّان ﷺ : 234
ـ عليّ بن أبي طالب ﷺ : 235
الفصل الرّابع عشر: 239
الطُّرُق الصُّوفيَّة 239
آ ـ الطّريقة القادريَّة : 243
ب ـ الطّريقة الشّاذليَّة : 245
ج ـ الطّريقة الرّفاعيَّة : 247
د ـ الطّريقة النّقشبنديَّة : 250
هـ ـ الطّريقة الأحمديَّة : 252

و ـ الطّريقة التّجانيَّة: 252
التّجانيَّة بين التّأييد والإنكار: 254
الفصل الخامس عشر: المُصطلحات الصُّوفيَّة 261
(الألف) 263
الآيات: SIGNS 263
الأبدال: SUBSTATUENTS 263
الأبرار: RIGHTEOUS 263
الأحبَّاء: LOVERS 264
الاحتجاب: HIDING 264
الإحسان: BENEFACTION 264
الأحوال: MYSTICAL STATES 264
الإخلاص: SINCERITY 264
الأدب: DISCIPLINE 264
الإرادة: WILL 265
الأزليَّة: ETERNITY 265
الاستدراج: DRAW GRADUALLY 265
الاستعانة: ASKING ASSISTANCE 265
الاستقامة: STRAIGHTNESS 265
الأسرار: SECRETS 265
الإشارة: INDICATION 266
الإصرار: PERSISTENCE 266
الاضطراب: TURBULANCE 266
الألفة: FAMILIARITY 266
الإنابة: RETURNING TO GOD 266
الأنس: CONVIVIALITY 266
الإنصاف: FAIRNESS 267
أهل التَّوحيد PEOPLE OF UNIFICATION 267
أهل الدّيانة PEOPLE OF RELIGION 267

أهل الرّضا *PEOPLE OF SATISFACTION* 267
أهل الانقطاع : *PEOPLE FAR AWAY FROM GOD* 267
أهل الحُضُور *PEOPLE OF PRESENCE* 267
أهل الغيبة : *PEOPLE OF ABSENCE* 267
أهل الحقّ : *RIGHTEOUS PEOPLE* 267
أهل الخُصُوص : *CHOSEN PEOPLE* 268
أهل المحبَّة : *PEOPLE OF INTIMACY* 268
أهل المعرفة : *PEOPLE OF GNOSIS* 268
أهل النّظر : *PEOPLE WITH SIGHT* 268
أهل الهمَّة : *PEOPLE OF DETERMINATION* 269
الأولياء : *SAINTS* 269
(الباء) 269
الباطل : *FALSEHOOD* 269
الباطن : *THE HIDING* 269
البُخل : *NIGGARLINESS* 269
البدعة : *INNOVATION* 269
البُكاء : *WEEPING* 270
البَلْوَى : *CATASTROPHE* 270
(التّاء) 270
التّائب : *REPENTANT* 270
تحقيق العُبُوديَّة : *COMPLETE (FULL) SLAVERY* 270
التّدبير : *PLANNING* 270
التّسليم : *SUBMISSION* 271
التَّصوُّف : *SUFISM* 271
التَّضرُّع : *SUPPLICATION* 271
التّفويض : *AUTHORIZATION* 272
التّقوى : *RIGHTEOUSNESS* 272
التَّواضع : *MODESTY* 272

التَّوبة : REPENTANCE 272
التَّوكُّل : (DEPENDENCE (TRUST IN GOD 272
التَّوَّابون : REPENTANTS 273
التَّوحيد : MONOTHEISM 273
(الثَّاء) 273
الثّقة : TRUST 273
(الجيم) 273
الجَدَل : ARGUMENT 273
الجَمْع : GATHERING 273
الجُوع : HUNGER 274
الجهاد : STRIVING 274
(الحاء) 274
الحال : MYSTICAL STATE 274
الحُبّ : LOVE 274
حُبّ الدُّنيا : LOVE OF LIFE 274
المحبَّة : INTIMACY 274
الحجاب : VEIL 275
الحرص : STINGINESS 275
الحُرِّيَّة : FREEDOM 275
الحسبة : : RECKONING 275
حُسْن الخُلق : GOOD CHARACTER 275
حُسْن المُعاملة : GOOD TREATMENT 275
الحُضُور : PRESENCE 276
الحُفَّاظ : (READERS (OF THE QUR'AN 276
الحقّ : TRUTH 276
الحقيقة : REALITY 276
حقيقة المعرفة : REALITY OF KNOWLEDGE 276
الحكمة : WISDOM 276

الحكيم : THE WISE 277
الحياء : SHYNESS 277
(الخاء) 277
الخاصّة : THE SPECIAL ONES 277
الخالق : THE CREATOR 278
الخذلان : FAILURE 278
الخُشُوع : HUMILIATION 278
الخشية : FEAR 278
الخطرات : THOUGHTS 278
خلاف : CONTRADICTION 278
خُلَّة : FRIENDSHIP 278
الخلوة : SECLUSION 279
خواطر : INTUITIONS 279
الخوف : FEAR 279
(الدّال) 279
الدُّعاء : INVOCATION 279
الدّعوى : CALLING TO RELIGION 279
الدُّنيا : (THIS WORLD (PRESENT LIFE 280
الدِّين : RELIGION 280
(الذّال) 280
الذّاكرين : THOSE WHO ALWAYS MENTION GOD 280
الذِّكْر : REMEMBERANCE OF GOD 280
(الرّاء) 281
الرّاضي : SATISFIED 281
الرَّبّانيَّة : GODLY 281
الرُّبوبيَّة : GODHOOD 281
الرّجاء : HOPE 281

الرّضا : SATISFACTION 281
الرُّوح : SPIRIT 281
الرّياء : HYPOCRISY 282
الرّياضة : EXCERCISING 282
(الزّاي) 282
الزّاهد : ASCETIC 282
الزُّهْد : ASCETICISM 282
(السّين) 282
السّابقون : THE EARLIER IN FAITH 282
السّخاء : BOUNTY 283
السّرّ : SECRET 283
السّعادة : HAPPINESS 283
السُّكْرُ : INTOXICATION 283
سلامة النَّفْس : SELF SAFETY 283
السَّمْع : HEARING 283
السّنّة : AL-SUNNAH 284
السّياحة : WANDERING 284
(الشّين) 284
الشّاطر : THE CLEVER 284
الشِّرْك : POLYTHEISM 284
الشّفاعة : INTERCESSION 284
الشّقاوة : DISTRESS 285
الشُّكْر : GRATITUDE 285
الشّوق : LONGING 285
الشّهوة : DESIRE 285
(الصّاد) 285
الصّابر : THE PATIENT 285
صاحب الحديث : THE NARRATOR 285

الصّادق : TRUTHFUL 286
الصّالح : THE RIGHTEOUS 286
الصّبر : PATIENCE 286
الصُّحبة : FRIENDSHIP 286
الصِّدْق : TRUTH 287
الصِّدِّيق : MAN OF TRUTH 287
الصّفاء : CLARITY 287
الصُّوفي : THE SUFI 287
الصُّوفيَّة : SUFISM 287
الصَّوم : FASTING 288
(الضّاد) 288
الضّرورة : NECESSITY 288
ضيَّع : LOSE 288
(الطّاء) 288
الطّاعة : OBEDIENCE 288
الطّاهر : PURIFIED THE 289
الطّريق : THE WAY 289
الطَّمَع : GREED 289
(الظّاء) 289
الظّاهر : THE EVIDENT 289
(العين) 289
العابد : WORSHIPPER 289
العارف : COGNIZANT 290
العافية : SAFETY 290
العاقل : THE SENSIBLE MAN 290
العباء : THE CLOAK 290
العبادة : WORSHIP 290
العبرة : LESSON 291

العبُوديّة : SERVANTHOOD 291
العدل : JUSTICE 291
العشق : ADORATION 291
العطاء : GIVING 291
العقل : MIND 292
العلم : COGNIZANCE 292
علم الانقطاع : THE ACT OF REFUGING 292
علم الدنُوّ THE ACT OF APPROACHING 292
عمى القلب : BLINDNESS OF THE HEART 292
العمل : THE DEED 292
عهد الله : GOD' S COVENANTGOD 292
عوامّ : MAJORITY 293
عين المحبّة : THE REAL LOVE 293
(الغين) 293
الغافل : THE HEEDLESS 293
الغفلة : THE NEGLIGENCE 293
الغنى : THE WEALTH 293
الغيبة : THE ABSENCE 293
(الفاء) 294
الفتنة : TEMPTATION 294
الفتُوّة : GOOD BEHAVIOUR 294
الفَرَاسة : INTUITION 294
الفَرَج : REFUGE 294
الفريضة : DUTIES IMPOSED BY GOD ON ADULTS 294
الفقر : POVERTY 295
الفقير : THE POOR 295
الفقيه : JURISPRUDENT IN RELIGION 295
الفكرة : NOTION 295

الفوت : *MISSING* 296

فوت الحقّ : *MISSING OF RIGHTEOUSNESS* 296

(القاف) 296

قارئ : *(THE MAN WHO RECITES(THE QUR'AN* 296

قُرَّاء : *NARRATORS* 296

القَبْض : *SADDNESS* 297

القول : *SPEECH* 297

القُرْب : *CLOSE BY* 297

القُرْبة : *CLOSENESS* 297

القلب : *THE HEART* 297

القلّة : *DISDAIN* 298

القُلُوب : *HEARTS* 298

القناعة : *SATISFACTION* 298

(الكاف) 298

الكِبَر : *ARROGANCE* 298

الكتاب : *THE QUR'AN* 298

الكرامات : *EXTRA ORDINARY ACTIONS* 298

الكرم : *GENEROUSITY* 299

الكسب : *GAIN* 299

الكُفْر : *BLASPHEMY* 299

الكياسة : *SELF CONCERNED* 299

(اللاّم) 299

لسان (الأبدية) : *TONGUE OF ETERNITY* 299

لسان (الباطن) : *TONGUE OF THE HIDDIN* 300

لسان (الظّاهر) : *TONGUE OF THE EVIDENT* 300

(الميم) 300

المُتزهّد : *UNTRUE ASCETIC* 300

المُتّقي : *PIOUS* 300

المُتوكّل : *HE WHO TRUSTS IN GOD* 300
المُجاهدة : *STRIVING* 300
المُجاورة : *NEIGHBOURING* 301
المُحاسبة : *CALL TO ACCOUNT* 301
المُحال : *THE IMPOSSIBLE* 301
المُحبّ : *DEVOTED* 301
المحجوب : *HE WHO WILL BE VEILED* 301
المُحدث : *NARRATOR* 301
المُراقبة : *CONTEMPLATION* 301
المُروءة : *HELPFULNESS* 302
المُريد : *DISCIPLE* 302
المُشاهدة : *SIGHTING* 302
المقال : *SPEECH* 302
المُعاينة : *PERCEIVING* 302
المعرفة : *KNOWLEDGE* 302
المقام : *STATION* 303
المقت : *HATRED* 303
(النُّون) 303
النّدامة : *REGRET* 303
نزّه : *EXAULT* 303
نصح : *ADVISE* 303
النّصيحة : *THE ADVICE* 303
النّفس : *THE SELF* 304
نُور (اليقين) : *LIGHT OF CERTAINITY* 304
(الهاء) 304
الهمّ : *ANXIETY* 304
الهمّة : *DETERMINATION* 304
الهيبة : *DIGNITY* 305

(الواو) 305
الواعظ : THE PREACHER 305
الوَجْد : ECSTASY 305
الوحدة : LONELINESS 305
الوُدُّ : AFFECTION 305
الورع : PIETY 305
الوفاء : FIDELITY 306
الوقت : TIME 306
الولاية : SAINTHOOD 306
الوَليّ : SAINT 306
(الياء) 306
اليقظة : AWAKENING 306
اليقين : CERTAINTY 306
الفصل السّادس عشر: هل الصُّوفيَّة مُؤامرة فارسيَّة على الإسلام؟! الصُّوفيَّة في حلَّتها الجديدة ، هل تُمثِّل التَّصوُّف الحقيقي؟ 309
التَّصوُّف كمُؤامرة فارسيَّة على الإسلام : 309
الصُّوفيَّة في حلَّتها الجديدة ، هل تُمثِّل التَّصوُّف الحقيقي ؟ 319
مُلحق رَقْم 1: أبرز الطُّرُق الصُّوفيَّة الواسعة الانتشار في الوَسَط الإسلامي .. 335
مُلحق رَقْم 2: 345
المراجع والمصادر 347
صَدَرَ للمُؤلِّف 351

الإهداء

إلى الذين يعزون أسباب التَّخلُّف والمُعاناة والتَّشرذم والضّياع الذي تُعانيه أُمَّتنا العَرَبيَّة إلى عُنصُر المُؤامرة التي تُحيكها دوائر الغرب ، وعلى رأسها الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة ضدَّ الوطن العَرَبي.

إلى الذين يرفضون الاعتراف بأنَّ جُزءاً هامَّاً من حالة الوهن المُحيطة في الجسم العَرَبي هُو حصيلة إخفاق الأنظمة العَرَبيَّة في إدراك الطّريق الصّحيح الواجب سُلُوكه لمُجابهة الهجمة الاستعماريَّة التي يتعرَّض لها الوطن العَرَبي ، وعدم لَوْم الذّات على ما ارتكبتْهُ أنظمَتُهُ من أخطاء مُميتة ، وزلاَّت قاتلة.

إلى هؤلاء جميعاً ؛ أُقدِّم هذا الكتاب

موفَّق صادق العطَّار

تمهيد

يحلو لكثير من الكُتَّاب والمحلّلين السّياسيّين أنْ يعزوا أسباب التَّخلُّف الذي تُعاني منه الأُمَّة العَرَبيَّة إلى وُجُود مُؤامرة استعماريَّة، تُحيكها دوائر الغرب للحيلولة دُون أنْ تنعم شُعُوب المنطقة بأيِّ نوع من أنواع الاستقرار الذي تحتاجه عمليَّة التّطوير والنُّمُوّ والتَّقدُّم.

ويشطح الخيال ببعض هؤلاء الكُتَّاب إلى الاعتقاد بأنَّ الأنظمة الحاكمة نفسها هي جُزء من هذه المُؤامرة وأداة مُنفِّذة لهذا المُخطَّط الاستعماري، الذي يسعى إلى تحطيم مُجتمعات هذه الأنظمة وإبقائها في مُحيط التَّخلُّف والجهل والضّياع، بل تذهب - أحياناً - هذه الاتِّهامات بالادِّعاء بأنَّ تلك الأنظمة هي أدوات فعَّالة في تنفيذ وتفعيل أهداف هذا التّآمر، وأنّها صنيعة تلك الدَّوائر الاستعماريَّة، التي همُّها الوحيد إحباط أيّ جهد للتّطوير قد يجول في ذهن شُعُوب هذه المنطقة.

ونحنُ وإنْ كُنَّا نُؤمن بأنَّ الرّغبة الاستعماريَّة في السّيطرة على الأرض العَرَبيَّة من المُحيط إلى الخليج عقيدة مُترسِّخة في الفكر الغربي وحُلم أزلي قديم مايزال يُعشعش في العقليَّة الاستعماريَّة الغربيَّة، ونُوقن - أيضاً - أنَّ الرّغبة في بسط النُّفُوذ وإبقاء دُول المنطقة ضمن دائرة الفلك الغربي المُتمثّل في قُطبَيْه بريطانيا وفرنسا، اللّذَيْن كانا يتصارعان على احتكار مناطق النُّفُوذ في الوطن العَرَبي ماتزال قائمة لدى هاتَيْن الدّولتَيْن، حتَّى بعد أنْ وفد مُنافس جديد لهما هُو الولايات المُتّحدة الأميركيّة. ويبدو أنَّ هذه الأخيرة قد تفتَّحت شهيّتها الاستعماريَّة على المنطقة العَرَبيَّة، وَسَعَتْ - بعد الحرب العالميَّة الثّانية - إلى الانفراد بالمنطقة، وطرد حليفتَيْها اللّدودتَيْن، وكُلّ نُفُوذ أجنبي آخر منها، كي تنفرد باحتكار واستغلال ثرواتها، وفرض سيطرتها وهيمنتها على المنطقة العَرَبيَّة بأسرها، والتَّحكُّم بمسيرتها بما ينسجم مع توجُّهات

الحُلم الإمبرطوري الذي يُعبِّر عنه - الآن - أصدق تعبير المُحافظون الجُدُد، الذين يُسيطرون على الأجهزة الرّئيسيَّة العاملة في الإدارات الأميركيَّة.

إنَّ هذه الرُّؤية لموضوع المُؤامرة، وإنْ كانت تعتمد على وقائع ملموسة وأحداث ومُشاهدات من الصُّعُوبة إنكارها أو تجاهلها، إلاَّ أنْ يذهب بنا الخيال إلى ترويض الفكر على قبول نظريَّة عَمَالة الأنظمة العَرَبيَّة بمُجملها يبقى أمراً يصعب قبوله، بل من السُّهُولة تفنيد أسباب رَفْضه، فبالإضافة إلى صعُوبة إثبات هذا الاتّهام، فإنَّه من المُتعذَّر تقديم الدّليل على صحَّته، وإنْ كانت بعض الوقائع تُشير بدلالات واضحة عليه.

والكتاب الذي نُقدِّمه للقارئ الكريم في الصّفحات التّالية يضع نظريَّة المُؤامرة التي يُؤمن بها قطاع كبير من النّاس تحت المجهر، ويُحلِّل هذه النّظريَّة بين الإسراف في طرحها وتبنِّيها، ويسعى إلى إلقاء الأضواء الكاشفة على صحَّة ما ذهب إليه هؤلاء المُؤمنون بها، الذين يعتقدون - خطأً أو صواباً - بأنَّ ما تُعاني منه الأُمَّة العَرَبيَّة ما هُو إلاَّ حصيلة تآمر أجهزة المُخابرات الغربيَّة، وعلى رأسها المُخابرات الأميركيَّة لإبعاد الدّول العَرَبيَّة عن أخذ أيِّ طريق، أو سُلُوك أيِّ مسلك يُتيح لها السّير في موكب التَّقدُّم والتّنمية للتَّخلُّص من قُيُود التَّخلُّف الذي فرضته عليها، وخلَّفته لها عُهُود الاستعمار تارةً، والانتداب تارةً أخرى.

صحيح أنَّ الوافد الجديد على المنطقة العَرَبيَّة - الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة - يتمتَّع بتقنيَّات عالية، وإمكانيَّات هائلة، تُتيح له استخدام أدنئ وسائل التّآمر، وأعتى أساليب الخداع والتّضليل.

وصحيح - أيضاً - أنَّ الوسائل التي استخدمها هذا الوافد الطّموح تفوق بدناءتها كُلَّ ما سبقها من أنواع التّآمر التي رانت على المنطقة العَرَبيَّة، والتي كان أبطالها إلى الماضي القريب كُلّ من بريطانيا وفرنسا، ولكنَّ الصّحيح - أيضاً - هُو أنَّه يجب أنْ لا يغيب عن أذهاننا ضرورة الاعتراف بأنَّ الضّحالة السِّياسيَّة التي واكبت الأنظمة الوطنيَّة وعدم النُّضُوج الفكري الذي كان سائداً لدى مُفكِّرينا العاملين في الحقل السِّياسي قد ساهم - لحَدٍّ بعيد - في تسهيل تنفيذ مُخطَّطات التّآمر التي كانت تُحاك ضدَّ دُول المنطقة.

وقبل أنْ تنحاز ـ عزيزي القارئ ـ إلى الجانب الذي يُؤمن بنظريَّة المُؤامـرة ، وتتبنَّـى آراءه ، وتُؤمن بأنَّ مصائب ومآسـي الأُمَّة العَرَبيَّـة نابعـة مـن تـآمر أجـهزة الغـرب والصّهيونيَّـة والـدّول الاستعماريَّة الحاقدة على الإسلام والعُرُوبة ، أرجو أنْ تقرأ الكتاب الذي بين يدَيْك لتصـل إلـى القناعة التَّامَّة التي ولَّدَتْهَا لديك أفكاره .

ختاماً ؛ لا يسعني إلاَّ أنْ أقدِّم خالص شُكري لصاحبَيْ دار الأوائل ، اللّذَيْن لمسـتُ فيـهما الحرص الشّديد والنِّيَّة الصّادقة والاندفاع النّبيل لنَشْر المعرفة وتبيان الحقيقة التي قد تكون خافيـة على الكثير من أبناء وطننا الحبيب .

والله وليُّ التَّوفيق

1 / 6 / 2005

مُوفَّق صادق العطَّار

مُقدِّمة

تشغل المُؤامرة حيِّزاً كبيراً من المساحة في الفكر الإنساني. ويحتلُّ التّآمر في مسيرة البشريَّة مكاناً بارزاً، وتغدو فكرة التّآمر وكأنَّها صفة ملازمة لحياة الإنسان عبر كُلِّ عُصُوره ومُختلف مراحل حياته.

ويبدو أنَّ ظاهرة التّآمر لم يخلُ منها عهد من العُهُود، أو عصر من العُصُور، بل إنَّ التّاريخ مازال يُسجِّل في صفحاته كُلَّ يوم مظهراً أو شكلاً من أشكال التّآمر الذي تفوح منه رائحة الغدر والخيانة والسُّلُوك المُتَّسم بالبُعْد عن أيِّ وازع أخلاقي أو رادع ديني.

إنَّ الحديث عن ظاهرة التّآمر بقدر ما هو مثير وشيِّق لما يحتويه من أسرار وخفايا تستحقُّ السَّرْد والكَشْف، بقدر ما هو حديث يُبرز الجانب اللاّأخلاقي البعيد عن كُلِّ ملامح الأمانة والوفاء من الإنسان لأخيه الإنسان. وللأسف؛ فإنَّ هذا الجانب المظلم في السُّلُوك الإنساني الذي غداً طابعاً متأصِّلاً في النَّفس البشريَّة ليس - فقط - على مستوى الفرد أو الجماعة في المجتمع الواحد، بل أصبح - أيضاً - سمة التصقت بسُلُوك الدّول في تعامل بعضها مع بعض.

إنَّ الحديث عن هذا النَّوع من المُؤامرات يطول، وتحتاج مساحة بحثه إلى مُجلَّدات، وليس إلى كتاب واحد، ولقد اخترنا لكتابنا العنوان الذي حمله " نظريَّة المُؤامرة، أ وَهْمٌ أم حقيقة؟! الصُّوفيَّة ". وأردنا من بحثنا أنْ نحصر حديث المُؤامرة في مساحة ضيِّقة من مساحة التّاريخ الإسلامي، الذي كانت بدايته الهجرة النّبويَّة الشّريفة إلى المدينة المنوَّرة، وتأسيس الدّولة الإسلاميَّة هناك.

ولقد اخترنا مظهراً واحداً من مظاهر التّآمر على الإسلام، وهو" الصُّوفيَّة"، تلك الحركة التي انطلقت من بغداد في النّصف الثّاني من القرن الهجري، وأثارت العديد من الجَدَل والنّقاش والمعارضة لها، وذلك بعد أنْ عرضنا بعض مظاهر التّآمر في عهد الخلفاء الرّاشدين

رضي الله عنهم جميعاً. وبيَّنَّا في عرضنا هذا صحَّة مـا يُطلَق عليه اسـم "المُؤامرة"، وخطأ ما يذهب إليه بعضهم في توصيف كُلِّ الأحداث التي مرَّت على العالم العَرَبي والإسلامي بوصف المُؤامرة؛ لأنَّنا نعتقد أنَّ إطلاق وصف المُؤامرة على أيِّ حَدَث ما هو إلاَّ مبالغة في استخدام هذا التَّوصيف الذي يميل إليه عشَّاق نظريَّة المُؤامرة.

إنَّنا نعتقد بأنَّه من الخطأ الفادح أنْ نُلقي اللَّوم على الآخرين، وهم هنا ـ دائماً ـ الاستعمار المتمثِّل في الصّهيونيَّة والغرب بصُورة عامَّة والولايات المُتَّحدة بصُورة خاصَّة، والادِّعاء بأنَّهم وراء كُلِّ الكوارث والهزائم التي حلَّتْ بالأُمَّة العَرَبيَّة، دُون أنْ نعترف ـ مثلاً ـ بسذاجة التّفكير والوعي السِّياسي، التي كانت سائدة في الفكر العَرَبي. ومثال حيّ وقريب على صحَّة ذلك ما تمَّ مع الشّريف حُسين أمير مكَّة رحمه الله، عندما قرَّر مساندة بريطانيا المسيحيَّة، ذات التّاريخ الاستعماري الطَّويل، ضدَّ الخلافة العثمانيَّة المسلمة، التي كانت تجثو على صدر الأُمَّة العَرَبيَّة بتعسُّفها وظلمها وعُنصُريَّتها. لقد كان هذا الانحياز والتّأييد والتّحالف المبني على العاطفة أكثر ممَّا هو مبني على العقل المُتنوِّر المُتزوِّد بالمعرفة والعلم، وكان ـ للأسف ـ لا يستند إلاَّ على وُعُود جوفاء وكلمات برَّاقة من السّفير البريطاني في القاهرة "السِّير مكماهون" بالمساعدة على تحقيق طموحات ـ هي أساساً ـ تتناقض مع مصالح واستراتيجيَّة الدّولة الحليفة "بريطانيا"، التي وضع العَرَب كُلَّ إمكانيَّاتهم تحت تصرُّفها، دُون أخذ أيَّة ضمانة حقيقيَّة بتحقيق تلك الطُّمُوحات التي كانت تدور في ذهن الشّريف حُسين.

وحتَّى في عصر مُتأخِّر في هذه المرحلة التّاريخيَّة عندما ألقى أصحاب نظريَّة المُؤامرة أسباب هزيمة حزيران النّكراء على عاتق أميركا وإسرائيل، وذهبت أقلام هؤلاء باختراع أقاويل وروايات عديدة لإثبات وُجُود المُؤامرة، لم يُقدِّم لنا هؤلاء الأكارم قولاً واحداً يذهب في تحليله إلى الاعتراف بسطحيَّة العقليَّة العَرَبيَّة التي جابهت مُخطَّط الحرب وبوادرها، التي كانت تلوح في الأفق. فقد كان بإمكان الدّيبلوماسيَّة العَرَبيَّة تفادي هذه الحرب، وعدم الانجرار إليها بدلاً من اللُّجُوء إلى التَّحدِّي الأجوف، والادِّعاء بأنَّها قادرة على خوضها، رغم علمها الأكيد بعدم الاستعداد لها. لقد كان باستطاعة القيادة المصريَّة أنْ تُعالج هذه الأزمة النّاشبة مع إسرائيل بأسلوب آخر، يُجنِّبها ويُجنِّب سورية والأردن كُلّ هذه الخسائر التي مُنيت بها هي

وحليفاتها والأُمَّة العَرَبيَّة جمعاء. إنَّها العقليَّة غير المُتبصِّرة وغير النّاضجة هي سبب هذه الهزائم الشّنيعة، وليست المُؤامرة.

والقول نفسه ينطبق على دوافع الحرب العراقيَّة الإيرانيَّة التي يدَّعي أصحاب نظريَّة المُؤامرة أنّها كانت مكيدة أميركيَّة لضرب الثَّورة الإيرانيَّة الإسلاميَّة، واستخدام العراق كأداة لتنفيذ هذه المُؤامرة تحت شعار الرّغبة في تعديل الاتّفاقيَّة التي وقَّعها صدَّام حُسين مع شاه إيران في الجزائر حول توصيف الحُدُود في الخليج العَرَبي، والوقوف أمام امتداد النُّفُوذ الإيراني في منطقة الخليج العَرَبي.

إن العقليَّة العَرَبيَّة الواعية المُتنوِّرة والمدركة كان لابُدَّ أنْ تتساءل إلى أين ستقودنا هذه المغامرة؟! وكم ستُكلِّف هذه الحرب الضّروس مع جارة مُسلمة؟! تبنَّت القضيَّة العَرَبيَّة الفلسطينيَّة، وفتحت صدرها للمشاركة في الصّراع العَرَبي - الإسرائيلي بجانب الأُمَّة العَرَبيَّة، وقطعت كُلَّ الرَّوابط التي كانت بين إيران وإسرائيل أيَّام الحُكْم الإمبراطوري. لقد كان على صدَّام حُسين أنْ يُدرك أنَّ حرباً مثل هذه الحرب مع دولة مثل تلك الدّولة ذات الإمكانيَّات الهائلة ليست نزهة يدفع جيشه إليها لقتال يدوم عدَّة أيَّام، ثُمَّ يعود إليه مُنتصراً حاملاً إكليل النّصر، ثُمَّ إن هذا الغباء السِّياسي الذي يسمح لقيادة بشَنِّ حرب يتطلَّب الإنفاق عليها موارد ماليَّة هائلة، دُون التَّأكُّد من تحقيق مكسب من ورائها سوى خَلْق عداء بين شعبَيْن مُتجاورَيْن، هل هو سُلُوك يدلُّ على وعي ونظرة عميقة لمُعالجة الحَدَث؟ ثُمَّ أين ذهب الوعي في هذه القيادة لتُقرِّر غزو الكويت البلد العَرَبي الشّقيق؛ لتُنقذ وضعها المالي المُتدهور نتيجة حربها مع إيران، التي أدّت إلى بُلُوغ مديونيَّتها للغير حَدّاً يفوق 77 بليون دُولار، رغم كُلِّ ثروتها النّفطيَّة ومواردها التي وضعتها في الحرب، وحرمت شعبها منها؟!

إنَّ غزو الكويت كما يحلو أنْ يُصوِّره عُشّاق نظريَّة المُؤامرة بأنَّه مُؤامرة من السّفيرة الأميركيَّة في بغداد "غلاسبي"، عندما أعلنت للمسؤولين العراقيِّين بأنَّ الولايات المُتَّحدة لا ترغب في التَّدخُّل في النّزاعات التي تقوم بين الدّول في الخليج العَرَبي. إنَّ هذا القول، بفَرْض صحَّته، فإنَّه يجب أنْ لا يقود القيادة العراقيَّة إلى الاعتقاد بأنَّ الولايات المُتَّحدة لن

تتدخَّل، ولن تُسارع إلى نجدة الكويت الحليف لها الذي قد يتعرَّض للتّهديد أو الغزو في أيٍّ وقت من جيرانه. لقد كان على القيادة العراقيَّة أنْ لا ينصرف انتباهها على نقطة هامَّة معروفة تفيد بأنَّ الاستراتيجيَّة الأميركيَّة في الشّرق الأوسط والخليج العَرَبي خاصَّة تقوم على السّعي الدّؤوب إلى الانفراد والتَّحكُّم بموارد هذه الدّول، وعدم سماحها ـ بأيٍّ شكل من الأشكال ـ بقيام نظام قوي في المنطقة؛ وخاصَّة النّظام العراقي غير المضمون ولاءه الكامل لها. وللأسف؛ لم تُعط القيادة العراقيَّة كُلَّ هذه العوامل أيَّ اهتمام، بل انخدعت بالإعلام الغربي المُضلِّل، الذي كان يُركِّز على أسطورة الجيش العراقي وإمكانيَّاته الهائلة، حتَّى وصل به الأمر إلى القول بأنَّ الجيش العراقي يُعَدُّ رابع جيش في العالم، وأنَّ العراق يملك من الأسلحة الحديثة ما تملكه أكثر الدّول الأوروبيَّة تقدُّماً. لقد انطلى هذا القول المُضلِّل على القيادة العراقيَّة، ولم تُصغ إلى نصائح حليفها الاتِّحاد السُّوفييتي، الذي كان يحثُّها على عدم اتِّخاذ مثل هذه الخطوة. كما كان التّقييم السّليم للظُّرُوف الدّوليَّة والعَرَبيَّة التي كانت سائدة ـ آنذاك ـ بعيداً عنها، بل أذعنت لرغبة القائد الفذّ، وانصاعت لنزواته التي قد تكون المواقف الكويتيَّة المُتشدِّدة والمُوحى بها قد أجَّجتها، وتمكَّنتْ من إخراجها عن نطاق المعقوليَّة وصحَّة التّحليل.

إنَّ حصر نطاق الكتاب في بحث الصُّوفيَّة التي ينظر إليها الكثيرون بأنَّها مُؤامرة فارسيَّة على الإسلام هو ـ في الحقيقة ـ تركيز على الشّكل الذي آلت إليه الصُّوفيَّة مُنذُ بداية القرن الثّالث الهجري والتَّحوُّل الذي طرأ على مُعتقداتها وأفكارها، الذي حمل لواءه الصُّوفيُّون الخراسانيُّون، الذين قادوا الحركة الصُّوفيَّة، وألبسوها ثوبها الجديد.

ومع الإقرار بأنَّ الصُّوفيَّة في أفكارها الخالية من البدع والشّطحات، وغير الخارجة عن مبادئ الشّريعة الصّحيحة، والمُنزَّهة من العقائد الزّائغة، والبعيدة عن الانحرافات العقائديَّة والحذلقات الفكريَّة، هي فكرة تدعو إلى الفضيلة، وتُشجِّع الفرد على سُلُوك الطّريق السَّوي للرُّقي الرُّوحي والتّهذيب الخُلُقي، وهي حركة فكريَّة قدَّمت للفكر الإسلامي آثاراً بارزة، وأعطته ثروة أدبيَّة وفلسفة رُوحيَّة عالية.

إنَّ هذا الإقرار لما حملته الصُّوفيَّة من آثار حميدة في السُّلُوك الخُلُقي والتَّوعية الدِّينيَّة، وما نقلته للإسلام من معارف فلسفيَّة جيِّدة لا يعني ـ أبداً ـ تبرئتها من الأخطاء والانحرافات

التي أتت عبر أعلامها وشُيُوخها، والمقولات التي حوت الكثير من الأقوال الغريبة والعديد من الأفكار المشوبة بالزّندقة والقريبة من الشِّرْك.

فمقولات ونظريَّات تؤمن بفكرة الاتِّحاد بالذّات الإلهيَّة، وتعتقد بوحدة الوُجُود، هي ـ في الحقيقة ـ دعوة إلى العودة إلى المذاهب الوَثَنيَّة، وتشجيع إلى الرّجعة لتبنّي الفكر الإغريقي. إنَّ نظرة إلى الأقوال التي أطلقها كبار مشايخ الصُّوفيَّة نجد أنَّ فيها الكثير من الحذلقة والميل الشّديد إلى إضفاء نوع من الغُمُوض عليها.

وإذا أضفنا إلى ملامح الفكر الصُّوفي تلك عُنصُراً آخر، هو ما اعتمدته الصُّوفيَّة من إعطاء مشايخها السُّلطة المُطلقة على مُريديهم، وإصرار هؤلاء المشايخ على إلزام المُريدين بعدم الالتفات إلى أيِّ مصدر آخر من مصادر التّعليم، وعدم الإصغاء إلى أيِّ شيخ غيرهم، والتّصميم على إضفاء هالة من القُدسيَّة على أنفسهم، وذلك بإطلاق صفة أهل الوصال، وأهل الاستدلال، والرّاسخون في العلم، والمُتبوِّؤن في الفقه، أدركنا أنَّ هذا السُّلُوك الذي يقود إلى تجميد العقل، وشلّ الفكر، وتعطيل الإرادة، والحثّ على عدم التّفكير في أيِّ نوع من الاجتهاد والاستنباط هو ـ في الحقيقة ـ نوع من التّآمر على الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه.

لذلك كُلِّه، ونظراً لأهمِّيَّة تحليل هذه الظّاهرة الصُّوفيَّة لكشف معالمها، وتبيان أبعادها الفكريَّة والدِّينيَّة، وما خلَّفته من آثار وانقسامات في المجتمعات الإسلاميَّة، ورغبة منَّا لتحليل طروحاتها المشوبة بالزّندقة والقريبة من الإلحاد نُقدِّم هذا الكتاب بعد أنْ حصرنا حديثنا عن الصُّوفيَّة كظاهرة من مظاهر التّآمر على الإسلام في فترة متقدِّمة من تاريخ التّآمر على هذا الدِّين الحنيف.

لقد أردنا في طرحنا هذا أنْ نُشير ونُلقي الأضواء على هذه الصُّوفيَّة في ثوبها الجديد، وآرائها، ومقولاتها، التي أطلقتها في فترة مُتأخِّرة من تاريخ مسيرتها، وليس في مرحلة ولادتها ونشوئها؛ لأنَّه في تلك الفترة كانت مقولات الصُّوفيِّيْن تنحصر في الدّعوة إلى التَّمسُّك بالكتاب والسُّنَّة، والتَّقيُّد بهما، وذلك خلافاً لما آلت إليه حركتهم في فترة لاحقة؛ حيثُ ظهرت في ثوب يُغاير ـ تماماً ـ الثَّوب الذي كانت ترتديه في فترة حبوها، لذلك؛ فَبَحْثُنا ينصبُّ على تلك المرحلة المُتأخِّرة فقط.

إنّنا نعتقد أنَّ النّقد الذي وجَّهه العديد من الكُتَّاب والفقهاء وأعلام رجال الدِّين الإسلامي إلى الصُّوفيَّة كان ـ في حقيقته ـ مُوجَّهاً إلى الأفكار التي حملتها الصُّوفيَّة، والتي اتَّسمت بالبُعْد عن الإسلام الصّحيح، وامتلأت بتعاليم الإلحاد والزّندقة، وحفلت بالعديد من البدع والانحرافات الدِّينيَّة.

صحيح أنَّه رافق ظهور الحركة الصُّوفيَّة بروز العديد من الفرَق الإسلاميَّة الأخرى كالمُرجئة والجَبْريَّة والأشعريَّة في المجتمع الإسلامي، إلاَّ أنَّ أثر هذه الفرَق لم يدم لفترة طويلة كما هو الحال في الحركة الصُّوفيَّة.

إنَّ المثير في الصُّوفيَّة هو تبنِّي الغرب لكُلِّ الأفكار المُتطرِّفة التي جاءت بها الحركة الصُّوفيَّة، وكُلّ الآراء المنحرفة التي نطق بها زُعماؤها، وتأييد وترويج هذه الأفكار، والذّهاب في القول إلى أنَّها تطوُّر كبير في الفكر الإسلامي. لقد لقيت هذه الأفكار المشوبة بتحفُّظات أهل السُّنَّة والجماعة ترحيباً كبيراً وتأييداً واسعاً من قِبَل قطاع كبير من المُستشرقين الغربيِّين؛ أمثال: *كريمير، غُولدتسيهر، هارتمان، براون، نيكيلسون، ماسينيون، فولت، وهورتون،* وغيرهم. وكُتب عن الصُّوفيَّة المئات من الكُتُب، حتَّى بلغ عدد المُؤلَّفات عنها ما يزيد عن 55 ألف كتاب وبحث.

إنَّ تبنِّي الغرب لكُلِّ فكرة غريبة أتت بها الصُّوفيَّة يُوحي بأنَّ رائحة التّآمر على الإسلام واضحة في هذا السُّلُوك. إنَّ هذا النَّشْر الواسع للآراء الصُّوفيَّة المُنحرفة والإشادة بأصحابها والانكباب على دراسة ظاهرة المقولات الفكريَّة التي أطلقها العديد من الصُّوفيِّين الذين مالوا إلى سُلُوك مُغاير لما التزم به الصُّوفيُّون الذين اعتمدوا الكتاب والسُّنَّة، والتزموا بهما، يدعو إلى التّساؤل ويثير في النَّفْس الشُّبهة في نوايا هؤلاء المُستشرقين، الذين تبنّوا كُلَّ الآراء الغريبة التي جاءت بها الصُّوفيَّة، واتَّخذوها أدوات للتّشهير بالإسلام، وإظهار عوامل الانشقاق في صفُوفه، وتباين الآراء بين عُلمائه.

فلو أنَّ الصُّوفيَّة كانت حركة تدعو إلى التَّمسُّك بالكتاب والسُّنَّة، وتدعو إلى وحدة الصَّفِّ الإسلامي، وتخلو أفكارها من أيَّة اتِّجاهات مُضلِّلة، أو انحرافات عقائديَّة، فهل

كانت تحظى بهذا الاهتمام وهذه العناية الشّديدة من مُستشرقين ينظر أغلبهم إلى الإسلام نظرة غير بريئة من النّوايا السّيّئة، وينتظر ـ دائماً ـ ظهور أقوال شاذّة تصدر من الجانب الإسلامي لاستخدامها للتّشهير في الإسلام؟

لقد رأى الصُّوفيُّون تشجيعاً من الغرب وتأييداً حماسياً لأفكارهم، ودعماً شديداً لتوجُّهاتهم، وشعروا أنّهم وجدوا سنداً قوياً لهم في مجابهة التّيّار السُّنّي المُحافظ، الذي رفض مقولاتهم وأفكارهم، وكأنّ هذا اللّقاء بين الصُّوفيَّة والاستشراق والتّجاذب بين الطّرَفَيْن دفع الحركة الصُّوفيَّة إلى الانطلاق في تحدّيها لمعارضيها في الوسط الإسلامي، واستغلال هذا التّأييد الذي لمسته من الكُتّاب الغربيّيْن في زيادة غَلْوائها وإصرارها على سُلُوكها، غير آبهة بما تنتجه أعمالها من نتائج غير حميدة على الإسلام، وما يُقدّمه سُلُوكها من مزيد من الفرْقة في صفوف المسلمين، وغير مهتمّة بما يمنحه هذا السُّلُوك من دفع للغرب في اكتساب المزيد من الأوراق لتعميق الهُوّة بين المسلمين، وتوسيع مناطق التّباعد بينهم.

وأخيراً؛ فإن الحديث عن الصُّوفيّة والتّساؤل:

هل هي مُؤامرة فارسيّة لتشويه العقيدة الإسلاميّة؟

أم أنّها مُؤامرة خطّطها أناس يكرهون العُرُوبة التي حملت الإسلام إلى بلادهم، وأبعدت عن المسرح السّياسي صُورة قوميّتهم التي أذابها الإسلام؟

أم أنّها مُؤامرة هدفها طعن السُّنّة؛ بسبب تمسُّكهم بكتاب الله وسُنَّة نبيِّه؟

أم أنّها خواطر فكريّة قادت الحركة الصُّوفيَّة إلى هذا المنحدر نتيجة النّزعة الشّديدة إلى الانفراد بفكر مُتميِّز عمّا هو سائد في الفكر الإسلامي؟

إنّ هذه التّساؤلات هي التي نأمل أنْ يجد القارئ الكريم الأجوبة المجدية عليها، آملين من الله أنْ تكون معالجتنا معالجة موضوعيَّة للصُّوفيَّة في أفكارها ومقولاتها وسُلُوكها، والله من وراء القصد.

الفصل الأوَّل:

تمهيد..
ـ قبول فكرة المُؤامرة ـ الرَّدُّ على أصحاب نظريَّة المُؤامرة

تمهيد..

العجز.. الضّياع.. الخوف.. انعدام الإرادة.. الجُمُود والتَّلبُّد الفكري.. الغشاوة وفقدان وضوح الرّؤية.. انعدام الرّغبة في البحث عن الخُرُوج من النّفق المظلم.. وُجُود أنماط من السّلفيَّة الفكريَّة والأيديولوجيَّة المتحجِّرة لدى المُؤسّسات السّياسيَّة التي تملك سلطة اتِّخاذ القرارات.. الإيمان بعبثيَّة التَّخلُّص من الأوضاع القائمة، والسّير في عمليَّة التّطوير.. النّظر إلى دعوات الإصلاح بأنَّها أباطيل تحمل في طيَّاتها الرّغبة في الهدم أكثر ممَّا تدعو إليه من شعارات البناء..

وضع كُلّ مخطّط للإصلاح في ثلاَّجة يصعب فتح أبوابها..

ترسُّخ عقيدة مفادها بأنَّ كُلَّ تغيير منشود يهدف إلى إزاحة الجيل الذي أسَّس، وبنى، وتعب، وقاد..

فقدان الثّقة بالذّات والافتقار إلى آليَّات مُؤثِّرة ترعى مسيرة الإصلاح والإنقاذ..

كُلُّ هذه العناوين وغيرها الكثير المُماثل لها يصلح أنْ يكون عنواناً جيِّداً لتوصيف حالة الأُمَّة العَرَبيَّة في وضعها الرّاهن. فَتَلاحُقُ الهزائم، واستمرار حالات الإخفاق، والتّعايش مع لحظات ومحطَّات تاريخيَّة مؤلمة ومُهينة مصدرها التّحالف الأميركي ـ الصّهيوني، وقبول خداع

النّفس، والاعتياد على تزوير الواقع، والرّكون إلى الوَهْم بصحّة الحركة، حطّم الأمل، وأدخل اليأس، وشلّ التّفكير، وأفقد الإرادة، وجمّد البصيرة، وأعمى البصر.

ـ وقد يكون مبعث هذه الحالة التّسليم بأنّ لعنة إلهيّة نزلت على هذه الأُمّة، وأصابتها بمقتل، لما ارتكبته من آثام ومعاص، اقتضت أنْ تحلّ عليها هذه اللّعنة؛ وكأنّها مصير حتمي لكُلّ ضالّ، ولكُلّ آثم، يعصي الأمر الإلهي، ويتبع هواه:

ـ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه / 124).

ـ ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب / 36).

ـ ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ (الزّخرف / 36).

ـ وقد يكون مبعثها عدم المقدرة على مجابهة النّوازل العديدة التي أحاطت بالأُمّة، والشُّعُور بالعجز عن مقاومة حزمة من المصائب والأحداث التي هي أكبر من طاقة الجسم العَرَبي الهزيل، الذي يفتقد المناعة الكافية لصدّ هذه الغوائل.

ـ وقد يكون سببها كثرة جلد الذّات، التي برع كُتّاب عديدون في التّركيز عليها، وإثارة السّلبيّات، وبعث كُلّ مواقف الإخفاق والهزائم التي عاصرتها الأُمّة العَرَبيّة، والتي لابُدّ وأنْ تكون قد ساهمت في توسيع مساحة اليأس والقنوط في نفس المواطن، الذي يحمل الكثير من الإحباط والوهن، وتنعدم فيه نظرات التّفاؤل بالمستقبل.

ـ وقد يكون مصدر هذه الحالة الأنظمة الحاكمة التي أرادت سلب حُرّيّة الرّأي والفكر من شعُوبها، وألزمت هذه الشُّعُوب الدُّخُول في متاهات الخوف، وأكرهتها على لجم فكرها، وتحديد مساره وفق مصلحة النّظام الحاكم، وأفقدت كُلّ إمكانيّات المقاومة فيه، وأبعدت عنه وعن نفسها كُلّ إمكانيّات المناعة الدّفاعيّة اللاّزمة لمجابهة الحالات العدوانيّة التي تتعرّض لها.

ـ وقد يكون السّبب الحقيقي لهذه الحالة هو الإيمان السّائد لدى قطاع واسع من النّاس بأنّ هذه الحالة التي وصلت إليها الأُمّة لابُدّ وأنْ تكون بسبب وُجُود "مُؤامرة خارجيّة" دبّرتها

أياد أجنبيَّة أميركيَّة وصهيونيَّة لتحطيم هذه الأُمَّة، والقضاء على آمال شُعُوبها بالتَّحرُّر والتَّقدُّم والرّفاه.

قبول فكرة المُؤامرة:

إنَّ الطّرح الأخير الذي يُعْزي حالة التَّردِّي تلك إلى وُجُود مُؤامرة أجنبيَّة يلقى تجاوباً عريضاً وتقبُّلاً واسعاً لدى ليس - فقط - قطاع كبير من النّاس، بل - أيضاً - لدى فئة كبيرة من المفكّرين والمنظّرين والدّارسين المغرمين بنظريَّة المُؤامرة والمؤيِّدين لها دائماً. وهذا الميل إلى نظريَّة المُؤامرة نجد تأييداً له في كتابات مُعظم المحلّلين السِّياسيِّين في العالم العَرَبي. فمُعظم هؤلاء المحلّلين مايزالون - حتَّى الآن - يعدُّون عمليَّة تفجير بُرجَيْ التّجارة الدّوليَّين في نيُو يُورك يوم 11/ 9 / 2001، مُؤامرة دبَّرتها الاستخبارات الأميركيَّة لاحتلال أفغانستان، والسّيطرة على منابع النّفط في قزوين، ومن ثمَّ؛ احتلال العراق للسّيطرة على بترول العالم، ووضع كُلّ الدّول المستهلكة للنّفط تحت رحمتها.

وفي الحقيقة؛ فقد كانت أوّل سمات الإعلام المقروء والمسموع في التّعليق على أحداث 11/ 9/ 2001، هي نفي المسؤوليَّة العَرَبيَّة والإسلاميَّة عن القائمين بالحَدَث تخطيطاً وتنفيذاً. وكانت مراكز النّفي تتمثَّل في أنَّ الحَدَث ومشروعه أعقد بكثير من الإمكانات العَرَبيَّة التّخطيطيَّة والتّنفيذيَّة التي توصف - عادةً - بالتَّخلُّف والمحدوديَّة. لذلك؛ فإنَّ أغلب التّحاليل والتّعليقات في الإعلام العَرَبي التي تعاملت مع الحَدَث كانت تطغى عليه أنَّ تعقيدات الحَدَث وبراعته الفائقة لابُدَّ وأنْ يكون وراءه مُؤامرة بالغة الدِّقَّة وعالية الكفاءة، هدفها احتلال منابع النّفط والسّيطرة على بترول العالم. وأيَّد هذا الأمر كُتَّاب عديدون شرقيُّون وغربيُّون نالت كُتُبهم رواجاً هائلاً ومبيعات خياليَّة، ومن هؤلاء مثلاً الكاتب الصُّحُفي الفرنسي *تيري ميسَّان* ***Thierry Meyssan***، الذي أصدر كتابَيْن في سنة واحدة، الأوَّل تحت عُنوان *بنتاغيت* ***Le Pentagate***، والثّاني بعنوان *الخدعة الرهيبة* ***L'effroyable Impostur*** حول ما دعاه بتلفيق المخابرات الأميركيَّة قصَّة الطّائرة التي ضربت جُزءاً من بناء وزارة الدّفاع - البنتاغون - وأثبت في صُور عديدة كذب هذا الادّعاء، وأنَّه ليس هناك أثر لأيَّة طائرة قد تكون سقطت

فوق هذا البناء. ويصل إلى نتيجة بأنَّ أحداث أيلول ما هي إلا مُؤامرة دبَّرتها جهات تمتلك مقدرات فنِّيَّة عالية أعلى من مستويات تنظيم القاعدة.

والمؤمنون بنظريَّة المُؤامرة تختلف مشاربهم، وتتنوَّع نظراتهم. فالمسلمون منهم منْ يحلو لهم - دائماً - اتِّهام الغرب والمسيحيَّة والصّهيونيَّة، والمسيحيُّون منهم مَنْ لا يجدون أمامهم سوى الرّاديكاليِّين الإسلاميِّين الذين يسعون إلى تحطيم العالم المسيحي، وتحويل أوروبا إلى مستعمرة إسلاميَّة!! وآخر ما كُتب حول هذا الموضوع كتاب صدر بالفرنسيَّة للكاتب الفرنسي *الكسندر ديل فال*، نشرت جريدة الأهرام في 10/ 12/ 04 عرضاً له بقلم الدُّكتُور سعيد اللاَّوندي، يحمل الكتاب عنوان "حروب ضدَّ أوروبا". وبعد أنْ يستعرض الكتاب العلاقات بين أميركا وأوروبا، ويُبيِّن أنَّ عوامل التّنافر والتّضادّ بينهما كثيرة، وهي تفوق - بكثير - عوامل التّجاذب بين القارَّتيْن، وأنَّ الصّراع بين "القُوَّتيْن" قائم ومستمرّ، وإنْ بدا مستتراً أو مُقنَّعاً، ينتقل المُؤلِّف إلى القول بأنَّ أكثر الجماعات الإسلاميَّة المُتطرِّفة نشأت وترعرعت في أحضان أجهزة المخابرات الأميركيَّة. لقد استخدمت الولايات المُتَّحدة كُلَّ الجماعات الإسلاميَّة: الجهاد، القاعدة، الإخوان، طالبان، وغيرها من التّنظيمات الإسلاميَّة لمُحاربة الاتِّحاد السُّوفييتي. وبعد أنْ نجحت في هذا الاستخدام تسعى - الآن - إلى استخدام فلول هذه الجماعات المتواجدة في أوروبا لزعزعة الاستقرار في أوروبا، وإضعاف الحضارة الأوروبيَّة بكاملها.

وتسعى الولايات المُتَّحدة - كما يقول المُؤلِّف - إلى إبقاء صلاتها مع حلفائها القدامى (أسامة بنْ لادن، وتنظيم القاعدة، وبقية الأصوليِّين في العالم العَرَبي) الذين أعلنوا الحرب على الشّيطان الأكبر (أميركا)، وتحافظ على استراتيجيّتها المؤيِّدة لهم، ويشرف على هذه الاستراتيجيَّة أجهزة الاستخبارات الأميركيَّة الـ *CIA* والبنتاغون، والهدف الذي تسعى إليه الولايات المُتَّحدة هو إضعاف أوروبا، وإشغالها، وإبقاء روسيا في حالة خوف من امتداد النّفوذ الإسلامي.

ويستطرد المُؤلِّف في شرح المُؤامرة؛ فيقول: إنَّ التّناقض هنا أنَّ أميركا كحليف لا تتصرَّف - دائماً - من منطلق تضامنها كعُضو في الحضارة الغربيَّة في مواجهة التّهديد الذي

يمثّله التّطرُّف الإسلامي لهذه الحضارة. فالثّابت أنّ أميركا تستخدم المعسكر الإسلامي الذي يضمُّ تُركيا والجمهوريّات الإسلاميّة في الاتّحاد السُّوفييتي السّابق ضدّ روسيا (بطريقة مُباشرة)، وضدّ الاتّحاد الأوروبي (بطريقة غير مُباشرة).

لقد نجحت الولايات المُتّحدة في تشكيل الحزام الأخضر الذي يُطلَق عليه اسم (الخطّ الأخضر الإسلامي)، الذي يحيط بروسيا بهلال إسلامي، وهي تسعى ـ الآن ـ إلى أنْ يكون لها رأس حَرْبَة في أوروبا الغربيّة. ويعتقد المُؤلّف ـ خلافاً لما يراه الرّئيس كلينتون ـ بأنّ الغرب ليست لديه مشاكل مع الإسلام، بل إنّما مشكلته مع الإسلاميّيْن المُتطرّفين، فيقول بأنّ هذا غير صحيح، فتاريخ الإسلام ـ كما يدّعي ـ على مدى 1400 سنة يُؤكّد أنّ الصّراعات بين الإسلام والغرب لم تتوقّف في أيّة لحظة؛ مشيراً إلى حُرُوب الفُتُوحات الإسلاميّة الأولى، مُرُوراً بالحُرُوب الصّليبيّة، وانتهاء باحتلال الغرب لدُول الإسلام. ويتحدّث عن الحرب الباردة بين الغرب والإسلام، التي أصبحت أوروبا مسرحاً لها، وأنّ هذه الحرب يُغذّيها الآن العقل السّياسي الأميركي، ويُحيك خيوط المُؤامرة فيها مسؤولون في المخابرات ووزارة الدّفاع في الولايات المُتّحدة.

وهكذا نجد أنّ نظريّة المُؤامرة تحتلُّ حيّزاً كبيراً من تفكير الكثير من الكُتّاب. وأوصلت هذه النّظريّة كاتباً ـ مثل ديل فال ـ إلى القول بأنّ أميركا ـ الآن ـ تتآمر مع الرّاديكاليِّيْن الإسلاميِّيْن المتواجدين في أوروبا؛ ليكونوا حصان طروادة لتحطيم الحضارة الأوروبيّة!! وذلك دُون أنْ يُبيِّن الكاتب المشكلات التي تُعاني منها الجماعات الإسلاميّة المهاجرة بشكل عامّ، ودُون أنْ يتعرَّض لموقف حكومات البلدان الذين يعيشون تحت حمايتها، والمجتمعات الذين يتعايشون معها، والثّقافات السّائدة المناهضة لثقافاتهم وعقائدهم التي تفرضها هذه المجتمعات عليهم، وأيضاً؛ دُون أنْ يُكلِّف نفسه عناء دراسة هيكليّة هذه الجماعات وانتماءاتها، فالجميع ـ بنظر الكاتب ـ قابلون للائتمار بأمر الولايات المُتّحدة، إنْ لم يكونوا عملاء لها.

أمّا الألماني *أندرياس فان بيلوف*، الذي شغل في الماضي منصب رئيس جهاز المخابرات ووزير الدّفاع في الحكومة الألمانيّة؛ فقد ألّف كتاباً ترجمه إلى العَرَبيّة د. عصام الخضراء

وسُفيان الخالدي، وَنَشَرَتْهُ دار الأوائل في دمشق، تحت عنوان "*الـ سي. آي. إي .C.I.A و11 أيلول 2001 الإرهاب العالمي ودور أجهزة الاستخبارات*"، يُبيِّن فيه بالوثائق والمعلومات التي تمكَّن من جَمْعها حول هذا الموضوع بأنَّ المخابرات الأميركيَّة هي وراء هذه المُؤامرة، التي ألصقت التّهمة بالقيام بها بمُنظَّمة القاعدة زيفاً وبهتاناً. ويعرض المُؤلِّف عدَّة شواهد للتّدليل على صحَّة نظريَّته، منها على سبيل المثال:

1 - عدم جدِّيَّة أجهزة الاستخبارات الأميركيَّة في ملاحقة أسامة بنْ لادن عندما نشط في العمل في السُّودان واليمن.

2 - صلة أسامة بنْ لادن بالمخابرات السُّعُوديَّة والباكستانيَّة في عهد رئيسة وزراء باكستان السّابقة بنازير بُوتُو.

3 - عدم ملاحقة المتشدّدين الأصوليِّين التّابعين لأسامة بنْ لادن، الذين تتَّهمهم الولايات المُتَّحدة بأنَّهم حضروا إلى الولايات المُتَّحدة للتَّدرُّب على الطّيران المدني في مدارسها.

4 - عدم الأخذ بعين الاعتبار التّحذيرات المتكرِّرة من بعض الجهات الأمنيَّة والمتعلِّقة بهؤلاء المتدرِّبين.

5 - مغزى إعطاء تأشيرات الدُّخُول للولايات المُتَّحدة لمنفِّذي الهجوم المزعومين، وإغفال تسمية الجهة التي سمحت لهم بالتَّعلُّم والتّدريب على الطّيران.

6 - الاضطرابات الماليَّة التي تمَّت في بورصة نيو يورك نتيجة المضاربات الماليَّة التي حدثت قبل يوم واحد من حدوث الهجوم على برجَيْ التّجارة الدّوليِّين في 11/ 9.

7 - تضارب الأنباء وتناقض المعلومات عن بنْ لادن بما يوحي بأنَّ تزويراً للحقائق أُريد نشره للتّضليل.

8 - التّساؤل الذي لم توضحه أجهزة الإعلام الأميركيَّة عمن كان في الطّائرات الثّلاث.

9 - عدم صحَّة بعض الأسماء العَرَبيَّة التي أُدرجت في قائمة الطّائرات المتفجِّرة.

10 ـ التّشكيك في إمكانيَّة انـهيار الـبرجَيْن نتيجـة اصطـدام الطّـائرتَيْن بـهما ، وأنَّ السّـبب الحقيقي والعلمي للانهيار لابُدَّ أنْ يكون بسبب وَضْع عدَّة متفجِّرات فـي أمـاكن متفرِّقـة وزوايـا مدروسة ؛ لتتهاوى البنايتان بتلك الطّريقة الرّهيبة التي انصهرت بها قضبان الصّلـب ، وانـهارت بهذه السّرعة .

11 ـ إنَّ خبراء الطّـيران الذيـن لديـهم المعرفـة التَّامَّـة فـي قيـادة الطّـائرات العملاقـة كـالتي استُخدمت في الاصطدام في برجَيْ التّجـارة الدّوليَّيْـن يُجمعـون علـى أنَّ قيـادة هـذه الطّـائرات بسرعة 800كم فـي السّـاعة فـي منطقـة مزدحمة بالحركـة الجويَّـة ـ كمـا هـو الحـال فـي السّـاحل الشّرقي لأميركا لضرب أهداف مُعيَّنة ، في وقت معيَّـن ، دُون أيّ تـأخير ـ لا يُمكـن أنْ يقـوم بـه طيَّارون هواة ذوي تدريـب بسيط وعـادي . ويعتقـد هـؤلاء الخبراء ـ ومنـهم مـهندس بريطـاني سـابق فـي مجـال هندسـة الطّـيران ـ أنَّ قيـادة هـذه الطّـائرات الجبَّـارة لابُـدَّ وأنْ تكـون قـد تمَّـت إلكترونيّاً ، وعن بُعْد .

12 ـ أمَّا رغبة الإدارة الأميركيَّة في عدم كشف السِّرِّ الحقيقي لهذا الحـادث ، وإجـلاء كُـلِّ نقاط الغموض التي رافقت وقائعه ، فهي واضحة . ويرى المؤلِّف أنَّ شكوكاً عدَّة أثارت الانتباه إلى وُجُود هذه الرّغبة في سُلُوك الإدارة الأميركيَّة ، ومن هذه الأمور :

آ ـ عدم نشر شرائط تسجيل اتِّصالات رجال المطافئ ، الذين سارعوا إلـى مكـان الحـادث بعد وقوعه مُباشرة .

ب ـ المسـارعة فـي وضـع الحواجـز حـول مركـز الـبرجَيْن المنـهارَيْن ، وعـدم السّـماح بالتّصوير .

ج ـ مصادرة كـاميرات التّصويـر التـي قـامت بالتقـاط صـور التّدمـير ، الـذي تمَّ فـي سـاعة حدوث الكارثة .

د ـ بقـاء الصّندوقَيْـن الأسـودَيْن للطّائرات الأربـع التي اشتـركت فـي الـهجوم فـي حُكْـم المفقودين .

هـ ـ عدم قيام سلاح الجوّ الأميركي المتدرِّب على التَّصدِّي لهذه الأحداث بالتَّصدِّي للطَّائرتَيْن عند تحريف مسارهما.

ويخلص المؤلِّف إلى القول بأنَّ تفجيرات 11/ 9/ 2001 ما هو إلاَّ عمل من أعمال المخابرات الأميركيَّة، وليس من المستبعد أنْ تكون هذه المُؤامرة التي أنجزتها الـ *C.I.A.* هي حصيلة دراسة طويلة وعميقة أقرَّتها مراكز أبحاث متخصِّصة في دائرة المخابرات لتحقيق الحلم الذي يُراود أذهان حفنة من السّاسة الأميركيِّين، الذين باتت أسماؤهم وشخصيّاتهم تظهر تحت عنوان "المُحافظون الجُدُد"، الذين يسعون إلى تحقيق حلمهم بانفراد الولايات المُتَّحدة بالسّيطرة على العالم، والتَّربُّع على عرش إمبراطُوريَّة أميركيَّة، تنفرد في إدارة شؤونه، بدُون أيّ منافس، وفَرْض إرادتها على دُوَله، وسلب أيَّة معارضة لسياستها وهيمنتها من أيَّة بقعة من بقاعه.

إنَّ هذا الحلم الذي نرى ملامحه، ونتلمَّس وقائعه، وتشعر الدّول قاطبة بوطأته هو النّموذج الأزلي للحلم الإمبراطوري الذي راود كُلَّ الدّول التي تمتَّعت في الماضي، وخلال حقبة من الزّمن، بمصدر الثّروة والمَنَعَة العسكريَّة والتَّفوُّق التّقني والسَّبْق العلمي.

ولا شكَّ في أنَّ العقليَّة الأميركيَّة المُحافظة التي ماتزال تسبح في ذكريات التّاريخ القريب تشعر أنَّ فضلها الكبير في تحقيق النّصر المؤزَّر على النّازيَّة الهتلريَّة، وإزالة خصمها اللّدود الاتِّحاد السُّوفييتي، الذي بنى إمبراطوريَّة كبيرة، وَوَضَعَ دُول أوروبا الشّرقيَّة تحت مظلّته، ثُمَّ إخضاع أوروبا بشطرَيْهَا للنّفوذ الأميركي، وإخضاع اليابان ودُول جنوب شرق آسيا لمشيئتها، كُلُّ تلك العوالم لعبت دوراً هامّاً في العقليَّة الأميركيَّة؛ لدَفْعها إلى الاعتقاد بضرورة أهليَّتها أنْ تتبوَّأ الصّدارة في المجتمع الدّولي، وأنْ تخضع جميع دول العالم بمختلف مشاربها لإرادتها المطلقة.

لقد شاءت إرادة أولئك الحالمين بالإمبراطوريَّة الأميركيَّة أنْ يستحوذوا على تأييد كُلّ الأميركيِّين، وأنْ ينالوا تعاطفهم مع سياسة حكومتهم في كُلّ ما سوف تُقدم عليه من خطوات مهما كان اتِّجاه هذه الخطوات ومراميها، فكانت أحداث 11/ 9 عبارة عن نقلة مدروسة للحصول على هذا التّأييد وذاك التّعاطف المطلوب.

وأطرف إعلان قرأتُهُ عن موضوع المُؤامرة ـ مُؤامرة 11/ 9/ 2001 التي تمَّ فيها تدمير برجَيْ التّجارة الدّوليّيّن في نيو يورك ـ هو أنَّ أحد الأميركيّيّن نشر إعلاناً في الصُّحُف يعرض فيه جائزة قدرها 100 ألف دولار أميركي لمَنْ يُثبت له خطأ نظريَّته عن أنَّ هجمات أيلول قامت بها دوائر داخليَّة.

وهكذا نجد أنَّ نظريَّة المُؤامرة تحتلُّ حيِّزاً كبيراً من تفكير الكثير من الكُتَّاب. أوصلت هذه النّظريَّة كاتباً ـ مثل ديل فال ـ إلى القول بأنَّ أميركا ـ الآن ـ تتآمر مع الرّايكاليّيّن الإسلاميّيّن المتواجدين في أوروبا ليكونوا حصان طروادة لتحطيم الحضارة الأوروبيَّة!! وذلك دُون أنْ يبيِّن الكاتبُ المشكلات التي تعاني منها الجماعات الإسلاميَّة المهاجرة بشكل عامّ، ودون أنْ يتعرَّض لموقف حكومات البلدان التي يعيشون تحت حمايتها، والمجتمعات التي يتعايشون معها، والثّقافات السّائدة المناهضة لثقافاتهم وعقائدهم، التي تفرضها هذه المجتمعات عليهم، وأيضاً؛ دُون أنْ يُكلِّف نفسه عناء دراسة هيكليَّة هذه الجماعات وانتماءاتها، فالجميع ـ بنظر الكاتب ـ قابلون للائتمار بأمر الولايات المُتَّحدة، إنْ لم يكونوا عملاء لها.

الرّدُّ على أصحاب نظريَّة المُؤامرة:

ولكنْ؛ لابُدَّ من القول بأنَّ نظريَّة المُؤامرة تبقى نظريَّة مُغرية للإيحاء بأنّنا أمام مشكلة ليست نابعة من داخلنا، بل هي من صُنع أياد خفيَّة، لا تنوي الخير لنا.

إنَّ إلقاء مسؤوليَّة حالة التَّردِّي البائسة التي تعمُّ العالم العَرَبي على عامل (المُؤامرات الخارجيَّة) قد يكون طرحاً مقبولاً، ويلقى استجابة عريضة من قِبَل العديد من الكُتَّاب والمُفكِّرين الذين يؤمنون بنظريَّة المُؤامرة، ويدافعون عنها بحرارة، وخاصَّة إذا أدركنا أنَّ من السّهل الدّفاع عن هذه الحُجَّة ببراهين وأسانيد لا يصعب إيجادها، ولا يعجز العثور على مَنْ يُؤيِّدها، ويتحمَّس لها. فهذا الحلُّ وهذا الطّرح هو ـ بدُون أدنى ريب ـ أقلُّ صُعُوبة من القول بأنَّ الحالة المتردِّية التي تعانيها دُول المنطقة العَرَبيَّة تعود إلى القول مثلاً:

- عدم توفُّر رؤية واضحة لتطوير النّظام التّعليمي ورفع مستواه ليواكب التّطوُّر العلمي الذي يشهده العالم في عصره الجديد.

- أو عدم تطوير الأداء الاقتصادي لزيادة إنتاجيَّته ورفع مستواه ليتمكَّن المنتج المحلّي من منافسة مثيله من المنتج العالمي.

- أو عدم تدعيم النّظام الدّيمقراطي لزيادة مستوى الحُرِّيَّة الفكريَّة، والاستفادة من كافَّة الطّاقات وإبداعات الفرد، الذي يحتاج إلى الشُّعُور بالحُرِّيَّة التّامَّة، ويمارسها؛ ليُعبِّر عن أفكاره وطاقاته.

- أو عدم وُجُود النّظرة المتفهِّمة لزيادة التّلاحم في الجبهة الدّاخليَّة في مجتمع باتت تسوده مفاهيم وشعارات زائفة بعيدة كُلّ البُعْد عن مفاهيمه الأخلاقيَّة المتوارثة، تلك التي تأبى الكذب، وتأنف النّفاق، وترفض الغشّ، ولا تقبل الانحراف، والابتعاد عن مُثُلها العُليا السّامية، التي هي أساس تقدُّم وازدهار كُلّ مجتمع.

- أو وُجُود أنماط عديدة من السّلفيَّة الفكريَّة والإيديولوجيَّة المؤثِّرة، التي تمثِّل - في الحقيقة - أغلالاً ذهنيَّة وفكريَّة لدى بعض المُؤسَّسات السِّياسيَّة التي تملك سلطة اتِّخاذ القرار.

قد تكون مظاهر التّآمر بادية للعيان، وقد تكون أجواء المُؤامرة مكشوفة لا تحتاج إلى تمويه أو تغطية، فهل يصحُّ أنْ نصف مثل هذا الحَدَث فيما لو تمّ بأنَّه مُؤامرة جرت في الخفاء، وبدت لنا وكأنَّها مفاجأة لم نعمل لها أيّ حساب؟! هناك أحداث عناصرها ظاهرة، والاستدلال عليها لا يصعب على كُلّ متابع لها، والحصافة في مواجهتها تتوقَّف على الجهة المدركة والمالكة للرُّؤية الجيِّدة والتّحليل السّليم. والمهمُّ - هنا - أنْ يصل إدراكنا إلى التّمييز بين ما يُمكن أنْ يكون تآمراً حقيقيّاً، وما يُمكن أنْ يكون مُجرَّد رغبة في تحميل ما يُطلَق عليه بالمُؤامرة لإلقاء الإهمال والتّقصير والعجز الذي مارسناه على عاتق هذا المجهول، الذي يسهل تحميله كُلّ الأخطاء والقصور في حَلّ مشاكلنا.

لقد أحال كثير من الكُتّاب والمحلّلين السِّياسيّين كُلّ هزيمة نكراء حلَّتْ بالأُمَّة العَرَبيَّة إلى وُجُود مُؤامرة صهيونيَّة أميركيَّة، وأتبعوا هذه الإحالة بالقول بأنَّ الاستعمار هو وراء كُلّ المصائب التي مُني بها العالم العَرَبي، ونادراً ما حظيت المكتبة العَرَبيَّة بكتاب موضوعي يُبيِّن أنَّ

الخَلَلَ الذي تعاني منه الأُمَّـة العَرَبيَّة في مختلف مجالات العمل السِّياسي والاجتماعي هو السَّبب الرَّئيس في حصول الهزائم والنَّكسات.

صحيح أنَّ الاستعمار هو عامل مهمٌّ في هذه النَّكبات، ومساعد نشط في إحداثها، ومحرِّك رئيس في وقوعها، وعنصر فعَّال في حدوثها، ومستفيد كبير من نتائجها، ولكنَّ الصَّحيح ـ أيضاً ـ أنَّ القصور الكبير في التَّفكير السَّليم، والجهل التَّامّ لقراءة الأوضاع الإقليميَّة والعالميَّة، والافتقار للخبرة الجيِّدة والتَّخطيط الاستراتيجي النَّاجع، وانعدام الكفاءة في المجالَيْن السِّياسي والعسكري هو عامل مهمٌّ ورئيس في ما أصاب الأُمَّة من كوارث ومصائب قوميَّة عديدة، فليس من الحكمة في شيء أنْ نتوقَّع من عدوٍّ متربِّص أو خصم لدود أنْ يبدي لنا أيَّ نوع من المودَّة والمحبَّة، بل المنطق والمعقول أنْ نتوقَّع من هذا العدوِّ المبين إخفاء كُلّ ما لديه من مكر وكُلّ ما يختزنه من كراهية في سعيه للكَيْد لنا، وإيقاع أكبر مساحة من الأذى فينا.

إنَّ احتمال عدم النَّجاح في الحصول على أيِّ هدف مطلوب هو نتيجة مُؤكَّدة إذا كان الإعداد الجيِّد لتحقيق هذا الهدف معدوماً، والدِّراسة العميقة لخطوات تنفيذ هذا الهدف قاصرة وغير سليمة، فإدارة أيّ صراع مع الغير يقتضي معرفة طبيعة الجهة التي تختصم معها، والمطالب والأهداف المرجو تحقيقها من هذا الصِّراع، ثُمَّ مقارنة المقدرة والإمكانيَّات المتاحة والمُعدَّة لهذا الصِّراع مع إمكانيَّات العدوِّ التي يملكها، والتي يُمكن أنْ يحصل عليها ليستخدمها في مجابهته لهذه المطالب. إنَّ هذا الأسلوب هو الطَّريقة السَّليمة التي تُؤدِّي إلى الحصول على النَّتائج الصَّحيحة المرجو الحصول عليها.

إنَّ الهزائم التي مُنيت بها الأُمَّة العَرَبيَّة مُنذُ مطلع القرن العشرين وحتَّى الآن سواء ما كان منها:

ـ فشل تحقيق حلم الشَّريف حسين رحمه الله.

ـ أو سوء المعالجة العَرَبيَّة للقضيَّة الفلسطينيَّة.

ـ أو عدم وُجُود الرَّغبة الحقيقيَّة في الاستفادة من تجارب الوحدة الأوروبيَّة، وفشل التَّوجُّهات الوحدويَّة العَرَبيَّة.

- أو المجابهة الارتجاليَّة لمقدِّمات حرب الأيَّام السِّتَّة 1967م.

- أو الأحلام الطّوباويَّة لمُنظَّمة التّحرير الفلسطينيَّة، التي سبَّبت أحداث أيلول الأسود في الأردن عام 1970م.

- أو طموح المُنظَّمة إلى بسط سيطرتها على السّاحة اللّبنانيَّة عام 1980م، بعد طرد قُوَّاتها من الأردن.

- أو انجراف القيادة العراقيَّة وراء أوهام نصر سهل في تورُّطها بالحرب مع إيران عام 1980م.

- أو تهوُّر القيادة العراقيَّة في غزو الكويت عام 1990م، اعتماداً على قول السّفيرة الأميركيَّة بأنَّ الولايات المُتَّحدة لا تنوي التَّدخُّل في النّزاعات الإقليميَّة في الخليج العَرَبي.

- أو - أخيراً - غزو الولايات المُتَّحدة للعراق عام 2001م.

والتي أنتجت كُلّها أقسى الهزائم في العالم العَرَبي، لا يُمكن أنْ نلقي كامل المسؤوليَّة في ما نتج عنها على عاتق الاستعمار، ونتَّفق مع أصحاب نظريَّة المُؤامرة بالقول بأنَّ الصّهيونيَّة والاستعمار الغربي المتمثِّل بأميركا والدّول الأوروبيَّة هو السّبب الرّئيسي فيما حلَّ بالأُمَّة العَرَبيَّة من كوارث ومصائب.

إنَّ هذا الإسراف في إلقاء كامل المسؤوليَّة على عنصر المُؤامرة فيه ابتعاد عن كامل الحقيقة، التي تشير - بوضوح وجلاء - إلى أنَّ مسؤوليَّتنا كعَرَب كانت في الاستحقاقات التي أصابتنا أكبر بكثير ممَّا يعزوه أصحاب نظريَّة المُؤامرة، وفيما يذهبون إليه في تبرير هذه الهزائم.

إنَّ المفهوم المتعارف عليه في توصيف المُؤامرة هو القول بأنْ تكون آليَّة إعدادها وتنفيذها خافية عن الطّرف الذي استهدفتْهُ أحداثها. فإذا وضعنا كُلَّ الحالات التي بيَّنَّا عناوينها آنفاً في إطار هذا المفهوم المتعارف عليه لكلمة المُؤامرة لوجدنا أنَّ كُلَّ هذه الأحداث التي مرَّت على العالم العَرَبي لا ينطبق عليها - بالتّمام - وصف المُؤامرة.

ـ فالتآمر على القضيَّة العَرَبيَّة ـ الذي حمَّلْنَا بريطانيا لواءه ـ هو ـ في الحقيقة ـ سوء تبصُّر، وعدم رؤيا صحيحة من الجانب العَرَبي في التَّعامل مع حليف مشهور بتاريخه الاستعماري، وسعة خبرته في استخدام كُلِّ الألاعيب السِّياسيَّة والحِيَل الدّبلوماسيَّة للوُصُول إلى تحقيق أغراضه. فبريطانيا في هذه المرحلة ـ كدولة استعماريَّة لها مطامع في المنطقة ـ لم تقم إلاَّ باستغلال سذاجة حليفها العَرَبي، وسوء إدراكه، وضعف رؤيته للحقائق التَّاريخيَّة.

ـ وفي القضيَّة الفلسطينيَّة لم يكن الموقف العَرَبي عامَّة والفلسطيني خاصَّة بأحسن من موقف الشّريف حسين. إنَّ عدم إدراك القيادات العَرَبيَّة للأجواء السِّياسيَّة الدّوليَّة، التي أدَّت إلى قرار التّقسيم، وعدم تقييمها تقييماً سليماً لأوضاع بلدانها في مقدرتها على الدُّخُول في معركة عسكريَّة ناجحة، إضافة إلى فقدان أكثر أنظمتها الرّؤية الصّحيحة لمخطَّطات الصّهيونيَّة، ونجاح الأخيرة في إنشاء تحالف استراتيجي مع الغرب، وتسخير كُلِّ إمكانيَّاتها، ووضعها تحت تصرُّف الغرب الاستعماري، بغية تحقيق بقائها واستقرارها في الأرض المغتصبة بأمل السّماح لها بالتَّوسُّع والامتداد على حساب جيرانها العَرَب، كُلُّ تلك العوامل لا شكَّ بأنَّها كانت وراء الإخفاق في معالجة القضيَّة الفلسطينيَّة المتمثِّلة بالغزو الاستيطاني الإسرائيلي. هذا؛ بالإضافة إلى الإخفاق الشّنيع والذّريع الذي صاحب أصحاب الأرض أنفسهم من جرَّاء سوء معالجتهم لقضيَّة وطنهم، بدءاً من عهد الحاجّ أمين الحسيني، مروراً بعهد أحمد الشّقيري، وانتهاء بعهد ياسر عرفات، والإخفاقات المتواصلة التي مُني بها الجانب الفلسطيني من جرَّاء عدم معالجته قضيَّته المعالجة المتَّسمة بالعقلانيَّة والواقعيَّة، البعيدة عن الشّعارات الخادعة، والمواقف الدّعائيَّة، والمعالجة المبنيَّة على عدم رؤية سليمة للواقع الدّولي والعَرَبي.

إنَّ رفض القيادات الفلسطينيَّة كُلّ مشروع تسوية يُقدَّم لها كان يتلوه تحسُّر على ما تمَّ رَفْضُهُ، وما أُجمع على استنكاره. وتاريخ القضيَّة الفلسطينيَّة مُفْعَمٌ بهذه المواقف، التي لا يُمكن أنْ نقول إنَّ وراءها شُبهة تُوحي بأنَّها نوع من المُؤامرة. ففي عام 1922م؛ رفض الفلسطينيُّون مشروع تشرشل، وفي عام 1933م، رفضوا المشروع الذي تقدَّمت به بريطانيا تحت عنوان الكتاب الأبيض، وفي عام 1948م، رفضوا مع الدّول العَرَبيَّة قرار التّقسيم،

وفي عام 1954م، رفضوا مشروع روجرز، وزير الخارجيَّة الأميركي، وأقاموا النّكير على عبد النّاصر.

إنَّ كُلَّ هذه المشاريع للتّسوية المقبولة رُفضَتْ، ثُمَّ أعقب هذا الرّفض النّدم والتّأسُّف لأنّها لم تلد ما هو أفضل منها.

- إنَّ القول بأنَّ الاستعمار وراء التّشرذم العَرَبي، وأنَّ عدم قيام وحدة عَرَبيَّة شاملة بين أقطار العالم العَرَبي سببه مُؤامرة استعماريَّة على العَرَب هو قول فيه الكثير من المغالطات. إنَّ الوحدة السُّوريَّة المصريَّة التي قامت عام 1958م، لم تنفضّ عروتها بسبب تآمر استعماري عليها، فلو كانت مقوِّماتها خالية من الأخطاء، وكان رجالها المتنفِّذون فيها راغبين في المُحافظة عليها وتقديمها للعالم العَرَبي على أنّها النّموذج الأكمل للوحدة بين أقطاره، لما تمكَّنت أيَّة جهة، استعماريَّة أو غير استعماريَّة، من النّفوذ إلى داخلها، وفَصْم عُرى الاتِّحاد بين شطرَيْهَا.

ثُمَّ لنأخذ مثلاً حيّاً مايزال ماثلاً أمامنا؛ ألا وهو مجلس التّعاون الخليجي، الذي يجمع في صفوفه كُلاً من السُّعُوديَّة، قطر، البحرَيْن، الكُويت، والإمارات العَرَبيَّة المُتَّحدة، لم ينجح - حتَّى الآن - إلى بلوغ المستوى الذي وصلت إليه وحدة دُول أوروبا الغربيَّة، التي أصبحت كياناً واحداً، بعد أقلّ من خمسين سنة، وذلك رغم تقارب فترة إنشاء الاتِّحادَيْن الأوروبي والعَرَبي.

- وفي ما يقال عن مُؤامرة أميركا وإسرائيل في حرب عام 1967م، فإنَّنا نتساءل في الرَّدّ على أصحاب نظريَّة المُؤامرة:

أين الحصافة السِّياسيَّة المفروض توفُّرها في أكبر دولة عَرَبيَّة في قبول فَتْح جبهة جديدة للقتال ومُعظم قُوَّاتها العسكريَّة تخوض معارك ضارية مع القبائل اليمنيَّة المدعومة من المملكة العَرَبيَّة السُّعُوديَّة؟!

أين التَّبَصُّر في القرار السِّياسي بفَتْح جبهة قتال جديدة مع دولة تمتلك أحدث أنواع الأسلحة، تدعمها دولة كُبرى بكُلّ أنواع الدَّعْم العسكري والمادِّي، وتضع تحت تصرُّفها - في

حال الضّرورة ـ أسطولها السّادس المتمركز بالقُرب من سواحلها دُون دراسة جيِّدة لهذه الخطوة، ودون التّأكُّد من مُناصرة فعليَّة وحقيقيَّة من دولة كُبرى أخرى كالاتِّحاد السُّوفييتي؟!

ثُمَّ أين هو التَّبصُّر السّليم للموقع العسكري إذا كانت أكبر دولة عَرَبيَّة لم تنجح في التّأكُّد من صحَّة الحُشُود التي ادَّعت إسرائيل أنَّها تحشدها على الحُدُود السُّوريَّة لاجتياح الجبهة السُّوريَّة واحتلال دمشق، وانطلت عليها هذه الخدعة، التي لم تحاول مصر أنْ تتأكَّد من صحَّتها، بل قبلت هذا التّضليل، وانساقت بعواطفها، واندفعت في حشد قُوَّاتها في سيناء، دُون أنْ تعدَّ جيشها إعداداً عسكريَّاً كافياً وصحيحاً لمواجهة كُلِّ الاحتمالات العسكريَّة المتوقَّعة؟!

لقد تبيَّن لأكثر المحلِّلين العسكريِّين أنَّ هذا الحشد للقُوَّات المصريَّة كان ـ في حقيقته ـ نوعاً من استخدام ما يُطلَق عليه "ديبلوماسيَّة القُوَّة"، ولكنْ؛ بعُرْف هؤلاء المحلِّلين كان استخداماً ساذجاً لديبلوماسيَّة القُوَّة.

وإذا كانت الدّولة الكُبرى التي لم ترتحْ ـ بَعْدُ ـ من حربها في اليمن، وغير مستعدَّة استعداداً كاملاً للقتال مع عدوٍّ قوي لا يُستهان به، وجيشها غير مُهيَّأ ـ بَعْدُ ـ لخوض مثل هذه المعركة التي تنتظره، وغير مُرتاح في نظرته لمعركة فُرضت عليه، دُون أنْ يستعدَّ لها، فهل كان على القيادة المصريَّة ـ في مثل هذا الوضع ـ أنْ تلجأ إلى تأزيم الموقف إلى أقصى حَدٍّ، وذلك بأنْ تطلب من الأمين العامّ للأمم المُتَّحدة "أوثانت" سَحْبَ القُوَّات الدّوليَّة من سيناء، تلك القُوَّات التي أرسلتها الأمم المُتَّحدة عام 1957م، إلى سيناء لمُراقبة انسحاب القُوَّات الإسرائيليَّة التي احتلَّت سيناء عام 1956م؟!

إنَّ الهزيمة التي أوقعتها القيادة المصريَّة في الجبهات الثّلاث، والتي كانت نتيجتها احتلال الضّفَّة الغربيَّة التي كانت بيد الأردن، وقطاع غزَّة الذي كان بيد مصر، والجولان الذي كان بيد سورية، كان من الممكن تجنُّبها لو استجاب عبد النّاصر لرجاء الرّئيس الأميركي جونسون بإلغاء قراراته السِّياسيَّة الخاطئة التي اتَّخذها فيما يتعلَّق بإغلاق مضائق تيران أمام الملاحة الإسرائيليَّة، والطّلب من قُوَّات الأمم المُتَّحدة الانسحاب من سيناء.

لقد كان الرّجاء واضحاً في طَلَب الرّئيس جونسون، وكان الرّفض لـهذا الرّجاء واضحاً ـ أيضاً ـ في ردِّ عبد النّاصر عليه. فالهزيمة أو النّكسة التي لحقت بالأُمَّة العَرَبيَّة نتيجة حرب الخامس من حزيران عام 1967م، لا يجوز أنْ نعزوها إلى وُجُود مُؤامرة، ولا ينطبق عليها عنصر التّآمر، بل هي أقرب إلى انعدام الرّؤية الصّحيحة للأوضاع الدّوليَّة والإقليميَّة في العقليَّة العَرَبيَّة، والجهل التّامّ في قراءة أبعادها بالشّكل الصّحيح.

ـ ومثال آخر عن نظريَّة المُؤامرة يقودنا إلى إلقاء نظرة على ما يُطلَق عليه بمُؤامرة أيلول الأسود عام 1970م. ففي أيلول من ذلك العام، نشب صدام مسلَّح بين قُوّات مُنظَّمة التّحرير والجيش الأردني. وقيل إنَّ أسباب هذا الصّدام يعود إلى وُجُود مُؤامرة، طَرَفٌ يقول إنَّها مُؤامرة أردنيَّة إسرائيليَّة للقضاء على مُنظَّمة التّحرير، وطَرَفٌ آخر يدَّعي بأنَّها مُؤامرة أميركيَّة فلسطينيَّة للقضاء على المملكة الهاشميَّة؛ لتسليم أراضيها لمُنظَّمة التّحرير؛ لإنشاء دولة فلسطينيَّة على الأرض الأردنيَّة. إلاَّ أنَّ الواقع ـ وكما أثبتته التّقارير التي نُشرت عن خلفيَّة هذا الصّدام والقتال المسلَّح بين الطّرفَيْن ـ تشير إلى أنَّ سبب هذا القتال يعود إلى طموحات مُنظَّمة التّحرير في وَضْع المملكة الأردنيَّة تحت سيطرتها، والتَّحكُّم بقرارها السِّياسي. لقد كانت شعارات "لا سُلطة فوق سُلطة المقاومة"، و"كُلُّ السُّلطة للمقاومة" التي أطلقتْهَا الجبهة الشّعبيَّة والجبهة الدِّيمُقراطيَّة هي الشّعارات التي ملأت السّاحة الأردنيَّة، وكأنَّها في طبيعة طرحها تدعو إلى إلغاء الطّرف الآخر، وإزالته من الوُجُود.

إنَّ طموح القيادة الفلسطينيَّة في فَرْض إرادتها على الدّولة المُضيفة "الأردن" كان أمراً مرفوضاً من قِبَل النّظام الأردني. ولكنْ؛ للأسف لم تُراعِ مُنظَّمة التّحرير مبدأ السِّيادة للدَّولة المُضيفة، وكان هذا هو سبب قيام 60 ألف مسلَّح فلسطيني بمُهاجمة الجيش الأردني، ذلك الصّدام الذي انتهى إلى إخراج هذه القُوّات من الأردن، وانتقالها إلى لبنان تحت أنظار الاستعمار، الذي كان يُراقب هذه الأحداث، ويجلس في شرفة المتفرِّجين يتمتَّع بمشاهدة مظهر من مظاهر الغباء واللاَّوعي السِّياسي.

ـ لقد تكرَّرت مأساة مُنظَّمة التّحرير في لبنان، بعد أنْ خرجت قُوَّاتها من الأردن، والتجأت إليه، وهناك تجدَّد الاصطدام مع ميليشيَّات الكتائب، التي تُضمر العداء لكُلِّ ما هو عَرَبي، وما هو مسلم. ولم تستطع المُنظَّمة احتواء هذه الكراهية الكتائبيَّة، وحساسيَّة القوى اللّبنانيَّة الأخرى، التي كانت غير مرتاحة لسَعْي المُنظَّمة إلى فَرْض وُجُودها على السّاحة اللّبنانيَّة، وانتزاع جزء من السِّيادة من حُكُومات ذلك البلد. وكانت النّتيجة أنْ تكتَّلت قوى عديدة ضدَّها، واستطاعت إخراجها من لبنان، ليكون هذا الإخراج هزيمة نكراء أخرى تُمنى بها؛ بسبب سوء إدارتها للأزمات، وعدم تبصُّرها لطبيعة الصّراع الدّائر في المنطقة، وعدم وضوح الرّؤية السِّياسيَّة السّليمة لدى قياداتها، ولكنْ؛ بدُون أنْ يكون وراء ذلك الأمر مُؤامرة خارجيَّة ضدَّها.

ـ وإذا انتقلنا إلى السّاحة العراقيَّة لرأينا إصرار أصحاب نظريَّة المُؤامرة على أنَّ الحرب العراقيَّة الإيرانيَّة هي مُؤامرة أميركيَّة لضَرْب الثَّورة الإسلاميَّة ذات المطامع الاستراتيجيَّة في منطقة الخليج بصُورة خاصَّة، والشّرق الأوسط بصُورة عامَّة.

إنَّ أصحاب هذه النّظريَّة يذهبون إلى القول بأنَّ الولايات المُتَّحدة هي التي دفعت العراق إلى خوض حرب ضروس مع جارتها المسلمة، التي تبنت القضيَّة الفلسطينيَّة، وفتحت صدرها للمشاركة في الصّراع العَرَبي الإسرائيلي بجانب الأُمَّة العَرَبيَّة، وقطعت كُلَّ الرَّوابط التي كانت قائمة بين إيران وإسرائيل أيَّام الحُكْم الإمبراطوري، وأنَّ هذا الدَّفْع الأميركي للعراق هو انتقام للثَّورة الإيرانيَّة، التي لم تخضع لمشيئتها، وحاولت إذلال كبريائها عندما احتلَّت سفارتها في طهران، وأخذت عناصر السِّفارة كرهائن.

إنَّ هذا القول في دَفْع وتشجيع أميركا للعراق لخوض حرب ضدَّ إيران يدفعنا للاعتراض عليه إيراد التّساؤلات والحقائق التّالية:

1 ـ إن القيادة العراقيَّة هي نفسها التي وقَّعت الاتِّفاقيَّة مع الشّاه فيما يتعلَّق بالحُدُود الإقليميَّة لمياه الخليج، والتي تأتي ـ الآن ـ بقيادة صدَّام حسين لتُطالب الثَّورة الإسلاميَّة بقيادة الخُميني بإلغاء هذه الاتِّفاقيَّة المجحفة التي أذعن العراق على الموافقة عليها. فهل تستحقُّ هذه

الرّغبة في الإلغاء أو التّعديل - في حال عدم استجابة الطّرف الآخر للمطلب العراقي - أنْ تخوض بلاده حرباً على البلد الذي رفض طلبه في التّعديل؟!

2 - ألم يكن من الأنسب للقيادة العراقيَّة قبل قرار إعلان الحرب أنْ تُجري تقييماً سليماً لوَضْعها المالي والاقتصادي، وتتبيَّن مقدار التّكاليف الباهظة التي قد تتكبَّدها نتيجة الحرب، وتضع في الحسبان احتمال امتداد الحرب لسنين طويلة؟!

3 - إنَّ دُخُول هذه الحرب لم يكن - في يَّوم من الأيَّام - عبارة عن دَفْع القُوَّات المسلحة إلى القيام بنُزهة لعدَّة أيَّام، أملاً في عودتها بعد أيَّام قصيرة مُكلَّلة بأكاليل الغار، بل الحرب تعني الدّمار، وتعني الموت، وتعني تبديد الثّروة، وإنفاق الأموال الطّائلة عليها. إنَّ هذه الأمور - للأسف - كانت بعيدة عن تصوُّرات القيادة العراقيَّة، التي أساءت قراءة معنى الحرب، وتجاهلت الأوضاع التي قد تنجم عنها.

لقد كان الوضع المالي في العراق في 11/ 9/ 1979م؛ أيْ قبل بداية الحرب بفترة وجيزة، يُشير إلى وُجُود احتياطي نَقْدي في العُملات الأجنبيَّة لدى البنك المركزي العراقي مقداره 36 بليون دولار أميركي، ولم يكن على الدّولة العراقيَّة أيَّة ديون أجنبيَّة خارجيَّة مستحقَّة عليها حتَّى ذلك التّاريخ. ولكنْ؛ بعد أنْ انتهت الحرب العراقيَّة الإيرانيَّة التي بدأت في 11/ 9/ 1980/ واستمرَّت ثمانية أعوام فقدت العراق خلالها مليون إنسان، وبلغت مديونيَّته للخارج للدُّول المموِّلة للحرب 77 بليون دولار أميركي. وإنَّ هذه المديونيَّة التي عجز العراق عن الإيفاء بها تُمثِّل - في الحقيقة - جزءاً من إنفاق الدّولة على تكاليف الحرب، فحسب تقديرات البنك الأميركي للاستيراد والتّصدير؛ فقد بلغ دَخْلُ العراق من البترول خلال الفترة ما بين 1981 - 1985م ما يُعادل 4 . 48 بليون دولار، بينما بلغت النّفقات العسكريَّة خلال هذه الفترة 120 بليون دولار؛ أيْ ما يقارب ثلاثة أضعاف الدَّخْل القومي من البترول. إنَّ العجز الذي عاناه العراق في ميزانه التّجاري عجز كبير تُبيِّنه الأرقام التّالية:

ففي عام 1982م، بلغت مُستوردات العراق العسكريَّة 4 . 6 بليون دولار، وبلغت المُستوردات غير العسكريَّة 05 . 21 بليون دولار. أمَّا الصّادرات العراقيَّة لنفس الفترة؛ فقد

بلغت 10 بليون دولار. والحصيلة الماليَّة النّهائيَّة لهذه الفترة وُقُوع الميزان التّجاري العراقي بعجز مقداره 17.9 بليون دولار.

ألم تكن هذه المُؤشّرات الماليَّة الرّهيبة تُوحي للقيادة العراقيَّة بضرورة إعادة التّبصُّر في قراراتها؟!

- ويتكرَّر الخطأ، وتتجدَّد المأساة، وتنجرف القيادة العراقيَّة إلى اللُّجُوء إلى القُوَّة العسكريَّة لحَلِّ مشاكلها الماليَّة النّاجمة عن حربها مع إيران، وتُقْدم على ارتكاب خطيئة قاتلة بغزوها الكُويت، ذلك البلد العَرَبي المجاور لها، غير عابئة بكُلِّ الاعتبارات الدّوليَّة والعَرَبيَّة، التي لا تسمح بهذا الغزو مهما كانت ذرائعه، ومهما كانت مُبرِّراته. ويُدافع أصحاب نظريَّة المُؤامرة على أنَّ الذي شجَّع القيادة العراقيَّة على هذا العمل غير الأخلاقي هو موقف السّفيرة الأميركيَّة في بغداد *أبريل غلاسبي*، التي كانت تعني بقولها بأنَّ الولايات المُتَّحدة لا تنوي التَّدخُّل في النّزاعات التي تقوم بين بلدان الخليج العَرَبي، وأنَّ هذا القول كان عبارة عن مُؤامرة أميركيَّة لدَفْع العراق إلى غزو الكويت؛ لكي تضع الولايات المُتَّحدة يدها كاملة على الكويت، وتعمل - في الوقت نفسه - على التَّخلُّص من القُوَّة العسكريَّة المتناميَّة للجيش العراقي.

إنَّ هذا القول مهما بلغت قُوَّة الإقناع في مظهره الخارجي يبقى قولاً يتطلَّب التّعامل معه حَذَراً شديد، وعقلانيَّة، وحكمة واعية، ودراسة عميقة. ففي حال استناد القيادة العراقيَّة إلى قول السّفيرة الأميركيَّة وتفسيرها له بأنَّ الولايات المُتَّحدة لا تُعارض غزو الكويت واحتلاله من قِبَل العراق هو تفسير غبيّ وبعيد جداً عن الفَهْم الصّحيح للاستراتيجيَّة الأميركيَّة في منطقة الشّرق الأوسط؛ وخاصَّة في الخليج العَرَبي. فالتّحليل السّليم لهذه الاستراتيجيَّة يشير إلى أنَّ أبرز ملامح هذه الاستراتيجيَّة يتمثَّل في:

1 - المسعى الأميركي المتزايد للانفراد في السّيطرة على منطقة الشّرق الأوسط، وإخراج أيِّ نفوذ أجنبي من دائرته، وذلك مُنذُ نهاية الحرب العالميَّة الثّانية. فمُنذُ تلك الفترة وأميركا تسعى إلى طرد النّفوذ البريطاني والفرنسي من المنطقة. وتاريخ سعيها هذا مليء بالشّواهد. فقد كانت وراء تأييد الثّورة المصريَّة التي قامت في مصر عام 1952م، بقيادة جمال عبد

النّاصر، للتَّخلُّص من الوُجُود البريطـاني فـي قنـاة السُّويس، وكـانت وراء سعي دول الخليـج للتَّخلُّص من المعاهدات التي تربط دوله ببريطانيا العُظمى، وكانت المحرِّك الخفي للثَّورة العراقيَّـة ضدَّ النّظام المَلَكي في العراق، الذي كان تحالفه واضحاً مع الإنكليز، وكانت هي التي شجَّعت حسني الزّعيم على الانقلاب العسكري ضدَّ الحُكْم الوطني في سورية، وهـي التي حملت صدَّام حسين على التَّصدِّي للثَّورة الإيرانيَّة، بعـد أنْ أيقنت من عـدم إمكانيَّـة احتوائـها، ووَضْعها تحت سيطرتها.

2 - الرّغبة الأميركيَّة الشّديدة بوَضْع البترول العَرَبي تحت السّيطرة الأميركيَّة التَّامَّة بـهدف استمرار الهيمنـة على الاقتصاد العالمي، والعمـل الدّائم على حماية الاقتصـاد الأمـيركي مـن احتمـالات المنافسـة التـي قـد يتعـرَّض لـها اقتصادهـا مـن بلـدان متقدّمـة اقتصاديَّـاً؛ مثـل اليابان وأوروبا.

3 - الإصرار الأميركي على عدم السّماح - بأيِّ شكل من الأشكال - علـى أنْ يجمـع قطر من الأقطـار العَرَبيَّـة الثّروة النّفطيَّـة الهائلـة، وينفـرد فـي التَّحكُّـم بـها. وإنَّ تجربـة عـام 1973م (إيقاف تصدير البترول العَرَبي إلى الغرب الذي أعلنـه الملـك فيصـل) مـاتزال ماثلـة فـي الذّهـن الأميركي، وماتزال الولايات المُتَّحدة غير راغبة في إعادتها.

4 - إنَّ وضـع العـراق يـده علـى ثـروة نفطيَّـة هائلـة فـي الكويـت تقـدَّر بـ 8٪ مـن مجمـوع الاحتياطي العالمي، إضافة إلى امتلاكه ثروة نفطيَّة ضخمة، يعني - من وُجهة النَّظـر الأميركيَّـة - امتلاك العراق مصادر ماليَّة ضخمة وموارد جديدة من جرَّاء امتلاك هذه الثّروة النّفطيَّة الكويتيَّة الاحتياطيَّة التي تقدَّر بـ 96.5 بليون برميـل، عـدا المخزون فـي المنطقـة المحايدة الحُدُوديَّة بـين الكويت والسُّعُوديَّة، التي تُقدَّر حصَّة الكويت منها بـ 5 بليون برميل.

وللأسف؛ فقد أغفلت القيادة العراقيَّة تحليل هذه الاستراتيجيَّة، ولم تُقدِّر تقديراً سـليماً الأجواء السِّياسيَّة التي كانت سائدة في المنطقة، سواء ما كان منها المواقف العدائيَّة تجاه نظامـها (دول الخليج، إيران، سورية) أو ما تُضمره - فعلاً - الولايات المُتَّحدة تجاهها، بـل اندفعـت فـي التّفاعل مع الأحداث بمنحى عاطفي، دُون أنْ تُدرك خلفيَّة التَّشدُّد الكويتي في مُناقشة مطالبـها

العادلة، وفيما إذا كان هذا التَّشدُّد مُوحىً به من الولايات المُتَّحدة، أو من الدّول التي تُضمر العداء للنّظام العراقي. لقد غلب الانفعال على الوفد العراقي، وتصرَّف تصرُّفاً يخرج عن نطاق المعقوليَّة، وبدا أنَّ الانصياع لقرار الغزو هو الحَلّ الأمثل لتلك القيادة، وذلك دُون الالتفات لأيِّ اعتبار آخر، مهما بلغ شأنه، ومهما علت مكانته، ومهما سَمَتْ أسبابه.

لقد أغفلت القيادة العراقيَّة كُلَّ تلك المؤشّرات والعوامل، وأصرَّت على تجاهلها، ولم يثنها عن إصرارها وجموحها قرارات مجلس الأمن المطالبة لها بالانسحاب من الكويت إلى الأراضي التي انطلقت منها. ورغم صدور اثنَيْ عشر قراراً من مجلس الأمن يدعوها إلى الانصياع للشّرعيَّة الدّوليَّة وسحب قُوَّاتها من الكويت، فوراً، وبدُون إبطاء، إلاَّ أنَّها أصرَّت على عدم التّراجع عن خطواتها التي اتَّخذتها، وتراءى لها أنَّها يُمكن أنْ تتحدَّى دول العالم، وتهزم إرادته.

وكان نتيجة هذا العناد اضطرار القُوَّات العراقيَّة إلى الانسحاب المُخجل من الكويت، والاستسلام للشّروط الأميركيَّة، وخضوع العراق لحصار أليم استمرَّ أكثر من عشر سنوات.

بعد كُلِّ هذا، هل نقول لأصحاب نظريَّة المُؤامرة إنَّكم صادقون في ما ذهبتُم إليه في أنَّ ما جرى على السّاحة العراقيَّة ما هو إلاَّ مُؤامرة أميركيَّة ضدَّ نظام صدام حسين؟! أم نقول لهم: أليس من الأجدر القول بأنَّ أصحاب المُؤامرة الحقيقيِّين هم: العقليَّة المتحجِّرة، والنّظر الخالي من أيِّ تبصُّر بعيد عن أيِّ نوع من أنواع الإدراك، والفكر المغرق في الجهل، والعقل الكاره للمعرفة؟!

إنَّ هذه التّساؤلات قد تُفسد الرّأي الذي مال إليه أصحاب نظريَّة المُؤامرة، إلاَّ أنَّها يجب أنْ لا تُعطي انطباعاً بأنَّ الأحداث التي شهدتها السّاحة العَرَبيَّة لم تكن مُؤامرات الغرب بعيدة عنها، أو عدم مُساهمة دوائره وعُملائه بعدد كبير منها.

إنَّ المُؤامرات التي تُحاك في كواليس الدّوائر السِّياسيَّة، والتي يسعى أصحابها إلى تحقيق أهداف غير مشروعة هي الطّريقة الخالدة في السُّلُوك البشري، وهي الأسلوب الذي

حافظ الغرب عليه في التّعامل مع العالم العَرَبي للوُصُول إلى الرّغبات غير العادلة والمجحفة في حقّ شعُوبه.

إنّ نقدنا لنظريّة المُؤامرة يجب أنْ لا يتّجه - قطعاً - إلى تبرئة الغرب من الكوارث التي حلّت بالعالم العَرَبي، أو إلى نَفْي حدوث مُؤامرات استعماريّة كانت - وماتزال - تُحاك ضدّه، ولكنْ؛ ما كُنّا نرغب التّعبير عنه وتوضيحه هو التّذكير بضرورة عدم المُبالغة في اعتماد نظريّة المُؤامرة إلى هذا الحَدّ الذي يُعزي كُلّ الهزائم العَرَبيّة إلى عامل المُؤامرة، وضرورة تبيان مدى خطأ الذّهاب إلى ذلك الحَدّ عند توصيف كُلّ هذه الهزائم والنّكبات.

لقد كانت أحداث عام 1956م، التي تمّ فيها اقتحام القُوّات الإسرائيليّة الحُدُود المصريّة بتاريخ 29/ 10/ 1956م، والتي تبعها بعد يومَيْن اشتراك قُوّات بريطانيا وفرنسا في العدوان على مصر - في الواقع - تُمثّل أوقح أنواع التّآمر الغربي الظّاهر للعيان ضدّ العَرَب. فقد تآمرت كُلٌّ من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ضدّ مصر انتقاماً لقرار جمال عبد النّاصر بتأميم شركة قناة السُّويس الدّوليّة. ففي "سيفر" في فرنسا، اجتمع كُلٌّ من أنطوني إيدن وغي مُولييه وبن غوريون لوَضْع مخطّط المُؤامرة والإطاحة بنظام عبد النّاصر، وإعادة القناة إلى أحضان بريطانيا وفرنسا. لقد قاومت الجهة المستهدفة من هذه المُؤامرة قُوّات العدوان ببسالة فائقة، وصمّمت على التّصدّي للعدوان، وساعدها في نجاح مهمّتها النّبيلة موقف الولايات المُتّحدة والمجتمع الدّولي الذي استنكر هذا التّآمر، ورفض ذاك العدوان.

إنّ هذا الحَدَث يُشير إلى نوع من أنواع المُؤامرات التي شاءت الإرادة الإلهيّة أنْ تفضح عناصرها، وتُلحق الهزيمة بمُرتكبيها، ولكنْ؛ للأسف، فإنّ أنواعاً أخرى من المُؤامرات تبقى واضحة الأهداف، وصعبة التّوصيف في وَضْعها تحت عنوان التّآمر، إلاّ أنّ المؤشّرات التي تُرافق أحداثها تُؤكّد صحّة حَدْس أصحاب نظريّة المُؤامرة بقولهم إنّ هذا الحَدَث الذي يجري على السّاحة لابُدّ وأنْ تكون وراءه مُؤامرة، سواء كان توصيفها صعباً أو مستحيلاً، إلاّ أنّها تبقى في حُدُود التّآمر.

إنَّ مثالَيْن حديثَيْن يجدر طرحهما للتّدليل على أنَّ الحَدس يلعب دوراً هامّاً في توصيف الحَدَث المُوحي بوُجُود نوع من التّآمر خلفه.

1 ـ لقد كان الموت الفجائي والسّريع لياسر عرفات، وما رافق هذا الرّحيل المأساوي لهذا الرّجل من مُلابسات:

- منها نَقْله السّريع إلى المستشفى العسكري في باريس.
- منها تضارب البيانات الطّبّيّة حول سبب مرضه.
- منها عدم صدور بيان جازم يُحدِّد سبب الوفاة.
- منها عدم تشريح الجثّة بغية الإفصاح عن حقيقة الوفاة.
- منها ما نجم عن الحادث من سُرعة في إجراء انتخابات انحصرت في سُكّان الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة فقط.
- منها تبادل مشاعر الوُدّ بين محمود عبّاس "أبو مازن" وآرييل شارون.
- منها انعقاد مُؤتمر شرم الشّيخ الذي ضمَّ مصر، والأردن، وفلسطين، وإسرائيل.
- منها استقبال شارون في مصر بعد قطيعة طويلة بسبب تماديه في استخدام القُوّة الغاشمة ضدَّ الفلسطينيّين.
- منها انتقال القضيّة الفلسطينيّة بنظر الإدارة الأميركيّة إلى قضيّة تستحقُّ الاهتمام.
- منها مَنْح السّلطة الفلسطينيّة مُساعدة من الولايات المُتّحدة الأميركيّة مقدارها 350 مليون دولار.

إنَّ كُلَّ هذه المؤشّرات والعلامات التي أعقبت موت عرفات تدعو إلى القول بأنّه لابُدَّ من اعتماد التّحليل الذي ذهب إليه أصحاب نظريّة المُؤامرة، وهم على حقٌّ فيما ذهبوا إليه، بأنَّ وراء هذا الحَدَث لابُدَّ أنْ يكون مُؤامرة ما.

2 ـ أمّا اغتيال المغفور له رئيس الوُزراء اللّبناني السّابق رفيق الحريري فإنّه حادث يدخل في نطاق المُؤامرة، ولا جدال في ذلك. ففي السّاعة الواحدة من بعد ظُهر يوم الاثنَيْن الموافق لـ 14/ 2/ 2005 م، وبينما كان موكب الرّئيس الحريري يجتاز ساحة فُندُق السّان جورج دوّى

انفجار هائل قَدَّرَ الخُبراء قُوَّته بما يُعادل 350 ـ 450 كغ من المتفجِّرات، وأدَّى هذا الانفجار إلى استشهاد الرّئيس الحريري، وأربعة عشر شخصاً معه، وجرح 165 آخرين.

وما إنْ انتشر خبر الاغتيال حتَّى سارعت أوساط المعارضة اللّبنانيَّة المتمثِّلة بتحالف كتلة النّائب وليد جنبلاط مع اليمين المسيحي إلى اتِّهام الحكومة اللّبنانيَّة والسّلطات السُّوريَّة بتدبير هذا الحادث.

أمَّا سورية؛ فقد سارعت ـ أيضاً ـ إلى نَفْي هذه التُّهمة، وألقت عبء الاغتيال على إسرائيل التي يهمُّها إحياء أجواء الحرب اللّبنانيَّة التي استمرَّت ما يُقارب الخمسة عشر عاماً، والتي انطلقت شرارتها عقب اغتيال معروف سعد في صيدا عام 1975م. ورافق تراشق الاتِّهامات بين المعارضة اللّبنانيَّة والدَّوائر الرَّسْميَّة السُّوريَّة بروز دعوات غريبة من أوساط لُبنانيَّة ـ جنبلاط ـ تُطالب بانتداب جديد على لبنان، بدلاً ممَّا أَسْمَتْهُ الوصاية السُّوريَّة عليه، ثُمَّ من أوساط فرنسيَّة ـ أيضاً ـ تُطالب بإجراء تحقيق دولي في حادثة الاغتيال، لاغيةً في طلبها هذا صلاحيَّة الدّولة اللّبنانيَّة التي جرت الجريمة على أرضها، مُوحية ـ في الوقت نفسه ـ على إلقاء مسؤوليَّة الحادث على سورية. ووسط هذه الأجواء التي تُوحي بوُجُود شيء ما خارج المنطقة العَرَبيَّة أقدمت الولايات المُتَّحدة على استدعاء سفيرتها في دمشق بحُجَّة التّشاور معها، وذلك تعبيراً عن استيائها من حادث الاغتيال، وإيحاء منها على أنَّ التُّهمة ماتزال عالقة في الجانب السُّوري، بل ازدادت مطالبها من سورية بالإلحاح عليها بضرورة الانسحاب الفوري والشّامل من الأراضي اللّبنانيَّة.

وإتماماً لإلقاء مسْحَة تجميليَّة على المأساة التي شهدتها السّاحة اللّبنانيَّة، أعلن الأمين العامّ للأمم المُتَّحدة كُوفي أنان تشكيل لجنة من ثلاثة أعضاء برئاسة الإيرلندي بيتر فيتزجيرالد للقيام بالتّحقيق بجريمة الاغتيال، وكأنَّنا أمام مشهد مسرحي عَبَثي ينتهي فيه العرض بإلقاء القبض على القتيل، والاعتراف بهروب القاتل، أو كأنَّ اغتيال الشّهيد الحريري جريمة دبَّرتها عصابة من الهُواة، وليس عصابة من المحترفين الذين يمتلكون أحدث الوسائل الإلكترونيَّة التي تستطيع تعطيل كُلّ الأجهزة الحديثة المُعدَّة لكَشْف المُتفجِّرات والموجودة في موكب الحريري،

والتي تُعدُّ من أحدث أجهزة الكَشْف عن المُتفجِّرات في العالم، وإنَّ امتلاك مثل هذه الوسائل لا يُمكن أنْ تتوفَّر إلاَّ لدول مُعيَّنة، ذات خبرة عالية، وإمكانيَّات هائلة.

إنَّ الأهداف الرّئيسيَّة التي يُمكن أنْ تكون ضمن مخطَّط هذه المُؤامرة التي حاكتها جهات لا يصعب الإشارة إليها، ولكنْ؛ يستحيل تقديمها للعدالة لما تتمتَّع به من خبرات وقُوَّة ورهبة في عدم التّصادم معها هي:

1 ـ ضرب العلاقة الخاصَّة القائمة بين سورية ولبنان، وقَصْم ما يُطلق عليه المسار السُّوري اللّبناني الذي قام بين البلدَيْن الشّقيقَيْن وموقفهما المُوحَّد من المجابهة مع إسرائيل.

2 ـ إثارة النّعرة الطّائفيَّة مجدَّداً، دُون الرّغبة ـ على ما يبدو ـ في انحدارها نحو الهاوية؛ كي تأخذ شكل حرب أهليَّة يصعب التّنبُّؤ بنتائجها، والاكتفاء بإيقاظ هذه النّعرة في الوقت الحاضر.

3 ـ معاقبة سورية على عدم استجابتها الاستجابة الكاملة للرّغبات الأميركيَّة، سواء ما كان منها متعلّقاً:

أوَّلاً: عدم التّنازل عن حقٍّ من حُقُوقها في أراضيها المحتلَّة في الجولان.

ثانياً: التَّمسُّك بدَعْم الفصائل الفلسطينيَّة المعارضة لأيِّ اتِّفاق مع إسرائيل ينتقص من حُقُوق الشّعب الفلسطيني.

ثالثاً: التَّمسُّك برَفْض الاحتلال الأميركي للعراق، والإصرار على وحدة الأرض العراقيَّة.

رابعاً: التَّمسُّك بدَعْم المقاومة اللّبنانيَّة المتمثّلة بحزب الله في حربها مع إسرائيل، حتَّى تحرير آخر بقعة من أراضيها.

خامساً: التَّمسُّك بتحقيق شروط عادلة للصّلح مع إسرائيل، وُفق ما نصَّت عليه قرارات الأمم المُتَّحدة.

سادساً: عدم الانصياع التَّامّ للرّغبات الأميركيَّة فيما يتعلَّق بالصّراع مع المقاومة العراقيَّة.

4 ـ إضعاف سورية، وإشغالها في معارك جانبيَّة تحول دُون تقديم أيٍّ نوع من المساعدة الفعَّالة إلى إيران عندما يأتي دور هذه الأخيرة في المجابهة مع الولايات المُتَّحدة المتوقَّعة أنْ تكون قريبة.

5 ـ سحب أكثر ما يُمكن من أوراق اللّعبة السِّياسيَّة التي يمتلكها حزب الله، وفرض نوع من الضّغط السِّياسي عليه، وذلك بإبعاد سورية وإيران عنه.

6 ـ الإيحاء لكُلِّ الأطراف المتواجدة على السّاحة اللّبنانيَّة أنَّ الإرادة الدّوليَّة التي تُمثِّل ـ في الواقع ـ إرادة الدّولة الأكثر نفوذاً في العالم هي الإرادة الواجب إطاعتها.

بعد هذا العرض: هل يذهب بنا الخيال إلى تحديد الجهة التي خطَّطت لهذه المُؤامرة الأثيمة بعد أنْ لاحت في الأُفق بعض أهمِّ أهدافها؟! وقبل أنْ نُشير بإصبع الاتِّهام إلى الجهة المخطِّطة لهذا العمل الإجرامي يجدر بنا أنْ نتوقَّف قليلاً أمام بعض الأحداث والوقائع التي سبقت تنفيذ الجريمة البشعة التي حاكتها عقول شيطانيَّة، ونفَّذتها أياد آثمة، فقد تفيد هذه الوقفة في إلقاء أضواء كاشفة على الحدث الأليم الذي تمَّ في بيروت في 14/ 2/ 2005:

1 ـ في 12/ 11/ 2003 م، صادق الكونغرس الأميركي على القانون المقدَّم من الحكومة الأميركيَّة، والذي يحمل عنوان "محاسبة سورية" إشارة إلى عدم رضا الإدارة الأميركيَّة على سُلُوك وتصرُّفات الحكومة السُّوريَّة.

2 ـ في 02/ 09/ 2004م، أصدر مجلس الأمن الدّولي قراراً يحمل الرَّقْم 1559 يطلب فيه من سورية سحب قُوَّاتها من لبنان، ومن الحكومة اللّبنانيَّة تفكيك كُلِّ المليشيَّات المتواجدة على أراضيها، وتجريدها من كافَّة أسلحتها، ويعني هذا ـ على وجه الخُصُوص ـ حزب الله وأفراد المُنظَّمات الفلسطينيَّة المتواجدة في المخيَّمات المنتشرة في الأراضي اللّبنانيَّة.

3 ـ في 02/ 10/ 2004 م، صدر بيان رئاسي من مجلس الأمن يشير إلى عدم استجابة الطَّرَفَيْن السُّوري واللّبناني للمطالب الواردة في القرار رَقْم 1559. وتقرَّر على إثر هذا الرّفض لتطبيق القرار المذكور الطّلب من الأمين العامّ للأمم المُتَّحدة مُراقبة تنفيذ القرار المشار إليه، وعرض نتائج هذه المُراقبة على مجلس الأمن مرَّة كُلَّ ستَّة أشهر.

4 ـ في 21/ 10/ 2004م ، رفضت سورية ـ رَسْمياً ـ في اليوم نفسه ـ الدّعوة التي وجّهها مجلس الأمن لتنفيذ قراره السّابق الذي يطالبها بسحب قُوّاتها من لبنان ، وَعَدَّ لبنان أنّ النّداء الأممي لدمشق بسحب القُوّات السُّوريّة يُشكّل سابقة خطيرة لجهة تدخُّل الأمم المُتَّحدة في شؤون بلد عضو فيها .

5 ـ في 11/ 11/ 2004م ، أُعلن ـ رَسْمياً ـ وفاة ياسر عرفات بعد إصابته بمرض فُجائي غامض ، أدَّى إلى نَقْله ـ بسُرعة ـ إلى مستشفى في باريس ؛ حيثُ أُعلن ـ بعد أسبوع ـ خبر وفاته .

6 ـ في09/ 01/ 2005م ، جرت في غزَّة والضّفّة الغربيّة الانتخابات الرّئاسيّة لانتخاب خليفة للرّئيس الرّاحل ياسر عرفات ، فاز فيها محمود عبّاس "أبو مازن " على منافسه مروان البرغوتي المرشّح السّجين في السّجون الإسرائيليّة ! !

7 ـ في09/ 02/ 2005م ، انعقد في شرم الشّيخ المؤتمر الذي دعت إليه مصر ، وحضره كُلٌّ من العاهل الأردني الملك عبد الله والرّئيس الفلسطيني محمود عبّاس ، ورئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون ، إضافة إلى الرّئيس حسني مبارك . ولم يصدر عن المؤتمر أيُّ بيان عن أعماله ، تلك الأعمال التي بقيت تدور ضمن مفاهيم التّمنّيات المرجوّة من الطّرَفَيْن الفلسطيني والإسرائيلي .

8 ـ في 14/ 02/ 2005م ، الفاجعة تهزُّ بيروت ، وتنقل أجواء الصّدام إلى التّضحية بشخصيَّة نادرة تتمتّع بتقدير واحترام كبيرَيْن ، قلَّ أنْ تحظى بهما شخصيَّة لبنانيَّة مثل المرحوم رفيق الحريري . ولتنقل مسيرة الصّراع على النّفوذ إلى المجاهرة بأنَّ مرحلة جديدة على وشك الدُّخُول إلى الحلبة ، يقودها الأصلاء بدلاً من الوكلاء .

إنَّ هذه المحطّات التي سبقت حادثة الاغتيال الآثمة لابُدَّ أنْ توحي لنا بأنَّ الهجمة التي قادتها الولايات المُتَّحدة على العالَمَيْن العَرَبي والإسلامي بعد أحداث 11/ 9/ 2001م ، والتي بدأت بغزو أفغانستان عام 2001م ، ومرَّت بغزو العراق عام 2003م ، وألقت بقُنبُلة من قنابلها

الحارقة على بيروت في شباط/ فبراير2005 م ، ماتزال تتفاعل وتزداد ضراوة يوماً بعد يوم.

ولكنْ؛ من الغريب أنْ يغيب عن الأذهان السّؤال التّالي :

أ لا تشير كُلُّ تلك المحطّات التي ذكرناها إلى أنّ هناك رياحاً مُعيّنة ذات نسيم خاصّ هي في طريقها إلى المنطقة العَرَبيّة؟! أم أنّ كُلّ تلك المحطّات لا تُثير الانتباه، وتدفع إلى ضرورة التّعمُّق في دراسة مظاهرها وخلفيّاتها؟!

بعد هذا العرض لأبرز حلقات التّآمر التي تمّ وضعها تحت المجهر، واتّضحت معالم التّآمر فيها يبرز أمامنا السّؤال التّالي : هل لهذا التّآمر الاستعماري، المتمثّل بالغرب وعميلته الصّهيونيّة تارةً، وبالمسيحيّة المُتصهينة تارةً أخرى على شُعُوب المنطقة العَرَبيّة، تلك الشُّعُوب التي تُعاني من حالات القهر، وتتجمّع في أجوائها كُلُّ مؤشّرات التّخلُّف بمختلف أطيافه، من نهاية؟! أم أنّ هذا البلاء الذي ابتُليت به المنطقة، التي يصفونها مرّة بالاستراتيجيّة، ومرّة أخرى بمهبط الدّيانات السّماويّة الثّلاث، هو نوع من الحَتْميّة القَدَريّة التي أرادت السّماء - من خلالها - اختبار إرادة الإنسان في الارتباط بالله، وعدم فَضّ علاقته به مهما صادف من هموم أو متاعب؟!

إنّنا نعتقد أنّ من البلاهة القول بأنْ تآمر الغرب - بمختلف الأقنعة التي يرتديها - سينتهي يوماً ما. فالصّراع مع طموحات الغرب الاستعماريّة وجشع ميوله الاستغلاليّة البشعة لن ينتهي. فبقاء الرّغبة في السّيطرة لن تزول من أذهان رجالاته ومُفكّريه الذين يؤمنون بضرورة إحلال الحضارة الغربيّة واستئصال أيّة حضارة أخرى تقف أمامها، مهما كانت درجات العُمْق الحضاري المتأصّلة بها.

أمّا الجانب العَرَبي المُستهدَف في إبقائه تحت سيطرة القوى الاستعماريّة واستغلال طاقاته وموارده أبشع استغلال، فإنّه مايزال - للأسف الشّديد - يتخبّط للتّخلُّص من هذه الهجمة الشّرسة عليه، ولا تتوفّر لديه - حتّى الآن - النّظرة السّليمة للتّصدّي لمعالم هذا التّوجُّه المعادي له.

فالانقسامات بين أنظمته ماتزال سائدة.

والاختلافات في وجهات النّظر هي التي تتحكّم في سُلوك دُوله.

والرّغبة في عدم الاتّفاق على الحُدُود الدّنيا للتّعاون الجادّ بين بلدانه هي التي تُعبّر ـ غالباً ـ عن مُعظم اتّجاهاته.

وتفضيل المصلحة الخاصّة الآنيّة لكُلّ دولة من دُوله هي المُعتَمَدَة بين أنظمته.

وللأسف؛ لم تر النُّورَ كُلُّ الدّعوات التي انطلقت تحذّر من هذا التّشرذم، وكُلُّ النّداءات التي أطلقها العديد من المفكّرين الأحرار للتّنبيه إلى ضرورة إدراك معنى الأحداث العالميّة التي تجري على السّاحة الدّوليّة، وتحليل مغزى هذه الأحداث للاستفادة من الدُّرُوس التي تقدّمها للمجتمع الدّولي؛ مثل:

- انهيار الاتّحاد السُّوفييتي، وذيول هذا الانهيار، وما أعقبه من هجرة مليون ونصف مليون روسي يهودي إلى إسرائيل، أكثرهم من حملة الشّهادات العلميّة العالية.
- صُعُود المُحافظين الجُدُد إلى قمّة السّلطة في الولايات المُتّحدة.
- عدم اهتمام إسرائيل بعَرْض الجامعة العَرَبيّة لمشروع السّلام معها، الذي قدّمه الأمير عبد الله.
- غزو العراق من قِبَل الولايات المُتّحدة، دُون الأخذ بعين الاعتبار الشّرعيّة الدّوليّة، وتجاوز هيئة الأممَ المُتّحدة في هذا السُّلُوك.
- مغزى التّقارب الأميركي الفرنسي لإصدار القرار 1559، القاضي بفرض الانسحاب على سورية من لبنان.

كُلُّ هذه الأحداث وغيرها لم تُغيّر من نظرة الأنظمة العَرَبيّة الحاكمة لشُعُوبها، أو تدفع هذه الأنظمة إلى ضرورة إعادة النّظر من موقفها من المفهوم السّائد لديها بالنّسبة للحُرّيّات العامّة، والدّيمُقراطيّة المرغوبة من قِبَل شُعُوبها.

إنّ كُلّ هذه العوامل ـ للأسف ـ هي التي تساعد على إبقاء حالات التّآمر الاستعماري قائمة ومُستمرّة، وتُنشّط فشل التّصدّي لهذه الهجمة الغاشمة على العالم العَرَبي.

الفصل الثّاني:

الإسلام والمُؤامرة ـ الموقف من بني قَيْنُقَاع ـ خيانة بني النّضير ـ تآمر بني قريظة ـ العناية الإلهيَّة والحيطة والاستعداد

الإسلام والمُؤامرة:

يُمكن عَدُّ تآمر قريش على اغتيال الرّسول الكريم ـ ﷺ ـ ليلة هجرته إلى المدينة هو أوَّل مُؤامرة تجري في الإسلام، قبل البدء في تشكيل الدّولة الإسلاميَّة في عاصمتها الجديدة المدينة المنوَّرة، ففي هذه المرحلة ـ مرحلة محاولة الاغتيال ـ تكوَّنت كافَّة عناصر المُؤامرة (التّآمر في السِّرِّ، إعداد عناصر التّنفيذ، المُباشرة في تنفيذ المُؤامرة)، ولكنْ؛ عندما بُوشر في تنفيذ مخطَّط التّآمر فُوجيء المتآمرون بوُجُود شخصيَّة أخرى غير الشّخصيَّة المُراد اغتيالها، فقد وجد المتآمرون عليّاً ـ رضي الله عنه ـ نائماً في مكان رسول الله ﷺ، الذي كان ـ في تلك الأثناء ـ في طريقه إلى عاصمة دولته الجديدة، التي سيشعُّ منها نور الهُدى، بعد أنْ يفد إليها رسول الهدى.

وتصلح السّيرة النّبويَّة الشّريفة وعلاقة الرّسول ـ ﷺ ـ مع يهود الجزيرة العَرَبيَّة مثالاً جيِّداً للتّدليل على ظاهرة التآمر، وسلسلة المُؤامرات التي واجهها النّبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنوَّرة، وبدء تأسيس الدّولة الإسلاميَّة الرّشيدة.

في بداية العهد النّبوي في المدينة، سعى النّبي ـ ﷺ ـ إلى التّعايش مع اليهود، ومهادنة قبائلهم، وبطونهم المقيمة في شبه الجزيرة، ولم يتوانَ عن كتابة المعاهدات مع هذه القبائل، ولا حتّى مع بعض الأسر اليهوديَّة التي كانت تعيش في أطراف الجزيرة العَرَبيَّة؛ مثل يهود "أيلة"، و"أذرح"، و"مقنا".

إلاَّ أنَّ الرّسول - ﷺ - شعر أنَّ اليهود بدأوا ينقلبون عليه، وأخذوا يناصبونه العداء عَلَناً. ولعلَّ تيقُّنهم من أنَّ الإسلام بدأ يترسَّخ في نفوس أكثر القبائل العَرَبيَّة، وأنَّ رُوح التّعاون والوئام بدأت تسود بينهم، وأنَّ الإسلام دفع هذه القبائل إلى التّآخي، وأبعد عنهم رُوح الفرقة والتّنابذ، ثُمَّ إنَّ إحساسهم بأنَّ السّيطرة الاقتصاديَّة بدأت تفلت من أيديهم بسبب مُحاربة الإسلام للرّبا والاحتكار، إضافة إلى شُعُورهم بأنَّ عَظَمَتهم المادِّيَّة والمعنويَّة التي بُنيت على تشرذم العَرَب وتفرُّقهم بدأت تتلاشى.

إنَّ كُلَّ هذه العوامل لابُدَّ وأنْ تكون قد أدخلت العقليَّة اليهوديَّة في نَفَق مُظلم، وأطبقت على بصيرة أصحابها، وحجبت عنهم الرّؤية السّليمة التي كان من المفروض أنْ يتبنّوها بسبب ما جاء في كتابهم المقدَّس - التَّوراة - سفْر التّثنية 18/ 18، الذي أشار إلى نُبُوَّة الرّسول ﷺ، لقد جاء في تلك الفقرة من السِّفْر:

"لهذا أقيم لهم نبيّاً من بين إخوتهم مثله، وأضع كلامي في فمه، فيخاطبهم بكُلِّ ما آمره به".

إنَّ هذه الكلمات الموجَّهة إلى بني إسرائيل، وإلى كهنتهم خاصَّة، تُبيِّن - بوضوح - النّقاط التّالية:

1 - إن هذا النّبيّ المُبَشَّر به في ذلك السِّفْر هو من العَرَب، وليس من بني إسرائيل كما يرغب اليهود أنْ يكون النّبي القادم من بني إسرائيل. والعَرَب وبني إسرائيل أخوة؛ لأنَّهما يجتمعان في إبراهيم عليه السّلام.

2 - إنَّ عبارة "أضع كلامي في فمه" تعني أنَّ الوصف ينطبق على مُحمَّد ﷺ؛ لأنَّه أُمِّي، لا يعرف الكتابة، ولا القراءة.

3 - إن هذا الكلام الوارد في السِّفْر لا ينسجم مع الادِّعاء المسيحي الذي يقول بأنَّ النّبي المقصود فيه هو المسيح عليه السّلام. فالمسيح هو من بني إسرائيل، وليس من إخوتهم، يضاف إلى ما سبق بأنَّ ثبوت نُبُوَّة مُحمَّد - ﷺ - جاءت على لسان أحبار اليهود أنفسهم؛ إذْ أنْ سادة قريش أرسلوا كُلاً من النّضر بن الحارث وعُقبة بن أبي معيط إلى أحبار المدينة يسألونهم عن النّبي مُحمَّد - ﷺ - وأخباره، على اعتبار أنَّ هؤلاء الأحبار هم من أهل الكتاب الذين لديهم المعرفة الكاملة بحال النّبي الموْعُود. وقد كان رَدُّ الأحبار أنْ طلبوا من السّائلين أنْ يتوجَّها بسؤال

مُحمَّد ـ ﷺ ـ عن ثلاث مسائل، فإنْ أجاب عنها، فهو نبي، وإنْ لم يُجبْ عنها، فهو غير ذلك. أمَّا الأمور الثّلاث المطلوب الإجابة عنها؛ فهي: 1 ـ الفتية الذين ذهبوا في الدّهر الأوَّل. 2 ـ الرّجل الطَّواف. 3 ـ الرُّوح. فأخبرهم الرّسول ـ ﷺ ـ عمَّا سألوا عنه. وعادا إلى الأحبار يُخبرونهم بما تمَّ معهم. وكان جواب الأحبار بأنَّ مُحمَّداً ـ ﷺ ـ أجاب الإجابة الصّحيحة، فهو النّبي الموصوف في الكتاب.

واندفع يهود الجزيرة في إبداء العداء لمُحمَّد ﷺ والتّآمر على الإسلام. فتارةً يثيرون الشّكوك في الدِّين الجديد، وتارةً أخرى يحاولون إدخال المسلمين في مناقشات دينيَّة عقيمة؛ منها سبب تغيير القبلة، ومنها نَسْخ بعض الآيات، ومنها التّركيز على الأسئلة الشّائكة للرّسول ﷺ، تلك الأسئلة التي لا هدف منها سوى التّشكيك في الرّسالة النّبويَّة الشّريفة، وإحداث البلبلة في صفوف المسلمين. وحاول اليهود ـ أيضاً ـ تغيير أسلوب تآمرهم على الإسلام بطلب انتساب بعضهم إلى الإسلام زوراً وبهتاناً، ثُمَّ الإعلان عن الانسحاب منه بحُجَّة أنَّه دين فاسد، أو إبقاء بعض منهم للسّعي إلى تحطيم الإسلام من الدّاخل على حَدِّ زعمهم. وذلك وُفق الأسلوب الذي اتَّبعه المنافقون الذين ادَّعوا الإسلام، فكبير هؤلاء عبد الله بن أُبي بن أبي سلول الذي ادَّعى الإسلام ومايزال في نفسه يُضمر العداوة والبغضاء للدِّين الحنيف هو من الذين دخلوا في الإسلام بقَصْد تحطيمه من الدّاخل. وقد نزلت آيات كثيرة في هؤلاء المنافقين تُؤكِّد ولاء هؤلاء لدينهم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ المائدة / 51. نزلت هذه الآية في عبد الله بن أُبي حينما قال: إنِّي رجل أخاف الدَّوائر، ولا أبرأ من ولاية اليهود.

أمَّا عبادة بن الصّامت؛ فقد تبرَّأ من ولاية مواليه من اليهود، وأوى إلى الله ورسوله. ويذكر الطّبري في تفسيره كيف أنَّ عبد الله بن أبي اعترض على هذه البراءة أمام الرّسول ﷺ، وذلك تعاطفاً مع بني دينه.

ورغم كُلِّ هذه المحاولات اليائسة التي تفتَّقت عنها الذّهنيَّة اليهوديَّة، فقد كان الجانب الإسلامي يتمتَّع بمناعة صلبة، وعزيمة عالية، لصَدِّ كُلِّ محاولات التّآمر عليه، وكان لابُدَّ ـ

أمام هذا الإخفاق الذّريع الذي مُنيت به الجهود اليهوديَّة ـ أنْ يلجأ اليهود إلى إظهار عداوة للإسلام أكثر شراسة، وبدأت محاولاتهم تأخذ منعطفاً جديداً. فبعد أنْ خابت آمالهم في انتصار كفَّار قريش في معركة بدر، ورؤيتهم سادة قريش يُساقون أسرى إلى المدينة، أخذوا يسعون إلى تأليب القبائل العَرَبيَّة الوَثَنيَّة على مُحاربة المسلمين. وذهب كعب بن الأشرف من بني النَّضير إلى مكَّة؛ يُحرِّض قريش على الرّسول ﷺ، ويرثي قَتْلى بدر من المشركين، ويقول: "إنَّ بطن الأرض خير من ظهرها".

الموقف من بني قَيْنُقَاع:

دفعت هذه الأمور الرّسول ـ ﷺ ـ أنْ يتَّخذ ـ أمام هذا الواقع الجديد ـ سُلُوكاً مغايراً في تعامله مع هذه الفئة الضَّالَّة التي تسعى لفساد هذه الأُمَّة. وكان أوَّل مَنْ أعلن ـ جهارةً ـ عداءه للرّسول ـ ﷺ ـ "بني قَيْنُقَاع: الذين يقطنون أحد أحياء المدينة المنوَّرة، وحاول الرّسول ـ ﷺ ـ أنْ يحذِّرهم من مغبَّة سُلُوكهم هذا، ولكنْ؛ لم يُجد تحذيره لهم شيئاً، بل تحدّوه قائلين: " يا مُحمَّد، لا يغرنَّكَ أنَّكَ لقيتَ قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبتَ منهم فرصة. إنَّا والله لئنْ حاربناكَ لتعلمنَّ أنَّا نحنُ النّاس ".

وكان لابُدَّ للرّسول ـ ﷺ ـ أنْ يجابه هذا التَّحدِّي، ففي منتصف شهر شوَّال من العام الثّالث للهجرة، قام بحصار حي بني قَيْنُقَاع، وانتهى الحصار بعد تدخُّل عبد الله بن أُبي بقبول بني قَيْنُقَاع بالجلاء عن المدينة، على أنْ يتركوا أسلحتهم وأدواتهم التي كانوا يستعملونها في صناعتهم. ثُمَّ التفت الرّسول ـ ﷺ ـ إلى بني النَّضير الذين كانوا يقطنون خارج المدينة المنوَّرة، وعلى بعد عدَّة أميال منها فقط، وذلك بعد أنْ تواطأ سلام بن شكم سيِّد بني النَّضير مع أبي سفُيان، الذي جاءه من مكَّة مع مئتَيْ مُحارب، يطلب منهم مساعدته على مُحاربة المسلمين، ورحَّب سيِّد بني النَّضير بأبي سفُيان، وأطلعه على أحوال المسلمين في المدينة، وتدارس معه أنجع السّبل لإيذائهم، ثُمَّ قام أبو سفُيان ورجاله بالهجوم على بعض البيوت خارج المدينة، وقتلوا رجلَيْن من الأنصار، ثُمَّ عادوا إلى مكَّة، دُون أنْ يتمكَّن المسلمون من اللّحاق بهم. وقد تمَّ هذا التّعاون بين يهود بني النّضير وسادة قريش رغم المعاهدة الموقَّعة مع بني النّضير،

التي تُحظّر عليهم إيواء أعداء المسلمين، فضلاً عن مساعدتهم وإرشادهم على أنجع السّبل لإيذاء المسلمين. ثُمَّ جاءت - بعد ذلك - معركة أُحد، التي هاجم فيها المشركون المسلمين في أُحد، ولم يتحرَّك بنو النّضير لنصرة المسلمين؛ تنفيذاً للمعاهدة الموقَّعة معهم، ولَّما بين لهم الرّسول - ﷺ - تخاذلهم ووقوفهم هذا الموقف السّلبي الذي يتناقض مع الميثاق المتَّفق عليه معهم أجابوه بأنَّهم لا يحاربون أيَّام السّبت، وأنَّ المعركة وقعت خارج المدينة، وليست المدينة المنوَّرة هي التي تعرَّضت للهجوم.

خيانة بني النَضير:

هذان الموقفان دفعا رسول الله - ﷺ - إلى التّفكير في ضرورة إعادة النّظر بوَضْع هؤلاء اليهود. لقد كانت كُلُّ الدّلائل تشير إلى أنَّ النِّيَّة السَّيِّئة متوفِّرة لديهم، فقد كانوا يتمنّون إلحاق أكبر أذى بالمسلمين، وثبت لدى الرّسول - ﷺ - سوء نيَّتهم، وتعزَّز لديه الشُّعُور بأنَّ بني النّضير يستهينون بهيبة المسلمين، وخاصَّة بعد الذي جرى للبعثة التي أوفدها الرّسول - ﷺ - إلى أهل نجد. وقصَّة هذه البعثة أنَّ النّبي - ﷺ - كلَّف أربعين من القُرَّاء الذّهاب إلى نجد لدعوة أهلها إلى الإسلام، وعندما نزل هؤلاء القُرَّاء في موقع يُسمَّى "بئر معونة" غدر بهم عامر بن الطُّفيل، سيِّد بني عامر، وقتلهم، ولم ينجُ منهم سوى واحد هو عَمرو بن أميَّة الضّميري، الذي التقى - في طريق عودته إلى المدينة - رجلَيْن من بني عامر، فقتلهما، وكان الرّسول - ﷺ - قد عقد لهما أماناً وجواراً، وبعث عامر بن الطُّفيل إلى رسول الله - ﷺ - يطلب منه دية هذَيْن الرّجلَيْن. فخرج الرّسول - ﷺ - مع بعض الصّحابة إلى بني النّضير، الذين أبدوا رغبة في المساهمة بالدّيتَيْن، وكانت هذه الرّغبة في المساهمة تُخفي وراءها محاولة لاغتيال الرّسول ﷺ. فقد انتدب بنو النّضير عَمرو بن جحاش لإلقاء صخرة على رسول الله - ﷺ - في المكان الذي هُيِّئ لجلوسه، وذلك كي يبدو الحادث على أنَّه قضاء وقدر، وليس جريمة قَتْل مدبَّرة. وعند وُصُول الرّسول - ﷺ - إلى بني النّضير، اقترب من المكان الذي هُيِّئ له ولأصحابه، أدرك - عن طريق الوحي - ما كان يُحاك له، فلم يجلس في ذلك المكان، وغادر، وعاد إلى المدينة، ولحقه أصحابه، وأخبرهم بالأمر؛ ونزلت الآية الكريمة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (المائدة / 11).

ثُمَّ وجَّه الرّسول ـ ﷺ ـ إنذاراً إلى بني النّضير بإخلاء مساكنهم، ومغادرتهم البلاد خلال عشرة أيَّام. وبتحريض من عبد الله بن أُبي بن أبي سلول على رَفْض الإنذار، والتَّمسُّك بدُورهم، وحصونهم، وإيهامهم أنَّ هناك مَنْ سيُناصرهم في مجابهتهم للمسلمين، ويدافع عنهم، رفضوا الاستجابة للعرض السِّلْمي الذي قدَّمه الرّسول ـ ﷺ ـ لهم. فحاصرهم النّبي ـ ﷺ ـ خمسة عشر يوماً، انتهت بالخضوع والانسحاب، حاملين معهم ـ فقط ـ أمتعتهم وأموالهم، وذلك بعد أنْ خاب أملهم في تلقِّي أيَّة نصرة أو مساعدة من بني جلدتهم، أو غيرهم من المشركين، كما وعدهم ابن أبي سلول. وعُدَّ هذا الإنجاز نصراً كبيراً للمسلمين، عزَّز مكانتهم، وثبَّت هيبتهم، ورسَّخ إيمانهم وعقيدتهم.

تآمر بني قريظة:

وتستمرُّ حلقات التّآمر بين أعداء الإسلام قُدُمَاً، وينشأ تحالف جديد بين القبائل لغزو المدينة، وتُلاحق العيون السّاهرة هذه التَّحرُّكات والتّحالفات، ويحفر الرّسول ـ ﷺ ـ الخندق؛ ليحمي حُدُود المدينة الشّماليَّة من أيِّ تقدُّم تُحاوله جيوش قريش وغطفان، ولكنْ؛ تبقى ثغرة في الحصون الدّفاعيَّة للمدينة، ألا وهي القسم الجنوبي الذي يشغله يهود بني قُريظة. لقد أدركت جيوش المشركين المحاصرين للمدينة ـ بعد عدَّة أيَّام من المناوشة مع المسلمين ـ استحالة اختراق المدينة من حُدُودها الشّماليَّة، وأنَّ أنسب حَلٍّ هو اجتياحها من القسم الجنوبي، الذي يسيطر عليه بني قريظة، لذلك؛ فمن الأفضل للمشركين إقناع سيِّد بني قريظة "كعب بن أسد" بالنُّكُوص عن التزامه بالمعاهدة المبرمة بينه وبين رسول الله ﷺ. وعلم المسلمون أنَّ كعباً ينوي التّحالف مع قريش، فأرسل الرّسولُ ﷺ سعدَ بن معاذ سيِّد الأوس، وسعد بن عبادة سيِّد الخزرج؛ ليثنيا كعب بن أسد عن قراره، إلاَّ أنَّ الرّسولَيْن لم يُفلحا في المهمَّة، وبقي كعب مصراً على نَقْض ميثاقه مع الرّسول ﷺ. وتشاء الإرادة الإلهيَّة أنْ تنقذ الإسلام ورسوله من أعقد الأزمات وأصعبها التي مرَّت عليه. لقد أوفدت العناية الإلهيَّة نُعيم بن مسعود إلى النّبي

الكريم ليمثل بين يدَيْه، ويُعلن إسلامه، دُون علم قومه، وطلب من الرّسول - ﷺ - أنْ يُكلِّفه بما يشاء. وطلب منه الرّسول - ﷺ - أنْ يسعى لتفريق كلمة الأحزاب، ويعمل على فَكِّ ارتباط بني قريظة مع مشركي قريش، وتمكَّن نُعيم بحنكته والثّقة التي كان يتمتَّع بها لدى بني قريظة وقريش وغطفان أنْ ينجح في تشتيت تحالفهم وتآلفهم. وأقنع كُلَّ طرف في هذا التّحالف بسوء نيَّة الطّرف الآخر، الأمر الذي أدَّى إلى انسحاب جيوش الأحزاب، وانتهاء الحصار الذي فرضوه على المدينة المنوَّرة، والتفات النّبي - ﷺ - إلى يهود بني قريظة، الذين خانوا عهدهم معه.

لقد نحا عدد كبير من الكُتّاب إلى القول بأنَّ ما قام به نُعيم بن مسعود قد أنقذ الإسلام من محنة كادت أنْ تُؤدي به، وأنَّ معركة الخندق فيما لو تمَّت وُفق المخطَّط المرسوم لها من قِبَل الأحزاب لاندثر الإسلام، وما قامت له قائمة. لقد سمعتُ وقرأتُ هذا الكلام، بل ذهب البعض إلى القول بأنَّ تلك المُؤامرة التي خطَّط لها مشركو قريش مع بني قريظة لو نجحت لانمحى الإسلام من الوُجُود!!

العناية الإلهيَّة والحيطة والاستعداد:

إن هذا القول - إضافة إلى افتقاره إلى الإيمان الصّحيح والاعتقاد السّليم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر / 9) - يبتعد عن التّصوير الحقيقي للمعركة التي كانت دائرة بين المسلمين ومشركي قريش المتحالفين مع يهود بني قريظة لعدَّة أسباب، أهمّها:

أوّلاً: إنَّ المسلمين بقيادة الرّسول - ﷺ - لم يكونوا غافلين عن تحرُكات أعدائهم، بل بالعكس، فقد استعدّوا للدّفاع عن مدينتهم، وحصّنوا حُدُودها الشّماليَّة بشكل أصبح من العسير على عدوِّهم اختراقها.

ثانياً: إنَّ الرّسول - ﷺ - كان يُدرك أهمِّيَّة حُدُود المدينة الجنوبيَّة التي كان يقطنها يهود بني قريظة، وخطورة هذه الحُدُود، وكان يُدرك - في الوقت ذاته - موقف أعدائه اليهود الذين تولّدت لديه القناعة عنهم بإصرارهم ليس - فقط - على رَفْض دعوته، بل مُحاربتها بكُلِّ ما لديهم من وسائل للقضاء عليها.

ثالثاً : لقد كان من الطبيعي على الجانب الإسلامي أنْ يتَّخذ كُـلَّ الاحتياطـات العسكريَّة اللأَّزمة لمواجهة احتمال قيـام عـدوِّه بـالتَّحرُّك مـن خـلال هـذه الجبهـة ؛ وخاصَّـة بعـد أنْ أخفـق موفدا الرّسول ـ ﷺ ـ اللّذان أرسلهما لبني قريظة لإثناء كعب بن أسد سيِّد بني قريظة علـى عـدم نَقْض الميثاق الموقَّع معه ، والانتقال إلى صفوف مشركي قريش لُمحاربة المسلمين .

رابعاً : إنَّ الرّسول ـ ﷺ ـ عندما كلَّف نُعيم بن مسعود بمهمَّة محاولة فـكِّ التّحـالف الـذي تمَّ بين قريش وبني قريظة لم يكن واثقاً تمام الثّقة بإمكانيَّة نجاح نُعيم بمهمَّته ، وكـان هـذا النّجـاح الذي تمَّ على يد نُعيم ـ فيما بعـد ـ قـد تمَّ بفَضْـل مـن الله عـزَّ وجـلَّ ؛ ليمنـع عـن المسلمين بعـض المعاناة التي كانوا سوف يتعرَّضون لها في قتالهم المحتمل مع أعدائهم مشركي قريش والمتحالفين معهم ، وذلك تصديقاً لكلام الله عزَّ وجلَّ :

ـ ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ (آل عمران / 123) .

ـ ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ (الفتح / 3) .

ـ ﴿ وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ﴾ (الحشر / 11) .

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (مُحمَّد / 7) .

ـ ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الرُّوم / 47) .

خامساً : إنَّ القول بأنَّ معركة الخندق كان وراءها مُؤامرة بين قريش وبني قريظة ما هو إلاَّ قبول بنظريَّة تفتقر إلى مصداقيَّة العوامل التي تُشكِّل نظريَّة التّـآمر أبعادهـا الإجراميَّـة . فـالأمور التي كانت تجري في الجانب الآخر كانت مُراقبة ومكشوفة لدى القيادة الإسلاميَّة ، بدليـل أخـذ الحيطة والاستعداد لمجابهة التَّحرُّكات المعادية للجانب الإسلامي . فإذنْ ؛ لم يكن هنـاك مـا يـدلُّ على وُجُود أيِّ نوع من التّآمر (بالمعنى السِّرِّيِّ لها) ، بل بالعكس ، فـإنَّ مجريـات الأمـور كـانت تشير إلى أنَّ هناك تحالفاً يجري إعداده بين أعداء مشـتركين للإسـلام (كفَّـار قريـش ويـهود بني قريظة) وعداء هؤلاء مكشوف للمسلمين ، وغير مَخْفي عـن أعينـهم . إذنْ ؛ فتحرُّكاتـهم كلُّـها تشـير إلـى العَلَنيَّـة أكثر ممَّـا توحي بالسِّرِّيَّة ، والموقـف العدائـي لـهذا الطَّـرف المعـادي موقـف

مكشوف، حتَّى ولا هو يسعى إلى إخفائه أو التّظاهر بعكسه كما يجري - عادةً - في الظّلام لتحضير المُؤامرة.

فالمُؤامرة - حسب التّعريف العامّ لها، وحسب ما ورد في الموسوعة الإسلاميَّة والموسوعة البريطانيَّة - هي اتّفاق سرّي يتمُّ بين طرَفَيْن، أو أكثر، ضدّ أشخاص، أو نظام ما، لإنجاز عمل غير قانوني، أو الحصول على نتيجة قانونيَّة، بطُرُق غير قانونيَّة. وفي العُرْف السّائد في القانون المَدَني أنَّ كُلَّ عمل بقَصْد إتمام أيَّة تعدّيات على الآخرين، سواء تمَّ تنفيذه، أو بقي في حُدُود المحاولة، يُعدُّ - من النّاحية الجنائيَّة - مؤامرة تستوجب العقوبة.

الفصل الثّالث:

الرّدَّة والرُّجُوع إلى الجاهليَّة ـ المُؤامرة على الفاروق عُمر ـ رُؤُوس المُؤامرة ـ الحقد على عُمر ـ أعمدة التّآمر ـ حادثة الاغتيال ـ ذُيُول شهادة شاهدي العدل

الرّدَّة والرُّجُوع إلى الجاهليَّة:

إنَّ المُؤامرة الكاملة التي تحمل في طيَّاتها كُلَّ عناصر التّآمر من التّخطيط والإعداد إلى الإخراج والتّنفيذ هي المُؤامرة التي ذهب ضحيَّتها الفاروق عُمر بن الخطّاب على يد المجرم القاتل أبي لؤلؤة فيروز الفارسي. وقد يعترض البعض على هذا الانتقال الفوري إلى الجريمة التي خطَّط لها الهرمزان الذي يمثّل النّزعة المجوسيَّة، وجفينة الذي يجسّد التَّعصُّب المسيحي، وكعب الأحبار، الذي يختزن في صدره الغلَّ اليهودي، والذي كان أداتها فيروز الفارسي، دُون أنْ نقف أمام مُؤامرة كبيرة على الإسلام، تتمثّل في الرّدَّة التي قامت في شبه الجزيرة العَرَبيَّة بعد وفاة الرّسول ﷺ، وبداية عهد أبي بكر الصّدّيق ﷺ.

وفي الحقيقة؛ فإنَّ حركة الرّدَّة التي كانت تُعدُّ ـ في وقتها ـ من أخطر الحركات المناهضة للإسلام، والتي كانت في قبليَّتها ورجعيَّتها تمثّل دعوة صريحة لإعادة أوضاع المسلمين إلى ما قبل الإسلام، وهدم كُلّ ما بناه الإسلام من قواعد وقيَم ومبادئ وأخلاق قلبت المجتمع الجاهلي، وغيَّرت كُلَّ أوضاعه البائدة التي كانت سائدة قبل مجيء هذا الدِّين الجديد، الذي أرسى أُسُس المجتمع الحضاري، الذي تعمُّه الأُخُوَّة والتّعاون والمساواة والإيمان بديانة التَّوحيد تحت راية الإسلام التي حملها رسول كريم للبشريَّة جمعاء.

نقول؛ إنَّ هذه الحركة الخطيرة المناهضة للإسلام التي وُصفت بالرّدَّة لأنَّ أصحابها أرادوا الارتداد عن الإسلام يصعب وَضْعها في خانة المُؤامرة. فعناصر الخُرُوج من الصّفِّ الإسلامي والتَّمرُّد على أصحابه الذين حملوا رايته ورفعوا لواءه هي أقرب للتّمرُّد والانفصال عن الأُمَّة الإسلاميَّة منه للمُؤامرة. فالوصف الصّحيح الذي أُعطي لهذه الحركة من قِبَل مُعظم المؤرِّخين هو (الرّدَّة)، وكأنَّ المؤرِّخين أجمعوا على وَصْف هذه الحركة بوَصْف لا يمتُّ بصلة إلى كلمة المُؤامرة، التي يحتاج صحَّة اسمها ووَصْفها إلى عدَّة عوامل لم تتوفَّر في حركة الرّدَّة؛ وخاصَّة إذا علمنا أنَّ هذه الحركة صاحَبها بروز أربعة أدعياء في آن واحد، يدَّعي كُلٌّ منهم النُّبُوَّة، ويدعو قومه إلى اتِّباعه وموالاته.

- ففي نجد؛ ظهر مسيلمة بن حبيب الحنفي من بني حنيفة.

- وفي اليمن؛ برز الأسود العنسي من بني عنس.

- وفي الحجاز؛ قام طليحة الأسدي من بني أسد.

- وكان رابع هؤلاء نجديَّة أخرى؛ هي سجّاح بنت الحارث.

لقد دفع المسلمون للقضاء على هذه الرّدَّة أرواحاً طاهرة كثيرة، فقد صمَّم الخليفة أبو بكر - ﷺ - على التّصدِّي لهذه الحركة مهما كلَّف الأمر، وبفضل هذا التّصميم وهذه الإرادة على وأد هذه الرّدَّة والقضاء على أفكارها الهدَّامة التي تهدف إلى هَدْم كُلِّ ما تمَّ بناؤه، وبُذِل في سبيله الغالي والنَّفيس، فقد كلَّل الله بنصره المؤمنين، وثبَّت راية الإسلام مرفوعة خفَّاقة، وتحقَّق لأبي بكر - ﷺ - إلحاق الهزيمة النكراء بالمرتدِّين، أعداء الإسلام.

المُؤامرة على الفاروق عُمر ﷺ:

في الثّاني والعشرين من شهر جمادى الأوَّل وفي العام الثّالث عشر الهجري توفِّي الخليفة أبي بكر الصّدِّيق ﷺ، بعد أنْ قضى في الخلافة حوالي العامَيْن، فتولَّى الخلافة - من بعده - عُمر بن الخطَّاب ﷺ، الذي رشَّحه أبو بكر - ﷺ - كخليفة له. ولقي هذا التّرشيح قبولاً لدى كافَّة المسلمين.

ويُجمع المؤرِّخون على إبراز شخصيَّة عُمر ـ ﷺ ـ كأعظم خليفة في تاريخ شبه الجزيرة العَرَبيَّة. ويتحدَّث الكُتَّاب عن هذه العَظَمَة التي اجتمعت في الفاروق عُمر ﷺ، سواء من حيثُ الإدارة، أو القيادة، أو النّزاهة، أو البلاغة، أو العدالة، أو الفقه، أو الاجتهاد. فهو نابغ في قيادته، متميِّز في نزاهته وعَدْله، مُلهَم في أحكامه، بليغ في بيانه. لقد اجتمعت كُلّ صفات العَظَمَة في شخصيَّته، ووهبه الله كُلَّ مقوِّمات المجد والخلود لاسمه.

لقد كان الفاروق عُمر ـ ﷺ ـ أكبر عدوٍّ للإسلام في الجاهليَّة، ومُنذُ اللّحظة التي شهد فيها أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ مُحمَّداً رسول الله، أصبح أكبر مدافع عن الإسلام، وأشهر عَلَم من أعلامه.

إنَّ الإنجازات التي تمَّت في عهد الخليفة الثّاني عُمر بن الخطَّاب ـ ﷺ ـ دفعت المؤرِّخين إلى وَصْف فترة حكْمه بأنَّها "العصر الذّهبي للإسلام"، وأنَّ عصره أكمل ـ على أتمِّ وجه وأحسن صُورة ـ ما بدأه سلفه العظيم الخليفة أبو بكر ﷺ. ففي عهد الفاروق عُمر ﷺ، تمَّ فَتْحُ فارس، وانهارت إمبراطوريَّة الفُرْس، ودخلت جيوش المسلمين نهوند. فبعد أنْ تولَّى الخلافة أخذ عُمر ـ ﷺ ـ تنفيذ ما بدأه أبو بكر ﷺ، فأرسل إلى العراق جيشاً جديداً بقيادة أبي عُبيد الثّقفي، الذي استُشهد في بداية معركته مع جيش الفُرْس، فتولَّى القيادة ـ من بعده ـ القائد الفذّ المُثنَّى بن حارثة، الذي خلَّفَهُ خالد بن الوليد في قيادة جيش المسلمين، بعد أنْ أمره أبو بكر الصّدِّيق ـ ﷺ ـ بالتَّوجه إلى الشّام لنصرة جيش المسلمين هناك، والذي كان بقيادة أبي عُبيدة بن الجرَّاح.

حقَّق العَرَبُ انتصاراً كبيراً على الفُرْس، ويسبب إصابة المُثنَّى بن حارثة إصابة قاتلة أثناء القتال، وإشرافه على الموت، كلَّف عُمر ـ ﷺ ـ سعدَ بن أبي وقَّاص بقيادة جيش جديد لمُوازرة قُوَّات المسلمين، الذين بدا أنَّ الفُرْسَ يتهيَّؤون لمعركة حاسمة معهم بقيادة قائدهم الكبير رُستُم. وفي معركة القادسيَّة؛ أبدى المسلمون من الشّجاعة والإقدام ما أذهل الفُرْس، وأوقع في قلوبهم الرُّعبَ. فقد تمكَّنت ثُلَّة من الفُرسان الشّجعان أنْ يقوموا بهجوم انتحاري على فِيَلَة الفُرْس بتصويب رماحهم على أعينها؛ ممَّا سبَّب اضطراب جيش فارس، ونشر الفوضى في صفوفه. وانتهت المعركة بقَتْل عدد كبير من الفُرْس، وقائدهم رُستُم الذي حاول الفرار، فتبعه هلال بن علقمة، وقَتَلَهُ، وصاح صيحته الشّهيرة " قتلتُ رُستُم وربّ الكعبة".

رؤُوس المُؤامرة:

أمَّا الهرمزان ـ أمير خُوزستان ـ الذي اشترك في معركة القادسيَّة ضدَّ المسلمين، فقد استطاع الفرار إلى خُوزستان، وحشد قُوَّاته لمواجهة جيوش المسلمين المتقدِّمة نحوه، وعندما شعر أنَّه لا طائل له في مقاومة هذا الزّحف الإسلامي طلب الصُّلح، فأُجيب إلى طلبه، وقَبِل أنْ يجبي المالَ للمسلمين على أنْ يمنعوه من الأكراد، إذا أغاروا على الأراضي التي بقيت تحت سيطرته، إلاَّ أنَّ الهرمزان نَقَضَ هذا العهد، وأراد أنْ يساعد مَلكه يزدجرد، الذي فرَّ من وجه العَرَب إلى "مرو"، محاولاً جَمْعَ فلول قُوَّاته، واستعادة ما خسره من مُلْكه. توجَّهت قُوَّات المسلمين نحو الأهواز لمُراقبة تحرُكات الهرمزان، وأدرك المسلمون توجُّهات الهرمزان، ورغبته في القتال مع ملكه يزدجرد ضدَّ المسلمين. واقتتل المسلمون مع قُوَّات الهرمزان قتالاً شديداً، استمر أكثر من شهر، انتهى باستسلام الهرمزان، وأَخْذه أسيراً إلى المدينة المنوَّرة.

وردت أخبار تجمُّع الفُرْس بقيادة يزدجرد آخر ملوك الفُرْس بنهاوند. وقد أمر الخليفة عُمر ـ ﷺ ـ النُّعمانَ بن مقرّن المزني أنْ يتَّجه نحوها للقضاء على آخر معاقل الفُرْس فيها. وفَتَحَ المسلمون نهوندَ، ذلك الفتح الذي أطلقوا عليه "فَتْح الفُتُوح"؛ لأنَّه بعد معركة نهاوند لم يقم للفُرْس قائمة. وقد استُشهد في هذه المعركة بطلها النُّعمان بن مقرّن المزني، الذي بكى عُمر ـ ﷺ ـ لاستشهاده بكاء شديداً، لما يتمتَّع به هذا القائد من الشّجاعة والإيمان الشّيء الكثير، حتَّى إنَّ ابن مسعود قال عندما جاء نبأ استشهاده: "إنَّ للإيمان بيوتاً، وللنّفاق بيوتاً، وإنَّ من بيوت الإيمان بيت ابن مقرّن".

بعد الانتهاء من معركة نهاوند، ودُخُول جيش المسلمين المدينة، بدا أنَّ الانسياح في بلاد الفُرْس أصبح سهلاً، فعيَّن عُمر ـ ﷺ ـ رُؤساء الجُنُود لفَتْح باقي المناطق، وأرسل لكُلِّ منطقة لواء من الجيش لإحكام السّيطرة على كافَّة أراضي المملكة الفارسيَّة.

وعندما جيء بالسّبي إلى المدينة، كان من بين هؤلاء السّبي الذين تمَّ سبيهم في نهاوند (أبو لؤلؤة، فيروز الفارسي، مولى المغيرة بن شعبة). لقد كانت علامات الأسى والحزن تبدو على أبي لؤلؤة كُلَّما وفد إلى المدينة وفد جديد من السّبي، فيبكي، ويقول: "أكل عُمر كبدي".

اجتمع في المدينة شخصيَّتان فارسيَّتان لعبتا دوراً هاماً في المُؤامرة التي تمَّ تخطيطها لقَتْل الخليفة عُمر بن الخطاب ﷺ: الهرمزان وأبو لؤلؤة. ولا شكَّ أنَّ الهزيمة السّاحقة التي ألحقها المسلمون في صفوف الفُرْس أرست في قلوب زُعمائهم كالأسير الهرمزان كُلَّ شجون وهموم ماضيهم القريب، الذي تلاشت أمجاده، وتحطَّمت أركانه أمام هذا الزّحف العَرَبي، الذي هبَّ عليهم كعاصفة اقتلعت المجوسيَّة من جذورها.

لقد استهزأ الفُرْس بالعَرَب كثيراً، واستهانوا بهم، وبلغت درجة هذا الاستهزاء أنْ طلب كسرى من عامله في اليمن أنْ يجيئه برأس "هذا الرّجل الذي في الحجاز"، وذلك بعد أنْ أهان موفد رسول الله -ﷺ- الذي جاءه يدعوه للإسلام. وتشاء الإرادة الإلهيَّة أنْ يُقتَل كسرى قبل أنْ تصل رسالته إلى عامله، وعندما جاء وفد سعد بن أبي وقَّاص المُؤلَّف من عشرين فارساً عَرَبياً إلى ملك الفُرْس يزدجرد ليعرضوا عليه إمَّا الإسلام، أو دفع الجزية، قُوبلوا من الحاشية التي كانت تحيط بإيوان كسرى بكثير من السّخرية، وأمَّا يزدجرد؛ فإنَّه عندما علم ما قدموا من أجله وما يعرضونه عليه استشاط غيظاً، وقال غاضباً: "لولا أنَّ الرُّسُلَ لا تُقتَل لقتلتُكُم". ثُمَّ أمر لهم بحفنة من التُّراب، وطردهم من بلاطه، وأمر بسَوْقهم إلى خارج المدينة.

لقد دفع يزدجرد ثمن حماقته واستعلائه فقدان مُلكه. فبعد هزيمته النّكراء في القادسيَّة، ودُخُول جيوش المسلمين قصره، والاستيلاء على كافَّة محتوياته، تمَّ تحويل هذا القصر إلى مسجد للعبادة. وكانت معركة القادسيَّة أكبر هزيمة مُنكرة تلحق بالفُرْس.

الحقد على عُمر ﷺ:

لقد أكرم عُمرُ -ﷺ- أسيرَهُ الهرمزان، وأمر له بمبلغ شهري، وأنزله في المدينة، إلاَّ أنَّ مشاعر الحقد على الإسلام وعلى أمير المؤمنين، الذي حطَّم كيان الإمبراطوريَّة الفارسيَّة، واجتاحت جيوشه بقاعها المترامية كانت تنمو يوماً بعد يوم في نفوس هؤلاء الفُرْس، الذين رفضوا الإسلام، وأصرّوا على البقاء في مجاهل الوَثَنيَّة.

إنَّ المشاعر الحاقدة والنّفوس الملتاعة والرّغبة العارمة في الانتقام والرّفض الأعمى لدعوة الحقّ التي أطلقها رسول الله -ﷺ- دفعت الهرمزان إلى البحث عن طريقة للتَّخلُّص من الخليفة

العظيم الذي اعتقد الهرمزان أنَّه سبب هذه النَّكبة التي حلَّت بقومه وبلاده، ولم يدرك - بسبب الغشاوة التي رانت على بصيرته - أنَّ الدِّين الجديد - التي حملت الألوف من البشر على التّضحية والاستشهاد في سبيل رسالة الهدى التي قدَّمها رسول الله - ﷺ - إلى العالم أجمع - كانت القلعة المنيعة والسَّفينة العملاقة التي حملت دين التَّوحيد، الذي أمر الله - عزَّ وجلَّ - نبيَّه - ﷺ - بتبليغه للبشريَّة جمعاء.

وجد الهرمزان في أبي لؤلؤة فيروز ضالَّته المنشودة لتنفيذ ما كان يختلج في نفسه، ومع هذه العنصريَّة الفارسيَّة والخلفيَّة المجوسيَّة التي اجتمعت في هذَيْن العُنصرَيْن، رفدت إليهما شخصيَّة حاقدة أخرى (جفينة النَّصراني)، دخلت في حلقة المُؤامرة لتُضفي مزيداً من الدّفع لارتكاب جريمة القتل، فلم يكن المدُّ الإسلامي محصوراً في الجبهة الشّرقيَّة والبلدان المحيطة بفارس، بل كانت إشعاعات هذا المدِّ تتَّجه - أيضاً - إلى الغرب نحو بلاد الشّام؛ حيثُ بسطت الدّولة الرُّومانيَّة سلطانها على أكثر المناطق العَرَبيَّة المجاورة لشبه الجزيرة العَرَبيَّة مركز الدّعوة والدّولة الإسلاميَّة الفتيَّة.

وبينما كانت جيوش المسلمين تظفر بفَتْح عاصمة الفُرْس، كانت قُوَّات أبي عبيدة بن الجرَّاح وخالد بن الوليد تظفر بفَتْح دمشق، وتدفع جيوش بيزنطة بقيادة هرقل ملك الرُّوم إلى خارج حُدُود بلاد الشّام، وتجتاز بيت المقدس، وتستقرّ لها الأمور في مصر، وتُحرِّر كُلَّ المناطق العَرَبيَّة التي كانت خاضعة لبلاد الرُّوم.

أعمدة التّآمر:

ساقت الضّغينة على الإسلام والحقد عليه وعلى قائده الذي حطَّمت جيوشه إمبراطوريَّتَيْن من أعتى الإمبراطوريَّات، وأشدّها، حاقداً جديداً هو جفينة النّصراني، وانضمَّ إلى هذا الثّلاثي وافد آخر هو كعب الأحبار، الذي سبق أنْ اختزن قلبه الكثير من المرارة والأسى على ما لحق قومه من مهانة وتشريد وطَرْد على يد مُحمَّد ﷺ، وصحبه. لقد كانت عناصر التّآمر تُخطِّط لعملية اغتيال ظنَّت أنَّها ستُؤدِّي إلى زعزعة الدّولة وخَلْق الفوضى في صفوفها، ذلك الأمر الذي لابُدَّ وأنْ يقود إلى إحداث فتنة تُؤدِّي إلى تقهقر الجيوش الإسلاميَّة، أو على

الأقلّ، انسحابها من مواقعها المتقدِّمة في كُلٍّ من فارس وبلاد الرُّوم، وأنَّ هذا لابُدَّ وأنْ يساعد على استرجاع ما فقده أصحاب البلاد الأصليِّين من ولايات وأراضي سقطت في أيدي العَرَب الفاتحين.

لقد كان العقل المتآمر يريد أداة جيِّدة تصلح لعمليَّة الاغتيال، فكانت هذه الأداة أبا لؤلؤة فيروز، الذي أخذ على عاتقه تنفيذ عمليَّة القتل، ولم يكن يُنكر حُزنه على ما أصاب قومه كُلَّما رأى سبياً صغيراً يرد إلى المدينة، فيمسح على رأسه، ويُكرِّر قوله: "إنَّ عُمراً أكل كبدي". فالرّغبة في الانتقام وتنفيس ما في القلب من غلٍّ، وما في النَّفْس من حقد على الإسلام، وعلى خليفة المسلمين، كان الهاجس الذي يشغل بال أبي لؤلؤة.

ولم يكن يخطر في بال أيِّ مسلم أنْ تتمَّ عمليَّة الاغتيال في أحد بيوت الله، وأنْ يجري تنفيذ المُؤامرة في ساعة مُبكِّرة من الصّباح عند صلاة الفجر. ففي السّاعات الأولى من صباح يوم الأربعاء الرّابع والعشرين من ذي الحجَّة عام ثلاثة وعشرين للهجرة، خرج عُمر - ﷺ - من بيته، متوجِّهاً إلى المسجد لأداء صلاة الفجر، وليؤمَّ النّاس في الصّلاة، كعادته كُلّ يوم.

حادثة الاغتيال:

ما إنْ دخل عُمر - ﷺ - المسجد، وانتظم المُصلُّون في أماكنهم، وبدأ - رضي الله عنه - في التّكبير للصّلاة، حتَّى برز رجل - فجأة - أمامه؛ ليغمد في بطنه ثلاث طعنات قاتلة من خنجر مسموم، وكانت إحدى هذه الطّعنات تحت سُرَّته. وأحسَّ عُمر - ﷺ - بحَرِّ السّلاح، والتفت إلى المُصلِّين الذين حوله قائلاً: "أدركوا الكلب، فقد قتلني". كان القاتل أبو لؤلؤة قد جاء إلى المسجد في ساعة مُبكِّرة من الغلس، يُخبِّئ تحت ردائه خنجراً قبضته في وسطه، وله نصلان حادَّان، واختبأ في أحد أركان المسجد، حتَّى إذا بدأت الصّلاة، ارتكب فعلته الآثمة، ثُمَّ اندفع يريد الفرار، والنّجاة بنفسه، وأقبل النّاس عليه يريدون الإمساك به، ولكنَّ فيروز لم يدع أحداً يقترب منه، بل جعل يطعن كُلَّ مَنْ يقترب للأخذ بتلابيبه. وتقول بعض الرِّوايات إنَّ تسعة من المُصلِّين الذين تمكَّن فيروز من طعنهم تُوفُّوا متأثِّرين بجراحهم، وأنَّ عدد الذين طُعنوا بلغ اثنَيْ عشر مُصلِّياً. وأخيراً؛ تمكَّن أحد المُصلِّين من إلقاء ردائه عليه، وطَرَحَه أرضاً،

وعندما تأكَّد لأبي لؤلؤة أنَّه مُدرَك لا محالة، أقدم على طَعْن نفسه بالخنجر المسموم نفسه الذي طَعَنَ به خليفة المسلمين عُمر ﷺ. وبانتحار القاتل؛ ظنَّ المتآمرون أنَّ مُؤامرتهم لن تنكشف، وسيُسدل عليها السّتار، دُون أنْ تترك أيَّة ذيول، وانتظروا حدوث الزّلزال الذي حلموا به.

وتشاء الأقدار أنْ تسوق إلى الخليفة عُثمان - ﷺ - شاهدَيْن يُثبتان - بالدّليل القاطع - أنَّ وراء عمليَّة الاغتيال مُؤامرة خطَّط لها أناس غير أبي لؤلؤة. فعندما رأى عبد الرّحمن بن عوف الخنجر الذي قُتل به عُمر - ﷺ - قال: "رأيتُ هذا - أمس - مع الهرمزان وجفينة، فقلتُ لهما: ما تصنعان بهذه السكّين؟ فقالا: نقطع بها اللّحم، فإنَّا لا نمسُّ اللّحم".

أمَّا الشّاهد الثّاني؛ فكان عبد الرّحمن بن أبي بكر، فقد قال إنَّه مرَّ على أبي لؤلؤة ومعه جفينة والهرمزان وهم يتناجون. فلمَّا بغتهم، ثاروا، فسقط من بينهم خنجر له رأسان، نصابه في وسطه. وطلب من المسلمين أنْ ينظروا بأيِّ شيء قُتل عُمر، فجاؤوه بالخنجر الذي ضرب به أبو لؤلؤة، فإذا هو بالصّفة التي ذكرها عبد الرّحمن.

فهذان شاهدا عَدْل، شهد أوَّلهما بأنَّ الهرمزان وجفينة كان معهم السكّين الذي قُتل به الخليفة عُمر، وشهد الثّاني أنَّه رأى أبا لؤلؤة يأتمر مع كُلٍّ من الهرمزان وجفينة ليلة وقوع الجريمة، ويُقرِّر الشّاهدان اللّذان يُعدَّان من أعدل شهداء المسلمين أنَّ ما وقع لهما كُلّه كان عشيَّة طعن الخليفة عُمر ﷺ.

ذيول شهادة شاهدَيْ العدل:

سمع عُبيد الله بن عُمر - ﷺ - شهادَتَيْ عبد الرّحمن بن عوف وعبد الرّحمن بن أبي بكر، وهاله أنْ يذهب دم أبيه سُدى بموت أبي لؤلؤة، دُون أنْ ينال المتآمرون جزاءهم العادل، فاستلَّ سيفه، وقصد الهرمزان، وطلب إليه الخُرُوج، وما إنْ انطلق معه حتَّى بادره بالسّيف، وقتله. ثُمَّ قصد جفينة النّصراني، فقتله. ثُمَّ انطلق إلى بيت أبي لؤلؤة، فوجد ابنته الصّغيرة، فقتلها، وكأنَّ لوثة من الغضب العارم دخلت في روعه، وسيطرت عليه حميَّة الجاهليَّة، فوقف يُهدِّد بقَتْل كُلِّ سبي في المدينة، وقد جرى ذلك قبل أنْ تتمَّ البيعة لعُثمان ﷺ. وأودع صهيب - الذي

كان قائماً بالخلافة لحين انتهاء الصّحابة السّتّة الذين سمّاهم عُمر ـ ﷺ ـ من مهمّة اختيار واحد منهم للخلافة ـ عُبيد الله السّجنَ؛ ليتولى الخليفة المُنتخَب البَتّ في أمره.

وقد تبيّن للخليفة عثمان ـ ﷺ ـ الذي تمّ انتخابه بعد وفاة عُمر ـ ﷺ ـ اختلاف وجهات نظر الذين طلب منهم المشورة في حَلّ هذه القضيّة، لقد كان رأي علي بن أبي طالب ـ ﷺ ـ أنْ يُقتَل عبيد الله، وليس من العدل تَرْكه، بينما رأى بعض المهاجرين أنّ هذا الرّأي فيه قسوة ما لا تطيقه النّفس، ففي الأمس؛ يُقتَل عُمر، واليوم يُقتل ابنه. وحار عُثمان ﷺ، فلو استجاب لرأي علي ـ ﷺ ـ لنكأ من آل عُمر ـ ﷺ ـ جراحات، ولأثار ثائرات لا يعلم إلاّ الله عقباها، ولكان في نظر النّاس خليفة قاسي القلب، بل أشدّ النّاس بطشاً وغلظة. وارتأى أنّ من الحكمة إغلاق ملفّ هذه القضيّة، وتولّيه دَفْع دية المقتولَيْن من جيبه الخاصّ. ولعلّ عثمان ـ ﷺ ـ رأى أنّه لو استمرّ بالتّحقيق، وعمل على دراسة شهادَتَيْ عبد الرّحمن بن عوف وعبد الرّحمن بن أبي بكر فإنّه لا شكّ قد يصل إلى قناعة بوُجُود مُؤامرة ثابتة على القتل، وتنفي أيّ شك بها، وأنّ ما فعله عبيد الله كان بناء على تيقُّنه بوُجُود هذه المُؤامرة، استناداً لتلك الشّهادة، ولكنْ؛ بدل أنْ يحتكم إلى أمير المؤمنين، احتكم إلى نفسه، وقرّر أنْ يكون سيفه هو الحُكْم، وليس أمير المؤمنين. ورأى عثمان ـ ﷺ ـ أنْ يخمد الفتنة، التي كانت النّفوس مهيّأة لها، ومتحفّزة للنّيل من الفُرْس، الذين كانوا مقيمين في المدينة.

لقد دلّت وقائع هذه المُؤامرة التي انتهت بقَتْل عُمر ـ ﷺ ـ إلى رفض المقولة التي أطلقها البعض، والتي مفادها أنّ عُمراً ـ ﷺ ـ لم يستجب إلى أبي لؤلؤة من طلبه بتخفيف الخراج الذي يدفعه لمولاه المغيرة بن شعبة؛ إذْ إنّ هذه المقولة لم تكن إلاّ ستاراً أطلقه المتآمرون، بُغية إبعاد صفة التّآمر عنهم. فلو قبلنا بهذه الحُجّة ـ أيْ عدم استجابة عُمر ـ ﷺ ـ لطلب أبي لؤلؤة ـ لكان بإمكان أبي لؤلؤة تكرار طلبه، والإلحاح على الخليفة بالتّوسُّط لدى مولاه مجدّداً، وطبعاً دُون أنْ يقتله. وأبطلت الشّهادتان اللّتان أدلى بهما شاهدان ـ يُعدّان من أعدل الشّهود ـ تلك المقولة، وبَيّنَتا صحّة وُجُود نيّة القَتْل عند المتآمرين.

لقد أيّد كُتّاب كثيرون فكرة المُؤامرة. فَكَتَبَ عبّاس محمود العقّاد يقول: فعُمر ذهب ـ رحمه الله ـ شهيد مُؤامرة من أعداء الدّولة الإسلاميّة لا شكّ فيها، وما قصّة الخراج إلاّ السّتار

الذي يتوارى بـه المتآمرون فـي المدينـة والبـلاد الأخـرى مخافـة القَصَـاص الـذي يحيـق بـهم إذا جهروا بما دبَّروه، أو جهروا بالعلَّة التـي مـن أجلـها تربَّصـوا بذلـك التّدبير. وفـي رأي الأسـتاذ العقَّاد أنَّ كعب الأحبار شريك في المُؤامرة. أمَّا الدُكتُور طه حسين؛ فقد ذكـر: إذا كـان كُـلُّ مـا رُوي عن كعب الأحبار بشأن موت عُمر صحيحاً، فلستُ أشكُّ أنَّه كان على علـم بمـا دبَّر أبـو لؤلؤة، أو بما دبَّر الذين اشتركوا معه في الإعداد لهذه الجريمـة البشـعة. وذهـب كُـلٌّ مـن مُحمَّـد حُسين هيكل والدُكتُور حُسـين مجيـب المصـري وكـارل بروكلمـان والدُكتُـور أحمـد الحفنـاوي وغيرهم إلى ما ذهب إليه الأستاذ العقَّاد والدُكتُور طه حُسين عن أنَّ قَتْلَ عُمر ما هـو إلاَّ مُؤامـرة خطَّط لها الهرمزان وجفينة، ونفَّذها أبو لؤلؤة، أمَّا كعب الأحبار؛ فقد كان على علم بالمُؤامرة بدليل ذهابه إلى عُمر ـ ﷺ ـ قبل ثلاثة أيَّام من مقتله؛ ليشفي غليله منه بأنْ يبشـره بـأنَّ أيَّامـه قـد انتهت، وأنَّه ميِّت في خلال ثلاثة أيَّام، وأنَّ ذلك وارد في التَّوراة!!!!

الفصل الرّابع:

التّآمر على عثمان ـ مُؤامرة أم فتنة؟ ـ المُؤامرة على علي ـ مضاعفات جديدة ـ الخلافة المميّزة ـ معركتا الجمل وصفّين ـ الموقف من الخوارج ـ التَّمكُّن من قَتْل علي ونجاة معاوية وعَمرو بن العاص ـ مُؤامرات العصر

التّآمر على عثمان ﷺ:

شعر عُمر ـ ﷺ ـ بأنَّ الطّعنات التي أصابته لا نجاة منها، وأنّه لا محالة مشرف على لقاء ربّه، فطلب من كُلٍّ من عثمان بن عفّان وعلي بن أبي طالب والزّبير بن العوّام وطلحة بن عُبيد الله وعبد الرّحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص بانتخاب مَنْ يرونه مناسباً لمنصب الخلافة، دُون أنْ يُحدِّد اسم أحد منهم لتولّي هذا المنصب تقديراً منه للأجواء التي كانت سائدة في المدينة، ومبتعداً ـ في الوقت نفسه ـ عن اتّخاذ مثل هذا القرار الذي يخشى أنْ لا يحظى بالقبول التّامّ، ولو كان عُمراً ـ ﷺ ـ مطمئناً بأنّه لو استخلف أيّ واحد من هؤلاء السّتّة وأنّ المسلمين سيُقرُّون هذا الاختيار ويرضون عنه لما تردّد في ذلك، ولكنْ؛ خشي ـ ﷺ ـ وقوع الاختلاف بين المسلمين، فقد كان يُقدِّر مدى العصبيَّة القبليَّة المتأصِّلة في النّفوس، والتي يُمكن أنْ تبرز إلى الوُجُود من جديد. ولذلك طلب من الأنصار أنْ يُدخلوا الصّحابة السّتّة بيتاً لمدَّة ثلاثة أيّام، فإنْ توصّلوا خلال هذه الفترة إلى قرار، وانتخبوا من بينهم خليفة، كان بها، وإلاّ "فادخلُوا، واضربوا أعناقهم". وتروي الأخبار أنّه عندما طُعن عُمر ـ ﷺ ـ سُئل في العهد، فقال: "أنْ أعهد، لقد عهد مَنْ هو خير منّي" يعني (أبو بكر)، "وأنْ أترك، فقد ترك مَنْ هو خير منّي"، يعني النّبي ﷺ، فإنّه لم يعهد.

باشر الخليفة الجديد عثمان ـ رضي الله عنه ـ عمله بحلِّ موضوع قَتْل الهرمزان وجفينة وابنة أبي لؤلؤة، ورأى أنَّ من الحكمة أنْ يتولّى هو دَفْع دية القتلى من ماله الخاصّ، ويُغلق هذا الملفَّ الحرج. في عهده؛ استمرَّت الفتوحات الإسلاميَّة، واتَّسعت رقعة البلاد التي خضعت لنفوذ المسلمين، ففُتحت أرمينية وأفريقية، وواصل المسلمون العمل على توطيد نفوذهم في بلاد فارس، كما تمَّ في عهده القضاء على كُلِّ الانتفاضات والثَّورات التي قامت في بعض بلاد فارس. وتحقَّق للمسلمين نصر مؤزَّر في معركتهم البحريَّة التي دارت بينهم ـ بقيادة عبد الله بن سعد ـ وبين الرُّوم بقيادة قسطنطين على مقربة من الإسكندريَّة، تلك الموقعة التي عُرفت بمعركة (ذات السَّواري)، لكثرة سواري السّفن التي اشتركت في المعركة؛ حيثُ قيل إنَّه اشترك فيها ألف سفينة، وساعدت السّفن التي استولى عليها المسلمون في تلك الموقعة على إنشاء الأسطول الإسلامي، الذي كان له الأثر الكبير في المواقع الحربيَّة التي دارت بين المسلمين والبيزنطيِّين أيَّام الدّولة الأمويَّة.

مؤامرة أم فتنة؟

تعدَّدت الآراء، واختلف الكُتّاب في تقييم عهد الخليفة الرّاشدي عثمان بن عفَّان رضي الله عنه. فبعض هذه الآراء ذهب بعيداً في تطرُّفه، ووَصَفَ الخليفة الجديد بأنَّه مثال لمحاباة الأهل والأقارب والإرادة الضّعيفة والطّيبة المتناهية، التي أدَّت إلى ثورة الأمصار عليه، والتَّمرُّد على خلافته، والانتهاء إلى قَتْله، ولكنَّ كثيراً من الكُتَّاب دافعوا عن عُثمان رضي الله عنه، وبرَّروا تصرُّفاته واعتماده على أقاربه وحُبّه لهم والثّقة بهم، ولم يأخذوا عليه إلاَّ انصياعه لقريبه مروان بن الحكَم، الذي كان يمثِّل ـ بنظرهم ـ أنانيَّة الأقارب، وإيثارهم مصلحتهم الخاصَّة، دُون النّظر إلى مصلحة الأُمَّة. ويفنِّد المدافعون عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ كُلَّ التُّهم التي اتُّهم بها، وتصرُّفاته بالنّسبة للوُلاة، ويذكرون أنَّ اعتماده على الأقارب ليس فيه عيب؛ لأنَّ تقدير كفاءة أو عدم كفاءة أيّ والٍ من الوُلاة يعود أمره للخليفة، وأنَّ الرّسول ـ ﷺ ـ ولَّى علياً ـ رضي الله عنه ـ وهو ابن عمِّه، وأنَّ عُمراً ـ رضي الله عنه ـ ولَّى قريبه المغيرة بن شعبة، ولكنَّ العصبيَّة التي بدأت تلعب دورها هي التي طغت على المنتقدين، الذين لم تُعجبهم سُلُوكيَّة بعض الوُلاة الذين عيَّنهم عثمان رضي الله عنه. وأمَّا بقيَّة ما نُسب إلى عثمان ـ رضي الله عنه ـ من تُهم، فقد بيَّن هؤلاء المدافعون أنَّها افتراء بافتراء.

إنَّ ما يهمُّ القول هنا هو أنَّ قَتْل عثمان ـ ﷺ ـ في الثّامن عشر من شهر ذي الحجَّة من عام 35 للهجرة، جاء نتيجة فتنة أم ثورة أم انتفاضة على خليفة رأى بعض النّاس بدافع عصبيَّتهم، أو بدافع شعُورهم بالإجحاف، أو من غَيرتهم من نفوذ الأمويِّين، أو عدم رغبتهم برؤية خليفة سهل الانقياد، بعد أنْ تولَّى خلافتهم رجل قويّ الشّكيمة، بالغ العدل، متميِّز في نزاهته، بليغ في بيانه، واضح في إقرار الحقّ، سامي الخُلُق كعُمر ﷺ. قد تكون كُلُّ هذه الأسباب أو أكثرها هي الدّافع الأساسي للفتنة، التي قادت إلى قَتْل الخليفة عثمان ﷺ. إنَّ حادث القتل هنا لم يمرّ خلال تآمر بين عدد من الأطراف، كما تمَّ في حادثة مقتل عمر ﷺ. فلو أنَّ الخليفة عثمان ـ ﷺ ـ استجاب لنصائح عليّ ـ ﷺ ـ عندما قال له: "الله، الله في نفسكَ، فإنَّكَ ـ والله ـ ما تُبصر من عمى، ولا تعلم من جهل، وإنَّ الطّريق لواضح بيِّن، وإنَّ أعلام الدِّين لقائمة، تعلم ـ يا عثمان ـ أنَّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هُدي وهَدى، فأقام سُنَّة معلومة، وأمات بدعة متروكة، فوالله إنَّ السّنن لقائمة لها أعلام، وإنَّ شرَّ النّاس عند الله إمام جائر، ضلَّ وضُلَّ به، فأمات سنَّة معلومة، وأحيا بدعة متروكة، وإنِّي سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: يُؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر، وليس معه نصير ولا عاذر، فيُلقى في جهنَّم، فيدور فيها كما تدور الرّحى". أو سمع نصيحة عَمرو بن العاص:

"اعتزم أنْ تعدلَ، فإنْ أبيتَ، فاعتزمْ أنْ تعتزلَ، فإنْ أبيتَ فاعتزمْ عَزْماً، وامش قُدُماً".

إنَّ تشجيع الرّعيَّة التي أحاطت بعثمان ﷺ، وجرّه إلى عدم الاستجابة للنّصائح التي قدَّمها له النّاصحون كعلي ﷺ، أو عَمرو بن العاص، أو حتَّى زوجته نائلة، التي حثَّته على عدم الاستماع إلى ابن عمِّه مروان بن الحَكَم، بل الإنصات إلى الحقِّ الذي نطق به علي ﷺ، ولو لم يتمسَّك ـ ﷺ ـ في منصبه قائلاً قولته الشّهيرة: "لا أخلع قميصاً ألبسنيه الله"، ولم يرفض مقاتلة العصاة الذين حاصروا بيته، وأصرَّ على حقن دماء المسلمين التي قد تُراق على بابه من أجله، ويطلب من المدافعين عنه عدم قتال المرتدِّين عليه. ولو اتَّخذ من بادئ الأمر ما ارتآه علي ـ ﷺ ـ من ضرورة إبعاد حاشية السُّوء عنه، وخاصَّة مروان بن الحَكَم، ومعالجة الأوضاع بحكمة ورويَّة، ولم يتردَّد في سُلُوك كُلِّ السُّبُل لقَطْع أسباب الشّكوى والتَّذمُّر بين النّاس، فلو اتَّخذ ـ ﷺ ـ هذا الطّريق لمعالجة الفتنة، أو استمع ـ على الأقلّ ـ لنصائح كبار الصّحابة بضرورة

التَّخلِّي عن الخلافة، لَقَتَلَ الفتنة في مهدها، ولما وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه من سوء. ولما انتهت المأساة بقتل خليفة زوَّد من ماله الخاصّ جيش العسرة الذي أعدَّه الرّسول ـ ﷺ ـ لمعركة تبوك، وزوَّجه رسول الله ـ ﷺ ـ من ابنَتَيْه رُقيَّة وأمّ كلثوم، والذي بشَّره الرّسول ـ ﷺ ـ بالجنَّة قائلاً: لكُلِّ نبي رفيق، ورفيقي في الجنَّة عثمان"، الخليفة الذي شارك الرّسول ـ ﷺ ـ في كُلِّ الغزوات إلاَّ غزوة بدر؛ بسبب انشغاله بتمريض زوجته رُقيَّة، التي ماتت، ودُفنت في اليوم الذي انتصر فيه المسلمون على كُفَّار قريش. ويُروى أنَّ النّبي ـ ﷺ ـ صعد جبل حراء، ومعه أبو بكر وعُمر وعُثمان وعلي رضي الله عنهم، فقال: "اسكنْ، فما عليكَ إلاَّ نبيّ، أو صدِّيق، أو شهيد". ويُفسِّر المفسِّرون قول رسول الله ـ ﷺ ـ "شهيد" بأنَّ الخُلفاء الثّلاثة تنبَّأ رسول الله ﷺ بشهادتهم.

المُؤامرة على عليّ ﷺ:

استمرَّت الأحداث تجري سراعاً، وذلك بعد مقتل عثمان ﷺ. ومال الذين خرجوا على عثمان إلى المناداة بعلي ـ ﷺ ـ خليفة. وكان على رأس هؤلاء عبد الله بن سبأ، الذي حمل إلى السّاحة الإسلاميَّة الدّعوة التي انطلق في بثّها من مصر، وهي الدّعوة لأحقِّيَّة علي ـ ﷺ ـ بخلافة المسلمين. لقد كان أكثر الصّحابة متفرِّقين في الأمصار، ولم يكن منهم في المدينة سوى عدد قليل، على رأسهم طلحة والزُّبير، وذلك عند مقتل الخليفة عثمان ﷺ. وإزاء الدّعوة لخلافة علي ـ ﷺ ـ التي ردَّدها الثّائرون تردَّد بعض الصّحابة في بيعة علي، كسعد بن أبي وقَّاص، وعبد الله بن عمر، وتخلَّف بعض الأنصار كسحاب بن ثابت، ومسيلمة بن مخلّد، وأبي سعيد الخدري، الذين كانوا يميلون إلى عثمان ﷺ، ولا يرغبون في تولية علي ـ ﷺ ـ كخليفة. وتمَّت بيعة علي ﷺ بالأغلبيَّة، على الرّغم من تخلُّف بعض الصّحابة الذين كانوا في المدينة، وتخلُّف بني أميَّة، والتحاق بعض الصّحابة كالمغيرة بن شعبة بالشّام، وبعضهم الآخر بمكَّة. تمَّتْ مبايعة علي ـ ﷺ ـ في يوم الجمعة الثّالث عشر من ذي الحجَّة عام 35 للهجرة، وذلك بعد خمسة أيَّام من مقتل عثمان ﷺ. وقد بايعه مَنْ كان في المدينة من المهاجرين والأنصار، كما بايعه عن الثّغور مَنْ حضر إلى المدينة. وبدا أنَّ مشكلة الخلافة قد حُلَّت، وأنَّ الأمور تسير نحو الاستقرار والهدوء، وأنَّ الرّضا بدا يسيطر على النّفوس، ولكنْ؛ كان في ذهن الخليفة الجديد مشكلتان هامَّتان لابُدَّ وأنْ يصل إلى حَلٍّ لهما بأسرع وقت ممكن: المشكلة

الأولى ولاية الشّام التي يشغلها معاوية بن أبي سفيان ابن عمّ عثمان ﷺ، تلك الولاية التي لم تنضمّ إلى الثُّوار، ولم تعلن تمرُّدها على الخليفة المقتول، أمَّا المشكلة الثّانية التي لا تقلّ أهميَّة عن الأولى؛ فهي مشكلة الخليفة المقتول. فقد كان من الضّروري على الخليفة الجديد أنْ يقضي بحَلِّ هذه المشكلة، ويحكم فيها وُفق ما يقول الشّرع، وما ينصُّ عليه الدِّين، وما أمر الله به في هذا الأمر. وكان لابُدَّ ـ في البداية ـ من إقرار حقيقة أوَّلية، وهي: هل قُتل الإمام ظالماً، أم قُتل مظلوماً؟ فإذا قُتل ظالماً، فلا ثأر له، ولا قَصاص في قاتليه، أمَّا إذا قُتل مظلوماً؛ فلابُدَّ أنْ يثأر له الخليفة الجديد، ويُنفِّذ في قاتليه ما أمر الله به من قَصَاص.

مضاعفات جديدة:

ثُمَّ تعقَّدت الأمور أكثر، بعد أنْ اتَّضح للخليفة الجديد وُجُود واقع يحول دُون تنفيذ أيّ حُكْم في حقِّ القاتل في هذه القضيَّة، وهذا العائق هو وُجُود قُوَّات الثّائرين في المدينة، وإمكانيَّة قيام هؤلاء بفَرْض القرار الذي يريدونه، ويحلو لهم، وأنَّه من المستحيل مقاومة هؤلاء لعدم مقدرة الخليفة أو أصحابه على مجابهتهم. لقد أصرَّ الثّائرون على أنَّ الخليفة مات ظالماً، لهذا؛ فلا ثأر له، ولا ينبغي للإمام الجديد أنْ يقتل به أحداً.

أمَّا المهاجرون والأنصار؛ فقد كانوا يرونه مظلوماً، وعلى علي ـ ﷺ ـ أنْ يثأر لدمه، ويقولون: ما يمنع النّاس إنْ لم نقتصّ من قَتَلَة عثمان وهو خليفة المسلمين وإمامهم أنْ يثوروا بكُلِّ مَنْ سخطوا عليه من أئمَّتهم، فيقتلوه.

سمع علي ـ ﷺ ـ رأي المهاجرين والأنصار، وأقرَّهم على رأيهم، ولكنَّه بيَّن لهم الواقع الذي هو فيه. صحيح أنَّه انتقلت إليه الخلافة بعد البيعة، ولكنَّ الصّحيح ـ أيضاً ـ أنَّه ما زال في أيدي الثُّوار القُوَّة الضّاربة، ويستطيعون أنْ يفرضوا ما يريدون. ويرى أنَّه من الأفضل التَّروِّي والتَّمهُّل حتَّى تستقيم الأمور، ويصبح الحُكْم ـ فعليّاً ـ في أيدي الخليفة، وبعدها؛ ينظر في الأمر وُفق ما أمر الله به ورسوله.

ويشاء القدر أنْ يمرَّ علي ـ ﷺ ـ في المأزق نفسه، الذي وجد عثمان ـ ﷺ ـ نفسه فيه في بداية خلافته. فأوَّل ما ولِّي عثمان الأمر واجهته مشكلة ابن عُمر بن الخطَّاب ﷺ ـ عبيد الله ـ

الذي قتل الهرمزان وجفينة وابنة أبي لؤلؤة انتقاماً لمقتل أبيه، من غير أنْ يتبيَّن له، أو يثبت له صحَّةَ التُّهمة، وبدون أنْ يملك أيّ حُكْم قضائي، أو سلطة تخوِّله بذلك. وقد انقسم المسلمون في أمره آنذاك، فمنهم مَنْ رأى أنْ يُقام عليه الحَدّ، وكان علي - ﷺ - من هؤلاء، وكان يقول: "لئنْ ظفرتُ بهذا الفاسق لأقتلنَّه بالهرمزان"، ومنهم مَنْ كبُر عليه أنْ يبدأ عثمان عهده بقَتْل ابن الخليفة المقتول أمير المؤمنين عُمر ﷺ. لقد واجه عثمان - ﷺ - هذه المشكلة، وتحمل الدّية من جيبه الخاصّ. أمَّا علي ﷺ؛ فقد واجه ابن خليفة آخر من خلفاء المسلمين - أبي بكر الصِّدِّيق - متّهماً بالقَتْل، وأيّ قَتْل، قَتْل إمام من أئمَّة المسلمين وخليفة من أصحاب رسول الله ﷺ المبشَّرين بالجنَّة. لقد كان مُحمَّد بن أبي بكر من ضمن الذين دخلوا على عثمان، وكان من الثّائرين عليه، إلاَّ أنَّه كما ثبت من أقوال الشّهود بأنَّه لم يقتل عثمان؛ إذْ يُجمع المؤرِّخون على أنَّ مَنْ قَتَلَ عثمان - ﷺ - رجل من بني سدوس يُقال له "الموت الأسود"، ويقول مؤرِّخون آخرون إنَّ مَنْ قَتَلَ عثمان هو رُومان اليماني، الذي دخل على عثمان، وهوى عليه بالسّيف، وعندما أرادت زوجته الدّفاع عنه اتَّقت سيف القاتل بيدها، فتعمَّدها سودان بن حمران، ونضح أصابعها. وعندما رأى أحد غلمان عثمان - واسمه نجيح - هذا المنظر، هجم على سودان، فقتله. وثبت لعلي براءة مُحمَّد بن أبي بكر من دم عثمان ﷺ، ولكنْ؛ كيف يفهم المطالبون بدم عثمان حراجة موقف الخليفة تجاه الثّائرين الذين كان لهم شأن لا يُستهان به في المدينة، والذين كانوا يُصرُّون على عَدِّ عثمان - ﷺ - خليفة ظالماً، ولا يتوجَّب الثّأر له، ولا ينبغي للخليفة الجديد أنْ يقتل به أحداً. لذلك رأى علي - ﷺ - التَّمهُّل في بَحْث هذا الأمر، وإرجاء البَتِّ فيه إلى وقت آخر.

الخلافة المميَّزة:

من الإنصاف القول بأنَّ خلافة الإمام علي - ﷺ - تميَّزت عن عُهُود الخلفاء الذين سبقوه بميِّزات خاصَّة، واصطبغت بطابع تفرَّدت به عمَّا سبقها من عُصُور. ففي عصر الخليفة أبي بكر يُمكن إطلاق وصف إنشاء الدّولة الإسلاميَّة على هذا العصر، وفي عهد الخليفة عُمر يُمكن القول بأنَّ عهده شهد إتمام الإنشاء والتّنظيم في كُلِّ المُؤسَّسات، أمَّا عصر عثمان؛ فإنَّ المجتمع الإسلامي الذي عاش هذا العصر شهد تحوُّلاً كبيراً في نظام حياته، ففي هذا العهد تدفَّقت

الثّروات على النّاس من الأقطار المفتوحة، وغلب على النّفوس حُبُّ الدُّنيا، ومال النّاس إلى التّدخُّل في شؤون الحُكْم، وخاصّة بعد ما ظهر على الحاكم علامات الضّعف والمحسوبيّة والتّعصُّب لفئة مُعيَّنة من الأهل والأقارب، أمّا في عهد الإمام علي - ﷺ - فقد بدا أنَّ هذا العهد يختلف، ويتناقض مع العُهُود التي سبقته، وذلك لاصطباغه بصفة وعلامة فارقة تُميِّزه عمّا تقدَّمه من العُصُور. فبينما نلاحظ عوامل الرّضا والرّغبة في تدعيم النّظام الجديد نرى - من طرف آخر - عوامل التّذمُّر والتّحفُّز للانقضاض عليه، وتقويضه. ويُمثِّل قسم الرّضا عن النّظام إضافة للجزيرة العَرَبيَّة الولايات التي بايع وُلاتها، وقبلوا خلافة علي - ﷺ - كمصر والكُوفة، ويُمثِّل القسم الثّاني - قسم التّذمُّر من النّظام، وعدم الرّضا عنه - ولاية الشّام بزعامة مُعاوية بن أبي سُفيان، والولايات المجاورة له.

لقد كانت كُلُّ الأوضاع تشير إلى صُعُوبة موقف الإمام علي ﷺ، فبعض الصّحابة كطلحة والزّبير وبقيَّة المتطلّعين إلى الانتفاع بالولاية، وحالت الخلافة الجديدة بينهم وبين ما يتطلّعون إليه لأسباب قدَّرها الخليفة، كانوا يُصرُّون على المطالبة بدم عثمان، وصحابي آخر قابع في الشّام يأبى المبايعة، ويُصرُّ على المطالبة بدم قريبه، ومكّنته ثروة ولاية الشّام من تكوين جيش من المرتزقة يعتمد عليه في موقفه الذي شقَّ فيه عصا الطّاعة على الخليفة الجديد. إضافة إلى كُلِّ ذلك؛ فإنَّ أوضاع البلاد لم تستقرّ بَعْدُ، وخاصّة بعد أنْ عَزَلَ الإمامُ الوُلاةَ الذين ولاَّهم عثمان، والذين كانوا سبب الفتنة، وخُرُوج البُغاة على أمر الخليفة عثمان ﷺ.

لقد كان الإمام علي - ﷺ - مُضطراً لقتال طلحة والزّبير، اللّذَيْن لم يكن لهما حظٌّ في تولّي ما كانا يطمحان إليه. فكان طلحة يتوق إلى تولّي ولاية العراق، والزّبير ولاية اليمن، بل رفض علي - ﷺ - حتّى اقتراح ابن عبّاس بأنْ يتولّى طلحة الكُوفة، والزّبير البصرة، وأصرَّ - ﷺ - على إبعادهما من الولاية، لما بدر منهما من حرص عليها، وقناعته بأنَّ طموحهما للإمارة يُخفي وراءه ميل للسّلطة، ورغبة في استغلال المنصب. وقد تمَّ ما توقَّعه الإمام علي - ﷺ - فعلاً. فبعد خُرُوج طلحة والزّبير إلى البصرة، عملا على استمالة زعمائها، لمحاربة الإمام علي ﷺ، غير آبهين بحرمة وحدة المسلمين، أو تمزيق صفوفهم. ولم تُجد معهم نصائح

سعيد بن العاص والمغيرة بن شعبة، وكذلك نصيحة أمّ سلمة للسَّيِّدة عائشة لإثنائها على الانضمام لهذا الحلف الجديد لقتال أمير المؤمنين علي ﷺ.

معركتا الجمل وصفّين:

في منتصف جمادى الآخرة من عام 36 للهجرة، نشبت المعركة التي أُطلق عليها "معركة الجمل"؛ حيثُ كانت السيِّدة عائشة أمّ المؤمنين راكبة على جمل يُسمَّى "عسكراً"، وكان مروان ابن الحكَم أطول المدافعين باعاً عنها، فكان كُلّما وثب رجل إلى الجمل ضربه بالسّيف، وقطع يده، حتَّى قيل إنَّه قَطَعَ نحو عشرين يداً، قبل أنْ يأتيه رجل من خلفه، ويتمّ أسره مع السَّيِّدة عائشة ﷺ.

في هذه المعركة، قُتل طلحة، وانسحب الزّبير إلى المدينة، وقتله ابن جرموز في الطّريق إليها غيلة. وانتهت المعركة بالصّلح بين الفريقَيْن - أصحاب علي وأصحاب طلحة - ويبقي أمام الإمام علي - ﷺ - خصمه الوحيد، الذي لابُدَّ وأنْ يتوصَّل معه إلى اتِّفاق لمبايعته أسوة ببقيَّة الولاة، ولكنَّ معاوية قابل عرض الإمام علي - ﷺ - بالمُماطلة، واستشار عَمرو بن العاص، الذي أشار عليه أنْ يُلزم عليّاً بدم عثمان، وأنْ يحاربه بجند الشّام إذا أبى ذلك. لم يكن جواب معاوية إلاَّ نوعاً من التّعجيز، ويُبيِّن الطّبري في كتابه "تاريخ الأمم والملوك" وفي الجزء الثّالث منه نقطة هامَّة؛ فيقول: إنَّ رُسُلَ علي إلى معاوية لم يكونوا ليَصْلُحُوا رُسُلَ صُلح، فقد كانت فيهم شدَّة، وكان رُسُلُ معاوية يُسيئون الرَّدَّ عليهم، ممَّا وسَّع شقَّة الخلاف بينهما.

ولكنَّنا نعتقد أنَّ الجوَّ العامَّ للأحداث التي كانت سائدة آنذاك، وخلفيَّة موقف الطّرفَيْن المتخاصمَيْن لم تكن تسمح بالتَّوصُّل إلى أيِّ حَلٍّ لهذا الخلاف، فأهداف الصّراع بين الجانبَيْن كانت على درجة من التّباين والتّباعد تحول دُون إمكانيَّة الوُصُول إلى ما يُسمَّى بالتّسوية. لقد صوَّر ابن خلدون موقف الطّرفَيْن المتنازعَيْن عندما قال في مقدّمته:

"ولَمَّا وقعت الفتنة بين علي ومعاوية وهي مقتضى العصبيَّة كان طريقهم فيها الحقّ والاجتهاد، ولم يكونوا في مُحاربتهم لغرض دنيوي، أو لإيثار باطل، أو لاستشعار حقد، كما قد يتوهَّمه مُتوهِّم، وينزع إليه مُلحد. وإنَّما اختلف اجتهادهم في الحقّ، وسفَّه كلٌّ واحد نَظَرَ صاحبه في اجتهاده في الحقّ، فاقتتلوا عليه، وإنْ كان المصيب عليّاً، فلم يكن معاوية قائماً فيها بقَصْد الباطل، إنَّما قَصَدَ الحقّ، وأخطأ. والكُلُّ كانوا في مقاصدهم على حقّ".

دار القتال بين جيشَيْ علي ومعاوية أيّاماً متوالية. ولمّا مالت كفّة القتال لصفوف جيش علي لجأ عَمرو بن العاص إلى الحيلة، وطلب من جُنُوده أنْ يرفع كُلٌّ واحد منهم المصحف على رمحه، وقال قائلهم: هذا كتاب الله بيننا وبينكم. ولمّا رأى أهل العراق المصاحف مرفوعة على الرّماح، قالوا: "نُجيب إلى كتاب الله". شعر الإمام علي -ﷺ- بالخدعة، وحذّر من الموادعة، ونصح جُنُوده بأنْ لا يغترّوا بقول عَمرو وأصحابه، ولكنْ؛ ذهبت نصيحته سُدى؛ إذْ أصرَّ القوم على وقف القتال، وطلبوا من الإمام دعوة الأشتر، الذي كان على وشك القضاء على جيش معاوية إلى وقف القتال، والعودة، وإلاَّ اعتزلوا، وعادوا إلى بلادهم. وتبقى بقيَّة القصَّة معروفة، ولعبة التّحكيم التي أجاد أداءها عَمرو بن العاص ممثّل معاوية، وخُدع أبو موسى الأشعري ممثّل علي ﷺ، الذي لم يكن يرغب -أصلاً- في تسميته لهذه المهمَّة؛ لأنَّ أبا موسى كان يخذل عليّاً، ويؤلّب النّاس عليه، ولكنَّ إصرار القوم على تعيينه في هذه المهمَّة اضطرَّ عليّاً -ﷺ- إلى الإذعان، وقبوله على كُره منه. وانتهت خاتمة التّحكيم بأنْ خَلَعَ أبو موسى الأشعري ممثّلُ علي -ﷺ- صاحبَهُ، وأمَّا عَمرو بن العاص؛ فقد خاطب النّاس، وقال: إنَّني أثبت موكّلي معاوية، وذلك بعد أنْ أشار إلى أنَّ أبا موسى الأشعري أقرَّ بأنَّ عثمان قُتل مظلوماً، وأنَّه يحقُّ لمعاوية أنْ يطالب بدمه المسفوك، علماً بأنَّ إقرار أبي موسى الأشعري كان قد اتَّفق مع عَمرو بن العاص على خَلْع كُلّ من علي ومعاوية، وأنَّ على المسلمين أنْ يختاروا لأنفسهم مَنْ يرغبون بالخلافة عليهم. وعندما دفع عَمرو بن العاص أبا موسى الأشعري إلى أنْ يعلن أنَّه يخلع صاحبه، انبرى عَمرو إلى القول: "وأنا أخلع صاحبه، كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية، فإنَّه وليّ عثمان، وأحقّ النّاس بمقامه". وأسدل السّتار على عمليَّة التّحكيم، وانصرف أهل الشّام إلى معاوية يبايعونه، ويسلّمون له بالخلافة.

لم يقبل الإمام علي -ﷺ- ما آلت إليه نتائج التّحكيم، بعد أنْ علم بهذه الخدعة، وأصرَّ على مقاتلة معاوية، ولكنَّ أخبار اعتزال الخوارج له، وخُرُوجهم من صفوفه، ليتَّخذوا موقفاً في غاية التَّطرُّف والتَّعصُّب، فبعد أنْ كانوا -بالأمس- من حزبه وأعوانه أصبحوا -اليوم- من ألدِّ أعدائه؛ لأنَّه -بزعمهم- قَبل التّحكيم مع جماعة خرجوا عليه، فقد كانوا يعتقدون أنَّ

الموقف الصّحيح الذي كان على الخليفة الذي بُويع بيعة صحيحة أنْ لا يقبل التّحكيم، وأنْ يمضي في حربه ضدّ أعدائه، حتّى يدخلوا فيما دخل فيه عامّة النّاس.

الموقف من الخوارج:

أخذ الإمام علي - ﷺ - في مفاوضة الخوارج عسى أنْ يقتنعوا ويعودوا عن رأيهم، وبيّن لهم الظُّرُوف التي أحاطت بقبوله بمبدأ التّحكيم، ولكنّ جهوده ومحاورته معهم باءت - للأسف - بالإخفاق، وأصرّوا على اتّهام الإمام، وإدانة موقفه.

أصبحت عناصر التّشكيلة السِّياسيَّة السّائدة في الدّولة الإسلاميَّة تتألّف من ثلاثة أطراف: الطّرف الأوّل حزب الإمام علي ﷺ، والمتشيِّعين له، والطّرف الثّاني حزب معاوية والائتلاف الذي جمع في صفوفه الأمويِّين أعداء الهاشميِّين الذين لا يميلون إلى الإمام علي ﷺ، وأمّا الطّرف الثّالث؛ فكان حزب الخوارج الذي يناصب العداء الطّرفَيْن الآخرَيْن. لقد ذهب التّطرُّف بالحزب الأخير (الخوارج) إلى قَتْل كُلِّ مَنْ يخالفهم الرّأي، ولا يعترف بخليفتهم (عبد الله بن وهب الرّاسي)، وكانوا يرون أنّ الحزبَيْن الآخرَيْن خارجان على الدِّين، كما كانوا ينادون بأنّ الخلافة حقّ لكُلِّ مسلم مادام كفؤاً، لا فرق في ذلك بين قرشي وغير قرشي. وذهب بهم التّطرُّف إلى اعتبار كُلِّ مَنْ لا يلعن علياً وعثمان - رضي الله عنهما - بأنّه عدوٌّ لهم يستوجب القتل.

انصرف الإمام علي - ﷺ - إلى إخماد هذه الفتنة، بعد أنْ عجز عن إقناع هؤلاء الخوارج، وجهَّز جُنُوده لقتال هذه الفئة الضَّالَّة. ولمّا انتهى من أمرها؛ توجَّه إلى أهل الكوفة؛ طالباً منهم أنْ يساعدوه على قتال أهل الشّام، ولكنْ؛ كانت الاستجابة لطلبه ضعيفة، إضافة إلى انسحاب جُنُوده من معسكره، وتسلُّلهم منه، حتّى خلا تقريباً منهم. وفي الجهة المقابلة كانت جبهة معاوية تزداد قُوَّة واتِّساعاً. فقد استطاع معاوية أنْ يضمَّ إلى منطقة نفوذه من الأمصار ما كان تحت يدَيْ الإمام علي ﷺ، وكانت مصر أكبر هذه المناطق التي استطاع معاوية بدهائه أنْ يضمّها إلى صفوفه، وأوكل أمرها إلى عَمرو بن العاص، الذي دامت ولايته لها خمس سنوات تقريباً (38 - 43) للهجرة. وخلال هذه الفترة أنجز عَمروُ بن العاص الكثيرَ من

الإصلاحات في القضاء والخراج والشّرطة. وفي عهده؛ قسَّم البلاد إلى مُحافظات، وأقام في كُلِّ مُحافظة قاضياً قبطيّاً؛ ليفصل في النّزاعات الدِّينيَّة والمَدَنيَّة لغير المسلمين وفق شرائعهم الخاصَّة. وفي عهده؛ أُطلقت للأقباط حُرِّيَّتهم الدِّينيَّة، وترك هذا العمل أثراً طيِّباً لدى الجالية القبطيَّة في مصر. ويذكر المؤرِّخون أنَّ فترة ولاية عَمرو بن العاص لمصر كانت تُعَدُّ فترة زاهية في تاريخ مصر، لما ساد فيها من المساواة والعدل.

وفيما كان الإمام علي ـ ﷺ ـ في تلك الظُّرُوف الصّعبة والمعقَّدة يجاهد أصحابه على حملهم في النّهوض للقتال معه في حربه أهل الشّام، ويعمل ـ في الوقت نفسه ـ على قتال الخوارج، الذين جاهروه العداء، واتّهموه بالكُفْر؛ لأنَّه وافق على التّحكيم، الذين كانوا هُم أوَّل مَنْ طالب به، ودعا إليه، ويراقب عمَّاله؛ ليتأكَّد من حُسْن أدائهم وأمانتهم في أعمالهم، التي كان يرجو أنْ تكون خلاف ما كانت عليه أيَّام الولاة السّابقين، الذين كانوا على عهد عثمان ﷺ، كانت هناك خيوط مُؤامرة جديدة تُحاك ضدَّه في أقدس مكان، وفي أقدس مناسبة.

التَّمكُّن من قَتْل علي ﷺ، ونجاة معاوية وعَمرو بن العاص:

لم تسعف الأقدار، ولم يمهل الزّمنُ الإمامَ عليّاً ـ ﷺ ـ لإتمام ما كان يحلم به، وما يصبو إليه من دولة يسودها العدل والإخاء والمساواة، يتولّى أمورها ولاة يحملون الأمانة بشرف ونزاهة، ورعيَّة تنعم بالسِّلْم والطّمأنينة، لا رعيَّة يأبى كُلُّ فرد فيها إلاَّ أنْ يُصلِّي وراء أميره، ولا يقبل مهما كانت الظُّرُوف أنْ يُصلِّي وراء أمير خصمه.

كانت خيوط المُؤامرة تُحاك على يد ثلاثة من غُلاة الخوارج: عبد الرّحمن بن ملجم، والبُرك بن عبد الله، وعَمرو بن بكر التّميمي، لقد ذهب بهم حقدهم، وحَمَلَهُم ضلالهم، وزيّن لهم سوء تقديرهم وحماقة تفكيرهم بأنَّ سبب مصيبة المسلمين ووزْر الدّماء الزكيَّة التي أُهدرت والأرواح البريئة التي أُزهقت يقع وزرها على ثلاثة من الكُفَّار وأئمَّة الضّلالة!! وهؤلاء ـ باعتقادهم ـ هم عليّ بن أبي طالب، معاوية بن أبي سفيان، وعَمرو بن العاص. أمَّا الحلّ الذي اعتبروه أفضل الحلول وأنسبها؛ فكان التَّخلُّص من أعمدة الضّلالة هؤلاء!!

اتَّخذ الموتورون الخوارج الثّلاث قراراً بقَتْل هؤلاء الأئمَّة - علي ومعاوية وعَمرو بن العاص - ليُنقذوا الأُمَّة - حسب اعتقادهم - من ضلالاتهم وانحرافاتهم. ووزَّع المتآمرون الأدوار بينهم؛ بحيثُ يتولَّى كُلٌّ واحد منهم قَتْلَ أحد الأشخاص الذي ينوي المتآمرون التَّخلُّص منه، فأخذ بن ملجم على عاتقه قَتْلَ الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، وأخذ البرك بن عبد الله مهمَّة قَتْل معاوية بن أبي سفيان، وتحمَّل الثّالث عَمرو بن بكر التّميمي مهمَّة قَتْل عَمرو ابن العاص، واتَّفق الثّلاثة على أنْ تتمَّ عملية اغتيال الثّلاثة في يوم واحد، وفي ساعة محدَّدة. ويشاء القدر وحُسْن حظِّ عَمرو بن العاص أنْ يشكو من ألم في بطنه، فيلزم بيته في ذلك اليوم، ولا يخرج منه. ويأمر صاحب شرطته خارجة بن حذافة أنْ يُصلِّي في النّاس. ويضرب عَمرو بن بكر التّميمي خارجة بن حذافة ظانّاً أنَّه عَمرو بن العاص، ويقتله، ويُقبَض على القاتل، ويتمُّ إعدامه، أمَّا معاوية بن أبي سفيان؛ فقد جاءت الضّربة التي وافاه بها البرك بن عبد الله في إليته، وكان السّيف الذي ضُرب به مسموماً، وكانت الطّعنة لا يشفيها إلاَّ الكيّ بالنّار، أو شراب يمنع النّسل، ففضَّل معاوية الشّراب، وجزع من الكَيّ، وأمر بالرّجل، فقُتل لحينه.

أمَّا عبد الرّحمن بن ملجم؛ فقد تمكَّن من ضَرْب الإمام علي - ﷺ - في جبينه بسيف مسموم أيضاً، وكانت الضّربة قاتلة، وانتهت حياة الخليفة - ﷺ - بعد عدَّة أيَّام، متأثِّراً من الضّربة، ومناشداً أهله ألاَّ يقتلوا إلاَّ قاتله، ولا يمثِّلوا بالرّجل، ويستشهد بقول رسول الله ﷺ: "إيَّاكم والمثالة، ولو أنَّها بالكلب العقور". وتقول روايات المؤرِّخين أنَّ ولاة الدّم لم ينفِّذوا وصيَّة الإمام علي - ﷺ - في أمر قاتله. فهو أمرهم أنْ يلحقوا به، ولا يعتدوا، ولكنَّهم مثَّلوا به أشنع تمثيل، وأحرقوا جثَّته.

قد تكون هذه الخاتمة المفجعة التي خبَّأها القدر قد حملت شيئاً من الرّاحة من العناء الطّويل الذي عايشه ذلك الإمام الجليل. وقد تكون المشيئة الإلهيَّة أرادت أنْ تعفي ذلك الجسد الطّاهر من متابعة المجاهدة المرهقة والمكابدة المستمرَّة التي يصعب على المرء، إذا لم يستحيل عليه، التّعايش معها - أو تحمُّلها، ولكنَّ هذه الحادثة الأليمة التي تنبَّأ بها رسول الله - ﷺ - في جبل حراء، قد فتحت أبواباً كثيرة من العناء والخلافات بين المسلمين، ماتزال آثارها تسري في دمائهم حتَّى الآن.

وتبدو الصُّورة متشابهة في موقف كُلٍّ من عثمان وعلي ـ رضـي الله عنـهما ـ في فَهْمـهما للدِّين، وتفسيرهما له. فقد آثر عثمان ـ ﷺ ـ دينه على دنياه، وإنْ أفضى هذا إلى هلاكه. فلمَّا حوصر في داره، وجاءه الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وابن جعفر وأمثالهم ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ يريدون الدّفاع عنه، أبى، ومنع من سَلِّ السّيوف بين المسلمين، مخافة الفُرْقة، وحفظاً للألفة التي بها حفظ الكلمة، ولو أدَّى هـذا إلى هلاكه. وهكذا كان الحال مع علي ـ ﷺ ـ في بداية ولايته. فقد أشار عليه المغيرة بن شعبة الذي يُعدُّ من دُهاة العَرَب وقادتهم باستبقاء الزّبير وطلحة ومعاوية على أعمالهم، حتَّى يجتمع النّاس على بيعته، وتتَّفق الكلمة، وله ما شاء بعد ذلك من أمره، وكان ذلك من سياسة المُلك وحُسْن الإدارة، ولكنَّ عليَّاً ـ ﷺ ـ أبى، ورفض الاقتراح، وذلك في اعتقاده بأنَّه فرار من الغشِّ الذي ينافيه الإسلام.

مُؤامرات العصر:

وتتنوَّع المُؤامرات على الإسلام والعروبة، وتزداد طُرُقها وأساليبها، ويشهد العالم العَرَبي في عصره الحديث سلسلة طويلة من المُؤامرات. فبعد أنْ نجحت بريطانيا في التآمر على الشّريف حسين، وأجهضت آماله في إقامة المملكة العَرَبيَّة، تلتها مُؤامرة تقسيم الوطن العَرَبي، ووَضْع أقطاره تحت الانتدابَيْن البريطاني والفرنسي، ثُمَّ توَّج الغرب تآمره بإقامة إسرائيل في قلب العالم العَرَبي كحاجز طبيعي يحول دُون تلاقي جناحَيْه المشرقي والمغربي. ثُمَّ استخدم الغرب أقصى ما لديه من وسائل الخداع والاحتيال ليقضي على أحلام الشُّعُوب العَرَبيَّة المتلهِّفة للتَّحرُّر من تبعات الاحتلال والتّجزئة، فأطلق صيغاً كثيرة لتقييد مسيرة التَّخلُّص من قيود التّبعيَّة التي كانت تعاني منها بلدان العالم العَرَبي. فابتدأ بمصيدة الأحلاف، وانتهى بتبنِّي أنظمة الحُكْم الدّيكتاتوريَّة، ولم يتورَّع عن الغزو العسكري ردّاً على رغبة مصر في استعادة قناة السُّويس. ثُمَّ نجح في إبعاد أقوى دولة عَرَبيَّة عن محيطها العَرَبي، وكبَّلها بقيود معاهدة كامب ديفيد، ونجح ـ أيضاً ـ في التّظاهر بتبنِّي الحركات الأصوليَّة، واستخدم هذه الحركات أبشع استخدام ضدَّ عدوه اللّدود الاتِّحاد السُّوفييتي. واحتال على مُنظَّمة التّحرير الفلسطينيَّة، وأوهمها بجدوى مؤتمر أوسلو. وها هو ـ الآن ـ بعد غزوه أفغانستان والعراق يحاول دغدغة طموحات إيران في مَدِّ نفوذها على جزء كبير من العراق، مقابل التَّخلِّي عن مشروعها

النَّووي، لتبقى إسرائيل الدّولة الوحيدة في المنطقة التي تملك السّلاح الـذَّرِّي. إنَّ هـذه المحاولة تُغري بعض أجنحة الحُكْم في إيران لجَعْل الدّولة الفارسيَّة الدّولة الوحيدة ذات الثّقَل السِّياسي والعسكري في المنطقة. وتجنح هذه الخطَّة ـ أيضاً ـ (في حال نجاحها) إلى إدخال الرّهبة في نفوس دول الخليج كما كان الحال معها أثناء وُجُود نظام صدَّام حسين، الأمر الذي لابُدَّ أنْ يدفع هذه الدّول إلى طلب المزيد من الحماية الأميركيَّة، والتَّخلِّي عن انتهاج أيَّة سياسة مستقلَّة عن توجُّهات السِّياسة الأميركيَّة.

المُؤامرات ستستمرُّ طالما ظلَّت النَّفْس البشريَّة تميل إلى السّيطرة والاستغلال، ومحاولات الغرب لإخضاع المنطقة العَرَبيَّة لن تنتهي، والصّراع بين الخير والشَّرِّ صراع أزلي شاءت إرادة الإنسان أنْ يبقى مادامت الحياة.

ويبقى السّؤال المهمُّ هو كيف يتحصَّن العالم العَرَبي من المُؤامرات ضدَّه؟ وهل من سبيل إلى ذلك؟ وهل يكفي الابتهال إلى الله لدفع كيد المتآمرين؟ الجواب ليس بالسّهولة التي تعبِّر عنها بعض الكتابات الحماسيَّة والآراء المتشنِّجة الرّاغبة في دُخُول معركة مع الغرب، ولو كانت غير متكافئة، وغير مهيَّأ لها تحقيق أيّ نوع من أنواع النّصر (كما يجري ـ الآن ـ على السّاحة العَرَبيَّة في العراق، وكما جرى في الماضي على السّاحة الأميركيَّة، عندما تمَّ تحطيم برجَيْ التّجارة الدّوليَّيْن في نيو يورك).

إنَّ الجواب الصّحيح قد يحتاج إلى رأي مجموعة من الباحثين، ولا يكفي رأي كاتب واحد. وفي رأينا أنَّ أهمَّ رَدْع يُمكن أنْ يُعين على مجابهة المخطَّطات المعادية للأُمَّة العَرَبيَّة هو المزيد من النّهوض التّعبوي الدّاخلي، سواء كانت هذه التّعبئة داخل المجتمع الواحد، أو من خلال التّعاون الجماعي المثمر والفعَّال بين أفرع المجتمعات العَرَبيَّة.

إنَّ العمل العَرَبي المشترك المشحون بعمل تعبوي داخلي في كُلِّ قطر لابُدَّ أنْ يساعد الأنظمة العَرَبيَّة ـ بمختلف أطيافها ـ في التَّصدِّي المثمر لتآمر الغرب ومحاولاته الخادعة، التي تأخذ ـ أحياناً ـ شعارات كاذبة مثل نَشْر الدِّيمُقراطيَّة، والمزيد من الحُرِّيَّة (غوانتنامو، وأبو غريب، مثالان صارخان على كذب هذا الادِّعاء).

الفصل الخامس:

مُؤسَّسات للتّآمر ـ العداء السّافر، وليس المُؤامرة ـ مواجهة الحقائق أم الهروب؟! ـ المقولة والواقع ـ التَّصوُّف والمُؤامرة.

مُؤسَّسات للتّآمر:

ثمَّة اعتقاد يسود في العالم العَرَبي أنَّ عدداً كبيراً من مراكز البحث والدّراسات في الولايات المُتَّحدة هي مُؤسَّسات هدفها التّآمر على العالَمْين العَرَبي والإسلامي، ووَضْع المخطَّطات الكفيلة لإعاقة تقدُّمه، وإبعاد مجتمعاته عن مسيرة التَّطوُّر والبناء، وإبقاؤها في محيط التَّخلُّف، وتشويه سُمعة البلاد العَرَبيَّة بكافَّة أنماط النُّظُم السّائدة فيها. أمَّا تآمرها وما تحيكه من الخطط والمُؤامرات؛ فيتمّ عبر دراساتها وأبحاثها التي تقدّمها للإدارة الأميركيَّة، التي تستجيب ـ عادةً ـ إلى توجيهاتها وأفكارها.

إنَّ هذا الاعتقاد بوُجُود مثل هذه المُؤسَّسات ومراكز الأبحاث قد يكون منشؤه القناعة بأنَّ مصادر تمويل هذه المراكز إمَّا أنْ تكون يهوديَّة محضة، أو مصادر معروف ارتباطها بإسرائيل، أو أنَّ العناصر التي تعمل في هذه المُؤسَّسات وتدير شؤونها وتشرف على سياستها هي عناصر يهوديَّة أو صهيونيَّة مشهورة بعلاقتها الحميمة مع اليمين اليهودي المتطرِّف ـ اللّيكود والمتحالفين معه ـ ذلك اليمين الذي يسعى ـ دائماً ـ إلى إفشال أيَّة محاولة أو مبادرة لإحلال السّلام العادل في الشّرق الأوسط.

وقبل أنْ نبيِّن صحَّة أو خطأ هذا الاعتقاد يجدر بنا أنْ نستعرض مقوّمات بعض هذه المراكز، وطبيعة المهامّ التي تقوم بها، أو الموكولة إليها، ثُمَّ مدى تأثير أبحاثها على أصحاب القرار

في الإدارة الأميركيَّة. ومن المفيد - في بداية هذا الاستعراض - الاعتراف بأنَّ مراكز الأبحاث التي سنتناول الحديث عنها قد غدت - بعد سيطرة المُحافظين الجُدُد، الذين يمثِّلون أقصى اليمين الأميركي على مُعظمها - تلعب دوراً هاماً ومؤثِّراً في صنْع السِّياسة الأميركيَّة، ليس - فقط - إزاء العالَمَيْن العَرَبي والإسلامي، بل - أيضاً - تجاه بلدان العالم أجمع. لقد تمكَّن المُحافظون الجُدُد من إحكام سيطرتهم على أكثر مراكز القُوَّة في الولايات المُتَّحدة كوزارة الدّفاع ومجلس الأمن القومي والبيت الأبيض، وأصبحت لهم الكلمة العُليا في توجيه السِّياسة الأميركيَّة، وأصبحت عناصرهم تحيط بمختلف أوجه النّشاط السِّياسي داخل الولايات المُتَّحدة.

تحوي سلَّة مراكز الأبحاث أسماء العديد من المُؤسَّسات التي يعمل بها أبرز وجوه المُحافظين الجُدُد وأكثرهم شهرة:

- *فمعهد أميركان إنتربرايز للدّراسات* (*American Enterprise Institute AEI*)، الذي تأسَّس عام 1943 م، والذي يُعدُّ من أشهر معاقل المُحافظين الجُدُد، والذي يضمُّ في صفوفه 145 باحثاً مقيماً، يعمل معهم 80 باحثاً مساعداً، يُعدُّ من أعمدة الفكر السِّياسي للإدارة الأميركيَّة. ويُذكر أنَّ الرَّئيس السّابق *ريغان* أشاد في عهده بالمعهد ودراساته، وخاصَّة أبحاثه المتعلِّقة بالمجابهة مع الاتِّحاد السُّوفييتي آنذاك، تلك الدّراسة التي تتَّصف بالتَّشدُّد، والميل إلى المجابهة. ومُنذُ عام 1986 م؛ اتَّسمت توجُّهات ودراسات المعهد بالميل نحو اليمين، وأصبح - مع الزّمن - معقلاً للمُحافظين، ومركزاً هامَّاً لجَمْع أبرز وجوههم؛ مثل: *إليوت كوهين - دوغلاس بيشاروف - جون لوت - مايكل ليدين - لن تشيني (زوجة ديك تشيني) - لي ريموند - ريتشارد بيرل - جين كيركباتريك - ودانيال بليتكا*. ويرأس المعهد - حاليَّاً - *كريستوفر ديموث*. وتشغل *دانيال بليتكا* منصب نائبة الرَّئيس المسؤولة عن دراسات سياسة الخارجيَّة والدّفاع. وفي حزيران 2003 م؛ شكَّل المعهد مع مجمَّع يميني آخر هو *المجمَّع الاتِّحادي للقانون والدّراسات السِّياسيَّة العامَّة* موقعاً موحَّداً على الإنترنيت تحت عنوان ***NGOWatch.org***، وذلك للتّرويج لأفكار الطّرَفَيْن.

ـ *مركز سياسة الأمن القومي* (***Center for Security Policy (CSP***:

يرأس هذا المركز *فرانك غافني الابن*. ويعود تاريخ تأسيسه إلى عام 1988، ويضمُّ مجلس إدارته عدداً من أساتذة الجامعات في مختلف الاختصاصات العلميَّة، الذين يحملون شُهرة أكاديميَّة عالية.

في رسالته إلى أعضاء مجلس إدارته المؤلَّف من 17 عضواً يُعبِّر *فرانك غافني* عن إيمانه بمبدأ السِّلْم من خلال القُوَّة، ومُنذُ تأسيس المركز كانت تسود أوساطه الإيمان بقُوَّة أميركا، وأنَّه لا يصلح لأميركا أيَّة سياسة أو فلسفة أو إيديولوجيَّة سوى سياسة القُوَّة، وأنَّه من الضّروري استخدام كُلِّ الوسائل الماليَّة والاقتصاديَّة والسِّياسيَّة لتبقى أميركا هي القُوَّة الوحيدة في العالم.

ويحتلُّ أعضاء مجلس الإدارة مناصب هامَّة في الإدارة الأميركيَّة، فالرّئيس *غافني* كان يشغل منصب نائب وزير الدّفاع لشؤون الأمن القومي في عهد الرّئيس *ريغان*، وعمل أربع سنوات نائباً مساعداً لوزير الدّفاع لمُراقبة شؤون التّسلُّح، وشغل عدَّة مناصب كمُستشار للأمن القومي في رئاسة مجلس الشّيوخ. أمَّا نائبه *أليكسييف* الذي عمل خلال عشرين سنة كمحلِّل في قسم الأمن القومي في هيئة راند المشهورة؛ فله من المؤلَّفات والأبحاث العديدة حول مشاكل الأمن القومي الأميركي، وهو ـ الآن ـ بصدد إصدار كتابه الجديد حول الإسلام تحت عنوان "*التَّطرُّف الإسلامي والإرهاب*". وأمَّا مُؤسَّسة "*راند*"؛ فهي مُؤسَّسة خاصَّة للأبحاث والدّراسات يعمل بها أكثر من1600 موظَّفاً، ويعود نشاطها إلى الخمسينات من القرن الماضي، وتهتمُّ بتقديم الحلول والاقتراحات للمسائل المعقَّدة التي تحتاج معالجتها ودراستها البحث الكثير للتَّوصُّل إلى أفضل الحلول لها، أمَّا اسمها "*راند*"؛ فهو استخدام الحُرُوف الأولى من مهمّتها: البحث والتَّطوُّر ***Research and Development***.

ـ *المجلس الاستشاري للأمن القومي:*

The National Security Advisary Councel (NSAC):

يُعدُّ هذا المجلس ـ الذي كان ـ في الأساس ـ يُسمَّى مجلس المُستشارين ـ من المراكز الهامَّة في توجيه وإعطاء أدوات المعرفة والتَّوصيات التي تساعد على اتِّخاذ القرارات والسِّياسات

المرغوب تبنِّيها لخدمة الولايات المُتَّحدة. ترأس هذا المجلس جيمس *ويلسي* رئيس جهاز المخابرات المركزيَّة الأميركيَّة *CIA* السّابق. قدَّم المجلس فوائد جمَّة وخدمات عظيمة القيمة للإدارات الأميركيَّة؛ الجمهوريَّة منها، والدّيمقراطيَّة، ويشغل أكثر أعضائه ـ الآن ـ مناصب هامَّة في الحكومة الأميركيَّة، وحاليّاً؛ يرأس مجلس إدارته السّناتور *جون كيل*، ومن أعضائه *إليوت أبرامز* الذي يعمل مساعداً للرّئيس *جورج بوش الابن* لشؤون الشّرق الأوسط وشمال أفريقيا، ومن أعضائه ـ أيضاً ـ *وليم بينيت*، *وروبرت باركر*، *وبوب أندروس*، وغيرهم.

ـ منتدى الشّرق الأوسط ***Middle East Assembly:***

يرأس هذا المنتدى *دانيال بابيس* (***Daniel Pipes***) صاحب المواقف العدائيَّة الشّهيرة، والكتابات الحقيرة ضدَّ العَرَب والإسلام، والذي كان يشغل ـ إلى عهد قريب ـ منصب رئيس مُنظَّمة: *إيباك* ***American - Israeli Public Affairs Committee "AIPAC"***، المُنظَّمة الصّهيونيَّة ذات التّأثير الكبير على الإدارة الأميركيَّة، والتي تجمع في صفوفها أكبر المُنظَّمات اليهوديَّة التي تعمل في الولايات المُتَّحدة على تحقيق مصالح إسرائيل والدّفاع عن الدّولة العبريَّة بمختلف الوسائل والطُّرُق. يهتمُّ المنتدى بالتّرويج للمصالح الأميركيَّة في البلاد العَرَبيَّة، ويركّز نشاطه على ترويج الدّعوات إلى إقامة علاقات طبيعيَّة مع الدّولة اليهوديَّة. ويدَّعي المنتدى بأنَّ من أهدافه حماية حُقُوق الإنسان، وكَشْف مخطَّطات القوى الرّاديكاليَّة الإسلاميَّة.

وقد كانت من إنجازاته في حَقْل دَعْم حُقُوق الإنسان أنْ أصدر لائحة اتَّهم فيها ما يزيد عن 100 أكاديمي من أساتذة الجامعات الأميركيَّة بأنَّهم يُمالئون الإرهابيِّين في فلسطين، وأنَّهم يغضُّون الطَّرْفَ عمَّا يرتكبه المتطرِّفون الإسلاميُّون فيها!!

ـ مُؤسَّسة هدسون ***Hudson Institute:***

تصف هذه المُؤسَّسة نفسها بأنَّها تتوخَّى الموضوعيَّةَ في تحليلاتها وأبحاثها، وتدور دراساتها حول الأمن العالمي والرّفاه والحُرِّيَّة في العالم، وتسعى لنَشْر أفكارها عن هذه

الأمور بإقامة المؤتمرات، وطباعة الكُتُب والنّشرات التي تساعد السِّياسيِّين والقـادة على اتِّخاذ القرارات الصّائبة.

كان عام 1961 م، بداية نشاط هذه المؤسَّسة برئاسة النّاشط *هيرمان خان*، وكانت أغلب الدّراسات التي قامت بها المُؤسَّسة تدور حول الاتِّحاد السُّوفييتي، الصّين، والرّاديكاليَّة في الإسلام. وفي الحرب الباردة مع الاتِّحاد السُّوفييتي، ساهمت المُؤسَّسة بمساعدة بلاد البلطيق المتحرِّرة من النّفوذ السُّوفييتي في التَّحوُّل نحو سُوق الاقتصاد الحُرّ، ومُنذُ عام 1990 م، أخذت المُؤسَّسة تركِّز جهودها وأبحاثها على العالم الإسلامي. وأبرز العناصر العاملة في هذه المُؤسَّسة الدّكتورة *ميراف ورمزر*، التي تشغل في المُؤسَّسة مديرة مركز سياسة الشّرق الأوسط. وقد كانت - في الماضي - تشغل منصب المدير التّنفيذي *لمُؤسَّسة ميمري* ***MEMRI*** ***Middle East Media Research Institute***، والتي عملت كمدرِّسة في جامعة *جون هوبكنز*، وفي الأكاديميَّة البَحْريَّة الأميركيَّة.

تعطي ميراف اهتماماً خاصّاً للعلاقة بين الفلسطينيِّين والإسرائيليِّين، وتحرِّر عموداً في صحيفة جيروزاليم بوست، ولها مقابلات وأحاديث كثيرة في التّلفزيون والإذاعة الإسرائيليَّة. وآخر كتاب لها كان بعنوان "المدارس البعثيَّة - دراسة حول الكُتُب المدرسيَّة".

وسعياً من المُؤسَّسة في نشر سياسة التّقارب والتّفاهم بين الولايات المُتَّحدة وشُعُوب العالم، وحبّاً منها في الإسلام، فقد عملت على نَشْر تحقيق أجراه صحفي يهودي عن المملكة العَرَبيَّة السُّعُوديَّة، يتَّهمها فيه بأنَّها أكبر مصدر للإرهاب في العالم!!، فأعجبها التّحقيق، ورأت أنَّ من المفيد جدّاً إعادة نَشْره على موقعها على الإنترنت لزيادة وتعميم المعرفة والتّشهير بالمملكة العَرَبيَّة السُّعُوديَّة!! وللأسف؛ لم أجد على موقعها على الإنترنت الاستطلاع الذي جرى في أوروبا في صيف عام 2004 م، والذي يبيِّن أنَّ 59 ٪ من الأوروبيِّين يعتقدون أنَّ إسرائيل تشكِّل أكبر خطر على السّلام في العالم، كما لم أجد أيَّ خبر عن آخر استطلاع للرّأي جرى في بريطانيا، والذي أفاد أنَّ 23 ٪ من البريطانيِّين يرون في الدّولة العبريَّة (الدّولة الأكثر قُبحاً ومقتاً في العالم).

- معهد واشنطن لسياسة الشّرق الأدنى:

Washington Institute For Near East Policy (WINEP):

تأسَّس هذا المعهد عام 1985، واتَّسع نشاطه، وامتدَّ نفوذه، بفَضْل دَعْم وتأييد اللُّوبي الصّهيوني المؤيِّد لإسرائيل، والذي تمثّله مُنظَّمة *إيباك (AIPAK)* اليهوديَّة. لقد تبنَّى المعهد - في دراساته وأبحاثه - مُعظم الخطوط العامَّة لسياسة المُحافظين الجُدُد، الذين باتوا يسيطرون على القرار السِّياسي في البيت الأبيض، والتي تتلَّخص أفكارهم في البنود التّالية:

1 - الحُلم بسيادة الولايات المُتَّحدة، وتربُّعها على عرش إمبراطوريَّة تشمل العالم كُلّه.

2 - السّعي لأنْ تكون إسرائيل الدّولة الوحيدة في منطقة الشّرق الأوسط التي تملك حقّ الهيمنة سياسيّاً وعسكريّاً واقتصاديّاً على كُلّ دوله قاطبة.

3 - عدم القبول بأيَّة قيود تفرضها الأعراف الدّوليَّة على حقّ أميركا باستخدام القُوَّة العسكريَّة، أو الضّغوط الاقتصاديَّة في أيّ مكان في العالم تشعر الولايات المُتَّحدة بضرورة استخدام هذا السّلاح ضدّ مَنْ تشاء لتحقيق مصالحها الخاصَّة.

4 - اعتبار الأمم المُتَّحدة مُجرَّد قاعة لعرض الأفكار والكلام والمناقشات، والإقرار بأنَّ الشّرعيَّة الأميركيَّة هي الشّرعيَّة التي يجب أنْ تسود في المجتمع الدّولي دُون أيّ اعتراض.

5 - استخدام مبدأ الحروب الاستباقيَّة والضّربات الإجهاضيَّة عند الشُّعُور بضرورة الإقدام على هذه الخطوة، دُون ضرورة الرّجوع إلى أيّ مرجع آخر، ودون الاهتمام بإضفاء أيّ نوع من الشّرعيَّة الدّوليَّة عليه.

6 - اعتماد الفكرة القائلة بأنَّ مَنْ ليس مع الولايات المُتَّحدة في سُلُوكها وتعاملها مع الآخرين فهو ضدّها، ويجب أنْ يُنظَر إليه من هذه الزّاوية فقط: "مَنْ ليس معنا فهو ضدّنا".

7 - كُلُّ الدّول التي تقف مع الولايات المُتَّحدة تُعتبر - من وجهة النّظر الأميركيَّة - دول "محور الخير"، والدّول التي تقف في الجهة المقابلة، ولا تمشي في ركاب السِّياسة الأميركيَّة فهي بنظر هؤلاء دول "محور الشَّرّ".

شغل منصب الرّئيس في المعهد *مارتن أنديك* ***Martin Indyk***، الذي كان يشغل ـ قبل ذلك ـ منصب مدير الأبحاث في مُنظَّمة *إيباك*. وقد سعى *أنديك* إلى توثيق الرّوابط بين أمريكا وإسرائيل من خلال علاقاته بالأعضاء الموالين لإسرائيل في الكونغرس. وفي أوّل انتفاضة فلسطينيَّة، أصدر المعهد دراسة بعنوان " الاستراتيجيَّة الأميركيَّة لبناء السّلام في الشّرق الأوسط " كمحاولة منه في تثبيت مكانته الدّراسيَّة حول مشاكل الشّرق الأوسط، ووضع السِّياسة الاستراتيجيَّة الصّحيحة للسّلام بين الفلسطينيِّين والإسرائيليِّين. وكان إقدام مُنظَّمة التّحرير على الاعتراف بإسرائيل مقدّمة لمفاوضات السّلام في أوسلو عام 1993، تلك التي كان المعهد يوصي بها، ويسعى إليها.

ازداد نفوذ المعهد في الوسط الصّحفي الأميركي، وبدأت صور ومقابلات *باتريك كلاوسون* ***Patrick Clawson*** نائب مدير المعهد *وروبرت ساتلوف* ***Robert Satlove*** مدير السِّياسة والتّخطيط فيه، *ومايكل إيزنشتاد* ***Michael Eisenstadt*** العضو القديم والبارز فيه، تظهر على شاشات التّلفزيون والإذاعات في البرامج الذي يُطلَق عليها اسم *المحاورات* ***Talk Shows*** " وذلك كمحلِّلَيْن هامَّيْن في قضايا بلدان الشّرق الأوسط.

ثُمَّ أخذت أبحاث المعهد تتطوَّر نحو تشخيص الحلول الواجب على الولايات المُتَّحدة اتّخاذها في تعاملها مع أطراف قريبة من موضوع الصّراع العَرَبي ـ الإسرائيلي، أو غير المُتَّصلة مُباشرة بهذا الصّراع. ويقدِّم *روبرت ساتلوف* مشروعاً كاملاً لمعالجة موضوع التّواجد السُّوري في لبنان عبر ما أطلق عليه " الفوضى البنَّاءة "، والذي يتحدَّث فيه عن الخُطَّة الأميركيَّة الواجب اتّخاذها حيال لبنان لضمان انسحاب القُوَّات السُّوريَّة من أراضيه انسحاباً كاملاً وغير مشروط بأيَّة اتّفاقيَّات أو شروط ترغب دمشق في التّوصُّل إليها مع لبنان، كما يشرح في مشروعه كيفيَّة تجريد حزب الله من سلاحه، والخطوات التي يُمكن للولايات المُتَّحدة أنْ تتَّخذها للوُصُول إلى هذا الهدف، وذلك باللّجوء إلى ثلاث خطوات: تبدأ المرحلة الأولى فيها بسحب الصّواريخ طويلة المدى من قُوَّات الحزب، والثّانية إبعاد ميليشيَّات الحزب عن الحُدُود الجنوبيَّة، ومَنْع تحرُّكاته على طول الحُدُود مع إسرائيل، والمرحلة الثّالثة نَشْر قُوَّات الجيش اللّبناني على الحُدُود مع إسرائيل. وبعد هذه المراحل الثّلاث؛ يُمكن للولايات المُتَّحدة السّماح للحزب بالاحتفاظ

بالأسلحة الخفيفة أسوة بما هو سائد في السّاحة اللّبنانيَّة. ويُمكن للولايات المُتَّحدة - عندئـذ - أنْ توافق على إشراك الحزب في اللّعبة السِّياسيَّة إذا أثبت حُسْن سُلُوكه بالنّسبة لموضوع الإرهاب المُتَّهم به، وتخلَّى عن مُمارسة أيٍّ نشاط إرهـابي. ويختتم *ساتلوف* مشروعه بالتَّوصية على إنهاء النّظام السُّوري؛ لأنَّـه يعتبر أنْ لا مصلحة للولايات المُتَّحدة في بقاء هـذا النّظام، وأنَّ إنهاءه يُمكن أنْ يتمَّ عن طريق إمَّا الاستمرار في العَزْل، أو الإغراء بالميل كاملاً نحو الغرب كما تمَّ الأمر مع ليبيا، أو التّغيير الشّامل بإيجاد بديل للحُكْم بشكل كامل.

وبعد فترة قصيرة من انهيار الاتِّحاد السُّوفييتي في التّسعينيَّات؛ أخذت أبحاث المعهد تتَّجه نحو التَّحدُّث عن الخطر الإسلامي، الذي يُهدِّد الحضارة الغربيَّة بصُورة عامَّة، وأمن الولايات المُتَّحدة بصُورة خاصَّة، والتّحدِّيات التي تواجهها أمريكا من جرَّاء هذا الخطر المتمثِّل بالأصوليَّة الإسلاميَّة. وبدأت حملات المعهد الإعلاميَّة تُهيِّيء الشّعب الأميركي لتقبُّل فكرة أنَّ إسرائيل الحليفة للولايات المُتَّحدة هي الدّولة الوحيدة القادرة على التَّصدِّي لانتشار الأصوليَّة في الشّرق الأوسط. وبعد هذه الحملة؛ قامت إسرائيل - فعلاً - بإجلاء وطَرْد ما يزيد عن 400 فلسطيني إلى خارج فلسطين بحُجَّة الزّعم بأنَّهم من المتشدِّدين الإسلاميِّين.

ويضمُّ المعهد في صفوفه عدداً كبيراً من السِّياسيِّين الذين شغلوا مناصب حسَّاسة في الإدارات الأميركيَّة، وجميعهم من المناصرين لإسرائيل؛ مثل: *مادلين أولبرايت، صموئيل بيرغر، نيوت غينغريتش، ألكسندر هيغ، جين كيركباتريك، جوزيف ليبرمان، روبرت ماكفارلين، جيمس وولسي، فرانسيس فوكوياما، دانيال بايبس*، وغيرهم من غلاة المُحافظين الجُدُد والمُحافظين التّقليديِّين. ويضمُّ - أيضاً - بجانب هؤلاء بعض الوجوه التي تمثِّل التَّيَّار اللّيبرالي في المجتمع الأميركي، وذلك لإضفاء نوع من التَّنوُّع في الآراء، الأمر الذي يُوفِّر لدراسات المعهد صبغة خاصَّة؛ لتوحي بشيء من التّأثير الاستثنائي على صُنَّاع القرار.

لقد احتلَّ أعضاء المعهد مراكز حسَّاسة في الإدارات الأميركيَّة بمختلف أوجه تركيباتها، سواء في عهد الرّئيس *بوش الأب* "الحزب الجمهوري"، أو في عهد الرّئيس *كلينتون* "الحزب الدِّيمقراطي". أمَّا في إدارة جورج *بوش الابن*؛ فيتمتَّع المعهد بحضور قوي، وله من النّفوذ

ما يشبه الوضع الاحتكاري في القرار السِّياسي، الذي يُعبِّر عنه - بصُورة كبيرة - المُحافظون الجُدُد ومعاهد مثل:

- *المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي (JINSA) Jewish Institute For National Security Affairs.*

- *مشروع القرن الأميركي الجديد (PNAC) Project for the New American Century.*

العداء السّافر، وليس المُؤامرة:

إنَّ الاستطراد في عَرْض أسماء مراكز الأبحاث والدّراسات التي يُنظَر إليها بأنَّها مُؤسَّسات للتّآمر على العالَمَيْن العَرَبي والإسلامي قد يتطلَّب كتاباً خاصّاً لكثرتها وتنوُّعها. فهذه المراكز والمعاهد إضافة إلى كثرتها ونفوذها وسيطرة اليمين الأميركي المتطرّف عليها، فإنَّها تبقى تتصف بصفة تغيب عن أعين أصحاب نظريَّة المُؤامرة. صحيح أنَّ آراء وأبحاث هذه المُؤسَّسات تتَّجه نحو العداء السّافر للعَرَب والإسلام، ولكنْ؛ تبقى - في الوقت نفسه - مراكز استشاريَّة تعمل لصالح الإدارات الأميركيَّة التي توكل إليها مهامّ مُعيَّنة، وتسعى - من خلال هذه المهامّ - إلى الاستفادة من خبرات العاملين في هذه المُؤسَّسات. والصّحيح - أيضاً - أنَّ هذه المراكز على اختلاف مستوياتها واتِّجاهاتها ونوعيَّة المشرفين عليها والمموّلين لها ما هي إلاَّ مراكز أبحاث ودراسات تنشر إنتاجها على الملأ، ولا ضرورة تدفعها على كتمان أفكارها، أو العمل بالخفاء للتَّستُّر على معتقداتها، أو توصياتها، أو الأهداف التي تسعى إليها، فهي لا تحتاج إلى نوع من التآمر، فالتّآمر - عادةً - يجري في السِّرّ وفي الظّلام، إلاَّ أنَّ هذه المُؤسَّسات غدت تعلن عن أفكارها وآرائها بكُلِّ وضوح، ولا تهاب أيَّة ردَّة فعْل قد تصدر من الجانب العَرَبي أو الإسلامي على حَدٍّ سواء. فهي غدت - وللأسف الشّديد - مُتأكِّدة من عدم حدوث أيَّة ردَّة فعْل من الجانب الآخر المستهدَف من مخطَّطاتها وتوصياتها العدائيَّة.

لقد ذهبت وقاحة أكثر هذه المُؤسَّسات إلى المجاهرة عَلَناً بضرورة القضاء على الإسلام، ومُحاربة تيّاراته الرّاديكاليَّة مهما كانت توجُّهاتها. ونظرة سريعة على ما تنتجه مُؤسَّسات مُماثلة

للمراكز والمعاهد التي سبق ذكْرها مثل :*المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي، ومعهد الدّراسات الدّوليّة المتقدّمة في جامعة جون هوبكنز، ومُؤسّسة الدّفاع عن الدِّيمقراطيّة، ومعهد ميمري، ومُؤسّسة برادلي*، التي يُطلق عليها "سقيفة الصّقور"، وهي التي تموّل مركزاً للدّراسات في جامعة هارفارد كان يرأسه الباحث الأميركي اليميني *صموئيل هنتنغتون* صاحب نظريّة "*صدام الحضارات*"، الذي يعدُّ أنَّ الحضارة الإسلاميَّة هي العدوُّ اللّدود للحضارة الغربيَّة، تقودنا هذه النّظرة السّريعة إلى ما هو أدهى من ذلك. إنَّ هذا المنظر الكئيب الذي تُبرزه لنا هذه المُؤسَّسات وهذه المواقف العدائيَّة تجاه العالَمَيْن العَرَبي والإسلامي، والآراء السّامَّة التي تبثُّها بين الحين والآخر قرائح العاملين فيها، يهون أمام ما نسمعه وما نقرؤه في كتابات ومقولات عدد كبير من الكُتَّاب في الولايات المُتَّحدة، الذين يُجاهرون بعدائهم وتهجُّمهم على الإسلام، وحتَّى على نبيِّه مُحمَّد ﷺ؛ أمثال: *برنارد لويس، ودانيال بايبس، والقسّ فرانكلين جراهام، والقسّ بات روبرتسون، والكاتب والمؤرِّخ فرانسيس فوكوياما*، الذي ما فتئ يبشِّر بالصّراع الحَتْمي بين الغرب والإسلام، "فبعد أنْ انتهى الغرب من صراعه الطَّويل مع الشّيوعيَّة، وانتصر عليها، لم يبقَ أمامه سوى تحطيم عدوِّه اللّدود الإسلام". ويعتقد *فوكوياما* "بأنَّ هذا الصّدام مع الإسلام لابُدَّ وأنْ ينتهي إلى انتصار الغرب، وأنَّ هذا النّصر محقَّق لعدَّة أسباب؛ أهمّها: تفكُّك العالم الإسلامي - الاختلافات السّائدة بين دوله، إضافة إلى بُعْده عن مفاهيم العصر الحديث، وافتقاده إلى أيِّ تأثير على السّاحة الدّوليَّة. لذلك؛ فإنَّ الغرب لابُدَّ له من الغَلَبَة في هذا الصّراع، وأنَّ الحضارة الغربيَّة هي التي ستسود العالم لا محالة، وحتَّى الجناح الرّاديكالي في الجانب الإسلامي لابُدَّ من أنْ تلحقه الهزيمة؛ لأنَّ أفكاره المتطرِّفة غير مقبولة ومرفوضة في الوسط الإسلامي نفسه".

إنَّ هذه الأقوال والتَّخرُّصات المتواصلة على العَرَب والإسلام نجدها في المقالات اليوميَّة التي تنشرها صُحُف المُحافظين الجُدُد مثل *الويكلي ستاندرد، والواشنطن تايمز، والواشنطن بوست*، وكبريات المجلات الأميركيَّة؛ أمثال *نيوز ويك*، ومحطَّات التّلفزيون؛ مثل *فوكس نيوز، وNBC*، ولا تحتاج إلى مهارة أو نبوغ لمعرفة الأهداف التي ترمي إليها تلك الأقوال. فمثلاً *برنارد لويس* يصف الحرب على العراق بأنّها "تدمير خلاَّق"، ويتمنى أنْ يرى هذا

التّدمير في إيران والسُّعُوديَّة وسوريا. وتوم *ديلاي* رئيس الغالبيَّة الجمهوريَّة في مجلس النُّوَّاب الأميركي وكثير من الأعضاء لا يدعون مناسبة إلاَّ ويهاجمون فيها العَرَب، ويدافعون عن إسرائيل، ويدعون لمزيد من الدَّعْم لها، رغم ما ترتكبه حكومتها اللّيكوديَّة من قَتْل وتدمير وتشريد الأبرياء العُزَّل من بيوتهم.

إنَّ استعراض لائحة أسماء الكُتَّاب والجهات صاحبة الاتِّجاهات العدائيَّة الواضحة قد يتطلَّب مجلَّداً ضخماً، وقد يخرج مضمونه عن هدف الكتاب، الذي نحنُ بصدده، ولكنْ؛ من المهمِّ أنْ نرى الأمور على حقيقتها، فالرّؤيا الصّحيحة تُنير طريق المعالجة، والتّشخيص السّليم يُسهِّل على الطّبيب إعطاء الوصفة الشّافية، أمَّا الشَّطَطُ في التَّخيُّل وتشويه الحقيقة لتكييفها بالقالب الذي تميل إليه أهواؤنا؛ فلن يُؤدِّي إلى الإمساك بالخيوط الصّحيحة للمشاكل التي نواجهها.

مواجهة الحقائق أم الهروب؟

نحنُ أمام قوى تجاهر بمخطَّطاتها، وتدعونا إلى انتهاج أفكارها، والقبول بسيطرتها. ومعاملها تعمل - ليلاً نهاراً، وسراً وجهاراً - لتحقيق ما تودُّ من أهداف، وما ترغب من تطلُّعات، وما تسعى إليه من مغانم، فالرّغبة في فَرْض الهيمنة، والسّعي لإخضاع المنطقة العَرَبيَّة بكاملها للسّيطرة الأميركيَّة، لا يحتاج إلى مكبِّرات لتوضيح الرّؤية، ولا يحتاج إلى البحث العميق والانغماس الشّديد في التّفكير، فوضوح الأمر يجعل القول بنظريَّة المُؤامرة مُجرَّد هراء، والقول بأنَّ الولايات المُتَّحدة تتآمر سراً علينا لا يفيد إلاَّ الفارين من مواجهة الحقيقة، ولا يقود إلاَّ إلى إخفاء الرّؤوس في الرّمال؛ للتّهرُّب من القيام بالواجبات التي تتطلَّبها مواجهة تلك الهجمة الشّرسة، التي ماتزال في بدايتها.

صحيح أنَّه في القرن التّاسع عشر كانت هناك مُؤامرة على الأُمَّة العَرَبيَّة، تولَّى إعدادها وتنفيذها كُلٌّ من بريطانيا وفرنسا، والتي انتهت باقتسام أراضي العالم العَرَبي بين الدّولتَيْن المتآمرتَيْن، وذلك بما يتناسب ومصالح كُلٌّ منهما. فاحتلّتا بُلدانه، وأخضعتا كافَّة أقطاره لنفوذهما، وأقامتا الحواجز والتّقسيمات بينها، تلك الحواجز التي تراءت لهما أنَّها ستحول

دُون وحدة أقطاره، ولكنَّ ما يجري ـ الآن ـ في العالم العَرَبي يختلف ـ كُلِّياً ـ عمَّا جرى في القرن الماضي، وإنْ كانت ملامح وأهداف الهجمة الجديدة التي تقودها الولايات المُتَّحدة تتَّفق مع أهداف المُؤامرة السَّابقة التي قامت بها ـ في الماضي ـ كُلٌّ من بريطانيا وفرنسا. فاليوم تسعى الولايات المُتَّحدة ـ بمساعدة ربيبتها إسرائيل ـ بتكرار الرّغبة الاستعماريَّة القديمة، وإعادة إحيائها مجدَّداً، وهي ـ في محاولتها الجديدة ـ ترغب في الانفراد بالكَعْكَة العَرَبيَّة، ولا تريد أنْ يشاركها أحد في نيل أيٍّ نصيب من المغانم التي تحلم بها. إنَّ حلمها الإمبراطوري للسّيطرة على الثّروة البتروليَّة لكامل دول المنطقة العَرَبيَّة والتَّحكُّم باقتصاديَّات الدّول المستوردة لهذه الثّروة كالصّين وأوروبا واليابان ـ وهي البلدان المنافسة الرّئيسيَّة لمنتجاتها ـ دفعها على إبعاد أوروبا، وحتَّى حليفتها بريطانيا عن هذه الوليمة.

إنَّ هذه الهجمة الاستعماريَّة بعيدة كُلَّ البُعْد عن تحميلها صفة المُؤامرة، فهي أقرب للعمل المفضوح والنِّيَّة المكشوفة لتحقيق التَّوسُّع والهيمنة، وفَرْض حقائق جديدة على العالم العَرَبي. ولا شكَّ أنَّ انقسام العالم العَرَبي وفشل دوله في توحيد صفوفها، وانقسام أنظمتها، وتناحرها، بل ـ أحياناً ـ لجوء بعضها إلى التّآمر على بعضها الآخر، ومَيْل بعض الأنظمة الحاكمة إلى الانخداع والطَّمَع في تحقيق مصالح إقليميَّة ضيِّقة إذا ما غرَّدت خارج مجموعتها، هو الذي ساعد على عَجْز المجموعة العَرَبيَّة من سُلُوك الطّريق الصّحيح لمجابهة هذه الهجمة. ولا شكَّ ـ أيضاً، إضافة إلى ذلك كُلِّه ـ ابتعاد أكثر الدّول العَرَبيَّة عن الإيمان بضرورة تحقيق ديمقراطيَّة تُفرز حكومات تُعبِّر عن توجُّهات شُعُوبها الحقيقيَّة قد ساعد ـ مع العوامل الأخرى ـ إلى الوُصُول إلى هذا الإخفاق الذّريع في مجابهة المخطَّط الأميركي الجديد.

لقد ساد العالم العَرَبي ـ نتيجة لذلك ـ خَلَل في السُّلُوك، وعَجْز في الحركة، وتخاذل في القيام بالواجب اللاّزم، وركون إلى الخضوع، ومَيْل إلى الاستسلام لليأس. وللأسف؛ فقد تجمَّعت في أفق العالم العَرَبي شعارات زائفة، ووَهْم خادع، ومقولة كاذبة، قلبت كُلَّ الحقائق، وزيَّفتها، ومفادها أنَّ الولايات المُتَّحدة في عهد المُحافظين الجُدُد قد غزت العراق لتحريره من ديكتاتوريَّة غاشمة، وهي رسول السّلام الأكيد للدِّيمقراطيَّة، والمحقِّق القوي للحُرِّيَّة والعدالة.

المقولة والواقع:

تفضح هذه المقولة وتكذِّبها وقائع عديدة، بدأت مُنــذُ فترة طويلة من الزّمن، وماتزال ـ حتّى يومنا هذا ـ تجري أمامنا. إنَّ سُلُوك الإدارات الأميركيّة ـ مُنذُ عهد روزفلت ـ والاتّجاهات السّائدة لدى هذه الإدارات تتّصف ـ مُنذُ ذلك العهد، وحتّى الآن ـ بالتّأييد المُطلَق لإسرائيل، والدَّعْم التّامّ لها؛ لتبقى أداة رَدْع فعّالة، تحقّق أميركا ـ من خلالها ـ هدفها في الهيمنة على دول المنطقة بكاملها. إنَّ هذا الدّعم ـ سواء كان يستند إلى مقولات التَّوافق الدِّيني الإنجيلي ـ التّوراتي، الذي يجمع الفكر الحاخامي اليهودي مع الفكر الأصولي المسيحي المُتصهْيِن، أو مصدره الحقيقي الرّغبة في السّيطرة على منابع الثّروة النّفطيّة في العالم العَرَبي، وإبقاء الدّولة المزروعة في وسطه (إسرائيل) قلعة استعماريّة تتمتّع بمقدَّرات عسكريّة هائلة تمكّنها من تهديد أيّة دولة تجرؤ على التّصدّي لهذه المطامع الاستعماريّة الأميركيّة ـ الإسرائيليّة ـ يبقى شيئاً ثابتاً في السِّياسة الأميركيَّة. لقد سعت هذه السِّياسة ـ مُنذُ الخمسينيّات ـ إلى التَّصدّي للحركة القوميّة العَرَبيَّة، وإفشال توجُّهاتها التَّقدُّميَّة، وإحباط كُلّ محاولة عَرَبيَّة تهدف إلى التَّحرُّر من أيّ نوع من التّبعيَّة، كما لم تدعْ فرصة تفوتها لإعلان التّأييد الكامل للدَّولة العبريَّة على حساب الحقّ العَرَبي، ويكفي استعراض مواقف الولايات المُتَّحدة الأميركيَّة في مجلس الأمن بالنّسبة للأمور التي تتعلّق بالصّراع العَرَبي ـ الإسرائيلي للتّدليل على انحياز الجانب الأميركي لإسرائيل، ومجاهرته بالعداء السّافر للعَرَب، فقد دأبت الإدارات الأميركيَّة على استخدام حقّ النّقض لكُلّ مشروع إدانة لإسرائيل يتقدَّم به المجتمع الدّولي عبر ممثّليه في مجلس الأمن. ويجد القارئ في نهاية هذا الكتاب ملحقاً يُبيِّن ـ بالتّفصيل ـ المواقفَ التي أصرَّت الولايات المُتَّحدة على اتّخاذها لصالح إسرائيل، مخالفةً فيها مواقف كُلّ أعضاء مجلس الأمن، وانفردت ـ وحدها ـ تضرب عرض الحائط توجُّهات كُلّ الدّول التي ضمَّها هذا المجلس، غير مُبالية لآراء هذه الدّول، التي كانت ـ في الحقيقة ـ تُعبِّر عن رأي المجتمع الدّولي بكامله، وهناك محطّات عديدة لا حصر لها تَبرز أمامنا عندما نتحدَّث عن هذا السُّلُوك الأميركي المُنحاز لإسرائيل والمعادي للعَرَب. فعلى سبيل المثال:

ـ كانت الولايات المُتَّحدة وراء عدم تجديد ولاية الأمين العامّ السّابق للأمم المُتَّحدة بطرس بطرس غالي، وذلك بسبب موقفه من جريمة إسرائيل في غارتها الجويَّة على قرية قانا اللّبنانيَّة، وقَتْل ما يزيد عن مئة مواطن لبناني التجؤوا إلى مركز الأمم المُتَّحدة للاحتماء من قَصْف الطّائرات الإسرائيليَّة، ولم يشفع عَلَمُ الأمم المُتَّحدة لهؤلاء المساكين التي أصرَّت الطّائرات[1] الإسرائيليَّة على ضَرْبهم. وعندما أصرَّ الأمين العامُّ على نَشْر التّقرير الذي يُبيِّن هذه الجريمة لم يَرُقْ للولايات المُتَّحدة فَضْح أعمال ربيبتها، فطلبت منه عدم النَّشْر، ولمَّا أصرَّ على موقفه سعت إلى عدم التّجديد له كعقوبة على عدم الانصياع لأوامر البيت الأبيض.

ـ كانت الولايات المُتَّحدة العامل المشجِّع والمساعد لإسرائيل في مصادرتها الأراضي الفلسطينيَّة لإقامة المستوطنات اليهوديَّة عليها، وذلك دُون المبالاة بأنَّ هذا السُّلُوك الإسرائيلي ـ رغم معرفتها بنتائجه ـ سيُؤدِّي ـ في المستقبل ـ إلى زيادة القضايا الشّائكة بين الطّرَفَيْن، وتقويض أيَّة بادرة قد تبرز لتحقيق السّلام بينهما، ولم تكتف بهذا التّشجيع، بل غضَّت الطّرفَ عن كُلِّ الأعمال الإجراميَّة التي قامت بها حكومة شارون؛ من هَدْم للمنازل، وتشريد للنّاس الأبرياء، واغتيال مَنْ تشاء من النّاس العُزَّل؛ والمُقعدين؛ كالشّيخ أحمد ياسين الأب الرُّوحي لمُنظَّمة حماس.

ـ وكدليل على المبالغة في الانحياز لإسرائيل؛ فقد قدَّمت الإدارة الأميركيَّة مشروعاً إلى مجلس النُّوَّاب يقضي بتشكيل محكمة فيدراليَّة للتّحقيق مع كُلِّ أستاذ جامعي ينطق بأيَّة كلمة فيها شيء من النَّقْد لإسرائيل، ومعاقبة الكُلِّيَّة التي يعمل بها؛ بقَطْع كُلِّ دَعْم مادِّي عنها.

التَّصوُّف والمُؤامرة:

اتَّسم المجتمع الإسلامي ـ وخاصَّة بعد امتداد رقعته، وتطوُّر معيشته، وتنوُّع شُعُوبه ـ بحياة تعجُّ بالحركة والحيويَّة. وتميَّزت ملامحه الجديدة ببروز حركات سياسيَّة ذات طابع ديني، ردَّها البعض إلى تنامي التَّيَّار الشُّعُوبي، الذي كان يضمُّ الموالي الفُرْس، الذين كانت نفوسهم

(1) لزيادة الإيضاح راجع كتابنا الأصوليَّة في الشّرائع السّماوية الثلاث لناشره دار الرّشيد، وكتابنا حُدُود الصّراع تاريخيَّة وخفايا الصّراع العَرَبي واليهودي الصّهيوني الإسرائيلي لناشره دار الأوائل.

زاخرة بالحقد على العروبة والإسلام، وعدَّها البعض الآخر حركات تُعبِّر عن الرّغبات الكامنة في نفوس الأقلّيّات القوميَّة الطّامحة إلى احتلال موقعها السِّياسي، بعد أنْ أذاب الإسلام قوميَّتها وتُراثها؛ كما هو الحال لدى الفُرْس والتُّرْك. كما نظر إليها آخرون بأنَّها حركات تمثِّل الغُلُوَّ والتَّطرُّف، تقودها فئات حاقدة على الإسلام، كارهة لهذا الدِّين الجديد، الذي اعتنقته مرغمةً، والذي قوَّض معتقداتها، ومحا آثارها. وهناك مَنْ رأى أنَّها حركات تمثِّل مُؤامرة حاقدة على الإسلام، ترغب في إحلال عقائد جديدة، ومعتقدات فاسدة، لا تمتُّ إلى العقيدة الإسلاميَّة الصّحيحة بصلة، وهي تتبرقع ببرقع الإسلام، وتعمل تحت ردائه.

ولربَّما كانت حركتَا الخوارج والشّيعة، وما بدا في الأولى من تعصُّب واستماتة في الدّفاع عن بدعها المفرطة في التَّطرُّف، وما تفرَّع عن الثّانية من فرَق وفُرُوع، وما اتَّسمت به بعض فرَقها من سمات بعيدة عن الإسلام، وقريبة من الكُفْر، حتَّى حدا ببعض الكُتَّاب إلى وصفها بالفرَق الضَّالَّة؛ كالإسماعيليَّة والقُرْمطيَّة، وما تفرَّع عنهما من الفرَق التي أبرزت من صفوفها أكثر الغُلاة وأشدّ المتطرِّفين وأعتى المعادين للعَرَب؛ وخاصَّة بني أميَّة. لقد اتَّسعت ملامح العداء للعَرَب والإسلام السُّنّي بعد استشهاد الحسين ﷺ، ودُخُول الموالي الفُرْس في صفوف تلك الفرَق بهدف التَّخلُّص من السّيطرة العَرَبيَّة، وإحياء قوميَّتهم الفارسيَّة.

كانت حركة التَّصوُّف - التي برزت ملامحها، ووضحت معالمها في النّصف الثّاني من القرن الثّاني الهجري - هي الحركة التي كَثُرَ اللَّغط في وَصْفها، وتنوَّعت الاتِّهامات التي وجِّهَت إليها. ولعلَّ أبرز الأقوال التي قيلت، ومازال تدور على الألسن حتَّى الآن، هو ما يعتقده كُتَّاب كثيرون بأنَّ الصُّوفيَّة مُؤامرة فارسيَّة هدفها تشويه الإسلام، والنّيل من عقيدته، ومحاولة إفساد شريعته، وذلك بإدخال مفاهيم ومعتقدات غريبة عليه لغزوه من الدّاخل، وتحطيمه إنْ أمكن، بعد أنْ عجزت أدوات التّحطيم الخارجي عن أداء هذه المهمَّة. ويستند أصحاب هذه الأفكار على الحقائق التّاريخيَّة التي رافقت الفَتْحَ الإسلامي لبلاد فارس.

فمُنذُ بداية بسط النّفوذ الإسلامي على تلك البلاد ما فتئت حركات التَّمرُّد العسكريَّة ضدَّ الحُكْم الإسلامي تظهر بين حين وآخر لتُعبِّر عن الرّغبة في التَّحرُّر، ليس - فقط - من الدّولة الفاتحة، بل - أيضاً - من الدِّين الذي أدخلتْهُ للبلاد معها.

لقد كانت المجوسيَّة هي الغالبة في نفوس الكثير من أهل فارس، وكانت هي الدّيانة السّائدة في تلك البلاد قبل دُخُول الإسلام إلى أراضيها، وإضافة إلى العنصر الدِّيني فقد رافق هذه الرّغبة من التَّخلُّص من السّيطرة السِّياسيَّة والدِّينيَّة المَيْل إلى إعادة السّلطان إلى العنصر الفارسي، والاستماتة في استعادة المجد الذي زال عنهم.

وما من شكٍّ فإنَّ وَقْعَ فَتْح بلاد فارس على أهلها كان مغايراً لوَقْع فَتْح بلاد الشّام ومصر والمغرب على أهلها. لقد كانت هذه البلدان تحت سيطرة الرُّوم، تلك السيطرة التي كانت تتَّصف بالظُّلم والاستبداد. ولمَّا جاء العَرَب ساد في حُكْمهم العدل والمساواة، وتحقَّق لهذه الشُّعُوب رَغَدُ العيش الذي افتقدوه خلال حُكْم الرُّوم، فتعاونت شُعُوب هذه البلدان مع العَرَب الفاتحين، ولم يشعروا بالرّغبة في إثارة نزعاتهم القوميَّة والعنصريَّة. أمَّا فارس؛ فقد كانت - قبل الفتح الإسلامي - بلاداً مُستقلَّة ذات حضارة ومُلْك ونفوذ يتعدَّى حُدُود بلادها، بل كانت بعض أجزاء الوطن العَرَبي تقع تحت سيطرتها؛ كاليمن والعراق والبحرَيْن، وكانت الدّولة الوحيدة المنافسة للإمبراطوريَّة الفارسيَّة هي الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة، التي ذاقت - مراراً - الهزيمة على يد الفُرْس.

ومُنذُ اليوم الأوَّل الذي دخلت فيه جيوش المسلمين بلاد فارس تحرَّكت العنصريَّة الفارسيَّة لمقاومة هذا الفاتح، واستعان الفُرْس بفلُول قواهم العسكريَّة، فما أفلحوا، وحاولوا الحفاظ على لُغتهم وتُراثهم، فخسروا المعركة أمام بلاغة القرآن الكريم، وانتشار اللُّغة العَرَبيَّة في ربوع بلادهم، وانحسرت المجوسيَّة أمام نقاء الدِّين الجديد، وسلامة عقيدته، والمعاملة الحسنة، والسُّلُوك الإيماني الرّفيع الذي أبداه القادة الفاتحون. ولهذا؛ غدت محاولات التَّمرُّد والانتفاضات العسكريَّة محاولات فاشلة، وغدا حُلم استعادة المجد الإمبراطوري سَرَاباً بعيد المنال.

وما إنْ بدأت الأفكار الصُّوفيَّة تتردَّد على ألسنة أصحابها علانيَّة في مدينة بغداد، وما إنْ أخذ الصُّوفيُّون يسعون إلى عَرْض رؤيتهم لمبدأ التَّصوُّف الذي كان في بداية أمره لا يخرج عن المتعارف عليه في الكتاب والسُّنَّة حتَّى بدأت هذه الأفكار تنتشر سراعاً، وتلقى تجاوباً وقبولاً

لدى قطاع كبير من الخراسانيّين، الذين تلقّفوا الأفكار الصُّوفيَّة، وزيَّنوها بمعتقدات دخيلة على الإسلام، وبعيدة عن الشّرع، وقريبة من المعتقدات المجوسيَّة، التي تستند على الفلسفة الهنديَّة وأفكار زرادشت وبوذا.

لقد وجد هؤلاء المؤمنون الجُدُد الذين اعتنقوا الإسلام ومازال في قرارة أنفسهم عقائدهم الدِّينيَّة القديمة في الحركة الصُّوفيَّة مدخلاً يسمح لهم بتسريب ما يرونه من أفكار ومعتقدات غريبة عن رُوح الشّريعة الإسلاميَّة لإفساد هذه الشّريعة، وتشويه مبادئها السّاميَّة. وهكذا سرعان ما برزت إلى الوُجُود أفكار حُسين بن منصور الحلاَّج، التي تنادي بفكرة الاتّحاد بالذّات الإلهيَّة، وتبعها الأقوال التي تنادي في الفناء والوجد الذي يصل إلى مقام الاتّحاد، وطروحات ومقولات كثيرة بعيدة في أسسها عن رُوح الشّريعة الإسلاميَّة، والفَهْم الصّحيح للدِّين، كما كان سائداً في المجتمع الإسلامي.

انهالت الانتقادات على الصُّوفيَّة ورجالها؛ وخاصَّة في الفترة المُتأخِّرة، حين برز فيها الكلام عن الكَشْف، وفيما وراء الحسّ، والحلول، والوحدة، وظهر في صفوفها مَنْ يُنادي بالقُطْب والأبدال؛ أمثال ابن عَرَبي، وابن سبعين، وابن الفارض، وغيرهم. ونظر العديد من الفقهاء إلى هذه الحركة بأنَّها حركة تشارك الفرَق الشّيعيَّة في آرائها ومعتقداتها، فهي تؤمن مثلها بالحلوليَّة، وألوهيَّة الأئمَّة، والتّفسير الباطني للنَّصّ القرآني، تلك الأمور التي لا تقوم عليها حُجَّة عقليَّة، ولا دليل شرعي. ووجَّه كثير من الفقهاء النَّقْد الشّديد لهؤلاء الصُّوفيِّين، الذين تحدَّثوا عن المجاهدات، والمقامات، وعالم الغيب والمشاهدات، وما عبَّروا عنه بالكرامات، وما ادَّعوه من شطحات، وما ذهبوا إليه من ذكْر لحالات السُّكْر، والغيبة عن الحسّ، وغير ذلك من أقوال كانت موضع استنكار الفقهاء، الذين رأوا فيها بُعْداً عن المفهوم الصّحيح للدِّين الحنيف.

إنَّ الكُتَّاب الذين مالوا إلى عَدّ الصُّوفيَّة مُؤامرة فارسيَّة ضدّ الإسلام وضدّ العَرَب كثيرون؛ أمثال الدُّكتُور زكي مبارك، ود. صابر طُعيمة، والشّيخ عبد الرّحمن الوكيل، ومُحمَّد أحمد الشّامي، وعبد الرّحمن بن عبد الخالق، وجابر رزق، وغيرهم، وإنَّ عدداً من

المستشرقين قد تبنّوا هذا الرّأي، وعدُّوا الحركة الصُّوفيَّة حركة بعيدة عن رُوح الإسلام، وأنَّ التَّصوُّف هو ـ في جوهره ـ ردّ فعْل للعقليَّة الآريَّة ضدّ الدِّين الذي جاء به الغُزاة المسلمون، وفرضوه على الشّعب الفارسي، الذي تقبَّله مُكْرَهاً، ويأتي كُلٌّ من المستشرقين *فولك*، *وهارتمان*، *وهورتن* على رأس هؤلاء الذين يؤمنون أنَّ أقطاب التَّصوُّف وكبار مشايخه هم أولئك الذين ظهروا في خراسان في شمال إيران: كشقيق البلخي، وإبراهيم بن أدهم، وأبي يزيد البسطامي، ويحيى بن معاذ الرّازي، ومعروف الكرخي، وغيرهم.

إنَّ الرّكون إلى هذا القول أو رَفْضه يستدعي الإلمام بالحركة الصُّوفيَّة كمنشأ ومسيرة. وهذا ما سوف نقدّمه في الصّفحات التّالية، عَلّنا نصل إلى جواب عن سؤال مفاده: *هل الصُّوفيَّة مُؤامرة فارسيَّة على الإسلام؟!*

الفصل السّادس:

الحـركة الصـُّوفيَّة في الإسلام وأبعادها الفكريَّة

تعريف التَّصوُّف:

تعـدَّدت الآراء حـول معنـى كلمـة "التَّصـوُّف". فـالبعض يعـزو هـذه الكلمـة إلـى الصَّفـاء، استناداً إلى أنَّ الصُّوفي هو الزّاهد، الذي صفا قلبه، وتطهَّر وجدانه، والبعض الآخر ينسـبها إلـى "صفَّة المسجد"، ذلك المكان الذي كـان عـدد مـن المسـلمين ينـزل فيـه للانقطـاع والعبـادة والتَّبتُّـل، ورأي ثالث ينسب كلمة التَّصوُّف إلى "الصَّف" باعتبار أنَّ الصُّوفي يلزم - دائماً - الصَّـف الأوَّل بيـن يدَيْ الله، ورأي رابع يرى أنَّ هـذه الكلمـة "صُوفي" تعـود - في أصلـها - إلـى "صُوفـة بـن بشـر بـن طانجة"؛ وهو من قبيلة عَرَبيَّة كانت تجاور مكَّة في الجاهليَّـة، وكـان هـو أحـد سَدَنَة الكعبـة الذيـن ينقطعون لخدمة الله، وزوَّار بيته، والطّائفين به، وبذلك تكون كلمة التَّصـوُّف ترمـي إلـى الإشـارة إلى هؤلاء الذين تأسَّوا بصُوفة في انقطاعه للعبادة، وخدمة زوَّار بيت الله.

ويبدو أنَّ أقرب تفسير غير مُعترَض عليه لُغوياً وغير بعيد من جهة القياس اللّغوي هو مـا بيَّنه الرَّأي القائل بأنَّ التَّصوُّف تسمية ترمي إلى الإشارة إلى أنَّه الانقطاع للعبادة كما كـان يفعـل صُوفة بن طانجة، ولكنَّ هذا النّسب وهذه التّبعيَّة في التّسمية مرفوضة من قبَل الصُّوفيّيْن الذيـن يأبون أنْ ينسبوا أنفسهم إلى أيِّ إنسان في الجاهليَّة مهما كانت مكانته الرُّوحيَّة.

ولعلَّ أقرب معنى للاشتقاق اللّغوي لكلمة التَّصوُّف هو ارتداء الصُّوف، وفي اللّغة يُقال تصوَّف الرّجل؛ أيْ لبس الصُّـوف، كمـا يُقـال تقمَّص إذا لبـس القميـص، وتَجَلْبَـبَ إذا لبـس الجلباب، وهكذا.. ويقول ابن خلدون في مقدِّمتـه إنَّ القُشَيْري قـال: ولا يشـهد لـهذا الاسـم اشتقاق من جهة العَرَبيَّة، ولا قياس. والظّاهر أنَّه لقب، وأمَّا القـول باشـتقاقه مـن الصَّفـاء، أو

من الصِّفَة؛ فبعيد من جهة القياس اللّغوي، وكذلك من الصُّوف؛ لأنّهم لم يختصّوا بلُبسه. وقد علّق ابن خلدون على هذا الرّأي بقوله: قُلتُ والأظهر - أنْ قيل بالاشتقاق - أنّه من الصُّوف، وهم - في الغالب - مختصُّون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفة النّاس في لبس فاخر الثّياب إلى لبس الصُّوف.

ويضيف ابن خلدون في مقدّمته واصفاً التَّصوُّف بما يلي: "هذا العلم من العُلُوم الشّرعيَّة الحادثة في الملّة. وأصله أنَّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأُمَّة وكبارها من الصّحابة والتّابعين ومَنْ بعدهم طريقة الحقّ والهداية. وأصلها العُكُوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدّنيا، وزينتها، والزّهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عامّاً في الصّحابة والسّلف".

وهناك آراء كثيرة أخرى تحدَّثت عن تفسير كلمة التَّصوُّف لم نرَ ضرورة لعرضها؛ لأنّها لن تُضفي على بحثنا أيَّة فائدة، إضافة إلى أنّها تفسيرات وتعاريف جُوبهت بمعارضة شديدة، ورَفْض صريح ومعلّل.

إنَّ الخلاصة التي يُمكن استنتاجها هي أنَّ الطّروحات التي يُمكن اعتبارها أقرب التّفسيرات إلى التَّصوُّف هي أنَّ نسبة التَّصوُّف إلى كلمة الصُّوف هي إشارة دالّة وصحيحة على هذا الرّبْط الذي ينسجم مع التّرتيب والتّفسير اللّغوي لهذه الكلمة. وتأكيداً لهذا المنحى في التّفسير نجد أقوالاً ومواقف كثيرة بدرت من الصّحابة والتّابعين تؤيِّد هذا التّفسير برَبْط التَّصوُّف بالصُّوف، فقد نُسب إلى الحسن البصري قوله:

- (أدركتُ سبعين بدريّاً كان لباسهم الصُّوف).

- (مَنْ لبس الصُّوف تواضعاً لله - عزَّ وجلَّ - زاده الله نوراً في بصره وقلبه، ومَنْ لبسه للتّكبُّر والخيلاء كُوِرَ في جهنَّم مع المَرَدَة).

ويقول أبو موسى الأشعري:

"يا بني؛ لو رأيتنا ونحنُ مع نبينا - ﷺ - إذا أصابتنا السّماء وجدت منّا ريح الفنان من لباسنا الصُّوف". وكان أبو عبيدة بن الجرّاح يظهر للنّاس وعليه الصُّوف الجافي، فلاموه على

ذلك، وقالوا له: إنَّكَ بالشّام، وحولنا الأعداء، فَغَيِّرْ من زيِّكَ، وأصلحْ من شارتكَ، فقال: ما كُنتُ بالذي أترك ما كُنتُ عليه في عصر الرّسول ﷺ.

وفيما يروي ابن ماجه والحاكم عن أنس - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله ﷺ: أكل خشناً، ولبس خشناً، ولبس الصُّوف، واحتذى المخصوف.

أمَّا إذا آلت الأمور مع مرور الزّمن إلى ما آلت إليه، وتُنُوسيت العلاقة بين أصل التّسمية وحقيقة المسمَّى، فهذا أمر آخر يجدر تناوله بالتّفصيل كي نتبيَّن ما آل إليه التَّصوُّف مُنذُ أنْ كان في فجر الإسلام يمثِّل الزّهد، والعكوف على العبادة، والإعراض عن زخرف الدّنيا وزينتها، إلى أنْ تحوَّل إلى كيان مستقلٍّ يتَّصف بصفات خاصَّة، ويعتمد على مفاهيم مُعيَّنة انطوت تحت اسم "الصُّوفيَّة". ويقول ابن خلدون في وصفه هذا التَّحوُّل في مقدِّمته تحت باب علم التَّصوُّف ما يلي:

" فلمَّا فشا الإقبال على الدّنيا في القرن الثّاني الهجري وما بعده، وجنح النّاس إلى مخالطة الدّنيا، اختصَّ المقبلون على العبادة باسم الصُّوفيَّة والمتصوِّفة. فلمَّا اختصَّ هؤلاء بمبدأ الزّهد والانفراد عن الخلق والإقبال على العبادة اختصّوا بمآخذ مدركة لهم".

النّشأة والبداية:

كان الصّحابة الكرام والسّلف الصّالح متصوِّفين بطبيعتهم وسُلُوكهم القويم، دُون أنْ يتَّصف هذا السُّلُوك بصفة مُعيَّنة، أو تسمية خاصَّة، ودون أنْ يخرج عملهم عن حُدُود الورع والتّقوى والعمل الصّالح الذي يرضى به الله. ونعتقد أنَّ تسمية هذا السُّلُوك بالزّهد قد يكون أقرب إلى الصّحَّة من تسميته بالتَّصوُّف وُفق المفهوم السّائد الآن؛ لأنَّه سُلُوك عفوي يتَّسم بالرّغبة الشّديدة في بَذْل أقصى ما يُمكن من عمل للتَّقرُّب من الله، وإخلاص التَّوجُّه إليه، والسّعي إلى الابتعاد عن مباهج الدّنيا ومفاتنها، وكبح جموحات النّفس ورغباتها. ثُمَّ إنَّ ربط هذا السُّلُوك العفوي بأيَّة تسمية خاصَّة، أو إعطائه أيَّة صفة تُميِّز القائم به من بقيَّة العابدين الآخرين لم يكن يرد إلى ذهن القائمين به. فالتَّقرُّب إلى الله والتَّوجُّه الخالص له والزّهد في الدّنيا فضيلة وعمل مُستحَبّ، وهو سُلُوك الأنبياء والصّالحين.

لقد كان لقب الصُّحبة شرف عظيم لِمَنْ يحمل هذه التّسمية، ثُمَّ جاء عهد التّابعين، وكان هذا الاسم ـ أيضاً ـ وساماً يتجمَّل به كُلُّ عالم ورع، وبعد عهد التّابعين؛ أتت فترة النُّسَّاك المتعبِّدين، الذين اتَّسمت أعمالهم بالصّلاح، والتَّقيُّد بالسُّنَّة النّبويَّة الشّريفة كما نقلها لهم الصّحابة والتّابعون الكرام، ولكنْ؛ سرعان ما مال عدد من العباد الأتقياء إلى توصيف أنفسهم بلقب يُميِّزهم من غيرهم، وكانت الصُّوفيَّة هي الاسم الجديد لهذه الفئة، التي حملت إلى الفكر الإسلامي الكثير من الآراء والمعتقدات والأفكار الدّخيلة عليه، والتي لاقت معارضة شديدة من قبَل فقهاء السُّنَّة، وجُوبهت بنَقْد شديد من علمائها.

وبعد أنْ كان مفهوم التَّصوُّف في مراحل الإسلام الأولى يعني الزّهد والتّقوى والورع ومخافة الله والسّعي إلى بذل أقصى ما يُمكن من الطّاعة لنيل رضاه ومغفرته، غدا ـ في نهاية النّصف الثّاني، ومطلع القرن الثّالث الهجري ـ يأخذ منحىً جديداً في السُّلُوك التَّعبُّدي، فتخطَّى مفهوم الزّهد والورع والخوف من النّار وعذاب الآخرة ليتبنَّى أفكاراً ومفاهيم فلسفيَّة جديدة. فظهرت فكرة الحُبِّ الإلهي التي تُمثِّلها أروع تمثيل الصُّوفيَّة رابعة العدويَّة والصُّوفي أبو يزيد البسطامي، ثُمَّ فكرة وحدة الوُجُود التي لَمَح لها الحسين بن منصور الحلاَّج، وتبنَّاها محيي الدِّين بن عَرَبي، وفكرة المحاسبة والمُراقبة التي تعود إلى الحارث المحاسبي وذي النُّون المصري، والأحوال والمقامات، التي تكلَّم عنها أبو سليمان الدّاراني، وغير ذلك من المواضيع التي ألبست التَّصوُّف حلَّة جديدة.

لقد تباينت آراء الكُتَّاب الذين تعرَّضوا لموضوع النّشأة والبداية التي انطلقت منها فكرة التَّصوُّف الذي ارتدى اسم الصُّوفيَّة، ويُمكن استعراض أبرز ما كُتب عن نشأة التَّصوُّف في الإسلام بعرض وُجهات النّظر التّالية:

1 ـ نظرة تقول بأنَّ التَّصوُّف الإسلامي هو حركة بعيدة عن رُوح الإسلام، أتت إلى المسلمين من فارس ومن الهند عن طريق الفُرْس، وأنَّ التَّصوُّف كان في جوهره ردَّ فعل للعقليَّة الآريَّة ضدَّ الدِّين الإسلامي، الذي جاء به الغُزاة المسلمون، وفرضوه على أهل فارس. ولقد تبنَّى هذه النّظرة عدد من المستشرقين الغربيِّين أمثال: *ف.ر.د.ثولك، وريتشارد هارتمان،*

وماكس هورتون، واتَّجهوا في كتاباتهم إلى القول بأنَّ التَّصوُّف الإسلامي مأخوذ عن المجوس الفُرْس، الذين تخلّوا عن مجوسيَّتهم بعد الفَتْح الإسلامي ظاهريّاً، وأنَّ كثيراً منهم هم من كبار مشايخ الصُّوفيَّة، الذين ظهروا من خراسان في شمال إيران كشقيق البلخي، وإبراهيم بن أدهم، وأبو يزيد البسطامي، ويحيى بن معاذ الرّازي، ومعروف الكرخي، وغيرهم. ومن الكُتَّاب المعاصرين الذين أيَّدوا هذه النّظرة، وثبتوها في كتاباتهم، الدّكتور زكي مبارك، ففي كتابه "الأخلاق عند الغزالي" كَتَبَ يقول: إن هذا التَّصوُّف الذي يترسَّم الغزالي آثار أصحابه ليس في جملته ممَّا تدعو إليه الشّريعة الإسلاميَّة، إنَّما هو مزيج من عدَّة مذاهب هنديَّة وفارسيَّة ويونانيَّة، نُقلت إلى المسلمين، وصادفت هوى في نفوس الزّاهدين منهم، فوسموها باسم الدِّين، ووضعوا لها على حسابه القواعد والأصول.

2 ـ ورأي يقول بأنَّ التَّصوُّف الإسلامي جاء إلى الإسلام نتيجة تأثُّر المسلمين بالرّهبانيَّة المسيحيَّة التي تحمل في ثناياها الأفكار والفلسفة الأفلاطونيَّة والأفكار الغنوصيَّة، التي كانت منتشرة في بلاد الشّام ومصر عند الفَتْح الإسلامي. ويقول المستشرق الألماني كريمير مُؤكِّداً هذا القول ما يلي: إنَّ الفضل في مبدأ التَّنسُّك الإسلامي يرجع إلى رهبنة المسيحيِّين الذين طبعوه بطابعهم المؤسَّس على الخوف من الله، والرّهبة من الجحيم، والرّغبة في الفرار من هذا العالم.
ويؤثر بعض المستشرقين مثل: *غولد تسيهر وإدوارد غرانفيل براون* إلى التّفريق بين مظهرَيْن للتَّصوُّف الإسلامي: الأوَّل بمعنى الزّهد والابتعاد عن مفاتن الدّنيا ومباهجها، وهذا ما كان سائداً في فجر الإسلام، وتبنَّاه أكثر الصّحابة والتّابعين المتأسِّين بسيرة الرّسول ﷺ، وهذا في اعتقادهم لابُدَّ أنْ يكون قد تأثَّر ـ لحَدٍّ ما ـ بالرّهبانيَّة المسيحيَّة التي كانت سائدة في مصر وبلاد الشّام، والثّاني ما تبنَّاه الصُّوفيُّون المحدثون من أفكار تتعلَّق بمواضيع المعرفة والأحوال والمواجد والأذواق، فإنَّ الفلسفة اليونانيَّة ـ بشكل عامٍّ، والأفلاطونيَّة بشكل خاصٍّ ـ مع الأفكار التي حملتها إلى العَرَب والمسلمين الفلسفة الهنديَّة والبوذيَّة، لابُدَّ أنْ تكون قد أثَّرت في الفكر الإسلامي الصُّوفي.

3 ـ ورأي ثالث يعارض وجهتَيْ النّظر السّابقتَيْن، ويقول بأنَّ التَّصوُّف ينبع من صميم الدِّين الإسلامي، والإسلام زاخر بنفحات التَّصوُّف، ولا يحتاج إلى التَّأثُّر بإيحاءات خارجيَّة

أو فلسفات أجنبيَّة. ففي فجر الإسلام كان الصّحابة الكرام والتّابعون يمثّلون - بعد رسول الله ﷺ - حجر الأساس في حركة التَّصوُّف الإسلامي، ويُمكن الاستدلال على صُوفيَّة الإسلام بالرّجوع إلى آيات القرآن الكريم، ومتابعة السّيرة النّبويَّة الشّريفة. وإنَّ كُلَّ ادّعاء بأنَّ الأفكار التي جاءت بها الصُّوفيَّة دخيلة على الإسلام وذات مصادر أجنبيَّة غير إسلاميَّة إنَّما هو ادّعاء باطل. ويدافع عن هذا الرّأي - الذي تبنّاه كثير من الكُتّاب، الذين آمنوا بالصُّوفيَّة - العلاّمة المستشرق *رينولد آلن نيكلسون*، الذي أعطى اهتماماً خاصّاً بموضوع التَّصوُّف في الإسلام، وكتب عنه بحوثاً عديدة، وترجم الكثير من المخطوطات العَرَبِيَّة والفارسيَّة، وبعض قصائد ابن الفارض، وديوان جلال الدِّين الرُّومي (المثنوي) إلى اللّغة الإنكليزيَّة. ويرى *نيكلسون* "أنَّ كثيراً من الخصائص الأساسيَّة للتَّصوُّف عند المسلمين هو وليد البيئة المحلِّيَّة". ويذهب الأستاذ المستشرق الفرنسي *لويس ماسينيون* إلى تأييد هذا القول، وتبنِّي هذا الرّأي، ويدافع عنه.

الإسلام والتَّصوُّف:

التَّصوُّف كمنهاج تربوي نجده سائداً في كُلِّ المجتمعات، وفي مختلف الدّيانات، يتَّخذه النّاس سُلُوكاً ومنهجاً ورياضة رُوحيَّة، الهدف منها السّيطرة التّامَّة على شهوات النّفس، ورغبات الجسد، والسّعي - في الوقت نفسه - إلى التَّقرُّب من الخالق - عزَّ وجلَّ - في عبوديَّة مطلقة؛ عرفاناً بفضله، وإيماناً بربوبيَّته.

إنَّ هذه النّزعة التَّصوُّفيَّة نجدها في الوجدان الإنساني مُنذُ الأزل، فهي راسخة في الفكر البشري بمختلف تركيباته وطوائفه. ومُنذُ أنْ اهتدى الإنسان إلى الخالق العلي مال هذا الكائن البشري إلى التّفكير بأنَّ وراء هذا الكون خالقاً عظيماً، وأنَّ وراء السُّلُوك البشري سرّاً مكنوناً، ومُسيِّراً قادراً يتحكَّم في هذا السُّلُوك، وأنَّ الجسد له رغبات وشهوات وانحرافات، ويُمكن بواسطة التَّعبُّد والتَّقرُّب إلى الله السّيطرة عليها، والحدّ من نزواتها الضّارَّة، وإنَّ الإقبال على الله هو الطّريق الوحيد للتَّخلُّص من الانزلاق نحو الدّنيا ومباهجها الزّائفة، وهو الوسيلة المُثلى لسُمُوِّ الرُّوح وصفاء القلب والشُّعُور بالتَّجرُّد من نزعات الرّغبات الجامحة التي تشين السُّلُوك البشري. ومُنذُ فجر الإسلام، برزت نزعة التَّصوُّف عند سَلَف الأُمَّة وكبارها من الصّحابة

والتّابعين، وكانت ظاهرة التّصوُّف تنطلق من الرّغبة في تحقيق أقصى درجات الورع والتّقوى ومخافة الله.

إنَّ هذا النّوع من التّصوُّف ـ بما يعنيه من التزام دائم بالعبادة والتّقرُّب إلى الله، وتجريد النّفس من أهوائها، والابتعاد عن الدّنيا وملذّاتها، والتّغلُّب على نزعات الجسد ونزواته، والارتقاء بالنّفس بغية الوُصُول إلى الإشراق الرُّوحي الذي يمنح القلب الصّفاء والطّمأنينة ـ أصبح منهجاً رُوحياً لدى قطاع واسع من الصّحابة ﷺ. لقد كانت آيات القرآن الكريم وسيرة الرّسول المصطفى ـ ﷺ ـ دافعاً قويّاً لهؤلاء البَرَرَة في سُلُوك هذا الطّريق، واعتماد المنهاج الذي يضمن للسّائر فيه رضا الله، ونعيم لقائه. ولمحات الحثّ على التّصوُّف بمعنى الزّهد والورع نجدها في كثير من الآيات الكريمة التي وردت في القرآن الكريم:

فعن الآخرة التي ورد ذكْرها فيه 115 مرّة نقرأ مثلاً:

- ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء / 21).

- ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ (القصص/ 77).

- ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ (الأعلى / 17).

وعن الحياة الدّنيا التي ورد ذكْرها في القرآن الكريم 115 مرّة ـ أيضاً ـ نقرأ:

- ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ (البقرة / 212).

- ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ (آل عمران / 185).

- ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (الأنعام / 32).

وعن النّفس والحثّ على مُراقبتها، وإبعادها عن الشّهوات نقرأ:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الحشر / 18).

- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ (النّازعات / 40).

- ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ (الفجر/ 27).

وعن ذكر الله وفضل مكانة الذّكر والتّسبيح نُطالع:

- ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرّعد/ 28).

- ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (النّور / 37).

- ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (العنكبوت / 45).

وعن التّقوى والصّلاح وفضل السّعي والعمل الدّؤوب لطاعة الله وابتغاء مرضاته والالتزام بأوامره وتجنُّب نواهيه، يُطالعنا القرآن الكريم بآيات منها:

- ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت / 69).

- ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ (الأعلى / 14).

- ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (اللّيل / 5).

أمّا الحثُّ على متابعة الصّلة بالله والتّسبيح باسمه؛ فقد وردت في كتاب الله ما يزيد عن ثمانين آية منها نقرأ:

- ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ (آل عمران / 41).

- ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ (طه / 130).

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب / 41).

ثُمَّ إن الله ـ بعد أنْ منح الإنسان حُرِّيَّة الاختيار ومشيئة اتِّخاذ القرار، وخيَّره إمَّا سُلُوك طريق الهداية، أو اتِّباع طريق الغواية والضّلال ـ ثبَّت هذه المنحة الإلهيَّة وهذا العطاء الربَّاني بآيات قرآنيَّة منها:

- ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف / 26).

- ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ (المزمل / 19).

- ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ (المدثر / 37).

وبالمقابل؛ بيّن الله ـ في كتابه الكريم ـ نتائج الكُفْر والإعراض، وبيّن للّذين أعرضوا عن ذكْر الله، وقادتهم أهواؤهم إلى الضّلالة، وسوّلت لهم نفوسهم البُعْد، وارتكاب المعاصي، فأنبأهم الله بنتائج سوء عملهم، فقال جلّ وعلا:

- ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (طه / 124).

- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ (الرّعد / 18).

- ﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾ (الغاشية / 24).

السُّنَّة النّبويّة والتّصوُّف:

فإذا كان القرآن الكريم قد حثّ المؤمنين على سُلُوك طريق التّصوُّف بمعناه الذي لا يخرج عن حُدُود الزّهد والتّقوى والورع، وإذا كان الله ـ عزّ وجلّ ـ قد بيّن ـ في كتابه الكريم ـ فضل الطّاعة والالتزام بما أمر به وتجنُّب ما نهى عنه، فكيف يُمكن أنْ يكون سُلُوك رسوله الكريم الصّادق الأمين؟! لقد كان ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ المثال الذي يُحتذى به، والقدوة التي أعطت الزّهد والورع مفهومهما الحقيقي السّامي، وكانت سيرته الشّريفة مناراً لسُلُوك الصّحابة الذين تأسّوا بها، وساروا عليها.

ولقد كان المصطفى ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ بما أوتي من إشراق رُوحي يخشى أنْ تطغى على سُلُوك البعض نوعاً من المبالغة والغُلُوّ. فمن المعروف أنّ السُّلُوك البشري غالباً ما يميل إلى المبالغة والتّطرُّف في العبادة، وذلك بدافع الرّغبة في الحصول على المزيد من الثّواب، والطّمع في الاستزادة من الجزاء. لقد نبّه الرّسول ـ ﷺ ـ إلى هذا الأمر، وشدّد على ضرورة أنْ لا تخرج العبادات عن نطاق الشّريعة والسُّنّة النّبويّة الشّريفة، ونهى عن القيام بأيٍّ نوع من المغالاة في العبادات، وأمر المؤمنين بالتزام الحُدُود التي حدّدها الشّرع دُون زيادة أو نقصان، ولم

يسمح ـ ﷺ ـ لأيٍّ مؤمن أنْ يزيد أو ينقص عمَّا قام به، أو قاله، أو أنْ يبدِّل فيه شيئاً، وعدَّ عدم القيام بذلك مخالفة صريحة لسُنَّته:

"فَمَنْ رغب عن سُنَّتي، فليس منِّي"، رواه البخاري ومسلم.

"كُلُّ بدعة ضلالة، وكُلُّ ضلالة في النَّار"، رواه مسلم والبيهقي.

"مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردٌّ"، رواه البخاري ومسلم.

وفي السِّيرة النَّبويَّة العديد من المواقف التي نهى الرَّسول ـ ﷺ ـ عن القيام بها، واستنكرها:

ـ فعندما رأى رجلاً يمشي في الحجِّ بين رجلَيْن يسندانه قال ﷺ: ما هذا؟ فقالوا: يا رسول الله: نذر أنْ يحجَّ ماشياً. فقال ﷺ: إنَّ الله عن تعذيب هذا نفسه لغنيٌّ، مُرُوْهُ، فَلْيَرْكَب، رواه البخاري ومسلم.

ـ وعندما رأى رجلاً يجلس في الشَّمس، فسأل عنه، فقالوا: يا رسول الله، نذر أنْ يصوم، ولا يتكلَّم، ويجلس في الشَّمس. فقال ﷺ: ليتمَّ صومه، وليتكلَّم، وليجلس في الظِّلِّ، رواه البخاري وأبو داود.

ـ ولمَّا شكا والد عبد الله بن عَمرو بن العاص ولده إلى الرَّسول ـ ﷺ ـ بأنَّ زوجة ابنه امرأة من أشراف العَرَب، وكان يسألها كُلَّ يوم: كيف رأيت زوجكَ؟ فتقول له: صالحاً، غير أنَّه لم يطأ لنا فراشاً. وذلك لخمس عشرة ليلة. فاستدعى رسول الله ـ ﷺ ـ عبد الله، وقال له: بلغني أنَّكَ تصوم النَّهار، وتقوم اللَّيل. فقال: نعم، يا رسول الله. ثُمَّ قال ﷺ: صُمْ من كُلِّ شهر ثلاثة أيَّام. فقال: يا رسول الله.. ؟؟ فقال ﷺ: خمساً. قال: يا رسول الله.. ؟؟ قال ﷺ: سبعاً. قال: يا رسول الله.. ؟؟قال ﷺ: تسعاً. قال: يا رسول الله.. ؟ قال: صُمْ صيام أخي داود، كان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، ولا يفرّ إذا لاقى. إنَّ لربكَ عليكَ حقَّاً، ولزوجكَ عليك حقَّاً، فأعطِ كُلَّ ذي حقٍّ حقَّه، رواه البخاري ومسلم.

لقد كان رسول الله ـ ﷺ ـ حريصاً على التّأكيد بأنَّ كُلَّ زيادة أو نقص في العبادات عبارة عن بدعة مرفوضة، ولو كان الهدف منها هو التَّقرُّب إلى الله، وأنَّ كُلَّ سُلُوك يخالف كتاب الله والسُّنَّة النّبويَّة عمل باطل ومرفوض يجب اجتنابه.

ـ عندما سمع رسول الله ﷺ أحد الخطباء يخطب، ويقول: "مَنْ يطع الله ورسوله، فقد رشد، ومَنْ يعصهما، فقد غوى"، فقال له رسول الله ﷺ: بئسَ خطيب القوم أنتَ، قُلْ: مَنْ يعص الله ورسوله، فقد غوى". رواه مسلم وأحمد، وسبب غضب الرّسول ﷺ أنَّ الخطيب جمع بين الله ورسوله في ضمير واحد (ومَنْ يعصهما)، واعتراض رسول الله ـ ﷺ ـ هنا وسبب غضبه يعود إلى خشيته من أنْ يظنَّ النّاس أنَّ منزلة الرّسول ﷺ كمنزلة الله عزَّ وجلَّ.

ـ جاء رجل إلى النّبي ﷺ، فقال له: ما شاء الله، وشئتَ، فقال رسول الله ﷺ: أ جعلتني نداً لله؟! قُلْ: ما شاء الله وحده، رواه أحمد والبخاري.

ـ وعن أنس قال: دخل الرّسول ـ ﷺ ـ المسجد، فإذا حبل ممدود بين ساريتَيْن، فقال: ما هذا الحبل؟! قالوا: لزينب، إذا فترت تعلّقت به. فقال رسول الله ﷺ: لا.. حُلُّوه.. ليُصلّي أحدكم نشاطه.. فإذا فتر، فليقعد.

ـ كانت الحولاء بنت تويت تُقيِّد نفسها بحبل حتّى لا تغلبها غفلة النّوم، وحين حدَّثت السَّيِّدة عائشة الرّسول ﷺ بشأنها قال: "عليكم من العمل ما تطيقون. فإن الله لا يملّ حتّى تملّوا. وأحبُّ العمل أدومه، وإنْ قلَّ". رواه عمران بن حصين.

الزّهد والتَّصوُّف:

في القرن الأوّل الهجري كانت نزعة التَّصوُّف تسيطر عليها حالة الزّهد في الدّنيا ومتاعها والانصراف إلى العبادة ومراعاة أوامر الشّريعة، وكانت الغاية التي يسعى إليها أولئك الزّهاد هي الظّفر برضاء الله والنّجاة من عقابه، وكان طابع التّزهُّد في تلك المرحلة ليس الانزواء عن النّاس والمجتمع، بل المشاركة في الحياة الاجتماعيَّة، والعمل لكسب المعاش، والحفاظ على البقاء. ولم يخرج التَّصوُّف في هذه المرحلة عن مجال الزّهد والانقطاع إلى

العبادة والتّفكير بالآخرة عملاً بقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ﴾ (القصص / 77)، وذلك لنيل رضا الله، والظّفر بمغفرته، والطّمع في جنّته.

لقد كان هؤلاء الزّهاد يميلون إلى ارتداء اللّباس الخشن؛ وخاصّة الصّوف، تعبيراً منهم عن الرّغبة في البُعْد عن مظاهر التّنعُّم في الحياة الدّنيا، ولربّما كان هذا السُّلُوك قد تأثّر بما درج عليه النُّسَّاك المتعبِّدون من أهل الكتاب الذين كانوا يؤثرون لباس الصُّوف تأسّياً بما أُثر عن عيسى عليه السّلام وحوارييه. فقد أُثر عنه قوله: لباسي الصُّوف، وشعاري الخوف. ويذكر الجاحظ في كتابه "الحيوان" أنّ النّصراني يلبس الصُّوف حين يتنسَّك. كما تروي لنا كُتُبُ السّيرة النّبويّة الشّريفة أنّه أُثر عن الرّسول - ﷺ - ارتداءه الصُّوف تعبيراً عن الزّهد. وعن أبي أُمامة أنّ رسول الله - ﷺ - قال: "عليكم بلباس الصُّوف، تجدوا حلاوة الإيمان في قلوبكم". ولمّا رثا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - ﷺ - الرّسول - ﷺ - قال: "والله جالستنا، ونكحتَ إلينا، وآكلتنا، ولبستَ الصُّوف"، (كتاب الإحياء للغزالي).

وتروي لنا قصص الصّحابة والتّابعين أنّ كثيراً من هؤلاء ارتدُّوا الصُّوف تعبيراً عن الزّهد، وآثروا هذا اللّباس، ونفروا من لباس فاخر الثّياب، إلاّ أنّ الرّبط بين نُسَّاك أهل الكتاب ولبس الصُّوف لم يؤثّر على رغبة الزُّهَّاد المسلمين في نظرتهم إلى الصُّوف كمظهر من مظاهر الزّهد، وطريق للتّقرُّب إلى الله لإقصاء النّفس عن شهوات ورغبات الدّنيا الفانية. ولهذا نجد أنّ الرّبط بين كلمة الصُّوف والزّهد كانت قريبة جداً في فكر الزُّهَّاد الأوائل. وكانت كلمة الزّهد مرادفة لكلمة التّصوُّف، كما كانت كلمة الصُّوف مرادفة لكلمة الزّهد والورع، إلاّ أنّ كثيراً من العلماء استنكر لبس الصُّوف، وعدَّه بدعة يجب الابتعاد عنها. فسفيان الثّوري وأبو سليمان الدّاراني ومحمود الورّاق وغيرهم من الفقهاء كانوا يرون ارتداء الصُّوف علامة على الرّياء، أو تشبُّهاً بالنّصارى، والحسن البصري كان يقول عن أصحاب الأكسيّة: لقد أكنّوا الكبَر في قلوبهم، وأظهروا التّواضع في لباسهم، والله؛ لأحدهم أشدّ عجباً بكسائه من صاحب المطرف بمطرفه. ويقول محمود الورّاق ساخراً من رجل يدّعي الصّلاح:

تصوَّف كي يُقال له أمين | وما يعني التّصوُّف والأمانة
ولم يُرد الإله به، ولكنْ | أراد به الطّريق إلى الخيانة

صحيح أنَّ الثَّوب لا يعني - بالضّرورة - شكلاً معيَّناً من السُّلُوك الدِّيني، ولا يرتبط - بالضّرورة - بالتّقوى والصّلاح، إلاَّ أنَّه يبقى شكلاً ظاهريّاً تشبَّثت به أكثر الفرَق الصُّوفيَّة، وعدَّته لازمة يجب المُحافظة عليها، وتقليداً تتوارثه أجيال الصُّوفيَّة عن أسلافهم. ولعلَّ أوائل الزُّهَّاد لم يكن يهمُّهم ارتداء اللّباس للتّعبير عن ورعهم، أو إلصاق النَّسَب الصُّوفي بهم؛ لأنَّ الانتساب إلى الرّسول - ﷺ - سواء باسم الصّحابة أو التّابعين كان - بالنّسبة لهم - يحمل وساماً وشرفاً لا يضاهيه أيَّة تسمية أخرى. ولهذا؛ لم تُثِرْ هذه التّسمية "الصُّوفيَّة" التي أصرَّ عليها الصُّوفيُّون الذين عاصروا المرحلة التي تلت القرنَيْن الأوَّل والثّاني من عصر الصُّوفيَّة أيّ اهتمام لديهم. وفي هذه المرحلة؛ أصرَّ الصُّوفيُّون على عدم الرّغبة برَبْط اسمهم بكلمة الصُّوف، وأصرُّوا على أنَّ التَّصوُّف والمتصوِّفة والصُّوفي والصُّوفيَّة هي أسماء وصفات أبعد من إلصاقها بكلمة الصُّوف:

تنازع النّاس في الصُّوفي، واختلفوا ... فيه، وظنُّوه مشتقّاً من الصُّوف
ولستُ أمنح هذا الاسم غير فتى ... صافى، فصوفي حتَّى لُقِّب
صُوفيَّة ما رضوا للصُّوف نسبتهم ... حتَّى ادَّعوا أنَّهم من طاعة صُوفوا

ولكنَّ الاستغلال السَّيِّء لسمة الصُّوف للتّعبير عن الزّهد والتَّنسُّك الذي مارسه بعض الأدعياء والمضلِّين لتحقيق أغراض دنيئة وبعيدة عن الدِّين كان له أثر في التّنفير من هؤلاء النّاس الذين ربطوا التّقوى بالثَّوب، وكان من الأفضل لهم لو تركوا تقواهم خافية عن الأعين، لتبقى مع الله بلا مظاهر وأشكال خارجيَّة توحي بالتّقوى والزّهد، وذلك كما فعل أولئك الرُّواد الأوائل من الصّحابة والتّابعين.

شهد القرن الثّالث الهجري تحوُّلاً هامّاً في مسيرة التَّصوُّف في الإسلام، وإلى أصحابه يعود الفضل في تحديد معالم التَّصوُّف في مفهومه الحديث، الذي أخذ أبعاداً جديدة تخطَّت مفهوم الزّهد الذي كان سائداً في القرنَيْن السّابقَيْن، وتميَّزت منه. لقد أخذ صوفيُّو هذه المرحلة على عاتقهم تجاوز مفهوم التَّصوُّف الذي كان سائداً في القرنَيْن السّابقَيْن، والذي كان يتَّصف بالتَّمسُّك بالعقيدة السّليمة والسُّنَّة النّبويَّة الشّريفة ونهج السّلف الصّالح ليُدخل إلى التَّصوُّف

معنىً جديداً، ويُدرج فيه مصطلحات كلاميَّة؛ لتجعل منه نهجاً مميَّزاً. ولم يكتف الصُّوفيُّون بإدخال تلك الأفكار الجديدة التي بدت وكأنَّها متأثِّرة - لحدٍّ بعيد - بالأفكار الغريبة عن الإسلام، بل ابتدعوا طقوساً لممارساتهم الدِّينيَّة، وأعطوا أعلامهم أسماء ومواقع غريبة، وقيَّدوا مريديهم بواجبات والتزامات تجاه مشايخهم، ولم يتورَّعوا عن تلقيب أنفسهم بأهل الباطن، وتسمية غيرهم بأهل الظَّاهر، وأصبح التَّصوُّف - بعد إطلاق الفكر الصُّوفي أفكاره وآراءه - شيئاً جديداً لا يقف عند حدِّ الزّهد والرِّياضة والمجاهدة، بل تجاوز هذا كُلَّه ليبلغ إلى ما هو أبعد من ذلك؛ كفناء الإنسان عن نفسه، واتِّحاده بخالقه. وأخذت الاصطلاحات الصُّوفيَّة الجديدة تنطلق على لسان رُوَّاد الصُّوفيِّين الجُدُد؛ مثل: الوحدة، الفناء، الحُلُول، الكَشْف، الأحوال، المقامات، المشاهدة، إلخ..

الفصل السّابع:

النّزعة الجديدة للتّصوُّف ـ الرّقص والسّماع عند الصُّوفيَّة ـ الشّيخ الصُّوفي والمريد ـ خرقة الشّيخ

النّزعة الجديدة للتّصوُّف:

في المرحلة الأولى من مراحل التَّصوُّف الإسلامي، كانت مدرسة التَّصوُّف تتَّصف بسُلُوك الزّهد، ومجانبة الدّنيا، واعتزال النّاس، والتَّعبُّد لنيل المغفرة، والتّكفير عن المعاصي والذّنوب. لقد كان المتصوِّفة ـ إذا جازت التّسمية في تلك المرحلة ـ يخافون من ارتكاب أيَّة مخالفة أو معصية لأوامر الله وسنَّة نبيِّه، ولم يأخذ التَّصوُّف أيَّ منحى يغاير السُّلُوك الذي سار عليه أهل السُّنَّة والجماعة، وكان رجاله وفقهاؤه من خيرة المسلمين الذين يتحلّون بالمُثُل العُليا التي دعا إليها رسول الله ﷺ، وكانت دعوتهم تتَّسم بالوضوح، والبُعْد عن الشّعارات والتّعابير الخاصَّة، كما كانت رسالتهم الدِّينيَّة ـ دائماً ـ هي كتاب الله، وسنَّة نبيِّه. وكان جُلُّ مشاهير صُوفيَّة هذه المرحلة؛ مثل: الحسن البصري، سفيان الثَّوري، أبو القاسم الجنيد البغدادي، الحارث المحاسبي، وغيرهم، يدعون ـ دائماً ـ إلى التَّقيُّد بكتاب الله، والهدي بهدى رسول الله ﷺ.

لقد كان التَّصوُّف ـ آنذاك ـ في أوج نقائه، وقمَّة توجُّهاته، ولكنْ؛ ما إنْ حلَّ القرن الثّالث الهجري حتَّى تغيَّرت مناهج المعرفة، وتبدَّلت أسسها، وأُدخلت عليها الكثير من التّعاليم التي نقلت الصُّوفيَّة من مرحلة النّشوء إلى مرحلة التَّطوُّر، ومن مرحلة الحبو إلى مرحلة الاندفاع. لقد ران على التَّصوُّف موجة من التَّطوُّر والنّضوج والازدهار الفكري، الذي حمل معه أفكاراً معرفيَّة ممزوجة بلمحات فلسفيَّة، ومصحوبة بتعابير جديدة لم تشهدها الحركة

الصُّوفيَّة في مرحلة نشوئها، وبداية حبوها. فبدأت مع الحلاَّج أفكار الاتِّحاد الإلهي، بعد أنْ مهَّدت رابعة العدويَّة إلى أفكار الحُبِّ الإلهي، فالحلاَّج يقول:

أنا مَنْ أهوى، ومَنْ أهوى أنا ... نحنُ رُوحان حَلَلْنَا بَدَنَا
فإذا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَهُ ... وإذا أَبْصَرْتَهُ أَبْصَرْتَنَا

ورابعة العدويَّة تقول: "اللّهمّ، إنْ كُنتُ أعبدكَ خوفاً من ناركَ، فألقني فيها، وإنْ كُنتُ أعبدكَ طمعاً في جنَّتكَ، فاحرمنيها، وإنْ كُنتُ أعبدكَ لوجهكَ الكريم، فلا تحرمني من رؤيته".

أحبُّك حُبَّيْن: حُبَّ الهوى ... وحُبَّكَ لأنَّكَ أهلٌ لذاكا
فأمَّا الذي هُو حُبُّ الهوى ... فشُغلي بذكْركَ عمَّنْ سواكا
وأمَّا الذي أنتَ أهلٌ له ... فَكَشْفُكَ للحُجب حتَّى أراكا
فلا الحمدُ في ذا ولا ذاك لي ... ولكنْ؛ لكَ الحمدُ في ذا وذاكا
يا حبيبَ القلب؛ ما لي سواكَ ... فارحم ـ اليومَ ـ مُذنباً قد أتاكا
يا رجائي وراحتي وسروري ... قد أبى القلب أنْ يُجيبَ سواكا

وعندما سألوا رابعة عن حقيقة إيمانها، قالت: "ما عبدتُ الله خوفاً من الله، فأكون له كالأَمَة السُّوء، إنْ خافتْ عملتْ، ولا حُبّاً للجنَّة، فأكون كأَمَة السُّوء، إنْ أُعطيَتْ عملتْ. ولكنْ؛ عبدتُهُ حُبّاً له، وشوقاً إليه". فلا غرابة أنْ أطلقوا على رابعة العدويَّة شاعرة المحبَّة الإلهيَّة، فهي أوَّل مَنْ تكلَّم في المحبَّة الإلهيَّة، وأدخل هذا المعنى إلى التَّصوُّف الإسلامي. وما فاض به ـ بعد ذلك ـ الأدب الصُّوفي من شعر ونثر في المحبَّة ما هو إلاَّ نفحة من نفحاتها.

إنَّ فكرة الحُبِّ الإلهي والمعرفة بالله والطَّبيعة الإلهيَّة والفناء في الله والوجد الذي يصل إلى مقام الاتِّحاد بالله ووحدة الوُجُود، كُلُّ تلك الآراء والطّروحات التي أطلقها بعض كبار الصُّوفيِّين الذين يبدو أنَّهم قد تأثَّروا ـ لحدٍّ ما ـ بالأفكار الفلسفيَّة الشّرقيَّة والغربيَّة على حدٍّ سواء، مثل الحلاَّج والبسطامي وابن عَرَبي جعلت من الصُّوفيَّة حركة زاخرة بنوع من الفلسفة، وحركة تموج بأفكار وآراء غريبة عمَّا كان سائداً في الوسط الإسلامي، عدَّها البعض بعيدة جداً عن معالم الإسلام الحقيقيَّة، التي اعتمدها أهل السُّنَّة والجماعة.

إنَّ آراء الحسين بن منصور الحلاَّج في الطّبيعة الإلهيَّة جوهرها هو الحُبُّ الإلهي، فالحقُّ أحبَّ نفسه قبل أنْ يُحبَّ خَلْقَهُ!! ولمَّا أراد أنْ يرى - في وحدته المطلقة - ذلك الحُبّ بعيداً عن الغيريَّة في صُورة ظاهرة أخرج من العدم صُورة من ذاته لها جميع صفاته وأسمائه، فكانت هذه الصُّورة الإلهيَّة آدم الذي تجلّى الحقُّ فيه، وبه. وعندما قال الحلاَّج: "أنا الحقُّ"، فقد كان يشير إلى الثُّنائيَّة في الطّبيعة الإلهيَّة { الرُّوح الإلهيَّة والرُّوح الإنسانيَّة }، وهو يعني بقوله: "أنا الحقُّ" أيْ أنا الحقُّ الخالق.

ويميل بعض الكُتَّاب الذين كتبوا عن التَّصوُّف في الإسلام (*المستشرق الألماني كريمر والمستشرق الفرنسي ماسينيون*) إلى القول بأنَّ هذه المسحة الصُّوفيَّة لدى الحلاَّج قد تكون ناجمة عن تأثُّره بالأفكار المسيحيَّة، التي تتحدَّث عن الذّات الإلهيَّة كما وردت في الكتاب المقدَّس، فقد جاء في سفْر التّكوين 1/ 26 ما يلي:

"ثُمَّ قال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا، كمثالنا، فيتسلَّط على سمك البحر، وعلى طير السّماء، وعلى الأرض، وعلى كُلِّ زاحف يزحف عليها، فَخَلَقَ الله الإنسانَ على صورته، على صُورة الله خلقه، ذكراً أو أنثى خلقهم".

وهذا القول ينطبق - تماماً - على الوصف الذي وَصَفَ فيه هؤلاء الكُتَّاب حركة الزّهد الإسلامي التي ظهرت في فجر الإسلام، وقالوا عنها بأنَّها ظهرت تحت تأثير المسيحيَّة وحياة نُسَّاكها، الذين كانوا يسيحون في البلاد والبقاع النّائية لُممارسة عبادتهم، بل يضيفون إلى هذا الادِّعاء القول بأنَّ مظهر التَّنسُّك المسيحي الذي كان يتّسم بارتداء الصُّوف كان يتمثَّل - دائماً - في الذّهن العَرَبي، فصُورة المسيح وحواريه تُعَدُّ الصُّورة الخالدة في خيال التَّنسُّك الإسلامي الذي برز في فجر الإسلام، وقد أنكر كُتَّاب كثيرون إسلاميُّون ومستشرقون هذه المقولة، وردُّوا على أصحابها، وقد بيَّنَّا ذلك بالتّفصيل، وشرحنا مواقف كُلٍّ من الطَّرَفَيْن ضمن ثنايا هذا الكتاب.

يبقى من الضّروري الإشارة إلى أنَّ الصُّوفيَّة التي بدأ ازدهارها وتألَّقت أفكارها في المجتمع الإسلامي، والتي انطلقت في بداية القرنَيْن الثّالث والرّابع، والتي أعطت مفاهيم

ومعتقدات جديدة للفكر الإسلامي، دفعت الكثير من الفقهاء وعلماء السُّنَّة إلى مقابلة هذه الأفكار بالنّقد الشّديد والتّجريح والمعارضة؛ لما كانت تحتويه من فلسفات كلاميَّة غريبة عن رُوح الإسلام وعقيدته. فآراء أبو عبد الله الحسين بن منصور الحلاَّج عن الحُبِّ الإلهي والذّات الإلهيَّة، وآراء أبو يزيد البسطامي عن الاتِّحاد بالله، وشطحاته التي أثارت الكثير من اللّغط بين صفوف الفقهاء، واستنكرها غالبيَّتهم، حتَّى الصُّوفيِّين أنفسهم، وآراء محيي الدِّين بن عَرَبي حول مبدأ وحدة الوُجُود، رفضها أهل السُّنَّة والجماعة، واستنكروها، بل اتُّهم بعضهم أصحابها بالكُفْر والزّندقة، ووصلت الأمور في أحد مراحل الصّدام مع هؤلاء الصُّوفيِّين إلى إعدام واحد من أبرز متقدِّمي هذه الأفكار وهو الحسين بن منصور الحلاَّج، الذي تمَّ إعدامه في 24 ذي القعدة من عام 309 هجري.

الرَّقْص والسَّمَاع عند الصُّوفيَّة:

الرّقص عند الصُّوفيَّة مختلف عليه، فمنهم مَنْ يُبيحه، ويُمارسه، ومنهم مَنْ يرى أنَّ فيه بدعة، ويجب عدم القيام به. والرّقص شرعاً غير جائز، ولم يرد له أصل في الشّريعة، وهو باتِّفاق جميع العقلاء لَهْوٌ حين يكون جداً، ولَغْوٌ حين يكون هزلاً. ولم يمدحه أحد من الفقهاء، بل أنكره الأئمَّة الأربعة. ولمَّا كانت حركات الوَجْد ومعاملات أهل التَّواجد شبيهة بالرّقص، فقد ذهبت بعض الجماعات الصُّوفيَّة إلى تقليد هذا السُّلُوك، واعتمدوه، بالرّغم من إنكار جماعات أخرى له. وأمَّا الصُّوفيُّون الذين دافعوا عنه، وأباحوه، ومنهم عبد الرّحمن السّلمي صاحب كتاب "طبقات الصُّوفيَّة"؛ فقد استندوا إلى ما ورد عن بعض الصّحابة من أنَّهم حرّكوا أرجلهم فيما يشبه الرّقص. أمَّا الإمام الغزالي؛ فقد أحلَّ - أيضاً - الرّقص، ولم يستنكره، أو يرفضه، فقد قال: لو كان الرّقص حراماً لما نظرت عائشة ﷺ إلى الحبشة مع رسول الله ﷺ وهم يزفنون. "إحياء عُلُوم الدِّين". وظاهرة الرّقص تبدو واضحة ومألوفة في التَّصوُّف الفارسي، وقد كان أبو سعيد بن أبي الخير صاحب كتاب "أسرار التَّوحيد"، والذي يُعدُّ من كبار مشايخ الصُّوفيَّة في خراسان، والذي عاصر السّلمي والجرجاني والقُشيري من المولعين بالسّماع والرّقص، وكان يرى في الرّقص رياضة من الرّياضات التي تساعد المريدين والمبتدئين على التَّخلُّص من شهوة الجسد.

لقد كان الرّقص طابعاً مميّزاً لفرقة المولويّة المنسوبة إلى جلال الدّين الرّومي، فقد كان المولويّة يقيمون طريقتهم على الوجد والسّماع والرّقص وقراءة الأشعار، حتّى إنّهم يُعرَفُون عند الأوروبيّين بالدّراويش الرّاقصين.

وقد نفى ابن الجوزي أنْ يُعدَّ الزّفن والحجل رقصاً؛ لأنّهما نوع من المشي، وضرب الأرض بالقَدَم، وهو ما يفعله الإنسان العادي في حالة الفرح. أمّا رقص الصّوفيّة؛ فهو لا يتناسب مع وقار الشّيوخ. ويقول في كتابه "تلبيس إبليس": وهل يزري بالعقل والوقار ويخرج من سمت الحلم والأدب أقبح من ذي لحية يرقص؟ فكيف إذا كان شيبة ترقص على قاع الألحان والقضبان؟. كذلك رأى السّهروردي في الرّقص عملاً لا يليق بالشّيوخ ومَنْ يقتدي بهم؛ لما فيه من مشابهة اللّهو، واللّهو لا يليق بمنصبهم "عوارف المعارف".

ولأبي العلاء المعرّي بيتان يعيب فيهما رقص الصّوفيّة:

أرى جيل التّصوُّف شرَّ جيل ... فقُل لهمو وأهون بالحلول
أقال الله حين عبدتموه ... كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

إنَّ الذّكْر الذي يقوم به أولئك الصّوفيّون، الذين يمارسون خلاله القيام بالحركات الموزونة والتّرنيمات المصطنعة، وما يصاحبها من حركات بالجسم، من رفع وخفض وانحناء للأمام والخلف، ودوران في حلقات، وتصفيق بالأيدي، وضرب بالأقدام على أصوات الموسيقى التي أدخلوا إليها مؤخّراً الآلات الموسيقيّة الحديثة كالهارب، وطبول الإيقاع وغيرها، إنَّ هذا النّوع من الذّكْر الذي ترفضه الفطرة السّليمة، وتأباه القلوب الخاشعة والتّوجه الصّادق، مرفوض ومُستنكَر، وصدق الإمام الجليل سعيد بن المسيب عندما قال: لو خشع القلب لخشعت الجوارح.

وكذلك اختلف الصّوفيّون في موضوع السّماع (الغناء). فمنهم مَنْ رفضه تأسّياً بسيرة رسول الله ﷺ والصّحابة الكرام: "عمر ﷺ" عندما ضرب ميران الصّحابي بالدّرّة لأنّه كان يغني، و"علي ﷺ" بإنكاره على معاوية لأنَّ لديه جوار مغنّيات، وكذلك منعه "الحسن ﷺ"

من رؤية تلك المرأة الحبشيَّة التي كانت تغنِّي، ومنهم مَنْ أجازه، بل استغرق في الاستماع، ومارس الغناء.

ولعلَّ حلقات الذِّكْر التي يمارسها أكثر الصُّوفيِّين الآن، وما يرافقها من القيام بحركات موزونة وترنيمات، وما يصاحبها من دفع بالجسم من رفع وخفض، وانحناء إلى الأمام والخلف، ودوران في حلقات، وتصفيق في الأيدي، وتمايل في الرَّأس للتَّعبير عن النَّشوة، والضَّرب بالأقدام للتَّدليل على الانجذاب، والتي تجري على أنغام الموسيقى التي تنبعث من الآلات الموسيقيَّة الحديثة، إنَّ حلقات الذِّكْر تلك التي يواظب عليها مُعظم الفرَق الصُّوفيَّة أصبحت من الأمور المتعارف عليها في الوسط الصُّوفي، وتقليداً ثابتاً في سُلُوكهم.

فبعد أنْ كان الذِّكْر يقوم على تعظيم اسم الله سبحانه وتعالى، وتوقيره، وإكباره، أصبح - بما ابتدعه الصُّوفيُّون المحدثون من أعمال، وما أدخلوا عليه من تطوُّرات وبدَع يأباها الشَّرع، وينكرها العقل - عبارة عن حلقات يتردَّد فيها اسم الله مقروناً بالأناشيد والأغاني المليئة بالأشعار الغزليَّة التي يؤلِّفها شعراؤهم، وينشدها القوَّالون منهم على أصوات الموسيقى؛ ليثيروا في نفوس مستمعيهم الطَّرب والنَّشوة، ممَّا يدفع المستمعين إلى الرَّغبة في المشاركة في حركات الهزِّ والرَّقص التي يمارسها أصحاب الحلقة.

إنَّ حلقات الذِّكْر تلك التي يمارسها الصُّوفيُّون تمثِّل البدعة في أجَلِّ صورها، والجهل بالشَّرع الحنيف، وإنَّ هذا المنحى الصُّوفي يبتعد عن المفهوم الصَّحيح لما ألفه السَّلف الصَّالح، ولا يتَّفق مع المقصود من الآية الكريمة:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال/ 2).

لقد كان الشِّبلي يقول: "السَّماع ظاهره فتنة، وباطنه عبرة، فَمَنْ عرف الإشارة حَلَّ له استماع العبرة، وإلاَّ فقد استدعى الفتنة، وتعرَّض للبلبلة".

إنَّ ما يقوله هؤلاء المبتدعون في تعليل سُلُوكهم وحركاتهم المشينة بأنَّ هذه الأعمال هي لمنع الخاطر من أنْ يشتغل بغير الله تعالى فهو مردود عليهم؛ لأنَّ ما عُرف عن السَّلف الصَّالح

من أنَّهم كانوا أحرص من الجميع على حفْظ خواطرهم وقلوبهم، وجَعْلها مع الله، إلاَّ أنَّهم لم يكونوا يفعلون ما يفعله هؤلاء المدَّعون، ولا يقومون بما يقوم به هؤلاء المُشوِّهون للذِّكر والتّسبيح، بل إذا ذُكر لهم هذا الأمر استنكروه أشدَّ الاستنكار. ولو كان الذِّكْر مُستحبّاً بالشّكل الذي يمارسه هؤلاء المتصوِّفون، لمارسه السّلف الصّالح، ولأدركوا فضله قبلهم.

إنَّ ما ابتدعته الصُّوفيَّة لا يُختَلَف في تحريمه، ولا يخرج عن نطاق البدعة والضّلالة، وهذا ما أجمع عليه الأئمَّة الأربعة، والعديد من الفقهاء؛ كالقرطبي والتّرمذي والقاضي عيَّاض، وغيرهم. ورحم الله الإمامَ أبا عبد الله بن الطَّوبي الصّقلي القائل فيما يتَّصل بتلك الحال:

ليس التَّصوُّف لُبسَ الصُّوف ... ولا بُكاؤك إنْ غنَّى المُغنُّونا
ولا صياحٌ ولا رقصٌ ولا طربٌ ... ولا تغاشٍ كأنْ قد صِرتَ مجنونا
بل التَّصوُّف أنْ تصفو بلا كَدَرٍ ... وتتبع الحقَّ والقرآن والدِّينا
وأنْ تُرى خائفاً لله ذا نَدم ... على ذُنوبكَ طُول الدّهرِ محزونا

الشّيخ الصُّوفي والمريد:

تُعرِّف الصُّوفيَّة الشّيخ بأنَّه: مَنْ سلك طريق الحقِّ، وأرشد مريديه إلى الدِّين والشّريعة، وحبَّبهم بهما، وهو قُدْسي الذّات، فاني الصّفات، عالم بالكتاب والسُّنَّة، ومُتَحَلٍّ بأخلاق النّبي ﷺ، وقد أخذ طريقته عن شيخ مُحقّق، تسلسلت متابعته إلى رسول الله ﷺ، وارتاض رياضة بالغة. وعند الصُّوفيَّة الشّيعة فإنَّ شيوخهم الرّجال الأربعة الذين منحهم الإمام علي ﷺ "خرقة خلافة الفقر" التي وصلت إليه - كما يقولون - من الرّسول ﷺ، وهم الحسن بن علي - الحسين بن علي - كُميل بن زياد - والحسن البصري. والشّيخ الصُّوفي - إجمالاً - يجب أنْ يتحلَّى بأخلاق الرّسول ﷺ من قلَّة الطّعام والكلام والمنام والاختلاط مع الأنام وكثرة الصّلاة والصّيام وغير ذلك من الصّفات النّبويَّة الحميدة، ولا يصلح للمشيخة المجذوب، ولا السّالك.

وهناك اعتقاد في الوسط الصُّوفي بكمال الشّيخ، فالشّيخ في نظرهم محفوظ من الخطأ، لذلك؛ فإنَّ المريد لا يملك إلاَّ الطّاعة، ولا يحقُّ له الاعتراض على أمر الشّيخ، ولو

كان في هذا الأمر معصية، وإنَّ الشّيخ يملك من المقدرة ما لا حُدُود له، وإنَّ النّفع والضرّ بيدَيه دائماً يتَصرَّف فيهما كيف يشاء. وهناك مقولة سائدة بين الصُّوفيِّين مفادها أنَّ على المريد أنْ يكون بين يدَيْ الشّيخ كالميِّت بين يدي المُغسِّل، يُوجِّهه كيف يشاء، مع الإشارة بأنَّ سيِّد الخلق ﷺ كان يُعلِّم أصحابه ضرورة السّؤال والمناقشة، ويقول: "سلوني ما شئتم، فأنا لكم مثل الوالد أعلمكم".

أمَّا المريد؛ فإنَّه إذا وصل إلى الشّيخ؛ فينبغي عليه أنْ يتمتَّع بصفات عديدة؛ أبرزها: الأدب مع شيخه، والطّاعة العمياء له، فإنَّ مبايعة المريد للشّيخ هي اعتراف جلي بعُلُوِّ ومقدرة الشّيخ، ومهارته، والتّصميم على الإقبال عليه، والاقتداء به، والثّقة المطلقة بشخصه. والمريد في هذه الحالة عليه أنْ يدرك ـ عن إيمان راسخ ـ بأنْ لا شيخ آخر جدير بالاقتداء به إلاَّ شيخه الذي بايعه، وولاَّه أمره. وفي الصُّوفيَّة؛ يطلقون على هذا الأمر "توحيد المطلب"، لذلك؛ فإنَّ كُلَّ شيخ يصرُّ على المريد أنْ لا يتَّخذ شيخاً آخر غيره، لأنَّ المريد يجب أنْ يكون له أب واحد ومُرضع واحد، يتعهَّده بالرّعاية والتّثقيف والإرشاد والتّربيَّة التي توصله إلى الله تعالى، وترتقي به في مدارج الكمال والمقامات.

وقد أوجز عدد من الصُّوفيِّين صفات وأدب المريد مع شيخه، فقال مصطفى البكري:

"أنْ تجلس جلوس الصّلاة عنده، وأنْ تفنى، وألاَّ تجلس فوق سجادته، ولا تتوضَّأ بإبريقه، ولا تتّكئ على عُكَّازه، ومَنْ يقل لشيخه لِمَ، لا يُفلح، وأنْ تغفل عنه وقتاً، فهذا من مقتكَ، واجتهدْ أنْ تنال مقام الفناء فيه، فَمنْ ثَمَّ ترقى إلى مقام البقاء به:

وسلِّم الأمرَ له، لا تعترضْ	ولو بعصيان أتى أذىً فُرِض
وكُنْ لديه مثل ميِّت فانِ	لدى مُغسِّل لتمسي داني
ولا تطأ له على سجَّادة	ولا تنمْ له على وسادة

أمَّا الشّعراني؛ فقال: مَنْ أشركَ بشيخه شيخاً آخر وقع في الشّرك بالله، ومَنْ أخذ الطّريق على غير شيخه كان على غير دين.

أمَّا القُشيري؛ فقال: "مَنْ صحب شيخاً من الشّيوخ، ثُمَّ اعترض عليه بقلبه، فقد نقض عهد الصّحبة، ووجبت عليه التَّوبة".

لقد كَتَبَ عن آداب المريد عدد كبير من مشايخ الصُّوفيَّة؛ منهم: الجُنيد "تصحيح الإرادة"، وأحمد بن خضرويه البلخي "الرّعاية بحقُوق الله"، ومُحمَّد بن علي التّرمذي "بيان آداب المريدين"، وأبو القاسم الحكيم، وأبو بكر الورَّاق، وسهل بن عبد الله التّستري، رحمهم الله أجمعين، وبيَّنوا حقَّ الصّحبة، وفضل الأدب عند المريد. وقد عبَّر الشّيخ أبو العبَّاس بن عطاء عن الأدب عندما سألوه عن شروطه فقال:

إذا نطقت جاءت بكُلِّ ملاحة وإذا سكت جاءت بكُلِّ مليح

وقد فرَّق أبو النّصر السَّرَّاج ـ رحمه الله ـ بين الآداب، فقال: النّاس في الأدب على ثلاث طبقات: "أمَّا أهل الدّنيا؛ فأكثر آدابهم في الفصاحة والبلاغة، وحفظ العُلُوم، وأسماء الملوك، وأشعار العَرَب"، "أمَّا أهل الدِّين؛ فأكثر آدابهم في رياضة النّفس، وتأديب الجوارح، وحفظ الحُدُود، وترك الشّهوات"، "أمَّا أهل الخُصُوصيَّة؛ فأكثر آدابهم في طهارة القلوب، ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعُهُود، وحفظ الوقت، وقلَّة الالتفات إلى الخواطر، وحُسْن الأدب في مواقف الطّلب، وأوقات الحضور، ومقامات القُرْب".

والمريد في الصُّوفيَّة يُحكِّم الشّيخ في نفسه، ولبس الخرقة التي يقدِّمها الشّيخ للمريد هي تعبير عن الارتباط بين الشّيخ والمريد، ودليل على المبايعة، بمعنى عدم الاعتراض على أيّ سُلُوك من المريد ظاهراً أو باطناً على أفعال الشّيخ، وهي بمثابة عتبة للدُّخُول في الصُّحبة. ويقول أبو يزيد البسطامي: "مَنْ لم يكن له شيخ، فإمامه الشّيطان". وباختصار؛ فإنَّ طاعة المريد لشيخه هي طاعة عمياء، والتزام مطلق منه بالخضوع لأوامر وتوجيهات شيخه، مهما بلغ الشّطط بها، أو خُرُوجها عن المألوف من العادات.

إنَّ إيمان المريد بشيخه في الطُّرُق الصُّوفيَّة إيمان لا حُدُود له، وعلاقة المريد بشيخه علاقة تفوق في صلتها علاقة الابن بأبيه، أو الأخ بأخيه، أو الصّديق بصديقه، وتصل درجة العبوديَّة

في هذه العلاقة إلى الإيمان المطلق بمقدرة الشّيخ وبركاته، ويصل الغُلُوُّ في تقدير مكانة الشّيخ درجة القداسة، حتّى إنَّ بعض الفرَق النّسويّة الصُّوفيّة يندفع أتباعها إلى القول:

نحـنُ لـو كُنّـا أينمـا كُنّـا شـيختنا معنـا لا تُضيِّعنـا

إنَّ المعارضين للصُّوفيَّة يصفون هذه الرّابطة بين الشّيخ والمريد بأنَّها تعطيل لحُرِّيَّة الفكر، وترسيخ لمبدأ العبوديَّة في نَفْس المريد، ومحو كُلّ تفكير من ذهنه. إنَّ هذا الأسلوب في العلاقة بين الشّيخ والمريد لابُدَّ أنْ يشجّع على تقبُّل الأسلوب الدّيكتاتوري في التّعامل، ورفض أيّ نوع من أنواع الحُرِّيَّة الفكريَّة. إنَّ تحريم الاعتراض وعدم السّماح للمريد بالاستماع، أو الاجتماع، أو حضور أيّ مجلس شيخ آخر غير شيخه ما هو إلاَّ تعطيل مقصود لحُرِّيَّة الفكر، وتقييد مُتعمَّد له. إنَّه الأسلوب نفسه الذي تمارسه الأحزاب الفاشيَّة مع أعضائها، بل إنَّه أسلوب مفرط في ترسيخ الخنوع في نَفْس المريد، فبدلاً من الحثّ على التّفكير وتشغيل العقل كما هو مطلوب شرعاً، وكما ورد في القرآن الكريم، فإنَّه ينمّي الحثّ على الطّاعة العمياء، وشلّ الإرادة.

خرقة الشّيخ:

إنَّ الارتباط بين الشّيخ والمريد لابُدَّ أنْ يُستهَلَّ بإعطاء المريد الخرقة. فلبس الخرقة يعني المبايعة للشّيخ، وتحكيم من المريد للشّيخ بنفسه، وهذا الإجراء هو ضروري للتّمهيد للدُّخُول في الصُّحبة التي ستحمل للمريد كُلَّ الخير. والخرقة التي يمنحها الشّيخ للمريد عقيدة سائدة لدى جميع الفرَق الصُّوفيَّة. ففي الخرقة البركة والشّفاء والتّوفيق. ويُروِّج الصُّوفيُّون قَصَصاً عديدة عن موضوع الخرقة. فمنهم مَنْ يقول إنَّ أصل الخرقة هو أنَّه عندما أُلقي النّبي إبراهيم ـ عليه السّلام ـ في النّار جرَّدوه من ثيابه، فأتاه جبريل بقميص من الجنَّة؛ ليحمي جسده من النّار، وبقي القميص عند إبراهيم، وأورثه لابنه إسحاق، وأورثه إسحاق لابنه يعقوب، ويعقوب أورثه لابنه يوسف، الذي استخدمه لردِّ بَصَر أبيه يعقوب. وفي الرّواية الشّيعيَّة؛ فإنَّ أساس الخرقة هو أنَّ عليّاً بن أبي طالب ـ ﷺ ـ قد ألبس الحَسَنَ البصري خرقة، وأخذ عليه عهداً بالتزام الطّريقة!! وفي رواية أخرى يزعمون أنَّ الخضر ـ عليه السّلام ـ هو الذي أخذها

من الرّسول ﷺ، والصُّوفيَّة أخذوها عنه، وتناقلها كابر عن كابر كُلٌّ من الجنيد، الذي أخذها عن خاله سري السّقطي، وهذا أخذها عن معروف الكرخي، والأخير أخذها عن داود الطّائي، إلى أنْ تنتهي سلسلة الأخذ إلى الإمام علي بن أبي طالب ﷺ؛ لإثبات أنَّ أصل التَّصوُّف شيعي، وأنَّ أصل الخرقة يعود إلى علي ﷺ.

وتقول روايات أخرى قد تكون أكثر قرباً لواقعيَّة نشوء هذه العادة في الوسط الصُّوفي: إنَّ الشّبلي كان أوَّل مَنْ ألبس الخرقة، واصطلح، وكان مَنْ لبسها منه هو الفضل بن عبد الواحد بن عبد العزيز التّميمي. ويعزى الصُّوفيُّون أصل الخرقة في القرآن الكريم إلى الآية 26 من سورة الأعراف التي تقول: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾. وأمَّا ابن عَرَبي؛ فإنَّه يقول بأنَّ لبس الخرقة: من التَّبرُّك بفعل السّلف، ولم أجد في ذلك دليلاً. ويعني بقوله هذا بأنَّ لبس الخرقة ليس له توثيق تاريخي. ويضيف ابن عَرَبي قائلاً: ما كُنتُ أعرف الخرقة إلاَّ الصّحبة والأدب لا غير، ولهذا؛ لا يُوجد إلباسها متَّصلاً برسول الله ﷺ.

ويبدو أنَّ توريث الخرقة من شيخ لآخر يتمُّ ـ في بعض الأحيان ـ لدى بعض الفرَق بالوراثة، وذلك خلافاً للأُسُس التي بُني عليها التَّصوُّف، الذي يقوم ـ عادةً ـ على المجاهدة والسُّلُوك.

ويسود في الصُّوفيَّة مفهوم لبس المُرقَّعات، وإنْ بدا هذا الشّعار الصُّوفي غير معمول به في الوقت الحاضر؛ بسبب ميل أكثر الصُّوفيِّين إلى ارتداء أفخر الثّياب، وأرقى أنواعها. وفي الماضي؛ جرت العادة أنَّ كُلَّ مريد يجب أنْ يخضع للتّأديب ثلاث سنوات لإدراك معان ثلاثة. فإذا أدّى حقَّها فبها، وإلاَّ قالوا له: إنَّ الطّريقة لا تقبله؛ والسّنوات الثّلاث هي: سنة لخدمة الخلق، وسنة لخدمة الحقّ، وسنة ثالثة لمراعاة قلبه، فإذا اجتاز هذا الاختبار، ونجح فيه، فإنَّه يُسَلَّم له بلبس المُرقَّعة على وجه التّحقيق، لا التّقليد.

وتاريخ لبس المُرقَّعة يعود لزمن الرّسول ﷺ؛ فقد رُوي عنه أنَّه أمر السَّيِّدة عائشة ـ ﷺ ـ بأنْ لا تضع الثَّوب حتَّى تُرقِّعه، وأنَّ عمراً ـ ﷺ ـ كان يلبس المُرقَّعات، وأنَّ عليّاً ـ ﷺ ـ كان له قميص، لا يصل كمَّاه إلى أصابعه، وكان إذا وَجَدَ لديه قميص أطول من هذا يقصُّ طرف

كُمّيه. والثّياب المُرقَّعة هي زينة الأولياء، فقد كان الحسن البصري، ومالك بن دينار، وسفيان الثّوري ـ رحمهم الله ـ يلبسون الملابس الصُّوفيَّة المُرقَّعة!!. ويُروى عن الثّوري أنّه عندما توفّي في البصرة عام 161 هجري أنْ قوّموا ثيابه التي عليه حتّى النّعل، فبلغت درهماً وأربعة دوانق!!. ويُروى ـ أيضاً ـ أنَّ إبراهيم بن أدهم عندما دخل على أبي حنيفة كان يرتدي مُرقَّعة من الصُّوف، فنظر إليه أصحاب أبي حنيفة بعين الاحتقار، فقال أبو حنيفة: جاء سيِّدنا إبراهيم ابن أدهم؟! فقال له أصحابه: لا يجري الهزل على لسان إمام المسلمين، فبمَ وَجَدَ هذه السّيادة؟ قال: بالمداومة على الخدمة، فقد انشغل بخدمة الله، وانشغلنا بخدمة أنفسنا، حتّى صار سيِّدنا.

ومن المتعارف عليه لدى المدركين لحقيقة الزّهد والمحبّين الابتعاد عن تَرَف الدّنيا وزينتها ومظاهرها الخادعة. إنَّ لباس المُرقَّعات هو لباس يعتزُّ به الخواصُّ. فهي زينة لهم يلبسونها لتكون علامة عليهم بين الخلق، ويكون الخلق رقيباً عليهم، ولا يلبسونها للتّظاهر وخداع العامَّة، وجلب المنافع الدّنيويَّة التي يحرص عليها أصحاب النّفوس المريضة.

يقول الصُّوفيَّة في المُرقَّعات أقوالاً عديدة؛ منها: أنَّ جيبها الصّبر، وأكمامها الخوف والرّجاء، وإبطاها القبض والبَسْط، وحزامها مخالفة النَّفْس، وسجافها الإخلاص. وفي قول آخر: طرفها اعتزال النّاس، وأكمامها الحفظ والعصمة، وحشوها الفقر والصّفوة، وحزامها الإقامة في المشاهدة، وطرفها الأمن في الحضور، وإطارها القرار في المحلّ.

وخير من هذا القول أنْ يكون الجيب من فناء المُؤانسة، والكُمَّان من الحفظ والعصمة، والإبطان من الفقر والصّفوة، والحزام من الإقامة في المشاهدة، والسّجاف في القرار في محلّ الوصل.

الفصل الثّامن:

المفهوم الصُّوفي للوَليّ - مراتب وطبقات الأولياء - ختم الولاية - مكانة الوَليّ - النّبي والوَليّ - النّبي موسى والرّجل الصّالح - الوَليّ الحق

المفهوم الصُّوفي للوَليّ:

تأخذ الولاية في الصُّوفيَّة منحىً خاصّاً، ومفهوماً مميَّزاً. ففي المفهوم الصُّوفي هي حالة تعني: "فناء العبد في الحقّ، وبقاءه به". فالوَليّ هو الفاني الباقي به، والفناء هو نهاية السّير إلى الله، والبقاء هو بداية السّير في الله تعالى.

وتتألَّف الولاية من نوعَيْن: الولاية الصّغرى؛ التي يتولّى فيها العبد طاعة الله، والولاية الكُبرى؛ التي يتولَّى الله فيها عبدَهُ، فلا يَكله إلى نفسه، ولا إلى النّاس، ويعني: "تولّى الله - سبحانه وتعالى - عبده" ظهور أسمائه وصفاته عليه علماً وعيناً وحالاً وتصرُّفاً. وهذا المفهوم للولاية عند الصُّوفيَّة يقود إلى مفهوم آخر هو نُبُوَّة الولاية؛ أيْ أنَّ الوَليّ هو المكلَّف بالدّعوة بعد مُحمَّد ﷺ كخليفة له، فهو يدعو إلى الله - تعالى - حسب ما يُنبِّئه به الله تعالى. ويعتقد الصُّوفيُّون أنَّ باب الولاية مفتوح دائماً، بينما باب النُّبوَّة قد سُدَّ بعد مُحمَّد ﷺ. وكذلك يؤمنون بأنَّ نُبُوَّة التّشريع مرهونة بمصلحة الوقت، بينما ولاية التّشريع لا تتعلّق بوقت محدَّد، وسلطانها يُمكن أنْ يكون إلى قيام السّاعة. ويبرِّرون هذا بأنَّ ولاية النّبي - ﷺ - محدَّدة بسُنّته، وما بلَّغه ربُّه في كتابه، الذي بيَّن فيه أحكامه.

أمَّا الوَليّ؛ ففي المصطلح اللّغوي يعني: المحبّ والنّصير، كما يعني الذي يلي. وعندما نقول الله وليه نعني الله حافظه، وعندما نقول إنَّ المؤمن وَليّ الله؛ فإن ذلك يعني أنَّ هذا المؤمن

مطيع لله ولرسوله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ (المائدة / 55) ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(البقرة / 257).

والوَلي - فضلاً عن طاعته - دائم الرّجاء من ربّه ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف / 155) ﴿ وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ (النّساء / 75). فالوَلي - في المفهوم القرآني - هو المؤمن الصّالح التّقيّ، الذي يتولّى اللهُ - سبحانه وتعالى - أمرَهُ، فلا يَكله إلى نفسه لحظة، وعبادته وطاعته تجري دُون أنْ يتخلّلها أيّة معصية.

ويقول أبو علي الجوزجاني: الوَلي هو الفاني عن حاله، الباقي في مشاهدة الحقّ، لم يكن له عن نفسه أخبار، ولا مع غير الله قرار.

ويصف سهل التّستري صاحب الرّسالة القشيريّة الوَلي: بأنّه الشّخص الذي يتولّى اللهُ أمرَهُ، وهو الذي يتولّى عبادة الله وطاعته من غير أنْ يتخلّلها عصيان.

أمّا أبو عثمان المغربي؛ فيقول: الوَلي قد يكون مشهوراً، ولا يكون مفتوناً. وقد يكون مستوراً، ولا يكون مشهوراً.

ويصف أبو يزيد البسطامي الوَلي فيقول: الوَلي هو الصّابر تحت الأمر والنّهي؛ لأنّه كلّما ازدادت محبّة الحقّ في قلبه، أصبح أمره أكثر تعظيماً على قلبه، وازداد جسده بُعْدَاً عن نَهْيه.

أمّا علي بن عثمان الهجويري؛ فيقول في كتابه (كشف المحجوب) عن الوَلي: إنّ لله - عزّ وجل - أولياء؛ هم وُلاة مُلْكه، الذين اصطفاهم، وجعلهم آية إظهار فعله، وخصّهم بأنواع الكرامات، وطهّرهم من آفات الطّبع، وخلّصهم من متابعة النّفْس، فلا هَمّ لهم سواه، ولا أُنس لهم إلاّ معه. ولقد كانوا في الماضي وسيبقون إلى يوم القيامة، ينزل المطر من بركات أقدامهم، وينبت النّبات بصفاء أحوالهم، وتكون نصرة المؤمنين على الكفّار ببركات هِمَمهم.

مراتب وطبقات الأولياء:

ويصنِّف الهجويري الأولياء تصنيفاً خاصّاً. فبعد أنْ يورد صفاتهم يبيِّن أنَّ عددهم أربعة آلاف، وهم المكتومون، لا يعرف أحدهم الآخر، ولا يعرفون ـ أيضاً ـ جمال حالهم، وهم ـ في كُلِّ الأحوال ـ مستورون عن أنفسهم، وعن الخلق.

أمَّا أهل الحَلِّ والعقد وقادة حضرة الحقِّ ـ جلَّ جلاله ـ فثلاث مائة يُدعَون "الأخيار"، وأربعون آخرون يُسمّون "الأبدال"، وسبعة آخرون يُقال لهم "الأبرار"، وأربعة يُسمّون "الأوتاد"، وثلاثة آخرون يُقال لهم "النُّقباء"، وواحد ـ فقط ـ يُسمَّى "القُطب؛ وهو الغوث". وهؤلاء كُلُّهم يعرفون الأحوال فيما بينهم، ويحتاجون إلى إذن بعضهم البعض في الأمور.

ويختلف تقسيم ابن عَرَبي في " فتوحاته المكِّيّة "عن التّقسيم والعدد الذي أورده الهجويري في كتابه " كشف المحجوب". فحسب تقسيم ابن عَرَبي جاء ترتيب عدد الأولياء على النّحو التّالي:

1 ـ *القطب وهو الغوث:* وهو الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كُلِّ زمان ومكان، وهو على قلب إسرائيل عليه السّلام.

2 ـ *الإمامان*. . وهما شخصان أحدهما على يمين الغوث، ونظره في الملكوت، والآخر على يساره، ونظره في المُلْك، وهو أعلى من صاحبه، وهو الذي يخلف الغوث.

3 ـ *الأوتاد*. .: عبارة عن أربعة رجال، منازلهم على منازل أربعة أركان العالم: شرق، وغرب، وشمال، وجنوب، مع كُلِّ واحد منهم مقام تلك الجهة.

4 ـ *البُدَلاء*. .: وهم سبعة، ومَنْ سافر من القوم عن موضعه، وترك جسداً على صورته، حتَّى لا يعرف أحد أنّه فُقِدَ، فذلك هو البَدَل لا غير، وهم على قلب إبراهيم عليه السّلام.

5 ـ *النُّجباء*. .: أربعون؛ وهم مشغولون بحَمْل أثقال الخلق، فلا يتصرَّفون إلاَّ في حقِّ الغير.

6 ـ *النُّقباء..*: وهم الذين استخرجوا خبايا النّفوس؛ وهم ثلاثمائة.

ويذكر ابن عَرَبي في كتابه "الفتوحات المكّيّة" أنّه اجتمع بالأبدال السّبعة بمكّة، وسلّم عليهم، وتكلّم معهم: "فما رأيتُ ـ فيمَنْ رأيتُ ـ أحسن سمةً منهم، ولا أكثر شغلاً منهم بالله".

أمّا زين الدّين مُحمّد عبد الرّؤوف المناوي؛ فقد ذكر في كتابه "إرغام أولياء الشّيطان بذكْر مناقب أولياء الرّحمن" تصنيفاً آخر للأولياء؛ جاء فيه ما يلي:

طبقات الأولياء الذين يتواجدون في كُلّ زمن، وعددهم المحدّد لكُلّ منهم، والذي لا يزيد، ولا ينقص:

رَقْم الطّبقة	اسم ممثّل الطّبقة	العدد	المواصفات والمهامّ المحدّدة لممثّلي الطّبقة
1 ـ الأولى	القُطب/ الغوث	1	الجامع للأحوال والمقامات، سيّد أهل زمانه، ومحلّ نظر الحقّ، مَنْ يُجوّز الخلافة الظّاهرة والباطنة معاً.
2 ـ الثّانية	الإمامان	2	أحدهما عبد الرّبّ، والثّاني عبد الملك، وهما وزيرا القُطب، ويخلفانه إذا مات، أحدهما مقصور على مشاهدة عالم الملكوت، والآخر مع عالم الملك، يقف الأوّل على يمين القُطب، والآخر على يساره.
3 ـ الثّالثة	الأوتاد	4	يحفظ بهما الله الجهات الأربع، ألقابهم عبد الحيّ، عبد العليم، عبد القادر، وعبد المريد، كُلُّهم من الرّجال، وقد يكون منهم النّساء.
4 ـ الرّابعة	الأبدال	7	يحفظ الله بهم الأقاليمَ السّبعة. الأوّل على قَدَم إبراهيم الخليل، وله إقليمه، والثّاني على قَدَم موسى كليم الله، وله إقليمه، والثّالث على قَدَم هارون، والرّابع على قَدَم إدريس، والخامس على قَدَم يوسف، والسّادس على قَدَم عيسى، والسّابع على قَدَم آدم، عليهم جميعاً صلوات الله، وسلامه. وهم

			عارفون بما أودع الله في الكواكب السّيّارة من أسرار في حركاتها ونزولها في المنازل.
5ـ الخامسة	النُّقباء	12	وهم على عدد بُرُوج الفَلَك، وكُلٌّ نقيب يعلم خاصيَّة كُلّ برج، وبما أودع من الأسرار والتّأثيرات، وقد جعلَ اللهُ في أيديهم عُلُومَ الشّرائع المنزلة، ولهم استخراج خفايا النّفوس، وغوائلها، ومعرفة مَكْرها وخدَعها، ويعرفون من إبليس ما لا يعرفه من نفسه.
6ـ السّادسة	النُّجباء	8	وهم الذين يبدو منهم إعلام القبول في أحوالهم، وإنْ لم يكن لهم في ذلك اختيار، ولكنَّ الحال يغلب عليهم، ولا يعرف ذلك إلاَّ مَنْ هو فوقهم، وهم أهل علم الصّفات الثّمانية، السّبعة المشهورة، والثّامن الإدراك. ولهم القَدَم الرّاسخ في علم تسيير الكواكب.
7ـ السّابعة	الحواريُون	1	وهو واحد فقط في كُلّ زمن، وإذا مات أُقيم غيره. وهو الذي أُعطي الحُجَّة والعلم والسّيف والشّجاعة.
8ـ الثّامنة	الرّجبيُّون	40	شأنهم القيام بعظمة الله، وحال هذا المقام لا يكون إلاَّ في رجب، وقَلَّ مَنْ يعرفهم، إلاَّ أنَّهم يعرفون بعضهم بعضاً، وسُمّوا رجبيّين؛ لأنَّه في أوّل يوم من رجب يجد هؤلاء أنفسهم وكأنّما أطبقت عليهم السّماء، فلا يتحرَّك منهم جارحة. ويخفّ هذا الحال كلّما مرَّت الأيَّام في الشّهر المذكور، ويقع لهم الكَشْف والتَّجلّي والاطّلاع على الغيب. وفي نهاية الشّهر يُسلَب عنهم ذاك الحال، ويقوم كُلٌّ لحرفته.
9ـ التّاسعة	الختم	1	وهو واحد لا في كُلّ زمان، بل واحد في العالم يختم الله به الولاية المُحمَّديَّة، ولا يكون في الأولياء المُحمَّديّين أكبر منه.

10ـ العاشرة	أصحاب آدم	300	وهم على قلب آدم عليه الصّلاة والسّلام. الذين لهم من الأخلاق الإلهيَّة ثلاثمائة خُلُق، مَنْ تخلَّق بواحد منها أصبحت له السّعادة.
11ـ الحادية عشر	أصحاب نوح	40	وهم على قلب نوح عليه الصّلاة السّلام. وصفاتهم القبض، ودعاؤهم دعاء نوح ﷺ ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ (نوح/ 28).
12 ـ الثّانية عشر	أصحاب إبراهيم	7	وهم على قلب الخليل عليه الصّلاة والسّلام، ودعاؤهم دعاء الخليل ﷺ ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (الشّعراء / 83) ومقامهم السّلامة من النّاس. وقد أُسدل بينهم وبين الشّرور التي عليها النّاس حجاب.
13 ـ الثّالثة عشر	أصحاب جبريل	5	وهم على قلب جبريل عليه السّلام. وهم ملوك أهل الطّريق، لهم من العُلُوم ما لجبريل من القوى المعبَّر عنها بالأجنحة التي بها يصعد وينزل. ومعه يقفون يوم القيامة في الحشر.
14 ـ الرّابعة عشر	أصحاب ميكائيل	3	وهم على قلب ميكائيل عليه السّلام. لهم من العُلُوم على قدر ما لميكائيل من القوى.
15ـ الخامسة عشر	أصحاب إسرافيل	1	واحد ـ فقط ـ على قلب إسرافيل عليه السّلام. له الأمر، ونقيضه ما لإسرافيل من علم، وما لأبي يزيد البسطامي رضي الله عنه.
16ـ السّادسة عشر	جماعة داود	000	وهم جماعة لم يحدِّد الكاتب عددهم. وهم على قلب داود عليه السّلام. (ومعنى كون الواحد على قلب ذلك الكبير أنَّ كُلَّ علم يرد على قلب ذلك الكبير من نبيّ أو ملك يرد على قلب كُلّ واحد من أولئك الأولياء).

17 ـ السّابعة عشر	رجال الغيب	10	وهم أهل الخشوع، لا يتكلمون إلاّ همساً، وهم مستورون لا يُعرَفُون.
18 ـ الثامنة عشر	الظّاهرون	18	وهم الظّاهرون بأمر الله عن أمر الله، القائمون بحقُوقه، وخرق العوائد عندهم عبادة.
19 ـ التّاسعة عشر	رجال القُوَّة	8	وهم رجال القُوَّة الإلهيَّة، آيتهم ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح / 29).
20 ـ العشرون	رجال الحنان	15	وهم رجال الحنان والعطف، لهم شفقة على عباد الله؛ مؤمنهم وكافرهم، ينظرون الخلق بعين الوُجُود والجود، لا بعين الحُكْم والقضاء. لا يُولّى أحدهم ولاية؛ لأنَّ ذوقهم ومقامهم لا يحتمل القيام بأمر الخلق.
21 ـ الواحدة والعشرون	رجال الهيبة	4	وهم رجال الهيبة والجلال، قلوبهم سماويَّة، مجهولون في الأرض، ومعروفون في السّماء.
22 ـ الثانية والعشرون	رجال الفتح	24	وهم رجال الفتح الإلهي، بهم يفتح الله على قلوب أهل الله ما يفتحه من المعارف والأسرار. جعلهم الله على عدد السّاعات، لكُلِّ ساعة رجل منهم. وهم متفرّقون في الأرض، لا يجتمعون أبداً.
23 ـ الثالثة والعشرون	رجال العُلى	7	وهؤلاء الرّجال السّبعة هم رجال المعارج، ولكُلّ واحد منهم في كُلّ نفس معراج إلى الله؛ لتَخَيُّل علم خاصٍّ.
24 ـ الرّابعة والعشرون	رجال التّخت الأسفل	21	وهم أهل النَّفَس الذي يُلقونه، وهم أهل حضور مع الله دائماً، وعددهم لا يزيد، ولا ينقص.
25 ـ الخامسة والعشرون	رجال الإمداد الإلهي والكوني	3	وهم الذين يستمدُّون من الحقّ، ويمدُّون الخلقَ بلطف ولين ورحمة، ويُقبلون على الله بالاستفادة، وعلى الخلق بالإفادة، وهم رجال ونساء أهّلَهُم للسّعي في

			حوائج النّاس عند الله، لا عند غيره. أحدهم واقف مع الله في الله في خلقه، والثّاني له عالم الملكوت، جليس الملائكة، يظهر في كُلِّ صُورة من صور العالم إذا شاء، والثّالث له عالم المُلْك جليس للنّاس.
26 ـ السّادسة والعشرون	الرّحمانيُّون	3	وهم ثلاثة في كُلِّ زمن، يُشبهون الأبدال في بعض الأحوال، وليسوا بأبدال، لهم اعتقاد عجيب في كلام الله.
27 ـ السّابعة والعشرون	رجال الأيَّام السِّتَّة	6	وهم رجال الأيَّام التي خلق الله العالم فيها، ولهم سلطان على الجهات السِّتَّة التي ظهرت بوُجُود الإنسان.
28 ـ الثّامنة والعشرون	رجل الاستطالة	1	وهو رجل واحد في كُلِّ زمان، وقد يكون امرأة آتية من كتاب الله:﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ (الأنعام / 18)، له الاستطالة على كُلِّ ما سوى الله تعالى. وكان صاحب هذا المقام عبد القادر الجيلي رضي الله عنه.
29 ـ التّاسعة والعشرون	رجل البرزخ	1	وهو واحد في كُلِّ زمان، مُركَّبٌ بين جني وأنسي، ومن جنسَيْن مختلفَيْن، وهو رجل البرزخ، به يحفظ الله عالم البرزخ دائماً.
30 ـ الثّلاثون	شبيه القُطب	1	رجل واحد، وقد يكون امرأة، له رقائق ممتدَّة إلى جميع العالم، وهو شخص غريب لا يُوجد منه في كُلِّ زمن إلاّ واحد، يلتبس على بعضهم بالقُطب، ولكنّه ليس بالقُطب.
31 ـ الواحد والثّلاثون	رجال الغِنى بالله	2	وهما رجلان في كُلِّ زمان، أحدهما أكمل من الآخر، أوّلهما له إمداد عالم الشّهادة، والثّاني له إمداد عالم الملكوت.

32ـ الثّاني والثّلاثون	رجال عين التّحكيم والزّوائد	10	وهم عشرة في كُلّ زمان، لهم مقام إظهار غاية الخُصُوصيَّة بلسان الانبساط في الدّعاء، وحالهم زيادة الإيمان بالغيب واليقين.
33ـ الثّالثة والثّلاثون	البُدَلاء	12	وهم بدلاء، وليسوا بأبدال، وسُمّوا بُدَلاء لأنّ الواحد منهم لو لم يُوجد الباقون لناب منابهم، وقام مقامهم.
34ـ الرّابعة والثّلاثون	رجال الاشتياق	5	وهم خمسة في كُلّ زمان، وهم أصحاب القلق والاشتياق. فالأشواق تقلقهم في عين المشاهدة، وهم من ملوك أهل طريق الله.

ختم الولاية:

يشطح الفكر الصُّوفي في مفهوم الولاية والوَليّ إلى القول بأنّه كما للنُّبُوَّة ختام، وخاتم الأنبياء مُحمَّد ﷺ، فإنّ في عالم الولاية ختام أيضاً. فالقول بخاتم الأولياء جاء على لسان العديد من كبار الصُّوفيِّين كالتّرمذي، وابن عَرَبي، والبسطامي، والتّيجاني، وغيرهم. وأوَّل مَنْ ادَّعى أنّه خاتم الأولياء كان الحكيم التّرمذي (مُحمَّد بن علي بن الحسن بن بشر التّرمذي) وهو غير صاحب السُّنَن الفقيه المُتَحدِّث المشهور أبي عبد الله مُحمَّد بن علي التّرمذي، ثُمَّ توالى هذا الادِّعاء على لسان بعض كبار مشايخ الصُّوفيَّة كابن عَرَبي والتّيجاني وابن حموية (سعد الدِّين مُحمَّد بن عبد الله بن حموية الحموي) الذي ادَّعى كُلّ منهم أنّه خاتم الأولياء وإمام الصِّدِّيقين والعارف بالله ومُمدّ الأقطاب والغوث..!! وأصبح لقب خاتم الأولياء مرتبة معتمَدة لدى الصُّوفيِّين، وتحوَّلت الأسطورة إلى حقيقة، والوهم إلى واقع. ولا ندري كيف تتَّفق هذه المقولة الصُّوفيَّة مع الآية الكريمة التي تقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة / 3). ويجنح الصُّوفيُّون إلى تفضيل الأولياء على الأنبياء. فابن عَرَبي يفضِّل الولاية على النُّبُوَّة؛ على اعتبار أنّ النُّبُوَّة تنقطع بموت النّبي، أمّا الولاية؛ فلا تنقطع؛ فهي دائمة. فالنّبي يأخذ عن الله بواسطة المَلَك، أمّا الوَليّ؛ فيأخذ عن الله مُباشرة، وهو دائم الإضافة إلى الدِّين، بعكس النّبي الذي تنتهي إضافاته بانتهاء نُبُوَّته، وكأنّ النُّبُوَّة مُغلقة، والولاية مفتوحة. كما أنّ خاتم الأولياء ليس واحداً.

ويقول ابن عَرَبي في كتابه "فُصُوص الحكم": فإذا رأيتَ النّبي يتكلّم بكلام خارج عن التّشريع، فمن حيثُ هو وَلِيّ وعارف، ولهذا مقامه من حيثُ هو عالم أتمّ وأكمل من حيثُ هو رسول، أو ذو تشريع وشرع، فإذا سمعتَ أحداً من أهل الله يقول أو يُنقَل إليكَ عنه أنّه قال: الولاية أعلى من النُّبُوَّة، فليس يريد ذلك القائل إلاّ ما ذكرناه. أو يقول إنَّ الوَلِيّ فوق النّبي والرّسول فإنَّه يعني بذلك في شخص: وهو أنَّ الرّسول ﷺ من حيثُ هو وَلِيّ أتمّ من حيثُ هو نبي ورسول؛ لأنَّ الوَلِيّ التّابع له أعلى منه. ويزعم ابن عَرَبي أنَّه هو خاتم الأولياء فيقول:

أنا ختم الولاية دُون شكَّ — لورث الهاشمي مع المسيح

وخاتم الأولياء عند ابن عَرَبي أفضل من خاتم الأنبياء والرّسل، وإذا الرّسول ﷺ يُشبّه نفسه بلبنة في حائط، فخاتم الأولياء هو في موضع لبنتَيْن. وما يراه أحد الأنبياء والرّسل إلاّ من مشكاة الرّسول الخاتم، ولا يراه أحد من الأولياء إلاّ من مشكاة الوَلِيّ الخاتم، حتَّى إنَّ الرّسل لا يرونه ـ متى رأوه ـ إلاّ من مشكاة خاتم الأولياء. فيكون خاتم الأولياء تينك اللّبنتَيْن، فيكمل الحائط.

مكانة الوَلِيّ:

يقول الله ـ عزَّ وجل ـ في كتابه الكريم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ (يونس/ 62).

ويقول الله تعالى في الحديث القدسي:

"مَنْ عادى لي وَلِيّاً فقد آذنتُهُ بالحرب، وما تقرَّب إلي عبدي بشيء أحبّ إلي من أداء ما افترضتُهُ عليه، ومايزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنّوافل حتَّى أحبَّه، فإذا أحببتُهُ كُنتُ سَمْعَهُ الذي يسمع به، وبَصَره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئنْ سألني لأُعطينَّه، وإنْ استعاذ بي لأُعيذنَّه".

وفي اعتماد هذه المكانة للوَلِيّ يُشير الصُّوفيُّون إلى الحديث القدسي والآية الكريمة المشار إليهما أعلاه للاستشهاد بأهمِّيَّة الوَلِيّ بالنّسبة إليهم، إلاّ أنَّ التّركيز على فقرة من الحديث

القدسي "مَنْ عادى لي وَليّاً . ." وإهمال بقيَّة مرامي الحديث عمل ناقص ، وقابل للطّعن ؛ لأنَّ بقيَّة الحديث تقول إنَّ الله عزَّ وجل : "وما تقرَّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إلي من أداء ما افترضتُهُ عليه" ، والمعنى هنا يشير ـ بوضوح ـ على أنَّ أحبّ شيء إلى الله هو أداء الفرائض ، ثُمَّ إذا صحب هذه العبادة التي يحبّها الله محبَّة العبد لرسول الله ﷺ فمعنى هذا بلوغ كمال الطّاعة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران / 31) . لذلك ؛ فإن اعتماد جزء من الحديث للتّدليل على أهمِّيَّة الأولياء عند الله فيه الكثير من البُعْد عن المعنى المقصود من الحديث ، وأمَّا تفسير الآية الكريمة : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ بحصر تفسير أولياء الله أنَّهم هم الصُّوفيُّون فقط ؛ فهو تفسير مغال في التّأويل ، وفيه من المبالغة الشّيء الكثير ، فلو قرأنا الآية التي تلي هذه الآية مُباشرة من سورة يونس نجد أنَّها تقول : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ (يونس / 63) ، فالأولياء ـ هنا ؛ في هذه الآية ـ تعني الخُلَّص من المؤمنين ، الذين يلتزمون طاعة الله ، ويجتنبون معصيته ، فأولئك قد يكون بينهم الصُّوفي الصّحيح العقيدة الملتزم بكتاب الله وسنَّة رسوله ، والمؤمن الصّالح الذي التزم الطّاعة ، وتجنّب المعصية ، وتحلّى بالتّقوى ، ولكنْ ؛ لا تعني ـ حصراً ـ الولاية الصُّوفيَّة .

لقد أعطى الصُّوفيُّون الوَليّ مقاماً عالياً ، ومكانة هامَّة من حيثُ صلته بالله ، وعدُّوا الوَليّ بمثابة المرآة التي تنعكس عليها الذّات الإلهيّة ، أو المجال الذي يتجلّى الله فيه للخلق . وهذه المكانة القُدسيَّة التي يعطيها الصُّوفيُّون لوَليّهم ـ مثلهم مثل الشّيعة بالنّسبة للإمام ـ إذا ما قُورنت بمكانة الرّسول ﷺ فإنَّها تفوق ـ في الأهميَّة والعُلُوّ ـ صفة النّبي المُرسَل . فالوَليّ ـ في الصُّوفيَّة ـ له من الصّفات التي قد تصل به إلى مرتبة الألوهيَّة ، فهو الذي يتلقّى الوحي من ربّه مُباشرة ، وهو الذي يأتمنه الله على أسراره ، ويطلعه على الغيب ، ويمنحه فعل الخوارق من الأعمال . وإذا ما قُورنت خصائص الرّسول ـ ﷺ ـ بخصائص الوَليّ ، فإنّنا نجد أنَّ الوَليّ في الصُّوفيَّة يتميَّز بخصائص وهالة فَوْقيَّة تفوق بكثير ما يتمتَّع به الرّسول من سُمُوّ ورفعة . فالوَليّ هو الذي يُطلَع على الأسرار الكَونيَّة ، وهو المُلمّ بعلم الغيب ، ويُنبئ به ، وله من الكرامات التي يعجز الأنبياء عن القيام بها . ولقد بلغت مكانة الوَليّ عند الصُّوفيّين درجة القُدسيَّة ؛ بحيثُ أصبح الاعتقاد راسخاً لديهم بأنَّ المطر يهطل من السّماء "من بركات أقدامهم ، وينبت

النّبات من صفاء أحوالهم، وتكون نصرة المؤمنين على الكُفّار ببركة هممهم". ويعتقد الصُّوفيُّون أنَّهم الصّفوة التي اختارها الله ليكونوا أحبَّاءه وأولياءه.

إنَّ هذه النّظرة الصُّوفيَّة للوَليّ تستند إلى نظرة الصُّوفيِّين إلى النّبي مُحمَّد ﷺ. فالصُّوفيُّون يعتقدون أنَّ النّبي ﷺ رُوح إلهيَّة، وحقيقة إلهيَّة، وأنَّ الحقيقة المُحمَّديَّة - وليس الصُّورة المُحمَّديَّة الجسديَّة - هي مبدأ الحياة ومركزها، فالنّبي مُحمَّد - ﷺ - بهذا المعنى رُوح كُلّ شيء، وحياته، وهو - من جهة أخرى - الواسطة بين الله وعباده، والمنبع الذي يفيض على العارفين معرفتهم بالله على نحو ما يعرف اللهُ نفسَه، فمُحمَّد ﷺ هو المصدر الذي يستمدُّ منه الأنبياء والأولياء علمهم، وهو الحقيقة الإلهيَّة التي تحفظ على العالم كيانه، والحقيقة المُحمَّديَّة ليست إلاَّ صُورة الله، ومُحمَّد الرّسول - ﷺ بنظر الصُّوفيِّين - الإنسان الكامل، الذي تجلَّت فيه جميع الصّفات الإلهيَّة، فهو الوَليّ من حيثُ الباطن، والرّسول من حيثُ الظّاهر، ومقامه من حيثُ الولاية أعظم وأعلى مكانة من مقامه من حيثُ النُّبوَّة والرّسالة. ويدعم هؤلاء هذه النّظرة إلى الرّسول ﷺ بإيراد الحديث المنسوب إليه، والذي فيه يقول:

"مَنْ رآني فقد رأى الله"؛ وهو الحديث الذي يقارب في معناه ما قاله عيسى عليه السّلام "مَنْ رآني فقد رأى الرَّب".

فوُفق النّظرة الصُّوفيَّة فإنَّ العالم ما هو إلاَّ صُورة الحقيقة المُحمَّديَّة، وإنَّ هذه الحقيقة ليست إلاَّ صُورة الله عزَّ وجلَّ، ألم يقل الرّسول ﷺ: "إنَّ الله - تعالى - خلق آدم على صورته"، وفي حديث آخر: "خلق اللهُ آدمَ على صُورة الرّحمن". لهذا؛ فإن الصُّوفيِّين من منطلق اعتقادهم أنَّ مُحمَّداً - ﷺ - ليس المصدر الذي يستمدّ منه جميع الأنبياء والأولياء علمهم بالله فحسب، بل هو الحقيقة الإلهيَّة السّارية في الوُجُود بأسره. لقد سهَّل هذا التَّصوُّر الصُّوفي لمكانة الرّسول - ﷺ - الوُصُول إلى القول "بأنَّهم يعدُّون أنفسهم خلفاءه، والممثِّلين الشّخصيِّين له في خلافته عن الله، ولولا هذه الخلافة الباطنة لخرب العالم، وعمَّته الفوضى، ولولا وساطتهم لما وصلت رحمة الله إلى الخلق!!.

إنَّ هذه العقيدة البعيدة عن عقيدة التَّوحيد الصّحيحة، وهذه المقولة الخالية من أيّ شكل أو مظهر من مظاهر الرّسالة المُحمَّديَّة، وُفق ما بيَّنها القرآن الكريم قد دفعت الكثير من الصُّوفيِّين الورعين إلى رفض هذه المقولة، وإعطاء الوَليّ تلك المكانة. وردُّوا على هذه الرُّؤية

الصُّوفيَّة للرّسول والوَلي" بالقول: "إنَّ مائة من الأولياء لا يبلغون مقام رتبة النّبـي" (فريـد الدّين العطّار، صاحب كتاب "تذكرة الأولياء").

ولربَّما زاد موضوع الشّفاعة توضيح النّظرة الصُّوفيَّة للنّبي وللوَلي. فـالرّأي السّائد عند أهل السُّنَّة والجماعـة أنَّ الشّفاعة للنّبي وحـده دُون غـيره، إلاَّ أنَّ أوليـاء الصُّوفيَّـة يدعونـها لأنفسهم؛ باعتبارها جُزءاً ممَّا ورثوه عن النّبي ﷺ. ولهذا؛ فهم - الأولياء - يُسرفون في الوُعُـود التي يقطعونها لمريديهم، أو لغيرهم من النّاس الذين يلتجئون إليهم.

النّبي والوَلي:

إنَّ ما ذهب إليه الصُّوفيُّون في إعطاء الوَلـي" تلـك المكانـة القُدسيَّة والدّرجـة العاليـة التي تفوق موقع النّبي - ﷺ - يدفعنا إلى الرّجوع إلى كتاب الله، والغوص في آياته الكريمة لمعرفـة هـل تتّفق هذه الرّؤية الصُّوفيَّة لمكانة الوَلي" مع النُّصُوص القرآنيَّة الواضحة المعنى والبيِّنة الدّلالة:

تُبيِّن لنا الآية 110 من سورة الكهف مدى الصّلة العاديَّـة بيـن الله ورسـوله ﷺ، والتي لـم تُضف على رسوله أيَّة هالة أو مسحة فَوْقيَّة، رغم سُمُوِّه ورفعته وعُلُوِّه:

- ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾.

وتكرَّرت صفة البشريَّة على الرّسول - ﷺ - في سورة فُصِّلت في الآية / 6:

- ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾.

وفي سورة الإسراء نقرأ في الآية 93 التي نزلت عندما طـالب رؤسـاء قريـش النّبي - ﷺ - بمطالب تعجيزيَّة:

- ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾.

وفي الآية الحادية عشرة من سورة إبراهيم نقرأ:

- ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾.

وهي للدّلالة على بشريَّة الرّسل الذين أُرسلوا إلى الأمم التي كذَّبت رُسُلها؛ مثل قوم نوح، وعاد، وثمود، وغيرهم من الأقوام التي جاءت بعدهم، والتي لا يعلم عددها إلاَّ الله. لقد رفضت تلك الأقوام دعوة الرّسل، وكذَّبوهم، وطالبوهم بالإتيان بالمعجزات، فما كان من هؤلاء الرّسل إلاَّ أنْ بيَّنوا لهؤلاء المكذّبين الرّافضين الدّعوة إلى وحدانيَّة الله بأنَّ الله يتفضَّل على مَنْ يشاء من خلقه بحَمْل الرّسالة، وتبليغها، أمَّا الإتيان بالمعجزات؛ فهي مرهونة بمشيئة الله، وقدرته، وأمره، وهو ـ وحده ـ صاحب هذا الأمر.

إنَّ الرّسول ـ ﷺ ـ بشر كسائر البشر، إلاَّ أنَّه يتلقَّى الوحي بواسطة جبريل عليه السّلام، وليس من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ مُباشرة ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ (الشُّورى / 51)، ثُمَّ إنَّ النّبي ـ ﷺ ـ لم يدَّع بأنَّه يعلم الغيب، ويُنبئ به ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ (الأعراف / 188)، ولا يصنع المعجزات والخارق من العادات، بل هو عبد من عباد الله، ولا يدري ما يفعل به ربُّه غداً ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ (الأحقاف / 9).

ولمَّا ذهب ﷺ إلى بيت الصّحابي الجليل عثمان بن مظعون عندما علم بوفاته، وسمع الصّحابيَّة أم علاء زوجة عثمان: "شهادتي عليكَ أبا السّائب أنَّ الله قد أكرمكَ"، ردَّ رسول الله ﷺ قائلاً: "وما يُدريك أنَّ الله أكرمه؟!" فقالت أم علاء للرّسول ﷺ: "ومَنْ يكرم الله إذا لم يكرمه؟" فردَّ ﷺ: "والله إنِّي لرسول الله لا أدري ما يُفعَل بي غداً"، رواه البخاري وأحمد.

وتأكيداً لبشريَّة الرّسول ـ ﷺ ـ فإنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عاتبه في كتابه الكريم في أربع مواضع على بعض التَّصرُّفات الإنسانيَّة، التي قام بها ـ ﷺ ـ اجتهاداً منه:

1 ـ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال / 67)، { نزلت هذه الآية في أسرى بدر حين أخذ النّبي ـ ﷺ ـ برأي أبي بكر ﷺ، وقبول الفداء منهم، ولم يأخذ برأي عمر ـ ﷺ ـ بقتلهم }.

2 ـ ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (التَّوبة / 43)، { نزلت هذه الآية في الإذن للمنافقين من غير وحي سابق، وكان ذلك تركاً للأَوْلى، فقدَّم اللهُ العفوَ على العتاب }.

3 ـ ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (الأحزاب / 37)، { نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش وزيد بن حارثة }.

4 ـ ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ (عبس / 1 ـ 10)، { نزلت هذه الآيات في ابن أمّ مكتوم الأعمى }.

لقد عرض القرآن الكريم بشريَّة الرّسول ـ ﷺ ـ بصُورة جليَّة، لا لبس فيها، ولا غموض، ولا تلميح إلى أيَّة صلة له بالاتِّحاد مع الذّات الإلهيَّة:

﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ (المؤمنون / 33).

﴿ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ (الفرقان / 7).

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ (آل عمران / 144).

وكما أنَّ القرآن الكريم ركَّز على بشريَّة الرّسول ﷺ، فإنَّ الرّسول ـ ﷺ ـ ركَّز ـ أيضاً ـ على ضرورة احتفاظ الوليّ الصّالح بمكانته كبشر، ويُبقي أمر هذه المكانة العالية التي منحها الله له في قلبه، ولا يغترّ بها، ولا يجاهر بها. فحين سأل النّبيُّ ـ ﷺ ـ حارثةَ بن سراقة (أحد شهداء بدر من الأنصار): لكلّ حقٍّ حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ فقال: "عزفتْ نفسي عن الدّنيا، فأسْهرْتُ ليلي، وأظمأْتُ نهاري، وكأنّي أنظر إلى عرش ربّي بارزاً، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنَّة كيف يتزاورون، وإلى أهل النّار في النّار كيف يتعادون". فقال له النّبي ﷺ: عرفتَ فالزَمْ، وكرَّرها ثلاث مرّات. وكان الرّسول ـ ﷺ ـ يقول: مَنْ أحبَّ أنْ ينظر إلى عبد نوَّر الله قلبَهُ فلينظر إلى حارثة.

النّبي موسى والعبد الصّالح:

إنَّ هذا الاعتقاد بمكانة الوليّ وأهميَّة الولاية لدى الصُّوفيّين يعود إلى التّفسير الصُّوفي المبالغ فيه لقصَّة الخضر مع موسى عليه السّلام، والواردة في سورة الكهف؛ بدءاً من الآية 60

ولغاية الآية 82، والتي تروي الحوار الذي دار بين موسى عليه السّلام والعبد الصّالح (الخضر) الذي ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾.

فالقصّة يوحي ظاهرها بأنّ المعرفة التي توفّرت لدى العبد الصّالح (الخضر) وهو الوَليّ في المفهوم الصُّوفي هي أعلى وأرفع درجة ممّا عند النّبي موسى عليه السّلام، وأنّ الحوار الذي دار بين الاثنَيْن أظهر كما فسّره الصُّوفيُّون عدم تمتُّع النّبي موسى بمخزون من الصّبر مثلما يتمتّع به العبد الصّالح (الخضر)، فعندما قال له موسى ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾، كان ذلك جواباً على قول الخضر ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾، ثُمّ إنّ الصُّوفيّين يعدُّون الخضر الذي ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ هو الوَليّ الذي يتلقّى المعرفة من الله مُباشرة.

إنّ ما جاء في هذه القصّة من سرد وحوار دفع البسطامي أنْ يقول للفقهاء:

أخذتم علمكم ميّتاً عن ميّت { يعني بالميّت ـ هنا ـ مُحمَّد ﷺ }، وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لا يموت { يعني الله ـ عزّ وجلّ ـ مُباشرة }.

وابن عَرَبي يقول:

علماء الرّسول { يعني أهل الشّريعة } يأخذون خَلَفاً عن سَلَف إلى يوم القيامة، فيبعد النّسب، والأولياء يأخذون عن الله ما ألقاه في صدورهم من لدنه، رحمة منه، وعناية سبقت عند ربّهم.

أمّا القشيري؛ فيفسّر كلمة الصّالحين التي وردت في الآية 196 من سورة الأعراف ﴿ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ بأنّهم الصُّوفيُّون. فالأولياء ـ في التّفسير الصُّوفي ـ هم أصحاب المعرفة وأصحاب الأعراف كما يقول السّلمي وابن عَرَبي ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ ﴾ رِجَالٌ (الأعراف / 46)، وهم ـ أيضاً ـ المتوسّمون والرّاسخون في العلم: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (الحجر/ 75). ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ (آل عمران / 7).

إنّ التّصوُّر الخاطئ المُستنتَج من قصّة العبد الصّالح (الخضر) مع موسى عليه السّلام، والتي وردت في سورة الكهف من خلال الآيات 60 ـ 82، والذي منح الصُّوفيُّون من خلاله المكانةَ العاليةَ للوَليّ، والتي تفوق مكانة النّبي يُمكن أنْ يكون بسبب إغفال الحقائق التّالية:

أوّلاً ـ ليس سرد هذه القصّة في القرآن الكريم لتصوير مباراة بين العلم وعدم العلم، والمعرفة وعدم المعرفة، بل كما يُستدلُّ من دوافع سردها إلى رغبة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إظهار حقيقة يجب أنْ تبقى راسخة في ذهن كُلِّ إنسان؛ وخاصّة الأنبياء، وهي أنَّ فوق كُلِّ ذي علم عليم:

﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف/ 76).

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء / 85).

فلمّا اغترَّ موسى ـ عليه السّلام ـ بعلمه ومعرفته، أراد الله أنْ يبيِّن له ضرورة أخذ العلم بأنَّ المعرفة لا حُدُود لها، وأنَّ من الحكمة عدم الادِّعاء بتمام المعرفة، فنصف العلم لا أعلم، وأنّه لا عيب في ذلك، لأنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يختصُّ مَنْ يشاء بإيداع جُزء غير يسير من المعرفة في قلبه.

ثانياً ـ لقد أراد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ للرّدِّ على موسى ـ عليه السّلام ـ في مقتضى عتابه له على اعتقاده بكمال علمه أنْ يبيِّن له ـ أيضاً ـ أنَّ هناك علماء وأولياء لا يعلمهم موسى عليه السّلام، وقضايا لا يدرك أبعادها حتّى أولئك الذين خصّهم الله بفضل من عنده، وآتاهم من لدنه علماً، فليس كُلُّ ما اطّلع عليه الوليّ من عُلُوم الغيب يسوِّغ له شرعاً أنْ يعمل عليه، وليس كُلُّ نبي أو وَليّ مُدرك للعلم كُلِّه، فالخضر لم يقتل الصّبي الغلام الذي لم يبلغ الحلم بعد، والذي إن عاش أرهق أبوَيْه طغياناً وكفراً إلاَّ بعد أنْ أتاه الأمر الإلهي. وقد تكون هذه الحادثة عبارة عن تنفيذ لشريعة ما، الله وحده أعلم بها، قد قرّرت هذا العقاب، إلاَّ أنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أراد أنْ تجري هذه الحوادث أمام موسى ليبيِّن له أنّه لا يصحُّ العمل بما بدا أنّه مخالف لظواهر الشّريعة، بل إنَّ النّظرة الصّحيحة للشّريعة هي المسوِّغ الصّحيح للعمل بها.

ثالثاً ـ إنَّ الصّبر من صفة الأنبياء، وما من نبيّ إلاَّ وتحمّل الكثير من الصّبر على قومه، وعدم صبر موسى ـ عليه السّلام ـ على أفعال العبد الصّالح لا يعود إلى عدم حمله صفة الصّبر، فتاريخ دعوته مع بني إسرائيل مليء بصور عديدة من الصّبر، ولكنْ؛ في سيرته مع العبد الصّالح كان متلهِّفاً لمعرفة دوافع الحدث الذي رآه يتناقض في ظاهره مع ما هو مشروع دينياً.

رابعاً ـ إنَّ الوَليّ الذي يُؤتى نوعاً من الكرامات فإنّما ينالها كهبة من الله عزَّ وجلَّ لحسن طاعته، وإخلاصه في عبادته. فهو إنْ استحقَّ هذه الكرامة فإنّما يستحقُّها بفضل اتّباعه أوامر

الله عزَّ وجلَّ ورسوله، وفي هذه الحال؛ يكون الوَلِيّ تابعاً للرّسول، وليس الرّسول تابعاً له، فلا يجوز أنْ نُعطي التّابع مكانة تفوق المتبوع.

خامساً - إنَّ تمسُّك الصُّوفيَّة بالقول بأنَّ الخضر يعلم ما لا يعلمه موسى، وأنَّ موسى تبعه ليتعلَّم منه قول فيه مبالغة لا مبرِّر لها، وتحليل خاطئ لشخصيَّة كُلٍّ من موسى والعبد الصّالح عليهما السّلام، فموسى نبي يتلقَّى علمه من الله، ذلك العلم - الذي من الجائز جداً - أنْ لا يكون العبد الصّالح قد اطَّلع عليه، وبالمقابل؛ فإنَّ العبد الصّالح يتلقَّى من العلم والمعرفة من الله ما لا يعلمه أو يطَّلع عليه موسى، فإذا انتقد موسى العبدَ الصّالحَ على عمل قام به فمبعث انتقاده ينطلق من أنَّ هذا العمل يخالف الشّريعة التي أُنزلت على موسى، ولا يتَّفق معها، وبالوقت نفسه؛ فإنَّه من الممكن أنَّ العبد الصّالح لم يكن من بين الذين شملتهم شريعة موسى، فهو - إذنْ - لم يخالفها، ولكنْ؛ نفَّذ الأمر الإلهي الذي تلقَّاه من ربِّه، ولمَّا أَعْلَمَ العبدُ الصّالحُ النّبيَّ موسى بأسباب قَتْل الغلام الذي لم يبلغ سنَّ الرّشد بعد، أدرك موسى حقيقة الأمر الإلهي، ولم يعلِّق عليه بشيء، إذنْ؛ فليس من الضّروري أنْ نعطي - كما يزعم الصُّوفيُّون - الوَلِيّ مكانة أعلى من مكانة النّبي، الذي حمَّله الله رسالته.

لقد تعلَّم موسى من العبد الصّالح درساً، وتزوَّد من مسيرته معه بحكمة أراد الله أنْ يبيِّنها له، وهي أنْ ليس كُلُّ ما يراه الإنسان يعني الحقيقة التي تتراءى له، بل هناك حقيقة لا يعلمها إلاَّ الله، فيها من الحكمة، وفيها من الأسرار، ما يفوق طاقة البشر. ولعلَّ القناع الذي تختفي وراءه، واللّغز الذي يحيط بها، فيه الكثير من الرّحمة، أكثر ممَّا يوحي مظهره، وأبلغ ممَّا تشير إليه مأساته.

الوَلِيّ الحق:

يقول الله - تعالى - في كتابه الكريم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ (يونس / 62 - 63).

فالله - عزَّ وجلَّ - يصف أولياءه بأنَّهم الذين آمنوا، وكانوا يتَّقون. فالشّروط التي حدَّدها الله - تعالى - في الوَلِيّ حسب نصِّ الآية هي المؤمن الذي جمع بين الإيمان والتّقوى واتَّبع شرع الله وسنَّة نبيّه، واستقام على أمر الله تعالى، وتجنَّب معصيته. فالوَلِيّ - إذنْ - هو الذي تولاَّه الله

بالتّوفيق لتولّيه هو أمر الله تعالى بالعمل والتّنفيذ، وهو الذي حفظه الله لأنّه حفظ صدق علاقته بالله، هو الذي لم يخدش إيمانه أيّ شرك، ولم تشوّه عبادته أيّة خُرافة، أو بدعة، هو الذي يستنُّ بسنَّة نبيِّه مُحمَّد ﷺ، فلا يحاربها، أو يصرّ على الابتداع فيها، لا يدَّعي الولاية والكرامة والمكانة العالية، ولا يقبل إقامة حلقات الذِّكْر المصحوبة بفرَق الإنشاد. هو الذي يفهم أنَّ الوَليّ الصّالح حقّاً هو الذي يعيش من كَسْب يده، وليس من أموال مريديه، هو الذي ينذر حياته لنشر الخير بين النّاس، وحثّهم على الصّلاح والاستقامة التي أمر الله ـ تعالى ـ بها.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (يونس/ 64).

فالله هو وَليّ هؤلاء الصّالحين من النّاس ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ (البقرة/ 257). فالولاية في القرآن الكريم جاءت للدّلالة على البشارة للمؤمنين الصّالحين الصّادقين، المتّقين الورعين، الذين قرنوا صحَّة الإيمان بصلاح العمل. فالوَليّ الحقيقي ـ إذنْ ـ هو العابد لله تعالى بحقّ، والخاضع لحُكْمه في كُلّ أموره، لا يخترع عبادة، ولا يقرّ بدعة، ويكون موقفه من الدِّين كموقف الصّحابة الكرام الذين بشّرهم الله ـ تعالى ـ بولايته لهم ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (المائدة / 119)، وهو ـ في الوقت نفسه ـ لا ينشد الكرامة من الله عزّ وجلّ، ولا يطمع في احتلال مكانة خاصّة بين النّاس، ولا يدّعي العصمة التي خصّها الله ـ تعالى ـ بأنبيائه فقط، وإذا مُنِح شيئاً من كرامة الله ـ تعالى ـ فإنّه يخجل من إعلانها وظهورها على يدَيْه، فالكرامة ـ بالنّسبة له ـ هي هبة من الله تعالى، ومكانته عند الله تعالى، وليس عند البشر، فالله ـ عزّ وجلّ، وحده ـ هو الذي يُقرُّ درجة هذه المكانة، ولنا شاهد في قول رسول الله ﷺ لأمّ حارثة عندما قالت وهي تُقلّب جُثّة ابنها الشّهيد: هنيئاً لكَ عصفور من عصافير الجنَّة، فسمعها رسول الله ﷺ، فقال لها: "يا أم حارثة. والله إنّي لأرجو لابنك الخير، ولكنْ؛ أنا رسول الله، ولا أدري ما يفعل الله بي".

لقد كرَّم الله كثيراً من الصّحابة مثل: أُسيد بن حُضير، وأُبي بن كعب، وسعد بن أبي وقّاص، وأهل بدر، وأهل الكهف، وأهل الغار، وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً، ولكنَّ الشّيء الواجب إقراره في هذه الكرامات الممنوحة من الله لهؤلاء الصّالحين هو:

أوّلاً - إنَّ الأولياء الذين يتولاَّهم الله بكراماته لا يدَّعون بأنَّهم أولياء، ولا يعلمون سرَّ هذه الكرامات التي تجري على أيديهم، أو يجري لهم، ولكنْ؛ يدركون أنَّ هذه الحظوة من الله - تعالى - تستوجب الشّكر والاستغفار والإصرار على استمرار التَّقرُّب إلى الله.

ثانياً - تتفاوت مكانة الأولياء عند الله حسب قرب كُلّ فئة منهم. فكما أنَّ للرّسل مقامات ودرجات عند الله، فإنَّ لأوليائه الذين اصطفاهم مراتب ودرجات. لهذا؛ فإنَّ الكرامة في حال حدوثها تأتي على مقدار درجة قُرب الوَليّ المؤمن الصّالح من الله.

ثالثاً - إنَّ إظهار الكرامة على يد بعض أولياء الله لا تعني - أبداً - ثبوت الولاية، أو نَفْيها، ولا تُزيد أو تُنقص من درجة مَنْ يُظهرها الله على يده، بل تعني - فقط - تعجيل الجزاء والعطاء الإلهي لقاء التّقوى والإيمان والأعمال الصّالحة في الدّنيا، ولذلك؛ نجد أنَّ بعض الصّالحين يستغفرون الله لأجلها، ولا يرغبون في الإعلان عنها، ويعدُّونها امتحاناً من الله على تقواهم وورعهم.

رابعاً - الولاية - في حقيقتها - هي منحة من الله لعبده المؤمن، وخلع من الفضل منه عليه. وهي كما قال رسول الله - ﷺ - عندما سأله عبادة بن الصّامت مستفسراً عن قوله تعالى في سورة يونس الآية 64: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾، فقد عرفنا بشر الآخرة الجنَّة، فما بشر الدّنيا؟ فقال ﷺ: الرّؤيا الصّالحة، يراها العبد، أو تُرى له، وهي جزء من أربعة وأربعين جزء من النُّبوَّة.

خامساً - دأب النّاس على وصف الرّجل الصّالح الورع بالوَليّ، وذلك تكريماً له، دُون أنْ يتعدَّى هذا الوصف إلى إطلاق صفات ومراتب وألقاب على هذا النَّوع من النّاس، كما جرت عليه الصُّوفيَّة في توصيف ما يعدُّونه بالوَليّ، وقد قال ابن مسعود وابن عبَّاس (رضي الله عنهما): "أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذُكر الله".

الفصل التّاسع:

إنكار التَّصوُّف، لماذا؟ ـ معارضو الصُّوفيَّة ـ شطحات الصُّوفيِّيْن ـ أبعاد أخرى لإنكار التَّصوُّف ـ ماذا يقول الصُّوفيُّون؟

إنكار التَّصوُّف، لماذا؟

ليس إنكار التَّصوُّف أمراً طارئاً أو مستحدثاً، وليس رفض التَّصوُّف محصوراً في العصر الحديث في نطاق السّلفيّيْن، الذين يناصبون الصُّوفيّيْن عداء لا هوادة فيه، فالنّزاع بين الفقهاء والصُّوفيَّة قديم قدَم التَّصوُّف نفسه، فرجال الدِّين السُّنَّة، الذين يؤمنون بظاهر النَّصِّ، أو ما يُطلق عليهم فقهاء الظّاهر ينفرون من الصُّوفيّيْن، ويعدُّونهم من أصحاب التّفسير الباطني، أو ما يُطلَق عليه برجال الباطن. ولا يعارض الصُّوفيَّة ـ فقط ـ أهل الظّاهر، بل ـ كذلك ـ المعتزلة الذين يعتمدون العقل، ويتَّخذونه مقياساً وحيداً للهدى والمعرفة، وتتَّسع دائرة العداء للصُّوفيَّة لتشمل أكثر الفرَق الإسلاميَّة الأخرى؛ كالخوارج، والشّيعة، والجبريَّة، وغيرهم.

إنَّ الاستماع إلى آراء خصوم الصُّوفيَّة لن يقود إلى كشف كامل الحقيقة مهما كانت هذه الآراء تحوي من الحيدة والنّزاهة، كما أنَّ الاستماع إلى آراء أصحاب المبدأ والمؤمنين به لن يقود ـ أيضاً ـ للوُصُول إلى توضيح الحقيقة المُجرَّدة التي يبحث عنها السّاعي إليها. إنَّ الحلَّ الأمثل في هذا المجال هو البحث والتّنقيب عن حقيقة مبدأ التَّصوُّف من خلال آراء الخصوم والمؤيِّدين، وغالباً ما يقود هذا التّنقيب والبحث إلى طريق مقبول للحُكْم على الصُّوفيَّة حُكْماً عادلاً وحصيفاً وأميناً.

لقد أنكر فقهاء السُّنَّة والجماعة الفكر الصُّوفي، وعدُّوه دخيلاً على الإسلام، وسُلُوكاً يعزِّز الفرْقة، ويبعث على التَّشتُّت. والصُّوفيَّة وإنْ حملت شعارات وأفكار براقة: كطهارة

القلب، ومجاهدة النّفس، وتأديب الجوارح، وحفظ الوقت، واعتماد الخواطر، ومقامات القرب، إلاَّ أنَّها - برأي هؤلاء الفقهاء - تبقى أفكاراً دخيلة على الإسلام، وهي للسّفسطة أقرب. إنَّ الشّرع والسُّنَّة النّبويَّة الشّريفة لا تفتقر إلى مثل تلك الخواطر والعبارات المستحدَثة التي يستخدمها الصُّوفيُّون، وإنَّ ما يدعو إليه هؤلاء يجب أنْ يبقى هو الأساس الذي يجب أنْ يخضع للفَحْص والتّمحيص، وإنَّ ما تسلكه فرَقهم من أعمال، وما يطلقه زعماؤهم من أقوال هو الذي يجب أنْ يكون موضوع التّقييم والتّحليل.

إنَّ اعتماد الشّعارات وإطلاق العبارات الرّنّانة شيء جميل، وخاصَّة إذا كانت هذه الشّعارات والعبارات تحمل معاني سامية، وعناوين جذّابة، ولكنْ؛ إذا كان وراء تلك الشّعارات البرّاقة سُلُوك يتبنّى التّفسير الباطني للقرآن، ويرفض التّفسير الظّاهري له، الذي أجمع عليه أهل السُّنَّة والجماعة، وإذا كان الاعتقاد بالله ينصرف بأنَّ الله - تعالى - متَّحد بالمخلوقات؛ إمَّا بمعنى الحلول بها، أو بمعنى أنَّه عينها، وليس هناك غير ذلك جملة وتفصيلاً، فإنَّ هذا لابُدَّ أنْ يعطي دلالة واضحة على أنَّنا أمام فئة لها من الأفكار والمبادئ التي لا تتَّفق - تماماً - مع الشّرع والدِّين الحنيف، ومن الأفضل - لهذه الأسباب - إنكارها، ورَفْضها.

إنَّ ما اتَّجه إليه كبار الصُّوفيّين المُتأخِّرين بالمناداة بالكَشْف، والاتِّحاد، والوحدة، والحلول، وما صدر عنهم من شطحات، وأقوال، وادِّعاءات بالكرامات، وحتَّى بإتيان المعجزات، التي لم يتمكَّن من القيام بها الأنبياء، وما ابتدعوه من إحداث مراكز ومراتب في ميدان التَّصوُّف؛ مثل العارف، والقُطب، الذي تصل حُدُود معرفته إلى مقام لم يصل إليه أحد من قبله، ولم يبلغ مقامه في المعرفة أحد، وهو المخوَّل الذي يورث أحداً من أهل المعرفة مقامه، كُلُّ ذلك جعل الاعتراض وإنكار هذا السُّلُوك يزداد يوماً بعد يوم، وتتَّسع دائرته كلَّما ازداد انحراف وشطحات هؤلاء المُتأخِّرين من المتصوِّفين.

معارضو الصُّوفيَّة:

1 - يرى معارضو الصُّوفيَّة أنَّ تأثُّر الحضارة الإسلاميَّة بالثّقافات التي دخلت عليها نتيجة الفتوحات الإسلاميَّة وامتداد رقعة الشُّعُوب التي انضوت تحت مظلَّة الإسلام كان له الأثر

الكبير على بروز أفكار غريبة عن المفاهيم الإسلاميَّة، التي كانت سائدة ومتعارف عليها في الوسط الإسلامي. لقد حمل الصُّوفيُّون هذه الأفكار البعيدة عن الإسلام والمتأثِّرة بالثّقافات الهنديَّة والفارسيَّة واليونانيَّة، وألبسوها قالباً إسلامياً، وزيَّنوها بعبارات وقوالب ليست من الإسلام في شيء، فالإسلام لا يحتاج إلى بُرقع التَّصوُّف للدّلالة على التُّقى والورع، والزّاهد في الإسلام لا يهمُّه أنْ يُلقَّب بالصُّوفي، فزُهده مبني عن قناعة وإيمان، ثُمَّ إن معرفة الله والدّلالة على وُجُوده ووحدانيَّته وقدرته وإرادته بيَّنها القرآن الكريم، ووضَّحها المصطفى - ﷺ - في سُلُوكه وسيرته. وأمَّا النَّصُّ القرآني؛ فتفسيره مناط بالسُّنَّة النّبويَّة الشّريفة، الموحى بها من المولى عزَّ وجلَّ، ولا يُمكن أنْ يُعطى حقَّ التّبليغ والتّفسير إلاَّ لصاحب هذا الحقِّ المكلَّف لهذه المهمَّة الكريمة، والتّقليل من مكانة السُّنَّة النّبويَّة الشّريفة هو تقليل من مكانة الرّسالة السّماويَّة. ثُمَّ إنَّ إعطاء البشر (الوَليّ في الصُّوفيَّة، أو ما يُطلَق عليه العارف بالله) مكانة تفوق مكانة الأنبياء والرُّسُل هو افتئات على الحقِّ عزَّ وجلَّ.

إنَّ وُجُود نصٌّ مقدَّس صريح ورسول أمين ومبلِّغ لهذا النَّصِّ:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (آل عمران: 7).

فإنَّه من غير الطّبيعي، بل من المستهجن ابتداع مفاهيم جديدة وابتكارات ذهنيَّة تناقض وتغاير هذا النَّصَّ المرسَل.

إنَّ الفكر البشري - مهما بلغت وارتفعت قدراته ومستوياته - معرض للخطأ، وقابل للانزلاق والانحراف، وذلك خلافاً للنَّصِّ الإلهي المقدَّس. إنَّ الانصراف عن النَّصِّ الإلهي، وتشغيل العقل بالبحث عن مصادر المعرفة غير التي جاءت بها الرّسالة السّماويَّة، وبيَّنها الرّسول الكريم - ﷺ - لابُدَّ أنْ تُؤدّي إلى الوُصُول إلى نتائج غير مأمونة، قابلة للشَّكِّ والطّعن، وأحياناً؛ للرَّفْض.

وإذا أضفنا إلى ذلك كُلّه ما ابتدعه الصُّوفيُّون من طقوس وعادات ومُمارسات تعبُّديَّة دخيلة على الإسلام لرأينا أنَّ دائرة الاعتراض على التَّصوُّف تتَّسع يوماً بعد يوم.

2 ـ يدَّعي بعض الصُّوفيِّين ويؤمنون بأنَّ نيلهم قسطاً متقدِّماً في معرفة الذّات الإلهيَّة يُسقط عنهم الفرائض والتّكاليف التي ذكرها الشّرع، وبيَّنها الرّسول ـ ﷺ ـ في سُنَّته الشّريفة؛ مثل: الصّلاة، والزّكاة، والحجّ، وغيرها. إنَّ نيل هذه الدّرجة العالية من المعرفة تسمح للصُّوفي بأنْ يُعفي نفسه من أداء هذه الفرائض، وعليه؛ فإنَّ الصّلاة التي هي عماد الدِّين يُمكن إهمالها، وإنَّ السّجود الذي يتخلَّلها يُمكن الاستغناء عنه أيضاً، رغم أنَّ الرّسول الكريم ـ ﷺ ـ نبَّه إلى مكانة السّجود، وأهمِّيَّته: "عليكَ بكثرة السّجود، فإنَّكَ لن تسجد لله سجدة، إلاَّ رفعك الله بها درجة، وحطَّ عنكَ بها خطيئة".

فإذا كان السّجود لله هو تعبير عن الخضوع والطّاعة والتّذلل كما يقول ﷺ: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد".

فكيف تصبح المعرفةُ مُعطِّلةً لهذا السُّلُوك التَّعبُّدي الذي أمر الله به في كتابه العزيز، وخاطب رسوله الكريم قائلاً: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴾ (الإنسان: 26).

وخاطب السَّيِّدة مريم عليها السّلام قائلاً: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ (آل عمران: 43)؟!

إنَّ هذا الخطاب وهذا الأمر الإلهي بالسّجود بدأ مع الملائكة عندما أعلمهم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عن خَلْق عالم جديد، وطلب منهم السّجود لآدم عليه السّلام: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: 34).

لقد ورد الأمر الإلهي بالسّجود في القرآن الكريم / 53 مرَّة / بعبارات وصور متعدِّدة؛ منها: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ﴾ (الأعراف: 206).

﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴾ (مريم: 58).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الحج : 18).

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ (الفرقان : 64).

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ (السّجدة : 15).

فإذا كان للسّجود هذه المكانة في العبادة، وإذا كان السّجود أمراً إلهيّاً فإنَّ إغفاله دليل الخُرُوج عن أمر الله، وطاعته، فكيف يشطح الخيال بهؤلاء القوم الذين أسقطوا عن أنفسهم هذا السُّلُوك التَّعبُّدي بحُجَّة بلوغ المكانة العالية في معرفة الذّات الإلهيَّة؟! ثُمَّ كيف تحلُّ المعرفة - مع افتراض حصولها - محلَّ الإيمان والخضوع والاستجابة لأوامر الله؟! إنَّ كثيرين من الملاحدة في قمَّة المعرفة، ولكنْ؛ للأسف، يبقى إيمانهم ممَّا تنطبق عليه الآية الكريمة:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (الجاثية : 23).

والمعرفة عند إبليس كانت في أحسن مستوياتها، وتفوق بمراحل معرفة كثير من المؤمنين، ولكنْ؛ نال إبليس الطّرد من رحمة الله؛ لأنَّه رفض الاستجابة لأوامره، ولم يسجد لمنْ طُلب منه أنْ يسجد له، ولم يفده ادّعاؤه بقوله:

﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر : 33).

لقد وصف الله - عزَّ وجلَّ - أصحاب النّبي الذين آمنوا وصدَّقوا ما عاهدوا الله عليه بقوله:

﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ (الفتح : 29).

إنَّه الوسام الذي سيحملونه على جباههم يوم القيامة، الدَّالّ على خضوعهم لأمر الله، وخشوعهم بين يدَيْه، وطاعتهم له، ولرسوله، فالأمر بطاعة الله ورسوله الذي ورد في القرآن الكريم / 54 مرَّة/ هو تكليف وفرض، وليس للمؤمن من أنْ تكون له الخيرة في إتيانه، أو عدم إتيانه: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المجادلة : 13).

ثُمَّ إنَّ العارف بالله مهما بلغت درجة معرفته، ومهما علا علمه، وسواء اتَّخذ اسم الوَلِيّ، أو القُطب، أو العارف، فإنَّ مقامه وكماله لن يصل إلى مستوى الرّسول ﷺ. لقد كان عليه الصّلاة والسّلام يواظب ليس - فقط - على أداء الفرائض، بل يعمل جاهداً - ويأقصى ما لديه من استطاعة - على تأدية النَّوافل، والآية الكريمة من سورة المزَّمّل تبيّن - بجلاء - أنَّ الله - عزَّ وجلَّ - طلب من نبيِّه التّقليل من نوافل صلاة اللّيل؛ لينال جزءاً من الرّاحة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (المزمل: 1).

3 - كان الصّحابة الكرام من أعبد النّاس، وأكثرهم خشية لله، إلاَّ أنّهم ساروا في عبادتهم على منهج الكتاب والسُّنَّة، ولم يبتدعوا أيَّة بدعة، أو يسلكوا أيَّ طريق يتعارض مع القرآن الكريم، والسُّنَّة النّبويَّة الشّريفة. لقد عارض الصُّوفيَّة فقهاء بارزون عندما تبيَّن لهم ما يحمله أصحابها من أفكار غريبة عن الفكر الإسلامي، وبعيدة عن المفهوم الصّحيح للدِّين، الذي أجمع عليه أهل السُّنَّة والجماعة، ويأتي الإمام أحمد بن حنبل العالم الجليل في مقدِّمة هؤلاء الفقهاء، فهو الذي أنكر على الصُّوفيِّين ما تبنّوه من آراء وأفكار، وما وضعوه من أحاديث، للدّفاع عن هذه الآراء، وما ابتدعوه من تفسيرات لتعزيز هذا الدّفاع. وكان الإمام أحمد بن حنبل عنيفاً في هجومه على الصُّوفيَّة وأصحابها، حتَّى إنَّه حذَّر أعزَّ أصدقائه (إسماعيل بن إسحاق السّراج) من الاجتماع بهم. لقد كره ابن حنبل ما بدا له من سُلُوك الحارث المحاسبي، وطريقته في الزّهد والورع؛ لأنَّه - في اعتقاده - أنَّ المحاسبي وإنْ كان زاهداً يدعو إلى الزّهد والورع، إلاَّ أنَّ عنده شيء من علم الكلام، وأنَّ ما يدعو إليه لم يرد في الشّرع، ولم يأت به أمر، وكأنَّ ابن حنبل عدَّ ما دعا إليه المحاسبي من شدَّة المُراقبة ودقَّة المحاسبة أموراً لم يأت بها الشّرع، ولم يدع إليها الرّسول ﷺ. لقد كان الإمام أحمد بن حنبل يحذِّر سائليه عن الصُّوفيِّين، وينهاهم عن مجالستهم، وشراء كتبهم، واصفاً هذه الكُتُب بالبدع والضّلالات.

لقد نحا الإمام الشّافعي منحى ابن حنبل، وانتقد سُلُوك الصُّوفيِّين، وقال عنهم: " لو أنَّ رجلاً تصوَّف أوَّل النّهار، لا يأت الظُّهر حتَّى يكون أحمق "، وقال أيضاً: " ما لزم أحد

الصُّوفيَّة أربعين يوماً فعاد إليه عقله أبداً. وعندما دخل مصر عام 199 هجري، قال: "تركتُ بغداد، وقد أحدث الزّنادقة فيها شيئاً يدعونه السّماع"، والزّنادقة الذين عناهم الشّافعي هم المتصوِّفة، والسّماع هو الغناء والمواويل التي ينشدونها في مجالسهم، وأثناء مُمارستهم حلقات الذِّكْر.

إنَّ هذا الموقف من الصُّوفيَّة واستنكار أفكارهم وسُلُوكهم تبنَّاه - أيضاً - كُلٌّ من ابن تيميَّة، وابن الجوزي، والأوزاعي، وغيرهم من السّادة الفقهاء.

والفقهاء الذين عارضوا الصُّوفيَّة وما استحدثته من بدع وآراء دخيلة على الإسلام وبعيدة عن الشّرع استندوا إلى حقائق وموازين شرعيَّة؛ أهمّها:

آ - إن الهدى محصور في كتاب الله وسُنَّة رسوله فقط، وكُلٌّ عقيدة تخالف الكتاب والسُّنَّة باطلة يجب مُحاربتها.

ب - إنَّ كُلَّ زيادة أو نقص في العبادات بدعة مرفوضة، حتّى ولو كان الهدف منها التَّقرُّب إلى الله، وأحاديث رسول الله - ﷺ - واضحة وجليَّة:

"كُلُّ بدعة ضلالة، وكُلُّ ضلالة في النّار"، رواه مسلم والبيهقي.

"مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ"، رواه البخاري ومسلم.

وعندما دخل عبد الله بن مسعود المسجد في الكوفة، ووجد حلقاً، وفي وسط كُلِّ حلقة كوما من الحصى، ورجلاً قائماً على كُلِّ حلقة يقول لهم: سَبِّحوا مائة، فيُسبِّحون مئة، احمدوا مئة، فيحمدون مئة، كَبِّروا مئة، فيكبرون مئة، فقال لهم ابن مسعود ﷺ: يا قوم! والله لأنتم على ملّة هي أهدى من ملّة رسول الله ﷺ، أو مقتحموا باب الضّلالة، فقالوا: والله - يا أبا عبد الرّحمن - ما أردنا إلاَّ الخير، فقال لهم عبد الله: كم من مريد للخير لم يبلغه.

ج - إنَّ كُلَّ مَنْ ادَّعى علماً غيبيّاً زاعماً أنَّه وصل إليه بطريق الفَيْض والفَتْح كاذب مارق. وقد بيَّن الرّسول الكريم - ﷺ - لقومه من أهل مكَّة أنَّ الغيب هو من أمور الله عزَّ وجلَّ، كما جاء في الآية الكريمة 188 من سورة الأعراف:

﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ ﴾، وتكرَّر هذا القول في سورة الأنعام الآية 50 :

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ .

وجاء القول نفسه على لسان النّبي هود - عليه السّلام - في الآية 31 من سورة هود :

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ .

د - إنَّ أقوال العلماء في أمور الدِّين لا يؤخذ بها إلاَّ بعد عرضها على الكتاب والسُّنَّة، فإذا تعارضت هذه الأقوال مع الكتاب والسُّنَّة تُهمَل، ولا يُعمَل بها .

4 - يُعطي الصُّوفيُّون الأولياءَ مكانة سامية، تعلو - في نظرهم - على مكانة الأنبياء . ووُجهة نظرهم هذه تستند على اعتقاد مفاده أنَّ رسالة النّبي محدَّدة الأهداف، وأنَّ علمه يتلقّاه من ملك يرسله الله له ليبلِّغه أوامر ربِّه، أمَّا الوَليّ؛ فبسبب معرفته بالله، وقربه منه، فقد أهَّلته هذه المواصفات - المعرفة والقرب - إلى اختيار الله - تعالى - له لتأدية رسالة للنّاس أجمعين . فالوَليّ - في هذه الحالة - بغنى عن الملك، ولا يحتاج - بالتّالي - إلى النّبي، ولأنَّه من خواصّ عباد الله فلا داعي له أنْ يتمسَّك بالشّريعة، أو يتَّبعها .

إنَّ هذا الاعتقاد الضّالّ لمكانة الوَليّ الذي قد يكون مبعثه التّفسير الخاطئ للنَّصّ القرآني لابُدَّ أنْ يفتح الباب على مصراعَيْه أمام كُلّ مَنْ يدَّعي أنَّه كشف له الله - تعالى - الحجاب، وأطلعه على كامن أسراره وعُلُومه التي لم يُطلع غيره عليها . فالنَّصّ القرآني ذكر في عدد من المواضع مكانة الوَليّ، ولكنْ؛ لم يذكر - أبداً - أنَّ الوَليّ أعلى مكانة من النّبي .

ويقود الاعتراض على مقام الوَليّ إلى نقد آخر للصُّوفيَّة، وهو موقفهم ونظرتهم إلى مشايخهم، والاعتبارات الهائلة التي يمنحونها لهم، فإضفاء صفة الكمال على الشّيخ، وَعَدّ أوامره لمريديه تكاليف شرعيَّة لا يجوز الاعتراض عليها : "فَمَنْ اعترضَ انْطَرَدَ"، وأنَّ الشّيخ يملك بصيرة ورؤية تمكِّنه من معرفة ما يضرّ، وما ينفع، وتسمح له بالتَّصرُّف بمصير المريد حسب ما يراه مناسباً له، وأنَّ الخضوع المطلَق للشّيخ الذي على المريد أنْ يكون بين يدَيْه "كالميِّت بين يدَيْ المغسِّل" هو - في الواقع - إلغاء لشخصيَّة الإنسان، وإذلال لقدره ومكانته،

ومصادرة لعقله وحُرِّيَّته، فالشّيخ مثله مثل أيٍّ إنسان آخر، يخطئ، ويصيب، وليس معصوماً عن الخطأ، ثُمَّ إنَّ من المفروض أنْ تكون العبوديَّة لله - تعالى - وليس للشّيخ، وإنَّ هذا الأسلوب التّربوي في التّعامل مع المريد يقود - في ما يقود - إلى الخنوع، واستلاب الفكر، وشلٍّ الإرادة. لقد مارس مشايخ الصُّوفيَّة هذا الأسلوب، وأخضعوا مريديهم إلى التَّقيُّد بسُلُوكيَّات إطارها: التّنفيذ دُون اعتراض، والتّقليد دُون وعي، والتّكلُّم بدُون فَهْم. ويبدو هذا واضحاً أثناء حلقات الذّكْر الذي يمارسونه بشكل روتيني، والذي يتمثَّل عندهم في إطلاق الكلمات والعبارات بسَرْد ببغائي، يستعرضون فيه أسماء مشايخهم، الذين لا حصر لهم، مُقدِّمينهم على اسم رسول الله ﷺ. ويتمُّ هذا العرض الرّاقص على أنغام الموسيقى الصّاخبة التي يرافقها قيام المريدين بحركات مستهجنة، لا يُقرُّها الشّرع، ولا الدِّين الخالص.

إنَّ الذّكْر هو توجُّه لله - عزَّ وجلَّ - بخشوع القلب، وحضور الفكر، وليس بالصّراخ والنّداء على أصوات الموسيقى، والذّكْر الذي ينبغي أنْ يمارسه الفرد أو الجماعة هو التَّبتُّل الذي شرَّعه الله تعالى، وعمل به رسوله الكريم، ومارسه معه السّلف الصّالح؛ أصحاب رسول الله ﷺ. إنَّ الخُرُوج عن هذا السُّلُوك هو ابتداع واقتداء بما وَسْوَسَ به الشّيطان، وما زيَّنته الإيحاءات الضَّالَّة.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ (الأعراف: 205).

5 - ابتداع الصُّوفيَّة القول بأنَّ الدِّين شريعة وحقيقة، وأنَّ الصُّوفيِّين يمثِّلون أهل الحقيقة، وأنَّ سُلُوكهم في اعتماد التّفسير الباطني للقرآن هو السُّلُوك الأسلم؛ لأنَّ علماء الشّريعة (أهل الظّاهر) إنَّما أخذوا عُلُومهم عن الأموات. بينما هم (علماء الباطن) تلقّوا عُلُومهم من الله - جلَّ جلاله - الذي لا يموت. ويخاطب أبو يزيد البسطامي علماء الشّريعة قائلاً: لقد أخذتُم علمكم ميِّتاً عن ميِّت، وأخذنا علمنا من الحيّ الذي لا يموت، يقول أمثالنا حدَّثني قلبي عن ربِّي، وأنتم تقولون حدَّثنا فلان. وأين هو؟! قالوا: مات.

إنَّ تقسيم الدِّين إلى شريعة وحقيقة اختراع باطل، وابتداع فاسد، فالادِّعاء بأنَّ هؤلاء القوم يأخذون علمهم من الله - تعالى - مُباشرة هو ادِّعاء فيه الكثير من الزّعم، والكثير من الضّلالة، فإذا كان هذا صحيحاً - وهو لا شكّ غير صحيح - فلماذا أرسل الله - تعالى -

الرُّسُلَ؟! ولماذا اختار من عباده ما جعلهم واسطة بينه وبين خَلْقه لتبليغ شرائعه؟ ثُمَّ هل تنحصر مهمَّة الرُّسُل في حُدُود مُعيَّنة، أم تكون ـ عادةً ـ للنّاس أجمعين بلا استثناء؟!

﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ (النّساء: 79).

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ: 28).

ويوحي سُلُوك وأقوال مشايخهم بأنَّ لوثة الغرور قد سيطرت على قلوبهم، وأسدلت ستارا كثيفاً على بصيرتهم، وحوَّلت سُلُوكهم عن الطّريق السَّويّ؛ ليتَّخذ طريقاً هو أقرب للشِّرْك منه للإيمان، فها هو ابن الفارض ينشد:

لقد صار قلبي قابلاً كُلَّ صُورة، فمرعى لغُزلان، ودير لرُهبان
وبيت لأوثان، وكعبة طائف وألواح توراة، ومصحف قرآن
أدين بدين الحُبِّ أنى توجَّهت ركائبه، فالحُبُّ ديني وإيماني

وها هو الشّيخ عبد القادر الجيلاني يقول:

ضريح بيت الله مَنْ جاء زاره يهرول له يحظى بعزّ ورفعة
وسري سر الله سار بخلقه فَلُذْ بجانبي إنْ أردتَ مودَّتي
وأمري أمر الله إنْ قُلتُ كُنْ يَكُنْ وكُلَّ بأمر الله فاحكُمْ بقدرتي

وأمَّا ابن عَرَبي؛ فإنَّه يقول:

فيحمدني، وأحمده ويعبدني، وأعبده

6 ـ أمرَ اللهُ المؤمنين بأنْ يكونوا أقوياء متأهِّبين ـ دوماً ـ للدّفاع عن دينهم، ومُحاربة الكُفَّار الذين يريدون للإسلام شراً، أو يسعون لهدمه، وتحطيمه، فقال عزَّ وجلَّ:

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: 60).

والرّسول الكريم ﷺ قال في الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ:

"المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضّعيف، وفي كُلٍّ خير".

ثُمَّ إنَّ الله أعطى الجهاد في سبيله مقاماً عالياً، وحثَّ المؤمنين عليه، فقال عزَّ من قائل:

﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٍ﴾ (المائدة: 54).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾ (الأنفال: 74).

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (التّوبة: 41).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ (التّوبة: 73).

﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ﴾ (التّوبة: 24).

فإذا كان الله ـ تعالى ـ أعطى الجهاد في سبيله هذا المقام، وقرن الجهاد بمحبّة الله ورسوله، فعلى المؤمن ـ حقّاً ـ أنْ يعمل على الانصياع إلى هذا الأمر الإلهي، ولا ينصرف إلى العبادة ـ فقط ـ من صلاة، وصيام، وقيام اللّيل، والانشغال بالذّكْر والتّسبيح، كما يدعو إليه الصُّوفيُّون، ويمارسونه فعلاً، فالجهاد يتطلّب إعداد النّفس، وتزويدها بكُلِّ أسباب القُوَّة والمنعة، لا إضعافها وإشغالها بنوافل لم يأمر الله بها.

إنَّ مواقف الصُّوفيَّة تلك لاقت نقداً كثيراً من علماء المسلمين، الذين وصفوا هذا السُّلُوك الصُّوفي، وذاك التَّصرُّف بأنّه تهرُّب من مواجهة الأخطار التي هدَّدت المجتمعات الإسلاميَّة في فترات تكالبت فيها القوى الغاشمة على بلادها. ويبقى الاعتقاد السّليم ـ الذي من الأفضل أنْ يكون سائداً في المجتمع الإسلامي ـ هو ضرورة إعداد المؤمن القوي المُهيّأ للدّفاع عن الإسلام، والجهاد في سبيل الله كما أمر الله، وليس كما طلب الصُّوفيُّون، واتّخذوه مسلكاً لهم.

7 ـ إن الاتّحاد بالذّات الإلهيّة والتّحوّل إلى كيان واحد معها عنصر مميّز في الصّوفيّة، وحالة الاندماج هذه بين الخالق والمخلوق، والشّعُور بأنّ النّفس البشريّة حينما تصبح في الحضرة الإلهيّة وتدرك أنّ الله هي وهي هو، فإنّها تتحدّث على لسان الحقّ؛ لأنّها صارت والحقّ شيئاً واحداً. لقد أصرّ الصّوفيّون على أنّ حالة (الوجد) التي تنتاب الصّوفي هي ـ في حقيقتها ـ عبارة عن حالة من (عدم الشّعُور) ينتقل فيها الخطاب إلى صيغة المتكلّم، بعد أنْ كان في حال (المناجاة) بصيغة المخاطب، وفي حال (الذّكْر) في صيغة الغائب. ودافع العديد من الصّوفيّين عمّا صدر من أقرانهم عندما أطلقوا شطحاتهم وأقوالهم التي استنكرها أهل السّنّة لما فيها من عبارات هي أقرب للكُفْر والزّندقة. لقد دافع الشّريف الجرجاني صاحب كتاب (التّعريفات) عن أصحاب هذه الشّطحات بالقول: إنّ الشّطح عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة، ودعوى تصدر من أهل المعرفة باضطرار واضطراب، وهو زلاّت المحقّقين، وإنّه دعوى حقّ يفصح بها العارف، ولكنْ؛ من غير إذن إلهي. وكذلك حاول صوفيّون آخرون مثل: أبي بكر الكلاباذي، وأبي نصر السّراج وغيرهم الدّفاع عن الشّطوحات الصّوفيّة وأصحابها. إلاّ أنّ علماء أهل السّنّة والجماعة أجمعوا على رَفْض هذا الدّفاع، واتّهموا أصحاب هذه الأقوال بأنّهم أصحاب تجديف، ولا يجوز قبول أقوالهم، واعتبارها أنّها صادرة عن لسان أو إيحاء سماوي.

شطحات الصّوفيّين:

إنّ توقّفاً خاطفاً في محطّتَيْن صُوفيّتَيْن مشهورتَيْن بإطلاق مثل هذه الشّطحات يسمح لنا إدراك أبعاد هذه الأقوال، والحُكْم فيما إذا كانت تنسجم مع الكتاب والسّنّة، ومع الفَهْم السّليم للشّرع.

ولتكن محطّتنا الأولى مع الزّاهدة المتصوّفة رابعة العدويّة كما وردت في كتاب الدُّكتُور عبد الرّحمن البدوي (شطحات الصّوفيّة):

عندما حجّت رابعة العدويّة، وزارت الحرم الشّريف، قالت: هذا الصّنَمُ المعبود في الأرض!! وإنْ ما ولجه الله، ولا خلا منه.

وكنوع من اللّوم والعتاب لله تقول: يا ربُّ؛ أمّا كان لكَ عقوبة ولا أدب غير النّار؟

وعندما سمعت قارئاً يقرأ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ (يس: 55 ـ 56) قالت:

مساكين أهل الجنَّة في شغل هم وأزواجهم (تفسير فاكهون أنَّهم يفضُّون الأبكار).

"ونعتقد أنَّ الدُّكتُور بدوي قد غالى في نقده لكلمات هذه الزّاهدة المتصوِّفة، التي أطلقوا عليها لقب شاعرة الحبَّة الإلهيّ، والتي كانت صلاتها تأخذ كُلَّ ليلها، وذكْرها يأخذ كُلَّ نهارها، حتَّى إنَّه قيل عنها من باب المبالغة إنَّها كانت تقوم بأداء ألف ركعة في اللّيلة. أمَّا أقوالها التي نقلها لنا الدُّكتُور بدوي؛ فإنْ صحّ أنَّها هي التي نطقت بها، فعلى الأرجح أنْ يكون منطلق قولها هذا هو التّعبير عن حالة الحُبِّ الإلهي الذي كان يملأ قلبها نتيجة حالة التَّصوُّف التي كانت تغشى نفسها، وتسكن فيه. فالصُّوفي إنسان عابد، يتسامى في غرائزه، ويترقَّى بها، ويتَّجه بها إلى الله عزَّ وجلَّ، فتشغله محبَّة الله عن نفسه، وتتحقَّق له الطّمأنينة، فينطق بكلمات تُعبِّر عن هذه الأحوال.

ورابعة عندما قالت ما عدَّه بعض منتقديها شطحات أو هرطقات، فإنَّها لم تتفوَّه بهذه العبارات إلاَّ تعبيراً عن حالة الحُبِّ الإلهي التي كانت تملأ قلبها "لا أريد الكعبة، بل أريد ربَّ الكعبة". فإظهار العيب في القول من الأفضل أنْ لا يتعدَّى حُدُود التّجريح، بل اعتبار الكلام هفوة أو غلطة مصدرها شدَّة الإيمان وعمق المحبَّة.

أمَّا محطَّتنا الثّانية فهي أقوال لأبي يزيد البسطامي، أوردها الدُّكتُور عبد الرّحمن البدوي في الكتاب نفسه، نقلاً عن كتاب أبي النّصر السّراج (اللّمع):

ـ ففي مجال التّوهُّم في عُلُوِّ المقام يقول أبو يزيد:

1 ـ رفعني (أيْ الله) مرَّة، فأقامني بين يديْه، وقال لي: يا أبا يزيد؛ إنَّ خلقي يحبُّون أنْ يروكَ. فقُلتُ: زيِّنّي بوحدانيَّتكَ، وألبسني أنانيَّتكَ، وارفعني إلى أحديَّتكَ، حتَّى إذا رآني خلقكَ قالوا: رأيناكَ، فتكونَ أنتَ ذاك، ولا أكون أنا هناك.

2 ـ ضربتُ خيمتي بإزاء العرش ـ بطشي أشدّ من بطش ربِّي ـ طاعتكَ لي يا ربُّ أعظم من طاعتي لـكَ ـ تـا الله إنَّ لوائـي أعظـم مـن لـواء مُحمَّـد ﷺ: لوائـي مـن نـور تحتـه الجـانّ، والجـنّ والأنس كُلّهم من النّبيِّين ـ لأنْ تراني مرَّة خير لكَ من أنْ ترى ربَّكَ ألف مرَّة.

3 ـ ويقول أبو يزيد مخاطباً الله عزَّ وجلَّ: كُنتَ لي مرآة، فصرتُ أنـا المرآة، سُبحاني مـا أعظم شأني.

ـ وفي مجال المبالغة في القدرة يقول أبو يزيد البسطامي:

1 ـ خضتُ بحراً، وَقَفَ الأنبياء بساحله.

2 ـ غبتُ عن الله ثلاثين سنة، وكانت غيبتي عن ذكري إيَّاه، فلمَّا خنستُ عنـه، وجدتُـهُ في كُلِّ حال، حتَّى كأنَّه أنا.

3 ـ ما النّار؟ لأستندنَّ إليها غداً، وأقول: اجعلني لأهلـها فـداءً، أو لأبلعنَّـها!! مـا الجنَّة لعبة صبيان!!

4 ـ طلَّقـتُ الدّنيا ثلاثـاً ثلاثـاً بتاتـاً لا رجعـة فيـها، وصـرتُ إلـى ربِّـي وحــدي، فناديتُـهُ بالاستغاثة: إلـهي!! أدعـوكَ دعـاء لـم يبـقَ لـه غيرُكَ!! فلمَّـا عـرف صـدْق الدّعـاء مـن قلبـي والأياس من نفسي، كان أوَّل مـا ورد علـيّ مـن إجابـة هـذا الدّعـاء أنْ أنسـاني نفسـي بالكُلِّيَّة، ونصّب الخلائق بين يدَيْ، مع إعراضي عنهم.

5 ـ أوقفني الحقُّ بين يدَيْه مواقف في كُلِّها يعرض عليّ المملكة، فيقـول: أ تـرد التّحـف؟ قُلتُ: لا. قال: الظّرف؟ قُلتُ: لا. قال: الغرف؟ قُلتُ: لا. قال: ما تريد؟ قُلتُ: أريـد أنْ لا أريد، فإنَّكَ المرادُ، وأنا المريد. قال لي: أنت عبدي حقّاً.

6 ـ ركبتُ مركب الصّدق حتَّى بلغتُ الهوى، ثُـمَّ الشّـوق حتَّـى بلغـتُ السّـما، ثُـمَّ المحبَّة حتَّى بلغتُ سدرة المنتهى، فنُوديت: يا أبا يزيد؛ ما تريد؟ قُلتُ: أريد أنْ لا أريد.

رأيتُ ربَّ العزَّة فقُلتُ: يا ربُّ؛ كيف أجدكَ؟ قال: اتركْ نفسكَ، وتعال.

ـ وفي مجال أقوال أبي يزيد الغريبة يقول:

1 ـ الجنَّة هي الحجاب الأكبر؛ لأنَّ أهل الجنَّة سكنوا إلى الجنَّة، وكُلُّ مَنْ سكن إلى الجنَّة سكن إلى سواه، فهو محجوب.

2 ـ مَنْ عرف الله صار للجنَّة ثواباً، وصارت الجنَّة عليه وبالاً.

3 ـ إنَّ آدم ـ عليه السّلام ـ باع حضرة ربِّه بلقمة. . ، لو شفعني الله في الأوَّلين والآخرين لم يكن ذلك عندي بكبير: غاية الأمر أنَّه شفَّعني بلقمة طين.

4 ـ مرَّ أبو يزيد على مقابر اليهود، فقال: ما هؤلاء حتَّى تُعذّبهم؟ كُفٌّ!! عظام جرت عليهم القضايا، اعفُ عنهم.

صحيح أنَّ إنكار هذه الأقوال وتلك الشّطحات قد جاء على لسان الصُّوفيِّين أنفسهم، ولكنَّ ما جاء على ألسنة هؤلاء لم يكن يمثِّل اتِّجاها عامّاً لدى كافَّة فقهائهم وزعمائهم، ولم يكن هذا الاستنكار ناشئاً إلاَّ عن مواقف فَرَضَتْهَا ظُرُوف مُعيَّنة، ودفعت بها حالات خاصَّة، وأجواء ضاغطة، دفعت البعض لاتِّخاذ هذه المواقف. فالجُنيد ـ رحمه الله ـ استنكر أقوال أبي يزيد البسطامي، فقال: إنَّ أبا يزيد ـ رحمه الله، مع عِظَم حاله، وعُلُوِّ شأنه ـ لم يخرج من حال البداية، ولم أسمع منه كلمة تدلُّ على الكمال والنّهاية.

أمَّا الشّبلي ـ رحمه الله ـ؛ فقد علَّق على شطحات أبي يزيد قائلاً: لو كان أبو يزيد ـ رحمه الله ـ ها هنا لأسلم على يد بعض صبياننا.

إنَّ هذا الاستنكار لأقوال أبي يزيد جاء عندما شعر الصُّوفيُّون ما أحدثته هذه الشّطحات من ردود فعل سيِّئة عند جمهور أهل السُّنَّة، وأنَّ الخطر بات يتهدَّدهم جميعاً، إذا أوغلوا في هذا الأمر، وتمادوا في شطحاتهم، وأنَّ مصيرهم لن يكون بعيداً عن مصير الحلاَّج. ألم يدفع هذا الشُّعُور الشّبلي صديق الحلاَّج إلى القول عن الحلاَّج:

"كُنتُ أنا والحسين بن منصور الحلاَّج شيئاً واحداً، إلاَّ أنَّه أظهر، وكتمتُ".

وللأسف؛ فإنَّ فترة الاستنكار والتَّحفُّظ على هذه الأقوال والشّطحات سرعان ما تبدَّدت، وظهر في صفوف الصُّوفيّين العديد من الكُتَّاب مَنْ يدافع عنها، وعن أصحابها.

أبعاد أخرى لإنكار التَّصوُّف:

وقد يُقال بأنَّ الاعتراض على الصُّوفيَّة والصُّوفيّين واستنكار أقوالهم وأفعالهم مبني - كما يقول أنصار الصُّوفيَّة - على أقاويل وسُلُوكيَّات ليس للصُّوفيّين بها أيَّة علاقة، وإنَّ أكثرها قد دُسَّت عليهم، أو نُسبت لهم ظلماً وبهتاناً. فالكلمات التي نُسبت لرابعة العدويَّة لا تمتُّ إلى الحقيقة بصلة، والأقوال التي قالها أبو يزيد البسطامي أكثرها مدسوس عليه. لذلك؛ فإنَّ كُلَّ النّقد وكُلَّ الاتِّهامات لا يُمكن الاعتماد عليها، أو القبول بها؛ لأنَّها بُنيت على أقوال، ولم تُبنَ على حقائق وأدلَّة صحيحة، ولكنْ؛ يبدو أنَّ هؤلاء المدافعين عن الصُّوفيَّة قد نسوا - أو تناسوا - أنَّ مثل هذه الأقوال وما تتضمَّنه من شطحات تلقى استجابة قويَّة، وعدم استنكار من عدد كبير من الصُّوفيّين، ولم يصدر بشأنها إنكار شامل لها، أو استنكار جامع لقائليها، بل بالعكس، فها هو ابن عَرَبي يقول عن أبي يزيد البسطامي: إنَّه كان القُطب الغوث في زمانه، فمن الأقطاب مَنْ يكون ظاهر الحُكم، ويحوز الخلافة الظّاهرة، كما حاز الباطنة من جهة المقام: كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن عبد العزيز، ومنهم من له الخلافة الباطنة خاصَّة، ولا حُكْم له في الظّاهرة كأبي يزيد. وقال عنه أيضاً: إنَّ أبا يزيد كان على قلب إسرافيل، له الأمر، ونقيضه، جامع للطّرَفَيْن، وهذا المنصب لا يكون في الزّمان إلاَّ لواحد فقط.

ثُمَّ إن الاعتراض على الصُّوفيَّة وفكْرها لا ينصبُّ - فقط - على تلك الشّطحات، وعلى مَنْ يمثّلها، ولا على سُلُوك أصحابها، ولا على مضمون كلماتها وعباراتها، بل يتَّجه - إضافة إلى ذلك - إلى الفكر الصُّوفي نفسه، وما يحمله من آراء، وما ينقله من أفكار، وما أدخله من معتقدات ونظريَّات غريبة عن الدِّين، وبعيدة عن مفهومه الصّحيح.

إنَّه الفكر الذي ابتدع ما أطلق عليه الحقيقة، وفرّق بينها وبين الشّريعة.

إنَّه الفكر الذي أعطى أولياءه وأقطابه وعارفيه مقامات تعلو على مقام الأنبياء والمرسلين.

إنَّه الفكر الذي جعل ما أطلق عليه كرامات بمثابة معجزات يعجز الأنبياء والرُّسُل عن القيام بها.

إنَّه الفكر الذي أعطى أصحابه الحقَّ في تأويل النَّصِّ القرآني اعتماداً على التّفسير الباطني له، وضرب بعرض الحائط آراء أهل العلم أصحاب التّفسير المبني على ظاهر النَّصِّ كما فهمه العلماء والفقهاء.

إنَّه الفكر الذي أعطى أصحابه الحقَّ في الغوص في متاهات الشّطحات، التي مبعثها الوجد، والسُّكْر، واللاّوعي، أو السّماع، الذي يقود إلى النّشوة، والنّشوة التي تقود إلى إطلاق اللّسان دُون أيّ نوع من الرّقابة أو الورع.

إنَّه التَّصوُّف الذي حوَّل الزّهد الحقيقي الذي عرفه ومارسه الصّحابة الكرام إلى مظاهر زائفة، وتقاليد بالية، وبدَع غريبة، ورُتب دينيَّة مُستحدَثة.

إنَّه التَّصوُّف الذي حوَّل ذكْر الله إلى مجالس يستخدم القائمون عليها الآلات الموسيقيَّة لإدخال حال من النّشوة والطّرب بدلاً من إضفاء الخشوع والرّهبة في نفوس الذّاكرين. إنَّه التَّصوُّف الذي يدَّعي أصحابه بلوغ العلم بالإلهام الرّبّاني، وليس بالتّعلم الدّنيوي، والذي يدَّعي أصحابه بلوغ المعرفة، ومشاهدة الحقِّ، ونيل حالة القُرب التي لم يبلغها الأنبياء والمرسلون.

ماذا يقول الصُّوفيُّون:

1 ـ إنَّ ما يدَّعيه البعض من أنَّ التَّصوُّف ما هو إلاَّ مُؤامرة فارسيَّة ابتدعها جماعة من المجوس دخلوا الإسلام متظاهرين بالإيمان به، وبقوا على ديانتهم، وحقدهم على الدِّين الجديد، الذي اكتسحت جيوشه بلادهم عند بداية الفتوحات الإسلاميَّة، التي تخطَّت حُدُود بلادهم، ووصلت إلى الهند، وأنَّ التَّصوُّف ما هو إلاَّ صُورة عن التَّنسُّك الهندي والفارسي

واليوناني، وأنَّ الحركة الصُّوفيَّة ما هي إلاَّ حصيلة الثّقافة التي استمدَّت أفكارها من منابع الثّقافة الشّرقيَّة (الهند وفارس) والغربيَّة (اليونان)، إنَّ هذا الطّرح الذي يعرضه هؤلاء المنكرون للصُّوفيَّة يتناسون أنَّ التَّصوُّف ـ في حقيقته ـ هو من صلب الدِّين الإسلامي، وأنَّ المتصوِّفين الأوائل ورُوَّاد الصُّوفيَّة كانوا من خيرة العَرَب والمسلمين، فبالإضافة إلى الخلفاء الرّاشدين ـ رضي الله عنهم ـ الذين يمثّلون قمَّة الزّهد والتَّصوُّف في الإسلام نجد أنَّ الرّعيل الأوَّل من المتصوِّفة هم عَرَب أقحاح، آمنوا بالتَّصوُّف؛ لاعتقادهم بأنَّ الإيمان به لا يخرج عن مفهوم الإيمان الصّحيح للدِّين الإسلامي.

إنَّ الحسن البصري، وأبو الدّرداء، وأبو ذرّ الغفاري، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وغيرهم الكثير لم يكن تصوُّفهم بهدف التّآمر على الإسلام، أو تحريف الدِّين، بل كان سُلُوكهم الصُّوفي فَهْمَاً صحيحاً للدِّين، ونصرة حقيقيَّة له.

إنَّ كثيراً من الكُتَّاب المنصفين أخذوا بهذا القول، وتبنّوا هذا المفهوم، وأنكروا المقولة التي تشير إلى أنَّ التَّصوُّف هو مُؤامرة فارسيَّة هدفها تحطيم الإسلام، وأنَّ التَّصوُّف بعيد عن الإسلام وغريب عن الدِّين الإسلامي نفسه، ولقد آمن بهذه النّظرة للتَّصوُّف كبار بعض المستشرقين أمثال المستشرق الإنكليزي الشّهير *الدُّكتُور رينولد نيكلسون*، وكذلك المستشرق الفرنسي *لويس ماسينيون*، وغيرهم. لقد أقرَّ هؤلاء بأنَّ التَّصوُّف لا تتعارض أفكاره عمَّا جاء في القرآن الكريم والسُّنَّة النّبويَّة الشّريفة.

لذلك كُلّه فإنَّ الادّعاء بأنَّ التَّصوُّف دخيل على الإسلام وذو جذور أجنبيَّة هو ادّعاء باطل، ولا يستند إلى وقائع صحيحة وسليمة.

أمَّا الصُّوفيُّون الذين تبنّوا الحركة الصُّوفيَّة التي انطلقت بأفكارها وتنظيمها الجديد من خراسان على يد صوفيَّيْن ورعين أمثال: شقيق البلخي، ويحيى بن معاذ الرّازي، وحاتم الأصمّ، وأبو تراب النّخشبي، وأبو يزيد البسطامي، والذين حملوا لواء الصُّوفيَّة، فهم وإنْ كانوا من أصل فارسي إلاَّ أنَّهم كانوا مسلمين مؤمنين، وليس من الحكمة أنْ نطعن بإيمانهم، ونتّهم ـ بالتّالي ـ حركتهم بأنَّها مُؤامرة فارسيَّة لتحطيم الإسلام.

2 ـ يقول ابن سينا في تعريفه للزّاهد والعابد والصُّوفي ما يلي :

الزّاهد : هو المُعرض عن الدّنيا وطيِّباتها .

العابد : هو المُواظب على فعل العبادات .

الصُّوفي: هو المُتوجِّه بفكره إلى قُدْس الجبروت المستديم لشروق نور الحقّ في سرِّه .

فالزّاهد قد يكون عابداً ، والعابد قد يكون زاهداً ، واندماج الزّهد والعبادة لا تعني التَّصوُّف ، بل لابُدَّ أنْ يرافق ذلك الدّمج معرفة الهدف من هذا الزّهد وهذه العبادة .

فَزُهد غير الصُّوفي ـ كما تقول رابعة العدويَّة وغيرها من الصُّوفيِّين ـ هدفه الاستمتاع بالآخرة ، فهو نوع من الصّفقات كأنْ تشتري متاع الآخرة بمتاع الدّنيا ! !

أمَّا زُهد الصُّوفي ؛ فإنَّه يزهد في الدّنيا ؛ لأنَّه يتنزَّه عن أنْ يشغله شيء عن نفسه .

وعبادة غير الصُّوفي هدفها دُخُول الجنَّة ، وكأنَّه يعمل في الدّنيا لأجرة يأخذها في الآخرة ، وهي الأجر والثَّواب .

أمَّا عبادة الصُّوفي ؛ فهي أشدُّ صلابة ، وأكثر صلة بالله تعالى ، فإنَّه يعبد الله ؛ لأنَّه يستحقُّ العبادة ، لا لرغبة ، أو رهبة ، بل للسّعي إلى التَّقرُّب إليه ، واكتساب العلم منه ، ونيل معرفة أسمائه وأفعاله ، وكما تقول رابعة العدويَّة :

"اللّهمَّ ؛ إنْ كُنتُ أعبدكَ خوفاً من ناركَ ، فألقني فيها ، وإنْ كُنتُ أعبدكَ طمعاً في جنَّتكَ ، فاحرمنيها ، وإنْ كُنتُ أعبدكَ لوجهكَ الكريم ، فلا تحرمني من رؤيته" .

ويقول أبو بكر الشّبلي : "يا إلهي ؛ أحبَّكَ الخلقُ لنعمائكَ ، وأنا أحبُّكَ لبلائكَ" .

ويقول الجنيد أيضاً :

"قالت النّار : يا ربُّ لو لم أطعكَ ، هل كُنتَ تعذّبني بشيء أشدّ مني؟ قال : نعم . . فكُنتُ أسلِّط عليك ناري الكُبرى . قالت : وهل نار أعظم منِّي؟ قال : نعم . . نار محبَّتي أَسْكَنْتُهَا قلوب أوليائي المؤمنين" .

إنَّ التَّصوُّف ليس زهداً فقط، وليس عبادة لا غير، بل هو أشمل من ذلك كُلِّه، وهو شيء آخر، فهو سُلُوك يتجاوز الزّهد والعبادة، وكما يقول أبو بكر الكتَّاني: التَّصوُّف هو صفاء ومشاهدة، فالصّفاء هو الوسيلة والمشاهدة هي الغاية.

فالتَّصوُّف ـ استناداً لهذا التّعريف ـ طريق وغاية، ورغبة في التَّقرُّب إلى الله. إنَّ هذا التَّلهُّف إلى التَّقرُّب من الخالق فطرة التحمت في النّفس البشريَّة، وتغلغلت في أعماقها مُنذُ النّشأة الأولى للإنسان، نجدها عند البعض توَّاقة دائماً ليس إلى تحقيق هذا القرب فقط، بل بلوغ الكثير منه، والمزيد من المعرفة به، وكذلك نجدها ـ في المقابل ـ غارقة في سبات عميق عند البعض الآخر.

إنَّ الصُّوفي في سُلُوكه وعبادته يرجو بلوغ هذه الدّرجة من المعرفة والقُرب، وهدفه ومبتغاه يبقى ـ دائماً ـ اكتساب أكبر قدر من المعرفة في الذّات الإلهيَّة، والوُصُول إلى أقصى درجات القُرب منها، فهل في هذا السُّلُوك أيُّ عيب أو نقص؟!!

3 ـ إذا جاز للنّبي ـ ﷺ ـ الإخبار عن الغيب والمستقبل، وذلك بإيحاء من الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ هذه الإجازة يُمكن أنْ تكون ـ أيضاً ـ لشخص آخر غير الرّسول، أو النّبي. فإذا كُوشف ـ ﷺ ـ حقائق الأمور، فلا يستحيل أنْ يُكاشَف بهذه الحقائق شخص آخر يختاره الله، وينتقيه من عباده الصّالحين، ولا يُسمَّى هذا الشّخص ـ حينئذ ـ نبيّاً، بل يُسمَّى وَلِيّاً. فَمَنْ آمن بالله والأنبياء وصدَّق بالرّؤيا الصّالحة لزمه ـ بلا ريب ـ الإقرار بالبصيرة ـ وإنَّ القلب يُمكن أنْ ينفتح على عالم المَلَكُوت الإلهي، ويتلقَّى من الوحي ما شاء الله أنْ يوحي إليه.

﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ (التّغابن / 11).

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (الزّمر / 22).

وعندما سُئل الرّسول ـ ﷺ ـ عن تفسير الآية ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾ قال في تفسيره لكلمة الشّرح في الآية المذكورة: إنَّه التّوسعة، فالنُّور إذا قُذف به في القلب، اتَّسع له الصّدر، وانشرح. وكان ـ ﷺ ـ يُكثر في دعائه من سؤال النُّور:

" اللّهم أعطني نوراً، وزدني نوراً، واجعل في قلبي نوراً، وفي قبري نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً".

وقال ﷺ: "اتّقوا فراسة المؤمن، فإنّه ينظر بنور الله".

وكان أبو الدّرداء يقول: "المؤمن مَنْ ينظر بنور الله، من وراء ستر رقيق، والله إنّه للحقّ يقذفه الله في قلوبهم، ويجري على ألسنتهم".

ويقول أنس بن مالك ﷺ: "دخلتُ على "عثمان" ﷺ ـ وكُنتُ قد لقيتُ امرأة في طريقي، فنظرتُ إليها شَذَرَاً، وتأمّلتُ محاسنها ـ فقال عثمان ﷺ لمّا دخلتُ: يدخل عليّ أحدكم، وأثر الزّنا ظاهر على عينَيْه! أمّا علمتَ أنّ زنا العينَيْن النّظر؟ لتتوبنّ، أو لأعذرنّكَ، فقُلتُ: أوحيٌ بعد النّبي؟! فقال: لا، ولكنْ؛ بصيرة وبرهان وفراسة صادقة". فإذا كان الكشف هبة من الله يُمكن أنْ يتمّ باليقظة وبالحلم، وهذه الهبة الإلهية التي منحها الله للمؤمن، وخصّ بها الصّالح والتّقي من عباده، فلماذا يستنكر البعض حدوثها للصّوفي الورع الزّاهد المتوجّه بكُلّ مشاعره إلى ربّه؟!

4 ـ الوحي سر من أسرار الله يقذفه في قلوب أحبائه، وهبة ومنحة إلهيّة يختص الله بها عباده المخلصين والمقربين إليه، وهذا السّر وهذه المنحة أثبتتها حقائق ملموسة وأيدها واقع محسوس، وأصدق مثال عنها هو ما حدث مع سيدنا عمر ﷺ. ففي أثناء إلقاء خطبته، جاءه الوحي من الله عز وجل، فصاح قائلاً: يا سارية، الجبل! الجبل! لقد أوحى الله إليه بأنّ العدو أحاط بجيش سارية، وأنّه على وشك الإطباق عليه، فصاح محذراً سارية طالباً منه اللّجوء إلى الجبل لإفشال مخطط العدو، وبلغ تحذيره مسمع سارية، وتمكن سارية ـ نتيجة هذا التّحذير ـ من إنقاذ جيشه وإفشال خطّة عدوه.

فالوحي ـ هنا ـ تمّ من الله ـ عزّ وجلّ ـ إلى سيدنا عمر ـ ﷺ ـ في اليقظة، ويُمكن أنْ يتمّ ـ أيضاً ـ في الحلم، وهو ليس محصوراً في الأنبياء فقط، وكذلك الأمر في العلم والكشف الرّبّاني الذي يمنحه الله لبعض عباده المخلصين، وقد كان أبو يزيد البسطامي يقول: "ليس

العالم الذي يحفظ من كتاب، فإذا نسي ما حفظه صار جاهلاً، وإنَّما العالم يأخذ علمه من ربِّه أيّ وقت شاء، بلا حفظ، ولا درْس، وهذا هو العلم الربَّاني".

والإشارة إلى هذا العلم وردت في القرآن الكريم في الآية 65 من سورة الكهف: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.

إنَّ هذا العلم الذي زوَّد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ به الخضر ـ عليه السّلام ـ هو علم لدني ربَّاني، وليس علماً دنيويّاً، وهو من النَّوع الذي يقذفه الله في قلب المؤمن الصّالح التّقي المخلص. والآية الكريمة من سورة الأنفال التي تقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ (الأنفال / 29).

لقد فسَّر العلماءُ الفرقانَ بأنّه النُّور الذي يُفرِّق بين الحقِّ والباطل، والعلم الذي يُغدقه الله على عباده المتَّقين الطّائعين له، والمقرَّبين إليه. أمَّا قوله تعالى في الآية 69 من سورة العنكبوت؛

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ يعني أنَّ الله قد زوَّد عباده المتَّقين السّائرين على هديه المجاهدين في سبيله بشحنة من الهداية والمعرفة تأتي عن طريق الإلهام والوحي، فإذا كان الإيمان بالأنبياء يقتضي الإيمان بالوسائل التي بها يأتيهم الإلهام والوحي، فإنَّ الإيمان بالرّؤيا يبقى أمراً واجب التّسليم به، وكما قال الرّسول ﷺ:

"رؤيا المؤمن جزء من ستَّة وأربعين جزءاً من النُّبوَّة".

فإذا كان صاحب القبَّة الخضراء النّبي الكريم الذي كُلِّف بإصلاح الخلق وإبلاغ الرّسالة للعالم أجمع قد جاءه الوحي عن طريق الرّؤيا أحياناً، وعن غيرها أحياناً أخرى، فلماذا يستنكر معارضو الصُّوفيَّة أنْ ينال الصُّوفي هذه الكرامة؟! ولماذا لا يجوز للصُّوفي ما يجوز لغيره؟!

5 ـ عندما كان الفكر الإنساني بحاجة إلى المعجزة ليؤمن برسالة الأنبياء والمرسلين، يسَّر الله لأنبيائه إتيان المعجزات، وذلك ما حصل لموسى وعيسى عليهما السّلام. والإنسان ـ لحكمة أرادها الله ـ تدرَّج في طريق المعرفة والإدراك، والمخلوق البشري مرَّ بمراحل عديدة، ووصل

إلى درجة عالية من التَّطوُّر بشكل تدريجي، وليس بطفرة فجائيَّة. ودرجة التّميز والإدراك في العقل البشري تختلف من كائن لآخر، والذي منحه الله قُوَّةَ الإدراك وعمق الرّؤية، آمن بالنُّبوَّة، ولم ينظر إلى المعجزة، وثبت له من سُلُوك وكلام الرّسول الكريم - ﷺ - أنَّه أمام نور إلهي ورسالة سماويَّة يحملها إنسان إلى البشريَّة جمعاء، وعندما ينطق الرّسول - ﷺ - بكلمات وعبارات تشير إلى أسرار وعوالم، وأخبار وإشارات، وحقائق وعُلُوم، فإنَّ هذا لا يُمكن إلاَّ أنْ يوصف بأنَّه علم من علم الغيب، والرّؤيا الصّادقة المعبِّرة عن واقع مُدْرَك، وإنَّ هذه الأقوال لابُدَّ أنْ تدفع مستمعها إلى الإيمان بقائلها وتصديق رسالته والاستجابة لدعوته. إنَّ عرضاً سريعاً لبعض أقوال المصطفى - ﷺ - التي تدخل في باب النُّبُوءة، وتندرج تحت بند الرّؤيا التي يتمتَّع بها الأنبياء - صلى الله عليهم وسلَّم - تُؤكِّد ما منحه الله لهؤلاء المصْطَفين من كرامات:

"إنَّكم ستفتحون أرضاً يُذكَر فيها (القيراط)".

"إنَّها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها".

"لَمَّا خلق اللهُ الخلقَ كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: (إنَّ رحمتي تغلب غضبي)".

"مَنْ أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه".

"لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنَّته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرّحمة، ما قنط من جنَّته أحد".

"مَنْ أعان ظالماً، سلَّطه الله عليه".

"مَنْ أصبح وَهَمُّهُ هَمٌّ واحد (هو التّقوى) كفاه الله - تعالى - هموم الدّنيا والآخرة".

لقد أظهر الله - تعالى - على يد أنبيائه بعض المعجزات والكثير من خوارق العادات، وللأسف؛ فقد اتَّجهت عقيدة عموم الخلق بأنَّ هذا العطاء الإلهي الذي خصَّ الله به أنبياءه هو من نصيب الأنبياء فقط، ولا أحد غيرهم يتمتَّع بهذه المنحة الإلهيَّة. ولقد نسي منكرو الصُّوفيَّة

أنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أكرم عباده وأولياءه ـ أيضاً ـ بشيء من خوارق العادات، وخصَّهم بكرامات تجري على أيديهم؛ تثبيتاً لمكانتهم، وتأييداً لعُلُوِّ مقامهم، ولا يعني هذا مشاركة هؤلاء مقامات النُّبُوَّة، أو مكانة أنبيائهم، بل بالعكس؛ فالوَليّ يعتزُّ بنبيِّه، ويستلهم منه الهدى، ويقتفي طريقه، ولا يحيد عن رسالته، ولا يسعى للمشاركة في مقامه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون / 8).

وتحقيقا لمشيئة الله لم تكن نظرة الخلق للوَليّ نظرة واحدة، فبعضهم صدَّق، وبعضهم كذَّب. فالأولياء الصّالحون الخُلَّص من خلقه الذين صدَّقهم النّاس يتوجَّهون إلى الله بالشّكر، وأمَّا الذين كذَّبهم النّاس؛ فيتوجَّهون إليه بالصّبر. ولمكانة الوَليّ عند الله، فقد جعله ـ عزَّ وجلَّ ـ محجوبا عن النّاس غالباً، وإنْ ظهر لهم فإنَّه يظهر لهم بعلمه، ولا يُعلن عن ولايته. وكثيراً ما سلَّط الله على هؤلاء الخُلَّص من خلقه الأعداء والحُسَّاد حتَّى لا تركن قلوبهم لغير الله.

إنَّ عدم التّصديق بالأولياء وكراماتهم لا يعني إلاَّ رفض الحديث النّبوي الشّريف الذي رواه أبو داود والحاكم والبيهقي عن رسول الله ﷺ، والذي قال فيه: "إن الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كُلِّ مئة سنة مَنْ يجدِّد لها دينها". ويقود ـ أيضاً ـ إلى الابتعاد عن الفَهْم الصّحيح عمَّا ورد في القرآن الكريم.

إنَّ قصَّة موسى ـ عليه السّلام ـ مع العبد الصّالح الذي ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف / 65) تبيِّن ـ بوضوح وجلاء ـ أنَّ المعرفة ليست محصُورة ـ فقط ـ في الأنبياء، بل هناك أولياء صالحون، وهبهم الله المعرفة، وآتاهم من عنده العلم اللّدني، وزوَّدهم بالإلهامات والنّفحات الإلهيَّة التي لم يزوِّد بها ـ أحياناً ـ أنبياءه، أولئك هم الأولياء الذين يُستَدَلُّ عليهم بأعمالهم الصّالحة وسُلُوكهم القويم، وصَدَقَ مَنْ قال: "مَنْ ذاق عرف، ومَنْ حُرم انحرف".

الفصل العاشر:

تصنيف الصُّوفيِّيْن وطبقاتهم

طبقات الصُّوفيَّة:

يُعدُّ أبو عبد الرّحمن السّلمي من أشهر الذين صنَّفوا مشايخ الصُّوفيَّة، واعتمد في تصنيف طبقاتهم على الفترات الزّمنيَّة التي تواجد فيها أولئك المشاهير من مشايخهم. وجاء كتابه "طبقات الصُّوفيَّة" ليعطي أسماء خمس طبقات منهم، تتألَّف كُلُّ طبقة من عشرين شيخاً، عدَّهم من أئمَّة كُلّ فترة عاصرها هؤلاء، والتي تمتدُّ كُلٌّ منها لقرن من الزّمن، بدأ من القرن الثّاني، وحتّى نهاية القرن الرّابع الهجري. وفيما يلي أسماء أعلام كُلّ طبقة من الطّبقات الخمس التي وردت في كتابه:

الطبقة الأولى:

1 ـ الفضيل بن عياض: . . 187 هـ. عالم جليل خراساني الأصل، من مواليد سمرقند، والده من بني تميم.

2 ـ ذو النُّون المصري: . . 245 هـ. والده النُّوبي الأصل شيخ جليل وعالم ورع، يقول عنه نيكلسون: إنَّه أوَّل مَنْ مهَّد لظهور مذهب المعرفة في التَّصوُّف، وكان ذو النُّون شديد الاتِّباع للسُّنَّة والسّلف الصّالح، خلافاً لما اعتقده بعض معاصريه.

3 ـ إبراهيم بن أدهم: . . 161 هـ. كان من أبناء الملوك، هتف به هاتف، فأيقظه من غفلته، ورجع إلى طريقة أهل الزّهد والورع. صحب سفيان الثّوري والفضيل بن عيَّاض.

4 ـ بشر بن الحارث الحافي : . . 227 هـ. خراساني أصله من مرو. سكن بغداد، وتوفّي بها. كان عالماً ورعاً.

5 ـ سري السّقطي : . . 253 هـ. خال الجنيد، وأوّل مَنْ تكلم في بغداد في لسان التّوحيد وحقائق الأحوال، ويُعدُّ إمام البغداديّين وشيخهم في وقته، وإليه ينتمي أكثر مشايخ الطّبقة الثّانية.

6 ـ الحارث المحاسبي : . . 243 هـ. من مواليد البصرة، ثُمَّ ارتحل إلى بغداد. من علماء عُلُوم المعاملات والإشارات. ويُعدُّ أستاذ أكثر صوفيِّيْ بغداد. اشتهُر بالزّهد القاسي والورع. حظّر أحمد بن حنبل من الاستماع إليه. له عدَّة تصانيف مشهورة أهمّها (الرّعاية ـ التّوهُّم ـ الوصايا).

7 ـ شقيق البلخي : . . 194 هـ من مشاهير مشايخ خراسان. ويُعدُّ أوّل مَنْ تكلّم فيها عن عُلُوم الأحوال.

8 ـ أبو يزيد البسطامي : . . 261 هـ. من مواليد بسطام بلدة قريبة من نيسابور في إقليم خُراسان. كان هو وأخوته زهّاداً، ومن أرباب الأحوال. فارسي الأصل، أبوه كان زراداشتيّاً، وجدُّه مجوسيّاً.

9 ـ أبو سليمان الدّاراني : . . 215 هـ. صوفي جليل وعالم من أهالي قرية داريّا القريبة من دمشق. شيخ زاهد، من أقواله : القناعة أوّل الرّضا، والورع أوّل الزّهد. شيخ ورع له شطحات وعبارات وإشارات أنكرها البعض عليه، وفهمها عارفو مضامينها.

10 ـ معروف الكرخي : . . 200 هـ. شيخ جليل مشهور بالزّهد، كان يوصف بأنّه مُجاب الدّعاء، له مكانة عالية بين الفقهاء على مختلف مشاربهم، كان أستاذاً لسري السّقطي. يُجمع المؤرّخون على أنَّ والدَيْه كانا نصرانيَّين، أسلماه إلى مؤدِّبهم، فقال له : إنَّ الله ثالث ثلاثة. فكان جوابه عليه : بل هو الله أحد، فضربه، فهرب، وأسلم على يد علي بن موسى الرّضا، الذي كان المأمون يعظّمه، ويُجلُّه. ورجع إلى أبوَيْه، فأخبرهما بما جرى معه، فأسلما.

11 ـ حاتم الأصم : . . 237 هـ. كنيته أبو عبد الرّحمن. ومن مواليد بلخ. ويُعدُّ من قدماء مشايخ خراسان.

12 ـ أحمد بن أبي الحواري : . . 230 هـ. من أهالي دمشق. صحب أبا سليمان الدّاراني، وكانت عائلته جميعها تتَّصف بالزّهد والورع.

13 ـ أحمد بن خضرويه البلخي : . . 240 هـ. من مشايخ خراسان. صحب النّخشبي والأصمّ والبسطامي. يُروى عنه أنَّه عندما حضرته الوفاة ـ وكان في الخامسة والتّسعين من عمره ـ كان مديناً بسبعمئة درهم، وحضر غرماؤه؛ ليستوفوا ديونهم، فنظر إليهم، وقال: اللّهمَّ إنَّكَ جعلتَ الرّهون وثيقة لأرباب الأموال، وأنتَ تأخذ عنهم وثيقتهم، فَأَدِّ عنّي، فَطَرَقَ البابَ طارقٌ، وقال: هذه دار أحمد بن خضرويه؟ فقالوا: نعم. قال: أين غرماؤه؟ فخرجوا له، فقضى عنه دينه، ثُمَّ خرجتْ رُوحه.

14 ـ يحيى بن معاذ الرّازي : . . 258 هـ. واعظ تكلَّم في علم الرّجاء. وكان وأخوته الثّلاث من الزُّهَّاد، توزَّعت دعوتهم ما بين نيسابور وبلخ، وتوفِّي في نيسابور، ودُفن فيها.

15 ـ أبو حفص النّيسابوري : . . 270 هـ. اسمه عَمرو بن سلم، أو سلمة، وهو الأصحّ. خراساني من قرية يُقال لها كورداباذ، قريبة من نيسابور في خراسان.

16 ـ حمدون القصّار : . . 271 هـ. شيخ طريقة خاصَّة تُدعى (الملامة)، اختصَّ بها في نيسابور، ومنها انتشر مذهبه الذي لم يأخذه عنه أحد من أصحابه.

17 ـ منصور بن عمَّار : . . 225 هـ. شيخ من أهل مرو، من قرية يُقال لها دندانقان. وأقام بالبصرة.

18 ـ أحمد بن عاصم الأنطاكي : . . صوفي من أقران بشر الحافي وسري السّقطي والحارث المحاسبي. من الزُّهَّاد الذين للهوى قاصمين ولشرور النّفس هاشمين، سلك طريق الزّهادة والصّلاح، من أقواله: غنيمة باردة، أصلح فيما بقى، يغفر لك ما مضى. وقال أيضاً: مَنْ كان لله أَعْرَفَ، كان منه أَخْوَفَ.

19 ـ عبد الله بن خبيق الأنطاكي : . . أصله من الكوفة، انتقل إلى أنطاكيَّة في شمال سُورية، التي فتحها أبو عبيدة بن الجرَّاح، وهو من زُهَّاد الصُّوفيَّة الورعين. من أقواله: كان حبر من أحبار بني إسرائيل يقول: يا ربُّ كم عصيتكَ، ولم تعاقبني!! فأوحى الله إلى نبي من أنبيائه أنْ يقول له: كم عاقبتكَ، وأنتَ لا تدري، ألم أسلبكَ حلاوة مناجاتي.

20 ـ أبو تراب النّخشَبي : . . 245 هـ. من أجلاَّء مشايخ خراسان الموصوفين بالعلم والزّهد والورع.

الطّبقة الثّانية:

1 ـ أبو القاسم الجنيد : . . 297 هـ. أصله من نهوند في العراق، من أئمَّة القوم. لم تحظَ شخصيَّة صُوفيَّة باهتمام المؤرِّخين مثلما حظيت شخصيَّته. وهو أوَّل مَنْ نادى ـ صراحةً ـ بالتَّمسُّك بالكتاب والسُّنَّة، واتِّباع الشّريعة في ميدان التَّصوُّف. رآه أبو جعفر الخلدي في نومه، فسأله: ما فعل الله بكَ؟ فقال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلُوم، ونفدت تلك الرُّسُوم، وما نفعنا إلاَّ رُكيعات كُنَّا نركعها في الأسحار.

ومن أقوال الجنيد المأثورة أيضاً: الطّريق إلى الله مسدود على خلق الله عزَّ وجلَّ، إلاَّ على المقتفين آثار رسول الله، والتّابعين لسُنَّته. تُعدُّ مدرسته قلب التَّصوُّف ولسانه. صحب خاله سري السّقطي والحارث المحاسبي.

2 ـ أبو الحسين النُّوري : . . 295 هـ. وُلد في بغداد، وأصله من خراسان، من أَجَلِّ مشايخ القوم وعلمائهم. له رأي مغال في مبدأ الحُبِّ الإلهي.

3 ـ أبو عثمان الحيري النّيسابوري : . . 298 هـ. أصله من الرّي. ورحل إلى نيسابور؛ ليأخذ عن أبي حفص النّيسابوري طريقته في التَّصوُّف، وينشرها في نيسابور.

4 ـ أبو عبد الله بن الجلاَّء : . . 306 هـ أصله من بغداد. أقام في الرّملة ودمشق. عالم ورع، وكان يُعدُّ في زمانه من أَجَلِّ مشايخ الشّام. من أقواله: مَنْ استوى عنده المدح والذّمُّ

فهو زاهد، ومَنْ حافظ على أداء الفرض في وقته، فهو عابد، ومن رأى الأفعال كلّها من الله، فهو موحِّد.

5 ـ رُوَيم بن أحمد البغـدادي: . . 303 هـ. مـن أهـل بغـداد ومـن جُلَّـة مشـايخهم. كـان فقيهاً على مذهب داود الأصبهاني. أحد أئمَّة المسلمين المتعصِّبين للمذهب الشّافعي.

6 ـ يوسف بن الحسين الرّازي: . . 304 هـ. شيخ الرّي فـي وقتـه. كـان عالمـاً دَيِّنـاً ورعـاً، صحب ذا النُّون المصري، وأبا تراب النّخشبي.

7 ـ شـاه الكرمـاني: . . 299هـ. أصلـه مـن مـرو، كتـب رسـالات مشـهورة سمَّاها مـرآة الحكماء.

8 ـ سمنون بن عمر المحبّ: . . 298 هـ من كبار مشايخ العراق. صحـب سـري السّـقطي، وكان يتكلّم في المحبَّة بأحسن كلام. سمَّى نفسه سمنون الكذَّاب لكَتْمه عسر البول لديه.

9 ـ عَمرو بن عثمان المكّي: . . 291 هـ. كان ينتسب إلى الجنيد في الصّحبة، عالم بعلُوم الأصول، صحب أبا سعيد الخراز وغيره من المشايخ القدماء.

10 ـ سهل بن عبد الله التّستري: . . 283 هـ. أحد أئمَّـة القـوم وعلمائـهم والمتكلّمـين فـي عُلُوم الرّياضات، والإخلاص، وعيوب الأفعال.

11 ـ مُحمَّد بن الفضل البلخي: . . 319 هـ. أصله من بلخ، وأُخرج منها بسبب المذهب، فدخل سمرقند، وسكن فيها.

12 ـ مُحمَّـد بـن علـي التّرمذي: . . 320 هـ مـن كبـار مشـايخ خراسـان، ولـه تصـانيف مشهورة. كتب الحديث الكثير، ورواه. عالم جليل وزاهد ورع. يُعدُّ من أئمَّة الصُّوفيَّة.

من أقواله: الاستهانة بالأولياء من قلَّة المعرفة بالله. وأيضاً: لا ينكر الكرامات إلاَّ القلوب المحجوبة عن الله، فإنَّ الكرامة هي صنع الحقّ.

13 ـ أبو بكر الورَّاق: . . أصله من مدينة تُرمُذ، وهي مدينة مشهورة بتخريج العلماء والفقهاء، أشهرهم التّرمذي صاحب الحديث. وللورّاق عدَّة كُتُب مشهورة في أنواع الرّياضات، والمعاملات، والآداب.

14 ـ أبو سعيد الخزّاز: . . 286 هـ. من أهل بغداد. أوَّل مَنْ تكلّم في علم الفناء والبقاء. هرب من بغداد إلى مصر إثر محنة الصُّوفيَّة التي انتهت بإعدام الحلاَّج. صحب ذا النُّون المصري وسري السّقطي وبشر بن الحارث.

15 ـ علي بن سهل الأصبهاني: . . 307 هـ من قدماء مشايخ أصبهان. كُنيته أبو الحسن. كان يُكاتب الجنيد، ويراسله. فيقول الجنيد: ما أشبه كلامه بكلام الملائكة. من أقواله: حرام مَنْ عرف الله أنْ يسكن لغيره. يقال إنَّه عند موته كان قاعداً في جماعة، فقال: لبَّيكَ! لبَّيكَ! وخرَّ ميِّتاً.

16 ـ أبو العبَّاس بن مسروق الطّوسي: . . 299 هـ. من أهالي طوس بخراسان، ومن قدماء القوم، وجُلّتهم. سكن بغداد، وصحب الحارث المحاسبي وسري السّقطي.

17 ـ أبو عبد الله المغربي: . . 279 هـ. أستاذ إبراهيم الخوَّاص وإبراهيم بن شيبان. يُقال إنَّه عاش مئة وعشرين سنة، ومات على جبل طور سيناء.

18 ـ أبو علي الجوزجاني: . . من كبار مشايخ خراسان. له تصانيف مشهورة في عُلُوم الآفات، والرّياضات، والمجاهدات.

19 ـ مُحمَّد وأحمد أبناء أبي الورد: . . هما من كبار مشايخ العراقيِّيْن، وجُلّتهم. وكانا من جلساء الجنيد، وأقرانه. صحبا السّقطي، والمحاسبي، والحافي. من أقوال مُحمَّد بن أبي الورد: الغفلة عن الطّاعة نقمة، وإنَّ أبطأ الصّرعى يوم القيامة، صريع الشّهوة. وإنَّما مُنع النّاس الوُصُول لتضييع الأصول. توفِّي مُحمَّد عام 263 هـ، أمَّا أخوه أحمد؛ فقد توفِّي قبله. ومن أقواله: وليّ الله إذا زاد جاهه زاد تواضعه، وإذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده.

20 ـ أبو عبد الله السّجزي : . . من كبار مشايخ خراسان. صحب أباحفص النّيسابوري. من أقواله: علامة الأولياء ثلاثة: تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وإنصاف عن قُوَّة.

الطّبقة الثّالثة:

1 ـ أبو مُحمَّد الجريري : . . 311 هـ. من كبار أصحاب الجنيد، وصحب ـ أيضاً ـ سهل التّستري. وهو من علماء مشايخ القوم. احتلَّ مكان الجنيد لتمام حاله، وصحَّة علمه.

2 ـ أبو العبَّاس بن عطاء الأدمي : . . 309 هـ. من ظُرَّاف مشايخ الصُّوفيَّة، وعلمائهم، له لسان في فَهْم القرآن يختصُّ به. صحب إبراهيم المرستاني والجنيد بن مُحمَّد وما فوقهما من المشايخ. وكان أبو سعيد الخرَّاز يُعظِّم شأنه.

3 ـ محفوظ بن محمود النّيسابوري : . . 304 هـ. من قدماء مشايخ نيسابور، شيخ ورع جليل، صحب حمدون القصَّار، ودُفن بجانب أبي حفص.

4 ـ طاهر المقدسي : . . من جُلَّة مشايخ الشّام، ويُسمِّيه الشّبلي حبر أهل الشّام. ومن أقواله: لو عرف النّاس قدر أنوار العارفين لاحترقوا في أنوارهم، ولو بدت لأهل الأحوال لاحترقت أحوالهم.

5 ـ أبو عمرو الدّمشقي : . . 320 هـ. شيخ جليل من مشايخ الشّام، عالم بعلُوم الحقائق، ردَّ على مَنْ تكلَّم في قِدَم الأرواح والشَّواهد.

6 ـ أبو بكر بن حامد التّرمذي : . . من أعيان مشايخ خراسان، وأطهرهم خلقاً، وأحسنهم سياسة، وأفتاهم.

7 ـ أبو إسحاق إبراهيم الخوَّاص : . . 291 هـ. من أقران الجنيد، له رسالات في السّياحات والرّياضة. مات في الرّي، وهو أحد مَنْ سلك طريق التَّوكُّل.

8 ـ عبد الله بن مُحمَّد الخرَّاز الرّازي : . . 309 هـ. شيخ ورع، جاور الحرم سنين كثيرة. وكان من القائلين بالحقّ، والطّالبين قُوَّتهم من وجه حلال. كان أبو حفص النّيسابوري وأصحاب أبي يزيد البسطامي يُعظِّمونه.

9 ـ بنان بن مُحمَّد الحمَّال: . . 316 هـ. واسطيّ الأصل، سكن مصر، وله المقامات المشهورة والآيات المذكورة. صحب أبا القاسم والجنيد بن مُحمَّد، وكان أستاذاً لأبي الحسن النُّوري. ومن كراماته التي تروى عنه أنَّه أمر بالمعروف ابن طولون حاكم مصر، فغضب عليه ابن طولون، وأمر أنْ يُلقَى إلى السّبع؛ ليأكله، فلمَّا أُلقي إلى السّبع، جعل السّبع يشمُّه، ولا يضرُّه، وابتعد عنه، ولمَّا أُخرج من بين يدَيْ السّبع، قيل له: ما كان في قلبكَ حين شمَّكَ السّبع؟ قال: كنتُ أفكر في اختلاف العلماء في سُؤرِ السّباع ولعابها هل هو طاهر أم نجس؟!

10 ـ أبو حمزة البغدادي البزّاز: . . 289هـ من مشايخ بغداد، صحب سري السّقطي، وتوفِّي عندما كان يتكلَّم في مسجد المدينة. وكان ابن حنبل إذا جرى في مجلسه شيء من كلام الصُّوفيِّين، يقول لأبي حمزة: ما تقول فيها يا صوفيّ؟!

11 ـ أبو الحسين الورَّاق النّيسابوري: . . 319 هـ. من كبار مشايخ نيسابور. وكان عالماً بعلُوم الظّاهر، ويتكلَّم في دقائق عُلُوم المعاملات وعيوب الأفعال.

12 ـ أبو بكر الواسطي: . . 320 هـ. أصله من خراسان، ومن قدماء أصحاب الجنيد. عالماً بالأصول وعلُوم الظّاهر. لم يتكلَّم أحد في أصول التَّصوُّف مثلما تكلَّم أبو بكر الملقَّب بابن الفرغاني نسبة إلى قريته فرغانة.

13 ـ الحسين بن منصور الحلاَّج: . . 309 هـ. كنيته أبو مغيث. فارسيّ الأصل من بلدة البيضاء القريبة من شيراز، نشأ بواسط في العراق، صحب الجنيد والنُّوري والتّستري والمكِّي وغيرهم. والمشايخ في أمره يختلفون، فمنهم مَنْ ردَّه، وأبوا أنْ يكون له قَدَمٌ في التَّصوُّف، ومنهم مَنْ قبله، وأثنوا عليه، وحكوا عنه كلامه. قُتل في بغداد بتهمة الزّندقة، بعد أنْ أطلق عبارات مثل: أنا الحقُّ، ما في الجبَّة إلاّ الله، وغيرها من الألفاظ التي فُسِّرت على أنَّها إلحاد وكُفر.

14 ـ أبو الحسن بن الصّائغ الدِّينوري: . . 330 هـ. شيخ كبير أقام في مصر، ومات فيها، ويُعدُّ عند الصُّوفيِّين من أصحاب الهمَّة.

15 ـ ممشاذ الدِّينوري: . . 269 هـ. شيخ كبير صحب يحيى الجلاَّء، ومَنْ فوقه من المشايخ.

16 ـ إبراهيم القصَّار: . . 326 هـ. من كبار مشايخ الشّام، ومن أقران الجنيد وابن الجلاَّء. صحبه أكثر مشايخ الشّام. كان ملازماً للفقر، ومحبّاً لأهله.

17 ـ خير النَّسَّاج: . . 322 هـ أصله من سامرَّاء، وعاش في بغداد. عمَّر طويلاً (120 سنة). صحب الجنيد والسّقطي والشّبلي. يقال إنَّه تنبَّأ بموته قبل ثمانية أيَّام من وفاته، وقال: أنا أموت يوم الخميس وقت المغرب، وأُدفن يوم الجمعة قبل الصّلاة، وكان كذلك. وقال ـ أيضاً ـ وقت احتضاره لملك الموت: قفْ؛ عافاك الله حتَّى أصلِّي المغرب، فإنَّكَ عبد مأمور، وأنا مأمور، وما أمرتَ به أنتَ لا يفوتُ، وما أُمرتُ به أنا يفوت، فصلَّى، وتشهَّد.

18 ـ أبو حمزة الخراساني: . . 309 هـ. من كبار مشايخ نيسابور، وأورعهم. صحب مشايخ بغداد، وهو من أقران الجنيد.

19 ـ أبو عبد الله الصُّبيحي: . . من أهل البصرة. وقيل إنَّه لم يخرج من سرداب في بيته ثلاثين سنة، يجتهد فيه، ويتعبَّد، كان عالماً بالأصول، وصنَّف عدَّة كُتُب للصُّوفيِّين.

20 ـ أبو جعفر بن سنان: . . 311 هـ. من كبار مشايخ نيسابور. شيخ ورع، وبيته بيت زهد وورع.

الطّبقة الرّابعة:

1 ـ أبو بكر الشّبلي: . . 334 هـ. خراساني الأصل، بغدادي المنشأ، وُلد في سامرَّاء، صحب الجنيد ومَنْ في عصره من المشايخ. كان عالماً وفقيهاً على مذهب مالك، كَتَبَ في الحديث، ورواه.

2 ـ أبو مُحمَّد المرتعش: . . 328 هـ. شيخ جليل من نيسابور، أقام في بغداد، وأصبح من كبار مشايخها، وكان مشايخ العراق يقولون: عجائب بغداد في التَّصوُّف ثلاث: إشارات الشّبلي، ونكت المرتعش، وحكايات جعفر الخلدي.

3 ـ أبو علي الرُّوذباري : . . 322 هـ. من أهل بغداد، سكن مصر، وصار شيخها، ومات فيها. كان عالماً فقيهاً عارفاً بعلم الطّريقة، وحافظاً للحديث. صحب الجنيد والنُّوري ومَنْ في طبقتهم من مشايخ بغداد.

4 ـ أبو علي الثّقفي : . . 328 هـ. كان إماماً في أكثر عُلُوم الشّرع. عطّلَ غُلُوَّ مَنْ اشتغل بعلم الصُّوفيَّة، وتكلَّم فيه أحسن كلام.

5 ـ عبد الله بن مُحمَّد بن منازل : . . 329 هـ. من أَجَلِّ مشايخ نيسابور، له طريقة خاصَّة يتفرَّد بها، صحب حمدون القصَّار، وأخذ عنه طريقته، وكان عالماً بعُلُوم الظّاهر.

6 ـ أبو الخير الأقطع التّيناتي : . . 349 هـ. أصله من المغرب. سكن التّينات، قرية على ساحل المتوسِّط من بلاد الشّام. كانت له طريقته الخاصَّة في التَّوكُّل، وكان يأنس له السّباع والهوامّ، وكان حادَّ الفراسة.

7 ـ أبو بكر الكتَّاني : . . 322 هـ. أصله من بغداد. صحب الجنيد والخرَّاز والنُّوري، وأقام في مكَّة مجاوراً لها إلى أنْ مات. وكان أبو مُحمَّد المرتعش يقول عنه : الكتَّاني سراج الحَرَم.

8 ـ أبو يعقوب النّهرجوري : . . 330 هـ. أصله من الأهوار. صحب الجنيد والمكّي والسُّوسي وغيرهم من المشايخ. أقام بالحرم المكّي مجاوراً، وفيه مات.

9 ـ أبو الحسن المزيّن : . . 328 هـ. من أهل بغداد. صحب الجنيد والتّستري ومَنْ في طبقتهما من البغداديِّيْن. شيخ ورع أقام في الحرم المكّي مجاوراً، ومات فيه.

10 ـ أبو علي بن الكاتب : . . 340 هـ. من كبار المشايخ المصريِّيْن، إمام جليل : كثير التَّعبُّد، وعالماً بالحديث. تولّى القضاء في مصر في عهد مُحمَّد بن طفح الأخشيدي. وله كثير من المؤلَّفات.

11 ـ أبو الحسين بن بنان : . . من جُلَّة مشايخ مصر، صحب الخرَّاز، وإليه ينتمي، من أقواله : اجتنبوا دناءة الأخلاق كما تجتنبون الحرام.

12 ـ أبو بكر بن طاهر الأبهري : . . 330 هـ. عالم ورع من أقران الشّبلي، صحب ورافق مظفَّر القرميسيني.

13 ـ مظفَّر القرميسيني : . . من كبار مشايخ الجبل، ومن الفقراء الصّادقين. صحب الخرَّاز ومَنْ فوقه من المشايخ. من أقواله: الصَّوم ثلاثة: صوم الرُّوح لقصر الأمل، وصوم العقل بخلاف الهوى، وصوم النّفس بالإمساك عن الطّعام والشّراب والمحارم.

14 ـ أبو الحسين بن هند الفارسي : . . من كبار مشايخ الفُرس وعلمائهم. صحب الجنيد والمكّي ومَنْ في طبقتهما.

15 ـ إبراهيم بن شيبان القرميسيني : . . 330 هـ شيخ جليل. له مقامات في الورع والتّقوى. صحب المغربي والخوَّاص، وكان شديداً على المدَّعين، متمسّكاً بالكتاب والسُّنَّة. وكان يقول: ما قطع الطّريق على الفقراء وأهلكهم إلاَّ ميلهم إلى لما عليه أهل الدّنيا. ومن أقواله أيضاً: الشّرف في التَّواضع، والعزُّ في التّقوى، والحُرْمَةُ في القناعة.

16 ـ أبو بكر بن يزدانيار : . . أذربيجاني الأصل، من أهل أرميا، وهي مدينة قديمة وعظيمة في أذربيجان، ويقال إنَّها مدينة زرادشت نبيّ المجوس، كما يزعمون. له طريقة خاصَّة به في التَّصوُّف، وكان يُنكر على بعض مشايخ العراق أقوالهم. وكان عالماً بعُلُوم الظّاهر، والمعاملات، والمعارف.

17 ـ أبو إسحاق إبراهيم بن المولّد : . . من كبار مشايخ الرّقَّة وفتيانهم. صحب ابن الجلاَّء والقصَّار، وكان من أفتى المشايخ، وأحسنهم سيرة.

18 ـ أبو عبد الله بن سالم البصري : . . صاحب سهل بن عبد الله التّستري، ولا يروي غير كلامه، ولا ينتمي إلى غيره من المشايخ.

19 ـ مُحمَّد بن عليَّان النّسوي : . . خراساني الأصل، من مدينة نسا (قرية في خراسان)، ومن كبار مشايخها. ويقول عنه محفوظ النّيسابوري إنّه: إمام أهل المعارف. من أقواله: الزّهد في الدّنيا مفتاح الرّغبة في الآخرة.

20 ـ أحمد بن مُحمَّد بن أبي سعدان: . . بغدادي من أصحاب الجنيد والنُّوري. وهو أعلم مشايخ الوقت بعُلُوم هذه الطّائفة. وكان عالماً بعُلُوم الشّرع، مُقَدَّماً فيه، ينتحل المذهب الشّافعي.

الطّبقة الخامسة:

1 ـ أبو سعيد بن الأعرابي: . . 341ه. بصريّ الأصل، سكن في مكَّة، وكان في وقته شيخ الحرم، ومات فيها. صنَّف للقوم كُتُباً كثيرة. صاحب أبا القاسم الجنيد بن مُحمَّد وأبا الحسين النُّوري.

2 ـ أبوْ عَمرو الزّجّاجي: . . 348 ه. نيسابوري الأصل، سكن مكَّة، وأقام بها، وتوفِّي فيها.

3 ـ جعفر بن مُحمَّد الخلدي: . . 348 ه. بغدادي المنشأ والمولد، وكان مرجعاً في عُلُوم القوم، ومن أفتى مشايخ عصره. مات في بغداد، ودُفن فيها.

4 ـ أبو العبَّاس القاسم السَّيَّاري: . . 342 ه. كان من أهل مرو وشيخهم، وأوَّل مَنْ تكلَّم عندهم في حقائق الأحوال. كان فقيهاً عالماً، كَتَبَ الحديث الكثير، ورواه.

5 ـ أبو بكر مُحمَّد بن داود الدّقّي: . . 350 ه. عالم جليل. عمَّر فوق مئة عام. كان من أَجَلِّ مشايخ وقته، وأقدمهم صحبة للمشايخ. صحب أبا عبد الله بن الجلاَّء، وإليه كان ينتمي.

6 ـ أبو مُحمَّد عبد الله بن مُحمَّد الشّعراني: . . 353 ه. وُلد ونشأ في نيسابور. صحب الجنيد بن مُحمَّد، وسمنون، والجوزجاني، وغيرهم من مشايخ القوم، وكان عالماً بعُلُوم الطّائفة، كَتَبَ الحديث، ورواه.

7 ـ أبو عَمرو إسماعيل بن نُجيد: . . 336 ه. من أكبر مشايخ وقته، له طريقة ينفرد بها، صحب أبا عثمان الحيري، الذي يُعدُّ من كبار أصحابه.

8 ـ أبو الحسن على بن أحمد البوشنجي : . . 348 هـ . كان أوحد فتيان خراسان . وهو من أعلم مشايخ وقته بعُلُوم التَّوحيد والمعاملات . صحب كثيراً من مشايخ الشّام والعراق .

9 ـ أبو عبد الله مُحمَّد بن خفيف : . . 371 هـ . شيخ مشايخ وقته ، أقام في شيراز ، وكان عالماً بعُلُوم الظّاهر والحقائق . صحب رويماً ، والجريري ، وابن عطاء ، وغيرهم .

10 ـ بندار بن الحسين الشّيرازي : . . 353 هـ . من أهالي شيراز ، سكن مدينة أرجان ، القريبة من شيراز . كان عالماً بالأصول وعلم الحقائق ، وكان أبو بكر الشّبلي يكرمه ، ويُعظِّم قدره .

11 ـ أبو بكر الطّمستاني : . . 340 هـ . فارسيّ الأصل ، من أَجَلّ المشايخ ، وأعلاهم حالاً ومكانة . استوطن نيسابور ، وتوفّي فيها . وكان كُلُّ مشايخ وقته يحترمونه .

12 ـ أبو العبّاس أحمد بن مُحمَّد الدِّينوري : . . 341 هـ . ورد إلى نيسابور ، وعاش فيها فترة ، ثُمَّ رحل إلى سمرقند ، وتوفّي فيها . يُعدُّ في وقته من أفتى المشايخ ، وأحصنهم طريقة واستقامة .

13 ـ أبو عثمان بن سلاّم المغربي : . . 373 هـ . من قرية من قرى القيروان ، على البحر الأبيض المتوسِّط . أقام في مكَّة مدَّة من الزّمن ، ثُمَّ رحل إلى نيسابور ، ومات بها . كان أوحداً في طريقة زهده ، ولم يُرَ مثله في عُلُوّ الحال ، وصون الوقت .

14 ـ أبو القاسم إبراهيم بن مُحمَّد النّصراباذي : . . 367 هـ . شيخ خراسان في وقته . نيسابوري الأصل والمنشأ والمولد ، مختصٌّ بحفظ السِّيَر ، وعلم الحقائق . رحل إلى مكّة ، وأقام بالحَرَم مجاوراً ، ومات هناك .

15 ـ أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري : . . 371 هـ . بصري الأصل ، سكن بغداد ، وكان شيخ العراق في وقته . ويُعدُّ أستاذاً للعراقيّين لما يتمتّع به من علم وأدب وظَرْف . له لسان في التَّوحيد يختصُّ به ومقام في التّفريد والتّجريد ، مُسلَّم له ، لم يشاركه فيه أحد بعده . صحب الشّبلي وغيره من المشايخ .

16 ـ أبو عبد الله التّروغبذي : . . 351 هـ. من جُلّة مشايخ طوس. ظهرت له آياتِ وكرامات.

17 ـ أبو عبد الله الرُّوذباري : . . 369 هـ. شيخ الشّام في وقته. له أحوال يختصُّ بها، وأنواع من العُلُوم مثل علم القراءات وعلم الشّريعة وعلم الحقيقة. وكان يحبُّ الفقراء، ويميل إليهم، ويرفق بهم.

18 ـ أبو الحسن بن بندار الصّيرفي : . . 359 هـ. من جُلّة مشايخ نيسابور، صحب الكثير من المشايخ، ورُزق برؤية العديد منهم. كَتَبَ الحديث، ورواه، وكان ـ في ذلك ـ ثقة.

19 ـ أبو بكر مُحمَّد بن أحمد الشّبهي : . . 359 هـ. شيخ جليل، من أفتى جيله، صحب أبا عثمان الحيري.

20 ـ أبو بكر مُحمَّد بن أحمد الفرّاء : . . 370 هـ. من كبار مشايخ نيسابور، وكان أوحد المشايخ في طريقته. صحب العديد من المشايخ، كما صحب أبا بكر الشّبلي.

الفصل الحادي عشر:

تصنيفات أُخرى للصُّوفيِّين

تصنيفات أُخرى للصُّوفيِّين:

وتصنيف آخر أكثر شمولاً وأكثر اتِّساعاً اعتمده كُتَّاب آخرون، فقد صنَّف زين الدِّين عبد الرَّؤوف المناوي في كتابه "الكواكب الدّرّيَّة في تراجم السّادة الصُّوفيَّة" رجال التَّصوُّف مُنذُ عهد الخلفاء الرّاشدين وحتَّى نهاية القرن الحادي عشر، وعدَّ كُلّ قرن مرحلة مستقلَّة لها طبقتها، وذكر رجال هذه الطّبقة الذين عدَّهم من المتصوِّفين، وجاء تصنيفه على الشّكل التّالي:

- *الطّبقة الأولى*: ويمثّلها الصُّوفيُّون الذين توفّوا في نهاية القرن الأوَّل، ويبلغ عددهم أربعين صوفيّاً، وعدَّ الخلفاء الرّاشدين أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلي من بينهم. وأدرج أكثر الصّحابة في عدادهم؛ مثل: أبي الدّرداء - أبي ذرّ الغفاري - أبي هريرة - أبي موسى الأشعري - أبي عبيدة بن الجرَّاح - عبد الله بن عمر - عبد الله بن مسعود - عمَّار بن ياسر، وغيرهم، رضي الله عنهم جميعاً.

- *الطّبقة الثّانية*: هم السّادة التّابعين والآخذين عنهم الذين اشتهروا بالتّعبُّد والتّنسُّك، والذين أعرضوا عن الدّنيا وزينتها، وتوفّوا قبل نهاية القرن الثّاني، وعددهم مئة وخمس وستُّون صوفيّاً. وأبرز الأسماء التي ذكرها في هذه الطّبقة:

إبراهيم بن أدهم - أويس القرني - الحسن البصري - رابعة العدويَّة - سفيان الثَّوري - سعيد المسيب - عُمر بن عبد العزيز - الفضيل بن عيَّاض - مالك بن دينار - مالك بن أنس - موسى الكاظم، وغيرهم، رضي الله عنهم جميعاً.

ـ الطّبقة الثّالثة : وذكر فيها اسم ثمانية وسبعين صوفيّاً، وهم الذين توفّوا ما بين الفترة الممتدّة مُنذُ نهاية القرن الثّاني وبداية القرن الثّالث. وأبرز أسماء هذه الطّبقة :

إبراهيم الخوّاص ـ أحمد بن عاصم الأنطاكي ـ أبو تراب النّخشبي ـ بشر الحافي ـ أبو القاسم الجنيد ـ ذوالنُّون المصري ـ السّري السّقطي ـ أبو يزيد البسطامي ـ عبد الرّحمن أبو سليمان الدّاراني ـ علي بن سهل الأصبهاني، رضي الله عنهم جميعاً.

ـ الطّبقة الرّابعة : وأورد المؤلّف ما عدده مئة وخمس وتسعون صوفيّاً، وهم الذين ماتوا في بداية القرن الرّابع وحتّى نهاية القرن. وفيما يلي أبرز أسماء هؤلاء رحمهم الله :

إبراهيم القرمسيني ـ إبراهيم بن مُحمَّد النّصرباذي ـ أحمد بن يحيى الجلاَّء ـ أبو بكر الزّقّاق ـ إسحاق أبو يعقوب النّهرجوري ـ الحسين بن علي الجوزجاني ـ الحسين بن علي بن يزدنيار ـ شاه الكرماني ـ طاهر المقدسي ـ مُحمَّد بن سعيد الورّاق ـ مُحمَّد أبو بكر الواسطي ـ مظفر القرمسيني.

وهكذا يستمرُّ المؤلّف في تعداد أسماء الصُّوفيّين، ويعطيهم رَقْم الطّبقة التي تعود إلى القرن الذي تواجدوا فيه، وذلك حسب التّصنيف والتّعداد التاليَيْن :

القرن الخامس	الطّبقة الخامسة	19 صوفيّاً
القرن السّادس	الطّبقة السّادسة	49 صوفيّاً
القرن السّابع	الطّبقة السّابعة	83 صوفيّاً
القرن الثّامن	الطّبقة الثّامنة	70 صوفيّاً
القرن التّاسع	الطّبقة التّاسعة	65 صوفيّاً
القرن العاشر	الطّبقة العاشرة	106 صوفيّاً
القرن الحادي عشر	الطّبقة الحادية عشرة	36 صوفيّاً

وحسب هذا التّصنيف؛ يكون المؤلّف قد ذكر اسم 936 صوفيّاً، وزّعهم على إحدى عشرة طبقة، وذلك خلال الفترة الزّمنيّة الممتدّة من القرن الأوّل حتّى القرن الحادي عشر الهجري.

ويميل بعض الكتّاب أنصار الفكر الصُّوفي كالدّكتور مُحمّد غلاّب في كتابه "التّنسُّك الإسلامي" إلى تصنيف الصُّوفيِّين وفق مراحل ثلاث:

ـ المرحلة الأولى: لنسّاك القرنَيْن الأوّل والثّاني، الذين تميَّزوا بالزّهد والورع وعدم اتّخاذهم موقفاً معيَّناً من النّصّ القرآني؛ سوى ما أجمع عليه أهل السُّنَّة والجماعة، إضافة إلى عدم سعيهم إلى التّجمُّع تحت راية واحدة تُبرز أفكارهم وتوجُّهاتهم الصُّوفيَّة، الأمر الذي أبعد عنهم نقد وحملات رجال الشّريعة أصحاب التّفسير الظّاهري للقرآن، الذي اعتمده فقهاء السُّنَّة، وأجمعوا عليه. ويُعدُّ رجال هذه المرحلة روّاد الصُّوفيَّة الحقيقيِّين؛ أمثال: الحسن البصري، وسفيان الثَّوري، وإبراهيم بن أدهم.

ـ المرحلة الثّانية: وهي مرحلة ظهور الفكر الصُّوفي، واتّخاذ الحركة الصُّوفيَّة مظهراً جديداً. ويعدُّ البعض أنَّ هذه المرحلة هي العصر الذّهبي للتَّصوُّف. ففي هذه المرحلة ـ التي تبدأ مُنذُ مطلع القرن الثّالث الهجري ـ أخذت الأفكار الصُّوفيَّة تُطرَح من قِبَل رجالها. وبدأت التَّجمُّعات الصُّوفيَّة في بغداد تعمل على إرسال دعواتها وأفكارها، ليس ـ فقط ـ إلى عاصمة العلم والثّقافة بغداد، بل ـ أيضاً ـ إلى كافَّة بقاع الأقطار الإسلاميَّة، تدعو فيها إلى الزّهد والانصراف عن أعراض الدّنيا والتّحلّي بالفضيلة والمُثُل العليا التي دعا إليها الرّسول الكريم ﷺ.

ـ المرحلة الثّالثة: التي تتميَّز ببروز الحركة الصُّوفيَّة، واتّخاذها مكاناً في الوسط الإسلامي، بعد أنْ ران على دعوتها بعض التّعابير الصُّوفيَّة، التي بدت وكأنّها متأثِّرة ـ لحدٍّ ما ـ بالأفكار والفلسفة الهنديَّة والفارسيَّة واليونانيَّة. وفي البداية؛ لم تشطح هذه الحركة إلى الاعتماد على الشّعارات والتّعابير التي ظهرت في مرحلة لاحقة، والتي أدخلت على التَّصوُّف عبارات وكلمات جديدة لم تكن موجودة في قاموسه؛ مثل: الأحوال، والمقامات، والوجد، والسُّكر، والاتّحاد.. وغير ذلك من التّعابير التي أصبحت ـ في فترة لاحقة ـ من أبرز ملامح هذه المرحلة، وأكثر المحطّات التي لابُدَّ للصُّوفي أنْ يقف عندها. وزاد في تمييز هذه المرحلة من المرحلتَيْن السّابقتَيْن بروز بعض الصُّوفيِّين المغالين في سُلُوكهم والمتطرِّفين في معتقداتهم، حتّى وصل الحدُّ لدى بعضهم إلى إنكار الشّريعة السّمحة، واختلاق الأحاديث النّبويَّة التي تخدم أفكارهم، وتحقِّق مراميهم.

إنَّ مغالاة بعض الصُّوفيّين وإدخال البعض الآخر الكثير من الأفكار المقتبسة من التَّنسُّك البعيد عن الدِّين الإسلامي، والقريب من التَّنسُّك الهندي والفارسي واليوناني دفع بعض الفقهاء أمثال: أبو القاسم القشيري المتوفَّى عام 465 هـ، وأبو حامد الغزالي المتوفَّى عام 505 هـ، إلى توجيه العديد من النّقد إلى حاملي هذه الأفكار، ورفض ما حملته من توجُّهات صُوفيَّة جديدة. لقد بيَّن القشيري تشاؤمه بما آل إليه مصير هذه الطّائفة في عصره، كما أعلن الغزالي اعتراضه على المقولة التي تزعم أنَّ هناك قسمة ثنائية هي: الشّريعة والحقيقة، وبيَّن أنَّ هذا سُخف واضح، فلو تأمَّل المرء فيه أدنى تأمُّل لاتَّضحَ له أنَّ مقابل الحقيقة هو اللاَّحقيقة، وتكون النّتيجة من هذا أنَّ الشّريعة زائفة، على حين أنَّ الشّريعة هي أساس كُلِّ تصوُّف حقيقي، ولا يُمكن لأيِّ مارق عنها أنْ يصل إلى أدنى درجات التَّصوُّف.

لقد هاجم الغزالي أولئك الذين يسوِّغون مروقهم عن الشّريعة بقولهم "إنَّنا متحقِّقون لا متشرِّعون"، وقولهم "إنَّنا سابحون في بحار الشّطحات، ثملون بخمرة الغيبة، ومَنْ كان هذا شأنه لا يُسأل عن صلاة، ولا صوم؛ لأنَّ التّكليف رُفع عنهم، أو أنَّه جاء لأهل الظّاهر فقط". وفي الرَّدِّ على أمثال هؤلاء يقول الغزالي: "مَنْ قال إنَّ الحقيقة تخالف الشّريعة، والباطن يخالف الظّاهر، فهو إلى الكُفْر أقرب، وكُلّ حقيقة غير مقيَّدة بالشّريعة فغير محصولة. فالشّريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة إنباء عن تصريف الحقّ. فالشّريعة أنْ تعبده، والحقيقة أنْ تشهده، والشّريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قدَّر، وأخفى، وأظهر.

وهناك تصنيفات عدَّة اعتمدها كتّاب رأوا أنَّ الصُّوفيَّة يُمكن تصنيفها في قسمَيْن؛ بغَضِّ النّظر عن الفترات الزّمنيَّة لكُلّ منها. فبالإضافة إلى روّادها الأوائل الذين عاصروا الرّسول ﷺ والخلفاء الرّاشدين ﷺ، يُمكن تقسيم الصُّوفيّين إلى قسمَيْن: القسم الأوّل أولئك الذين اهتمُّوا بتأليف ونشر الفكر الصُّوفي، والذين يُمكن أنْ يُطلَق عليهم اسم فلاسفة الصُّوفيَّة؛ أمثال: الجنيد، والنُّوري، والخرازي، وابن عطاء، والقشيري، والرُّوذباري، والشّبلي، وغيرهم. والقسم الثّاني أولئك الذين اكتفوا بمُمارسة الصُّوفيَّة، دُون أنْ يعتمدوا على كتاباتهم، وحصروا دعوتهم في سُلُوكهم الصُّوفي المتميِّز، وهذا ما اعتمده أ. ج. آربيري A. j. Arberry تلميذ المستشرق الإنكليزي الدّكتور نيكلسون.

ولا يتّسع المجال لعرض كُلّ الآراء التي دارت حول تصنيف طبقات الصُّوفيّين، ولكنْ؛ نكتفي بعرض أبرز وجوه المراحل الثّلاث التي تحدّثنا عنها سابقاً، والتي يبدو أنّها قريبة من أغلب التّصنيفات الأخرى التي اعتمدها كتّاب الصُّوفيّة. وقد اخترنا التّحدُّث عن ثلاثة أعلام من كُلّ مرحلة لإعطاء القارئ لمحة موجزة إلى أبرز صوفيّي تلك المراحل الثّلاث:

المرحلة الأولى:

1 ـ حسن البصري (21 ـ 110 هـ):

عند مقتل الخليفة الرّاشدي عثمان رضي الله عنه، كان الحسن البصري في الرّابعة عشرة من عمره. وُلد في المدينة المُنوَّرة في السّنّة الحادية والعشرين للهجرة، رُبّي في البصرة، وهناك أسّس مدرسته، وسطع اسمه في العالم الإسلامي كخطيب مفوّه وعالم متفوّق. وقد ترك مؤلّفات قيّمة في المواعظ والتّفسير والحديث. تميّز حسن البصري بدعوته إلى احتقار الدّنيا، ووصفها بأنّها لعب ولهو، وأنّها كما قال ﷺ "لا تساوي جناح بعوضة". وقد كتب إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز كتاباً مليئاً بالموعظة والحكم، والدّعوة إلى الحذر من الدّنيا وأمانيها، والزّهد فيها، والرّغبة في الآخرة. لقد كان مذهبه في التّصوُّف يعتمد على الدّعوة إلى الالتجاء إلى العقل، فهو يعطيه أهمّيّة خاصّة، ويعدُّه عاملاً هامّاً في التّأثير على الإرادة للوُصُول إلى الفوز بالرّضا. لقد كانت دعوته ـ دائماً ـ ضرورة الالتزام بصدق العمل وحسن التّوجه واحتقار الدّنيا.

ويُروى عنه أنّه عندما قدم عليّ بن أبي طالب ﷺ إلى البصرة، ودخل جامعها، وجد القصّاصين يقصُّون، فمنعهم حتّى جاء إلى الحسن البصري ﷺ فقال له: "يا فتى؛ إنّي سائلكَ عن أمر، فإنْ أجبتني عنه أبقيتكَ، وإلاّ منعتكَ كما منعتُ أصحابكَ، فقال الحسن: سَلْ ما شئتَ. فقال علي ﷺ: ما ملاك الدِّين؟ قال: الورع. فقال علي ﷺ: ما فساد الدِّين؟ قال: الطّمع. فقال علي ﷺ: اجلسْ، فمثلكَ مَنْ يتكلّم في النّاس".

2 ـ سفيان الثوري (97 ـ 161 هـ):

هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الكوفي، الذي وُلد ما بين عامَيْ 95 ـ 97 هـ، والذي يُعدُّ من أعلام أهل الحديث، ويصفه البعض بأمير المؤمنين في الحديث، وثالث أئمّة

النّاس بعد رسول الله ﷺ: ابن عبّاس في زمانه، والشّبلي في زمانه، والثّوري في زمانه. كان فقيهاً من أهل العلم، مشهود له بالدّراية وعمق المعرفة. ومن أقواله: "أوّل العلم الصّمت، والثّاني الاستماع له وحفظه، والثّالث العمل به، والرّابع نشره وتعليمه. ومانزال نتعلّم العلم ما وجدنا مَنْ يعلّمنا". وكان سفيان يقول: "لو لم أعلم لكان أقلّ لحزني". وسُمع يقول لرجل من العَرَب: "اطلبوا العلم؛ وَيْحَكُم، فإنّي أخاف أنْ يخرج منكم، فيصير في غيركم، اطلبوه؛ وَيْحَكُم، فإنّه عزٌّ وشرف في الدّنيا والآخرة". كان الثّوري يُحذر من القرب من السّلطان، ويقول: "إنّ فتنتهم مثل فتنة الدّجّال. وقد أبى التّعاون مع الخليفة أبي جعفر المنصور العبّاسي عندما عرض عليه هذا الأخير القضاء، وقد فرّ من بغداد إلى اليمن أيّام المهدي. يُروى عنه أنّه بات في بيت صديق له في البصرة كان فيه بلبل لابن صاحب البيت، فطلب الإخلاء عنه، فقال له صاحب البيت: إنّ ابني يهبه لكَ. فقال سفيان: لا، ولكنّي أعطيه ديناراً. فأخذه صاحب الدّار، وأخلى سبيل البلبل، فكان الطّير يأتي كُلّ مساء، ويكون في ناحية البيت، ولمّا توفّي الثّوري تبع البلبل جنازته، وكان يضطرب على قبره. وبعد عدّة أيّام وجدوا البلبل ميّتاً على القبر.

3 ـ إبراهيم بن أدهم (توفّي عام 160 هـ):

وُلد ابن أدهم في بلخ، وهو من أحد أمرائها، عَرَبيّ الأرومة والأصل، ودرس في البصرة وبغداد ومكّة. ويقول عن سبب تصوّفه أنّه كان في أحد الأيّام يصطاد في الصّحراء، فطارد ظبيّة حتّى ابتعد عن أتباعه، فلمّا اختلت به الظّبيّة، سألته في لغة فصيحة: أ لمثل هذا أنتَ خُلقت في هذا العالم؟ ومَنْ الذي أمركَ أنْ تعيش على هذا النّحو؟ فلم يكد يسمع هذه العبارات حتّى ندم، واعتزل النّاس، وعاش في الصّحراء، وأصبح الطّعام يأتيه من طريق غير طبيعي، وأخذ يستقبل الخضر؛ ليتلقّى منه دُرُوساً في العلم والتّصوّف. وهناك رواية أخرى عن سبب تنسّكه تقول بأنّه سمع هاتفاً أوقظه من غفلته، ودعاه إلى الزّهد والتّصوّف. اقتبس ابن أدهم مذهبه في التّصوّف من مدرسة الحسن البصري، ويُقال إنّ سبب رحيله من مكّة إلى الشّام سوء فَهْم النّاس لأفكاره وآرائه، وبهذا المعنى يقول ابن أدهم:

غزلتُ لهم غزلاً رقيقاً فلم أجد ... لغزلي نسّاجاً، فكسرتُ مغزلي

بعد وفاته في دمشق، رحل تلاميذه إلى خراسان، ونشروا مذهبه في التَّصوُّف هناك.

المرحلة الثّانية:

1 ـ أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي:

وُلد أبو عبد الله في البصرة عام 165 هـ، وتوفِّي في بغداد عام 243 هـ. درس فقه الشّافعيَّة، وكان علماً من علمائهم، ثُمَّ تبحَّر في علم الكلام. كان نصيراً للعقل يهاجم ـ بلا هوادة ـ المعتزلة وآراءهم المتطرِّفة. كانت الفرقة التي سادت المسلمين في عصره، وتحوّل الجماعة الإسلاميَّة إلى 72 فرقة، دُون أنْ يعرف أحد أيُّها على حقٍّ، هي التي دفعته إلى الانزواء والخوض في بحار التَّنسُّك؛ إذْ أيقن أنَّ هذا الخوض هو الملجأ الوحيد المنقذ والضّمان الأكيد للعيش في إظهار الحقيقة. اشتهر المحاسبي بالورع ومحاسبة النّفس على ما تأتيه من أعمال. إنَّ هذه المُراقبة الشّديدة للنّفس يراها المحاسبي على وجهَيْن: أحدها لمستقبل الأعمال، والثّاني لما تمَّ في الماضي من أعمال. فالمحاسبة في الأولى تنصرف إلى النّظر والتّثبُّت والتّمييز لما كره الله عزَّ وجلَّ، وما أحبَّ قبل الإقدام على أيّ عمل. أمَّا الماضي وعمله؛ فينصرف إلى التّمعُّن والتّبصُّر والرّجوع إلى النّفس لتقييم لما تمَّ من عمل، وفيما إذا كان فيه أيُّ تفريط أو خُرُوج عن ما أمر الله به، أو نهى عنه. ونظراً لما احتوت مؤلَّفاته من أقوال حول علم الكلام فقد حذَّر منه الإمام أحمد بن حنبل، وانتقد طريقته في الرّدّ على أصحاب الكلام؛ لأنَّ الإمام كان شديد النّكير على مَنْ يتكلَّم في علم الكلام، خوفاً من أنْ يجرَّ ذلك إلى ما لا ينبغي. رافق نشأة المحاسبي وُجُود صراع قويّ بين أهل السُّنَّة الذين يدافعون عن قدسيَّة النّصِّ القرآني والمعتزلة الذين يقولون بأنَّ النّصَّ القرآني يُوضّحه ويفسِّره العقل فقط، وأنَّ طريق المعرفة إلى الله هو العقل، والعقل وحده. لقد رأى المحاسبي في نزعة المعتزلة الشّديدة نحو تحكيم العقل في النّصِّ القرآني طغياناً لا يتناسب مع مقام العبوديَّة؛ إذْ إنْ تحكُّم العقل في النّصِّ القرآني يجعله هو المسيطر على النّصِّ، وليس العكس، وهذا لابُدَّ أنْ يقود إلى اعتبار العقل ـ وليس الكتاب المقدَّس ـ هو القائد، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّنا لو تركنا العقل وشأنه فإنَّه لابُدَّ من أنْ يكون عاجزاً عن التّسلُّل إلى عالم ما وراء الطّبيعة؛ ليفسِّر لنا غوامضها وأسرارها، لهذا؛ لابُدَّ ـ إذنْ ـ

من أنْ يخضعَ العقلُ للنَّصِّ، وليس كما يقول المعتزلة. لقد كان المحاسبي مُلهماً لبعض كبار الصُّوفيِّين، فقد استلهم الجنيد من معارفه، وانتهل ابن عطاء من معين فتوحاته، واهتمَّ الغزالي بتحليل تعاليمه، وأكثر من الاستشهاد بها. ويُعدُّ المحاسبي أحد أعلام الشّاذليَّة، وهو أوَّل مَنْ تكلَّم عن المحبَّة الإلهيَّة، وشرح مراميها وأبعادها. له من الكُتُب والتّصانيف ما يزيد عن المئتَيْن، أغلبها في الزّهد والسُّلوك والتَّصوُّف.

2 ـ ذو النُّون المصري:

هو أبو الفيض بن إبراهيم المصري، وذو النُّون لقب حَمَلَهُ، وُلِد في أخميم من أسرة نوبيَّة، وتوفِّي في الجيزة عام 245 هـ. ناسك ورع اشتُهر بالتّقوى والأَخلاق الكريمة، ويجزم المستشرق الإنكليزي نيكلسون أنَّ ذا النُّون المصري هو أوَّل مَنْ أدخل إلى البيئة التَّنسُّكيَّة شيئاً من مبادئ الأفلاطونيَّة الحديثة في الانجذاب والغيبوبة وأعراضهما. اشتهر ذو النُّون المصري في حياته بأنَّه قائد رُوحي وإمام نفساني. أمَّا آراؤه الجريئة وأفكاره المتحرِّرة؛ فغالباً ما يحاول تغطيتها باستعمال الكنايات والمجازات والرّموز. وقد اتَّهمه معاصروه بالزّندقة، فاستحضره الخليفة العبَّاسي المتوكِّل إلى بغداد للتّحقيق معه. ولمَّا أحضره إلى مجلسه، وسمع كلامه، أُعجب بفصاحته وعلمه، وتأثَّر بمنطقه، فعفا عنه، وأعاده إلى مصر معزَّزاً مكرَّماً. من أقواله: "مدار الكلام على أربع: حُبّ الجليل، وفيض القليل، واتِّباع التّنزيل، وخوف التّحويل". ومن أقواله أيضاً: "من علامات المحبِّ لله ـ عزَّ وجلَّ ـ متابعة حبيب الله ﷺ في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسُنَّته".

3 ـ أبو القاسم بن مُحمَّد بن الجنيد:

الأصل من نهوند، نشأ وقضى كُلَّ حياته في العراق، وتلقَّى العلم في بغداد على يد أكابر علمائها. عمّه سري السّقطي، الذي فتح له الأبواب نحو التَّنسُّك، كما أخذ عن بعض الأساتذة الآخرين كالحارث المحاسبي ومُحمَّد بن علي القصَّاب. توفِّي في بغداد في عام 297هـ. يُعدُّ من أئمَّة القوم وسادتهم، شخصيَّته البارزة وثقافته الممتازة ثبَّتت اسمه في طليعة متصوِّفي بغداد، فقد كان عالماً ضليعاً وحكيماً متبصِّراً، أدرك بثاقب نظره ما يُحدق بالصُّوفيَّة

من مخاطر بسبب ميل فريق من أهلها إلى باطن الشّريعة، وابتعادهم عن ظاهرها. في عصره؛ كان الحذر والاحتياط والسّرّيّة والتّكتّم من أهمّ عناصر النّجاة والسّلامة، وموقفه هذا كان سبباً في إنقاذ حياته أثناء محاكمة الحلاّج. فُقدت أكثر مؤلّفاته، ولم يبقَ منها إلاّ اليسير، وقد كتب في "دواء الأرواح" ما ينبغي على المريدين من تعلّم للصّعُود لمراتب الوُصُول، كما كتب عن الفناء والتّوحيد، والفرق بين الإخلاص والصّدق، وغيرها من المواضيع الصّوفيّة. ويُعدّ كتاب "الميثاق" دراسة صُوفيّة هامّة تبيّن أنّ الحبّ الإلهي تصريح قطعته الأرواح الإنسانيّة على نفسها فيما قبل عالم الأشباح، وأنّ الأرواح عندما هبطت إلى الأبدان انحرفت عن الفطرة الأولى، وتلوّثت في حياة البرزخ، ولكي تعود إلى حالتها الأولى ينبغي لها أنْ تقوم بجهود عظيمة؛ لتتطهّر من قواها التي كانت ضروريّة لحياتها الماديّة حتّى تصل - عن طريق هذه الجهود - إلى "الفناء بالمذكور".

لقد كان الجنيد حريصاً على الاقتداء بسُنّة رسول الله ﷺ، ومن أقواله في هذا الأمر:

- الطُّرُق كلُّها مسدودة عن الخلق، إلاّ مَنْ اقتفى أثر الرّسول ﷺ.

- مَنْ لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، لا يُقتدى به في هذا الأمر، لأنّ علمنا هذا مقيّد بالكتاب والسّنّة.

ويروى أنّ أبا جعفر الخلدي رآه في المنام، فسأله: ما فعلَ الله بكَ؟ فأجابه الجنيد قائلاً: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العُلُوم، ونفدت تلك الرُّسُوم، وما نفعنا إلاّ ركيعات كُنّا نركعها في الأسحار.

المرحلة الثّالثة:

1 - أبو عبد الله الحسين بن منصور الحلاّج:

افتتن بشخصيّة الحلاّج الكثير من العلماء والأدباء والباحثين في مشارق الأرض ومغاربها، ويذكر المستشرق الفرنسي ماسينيون أنّ ما كُتب عن الحلاّج يزيد عن تسعمئة مؤلّف، خمسمئة منها - فقط - باللّغة العَرَبيّة. ومايزال الحلاّج يحظى بتأييد العديد من الكُتّاب

والباحثين، كما يؤمن بعضهم بأنَّ الحلاَّج وليّ من أولياء الله، ويمثّل لديهم قمّة الصُّوفي المسلم، الغارق في الحبّ الإلهي، كما يعتقد الكثير بأنَّ إعدام الحلاَّج بتهمة الزّندقة والكُفْر تمّ تحت ضغط ظُرُوف سياسيَّة ودينيَّة طارئة غير منزَّهة من التَّعصُّب والسّطحيَّة والأهواء. لقد تبنَّى عدد من علماء المسلمين كأبي حامد الغزالي، و عبد القادر الجيلاني، ونور الدِّين الشّيرازي، وغيرهم، الدّفاع عن الحلاَّج، وأيَّدوا موقفه الذي قاده إلى الإعدام بأنَّ ما قاله لم يكن إلاَّ تعبيراً عن حالة الغيبوبة التي تعتري الصُّوفي في حالة الوَجْد.

وُلد أبو عبد الله بن منصور الحلاَّج في بلدة البيضا، القريبة من شيراز عام 244 هـ. وفي شبابه تلقَّى العلم عن سهل بن عبد الله التّستري، وفي عام 264 هـ، التقى بالجنيد، وتتلمذ عليه، وهو الذي أرشده إلى الخلوة، ومرَّنه على حياة العُزْلة، وأمره بارتداء لباس الصُّوف. قطع الحلاَّج علاقته بالجنيد، بعد أنْ أظهر الجنيد امتعاضه من ادِّعاء الحلاَّج بأنَّ الإيحاءات التي كان يشعر بها هي رسالات سماويَّة إليه، ويُمكن أنْ تشبه القرآن، وهذا ما دعا الجنيد إلى إطلاق اسم (المدَّعي) على الحلاَّج.

لقد أصرَّ الحلاَّج على دعوته التي يُعلن فيها ابتهاجه بالظّفر بالاتِّصال الإلهي، الذي يتمُّ بشغل القلب بالتّقوى، والحرمان من الرّغبات، والسّيطرة على النّفس بحرمانها من شهواتها، وتنقيتها من نزواتها، حتَّى إذا وصل الإنسان إلى هذا المقام، حلَّت فيه رُوح القُدُس. ونتيجة لإيمانه بهذا الاعتقاد والتّصريح بدعوته تلك، فقد أشعل هذا السُّلُوك لهيب المعركة بينه وبين أكثر أهل الحديث وأعلام الصُّوفيَّة، الذين مايزالون يتمسَّكون بظواهر النَّصّ. وأخذوا عليه إفشاء التّصريح بالحبّ الإلهي المتبادَل بين الله تعالى، والخلّص من عباده.

إنَّ دعوة الحلاَّج بالقول بأنَّ الغاية النّهائيَّة لكُلّ كائن بشري هي الاتِّحاد مع الإله، وأنَّ هذا الاتِّحاد يتحقَّق عن طريق الحبّ الإلهي، وأنَّ ثمرة هذا الحبّ ترفع الإنسان إلى مرتبة الاتِّحاد الكامل بالله، وتجعله جديراً بأنْ يتحدَّث الله ـ عزَّ وجلّ ـ على لسانه، دفعت الفقهاء إلى اعتبار الأقوال التي نطق بها الحلاَّج مثل: أنا الحقّ، أنا الأوَّل، أنا الكُلّ، والكُلّ أنا، وما في

الجنَّة إلا الله، إلى غير ذلك من الألفاظ نوعاً من الكُفْر والزّندقة أودت بالحلاَّج إلى الإعدام في 24 ذي القعدة من عام 309 هـ، بعد أنْ أمضى في السّجن ثماني سنوات وسبعة شهور.

كتب الحلاج الكثير من المؤلَّفات، فُقد أكثرها، ولم يبقَ منها سوى شذرات متناثرة.

2 ـ الإمام أبو حامد الغزالي:

هو أبو حامد مُحمَّد بن مُحمَّد بن أحمد الغزالي المولود في (طوس) عام 450 هجري، والذي حمل اسم الغزالي نسبة إلى القرية التي نشأت فيها أسرته، وهي قريبة من طوس، وتعدُّ من ضواحيها.

نشأ أبو حامد في محيط أسروي محبّ للفقه، فقد كان عمُّه وابن عمِّه من الفقهاء الذين يُشار إليهم بالبنان، أمَّا والده؛ فقد كان رجلاً صالحاً يعيش من عمل يده، فيغزل الصُّوف، ويبيعه؛ ليقتات وأسرته منه.

بعد أنْ أنهى دراسته في أشهر مدرسة في طوس، انتقل إلى جرجان، ودرس على أشهر علمائها في التّشريع (أبو نصر الإسماعيلي)، ثُمَّ ارتحل إلى نيسابور لدراسة الفقه والأصول والمنطق. وقد بزغ نجم الغزالي في هذه الفترة، ولفتت كتاباته وشهرته العلميَّة نظر الوزير نظام الدّولة، فاستدعاه إلى بغداد، وعيَّنه أستاذاً في مدرسة بغداد، وذلك في عام 484 هجري.

وبتكليف من الخليفة المستظهر؛ كتب أبو حامد ثلاث رسائل للرَّدّ على الإسماعيليَّة، فنَّد فيها ادِّعاءاتهم وآرائهم تفنيداً يدلُّ على عمق ورسوخ تفهُّمه أفكارهم ومعتقداتهم. إنَّ التّعمُّق في الدّراسة هو أسلوب الغزالي الذي رافقه مُنذُ مطلع شبابه وحتَّى وفاته، فالدّراسة والتّمحيص والفحص الدّقيق والتَّعطُّش لإدراك حقائق الأمور هو الذي مكَّن الغزالي بالرَّدّ، ليس ـ فقط ـ على الإسماعيليَّة، بل كذلك على كُلّ المذاهب والفلسفات التي اعترضت حياته.. (كعلماء الكلام والزّنادقة والصُّوفيِّين..).

شعر أبو حامد الغزالي أنَّ الفترة التي يقضيها في التّدريس تُبعده عن العُزْلة، وتقرِّبه من الحياة المادِّيَّة التي تحمل في طيَّاتها كُلَّ مظاهر شهوات الدّنيا، ولاحظ أنَّه ينغمس في شواغل

الدّنيا، ويبتعد عن سعادة الآخرة: "ظهر عندي أنّه لا مطمع في سعادة الآخرة إلاّ بالتّقوى، وكَفّ النّفس عن الهوى، وأنّ رأس ذلك كُلّه قطع علائق القلب عن الدّنيا بالتّجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإقبال بكنه الهمّة على الله تعالى، وأنّ ذلك لا يتمُّ إلاّ بالإعراض عن الجاه والمال، والهرب من الشّواغل والعوائق".

ترك أبو حامد مهنة التّدريس، ورحل إلى دمشق، واعتكف في المسجد الأموي، ثُمّ ارتحل إلى القدس، واعتكف في مسجد الصّخرة، ثُمّ سافر إلى مكّة، واعتزم زيارة الأمير يوسف بن تاشفين في المغرب، لما عُرف عن هذا الأمير من العدل وحُسْن السّيرة. وعندما وصل إلى الإسكندريّة علم بوفاته، فقفل راجعاً إلى طوس، حتّى دعاه السّلطان إلى بغداد؛ ليتولّى مهنة التّدريس من جديد، فلبّى دعوته. وفي هذه الفترة؛ نشر أهمّ كتبه وأرقاها (إحياء عُلُوم الدِّين)، ثُمّ ـ بعد ذلك ـ توجّه إلى نيسابور، واشتغل فيها بالتّدريس ردحاً من الزّمن، وأخيراً؛ بعد هذه الحياة الحافلة بالعلم والمعرفة، عاد إلى طوس، وبنى فيها مدرسة للفقهاء، ومأوى للصُّوفيّة. وفي عام 505 هجري؛ توفّي الإمام الغزالي، رحمه الله، ودُفن في طوس.

انتقد أبو حامد الغزالي الصُّوفيّين الذين اعتمدوا على الإلهام والوحي، وتركوا العلم وتحصيله والاستفادة ممّا حصله العلماء وما صنفوه من عُلُوم وأبحاث، وبيّن أنّ المجاهدة ولو تخلّلها الزّهد في الدّنيا، وقطع العلائق بها، والإقبال على الله تعالى، دُون أنْ يواكبها التّزوُّد بالعُلُوم الشّرعيّة لا يوصل صاحبها إلى القُرْب الحقيقي من الله. وفي كتابه (المنقذ من الضّلال) يُوضِّح الغزالي رأيه هذا قائلاً:

إنّ أهل التّصوُّف مالوا إلى الإلهام، وتركوا التّعلُّم، ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنّفه المصنّفون، بل قالوا: الطّريق تقديم المجاهدة، ومحو الصّفات المذمومة، وقطع العلائق كلّها، والإقبال بهمّة على الله تعالى. وإذا تولّى الله أمر القلب فاضت عليه الرّحمة، وانشرح الصّدر، وانكشف له سرُّ الملكوت، وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهيّة. والأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر لا بالتّعلُّم والدّراسة، بل بالزّهد في الدّنيا، والتّبرّي من علائقها، وتفريغ القلب من شواغلها.

ويردُّ الغزالي على هذه الأقوال؛ فيقول: إنَّ النُّظَّار ذوي الاعتبار لم يُنكروا هذا الطّريق، ولكنْ؛ بيَّنوا ندوره، واستوعروا طريقه، واستبطؤوا ثمرته، واستبعدوا استجماع شروطه، وقالوا إنَّ محو العلائق إلى ذلك الحدِّ كالمتعذّر، وإنْ حصل في حال، فإنَّ ثباته أبعد منه، ذلك أنَّ أدنى وسواس وخاطر يشوِّش القلب.

وقد قال رسول الله ﷺ:

"قلب المؤمن أشدُّ تقلُّباً من القدر في غليانها".

"قلب المؤمن بين إصبعَيْن من أصابع الرّحمن".

وفي أثناء هذه المجاهدة؛ يفسد المزاج، ويختلط العقل، ويمرض البدن، وإذا لم تتقدَّم رياضة النّفس، وتهذّب بحقائق العُلُوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئنُّ إليها النّفس مدَّة طويلة، إلى أنْ يزول، وينقضي العمر قبل النّجاح فيها. فالاشتغال بطريق التَّعلُّم أوثق وأقرب إلى الغرض. واعلم أنَّ العُلُوم ـ التي ليست ضروريَّة ـ إنَّما تحصل في القلب في بعض الأحوال، وتختلف الحال في حصولها، فتارةً تهجم على القلب كأنَّه أُلقي فيه من حيثُ لا يدري، وتارةً تُكتسَب بطريق الاستدلال والتَّعلُّم، فالأولى تُسمَّى إلهاماً، والثّانية تُسمَّى استبصاراً، وأنَّ الواقع في القلب من غير تعلُّم ينقسم إلى ما لا يدري العبد أنَّه كيف حصل له. فهو بالنّسبة للأنبياء وحي، وللأولياء والأصفياء إلهام. والقلب مرآة تتجلَّى فيها رياح الألطاف، وتنكشف فيها الحُجُب، فيتمّ الكشف إمَّا بالمنام، أو في اليقظة، بلطف خفي من الله تعالى، ولكنَّ الكشف في اليقظة لا يدوم، وهو في غاية النّدرة. أمَّا الوحي؛ فيكون كما بيَّنه الله ـ تعالى ـ في الآية 51 من سورة الشُّورى:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾.

واعتقد أنَّ مَنْ ظنَّ أنَّ طريق المجاهدة بدُون التَّزوُّد بالعلم الذي حصَّله العلماء وفهم ما قالوه، يوصل إلى القُرْب من الله، ويرفع مقامه عنده، فإنَّه ظالم نفسه، ومضيِّع عمره.

3 ـ محيي الدِّين بن عَرَبي:

هو أبو بكر مُحمَّد بن علي، وشهرته محيي الدِّين. عَرَبي الجذور، تعود أصوله العَرَبيَّة إلى قبيلة حاتم الطَّائي. وقد أُعطي اسم ابن عَرَبي بدُون أداة التَّعريف تمييزاً له عن القاضي أبي بكر بن العَرَبي، المتوفَّى عام 543 هجري. وُلد الشّيخ محيي الدِّين بن عَرَبي في مدينة (مرسية) بالأندلس عام 560 هجري، وتوفِّي في مدينة (دمشق) عام 638 هجري، ودُفن فيها معزَّزاً مكرَّماً من أميرها، الذين كان أحد تلاميذه المؤمنين بعلمه.

كان والده من أئمَّة الفقه والحديث والزّهد والتّقوى، انتقل مع والده إلى إشبيلية؛ حيثُ دفع به والده إلى عميد الفقهاء فيها (أبي بكر بن خلف) ليدرس على يدَيْه، ولَّما أتمَّ العاشرة من عمره، أسلمه والده إلى طائفة من رجال الحديث والفقه.

في عام 597 هجري؛ بدأ ابن عَرَبي رحلاته الطَّويلة إلى المشرق، فزار مكَّة، والموصل، والقاهرة، وأرمينيا، وبغداد، وحلب، ثُمَّ حطَّت به الرّحال في مدينة دمشق.

ألَّف ابن عَرَبي العديد من المؤلَّفات؛ أشهرها موسوعته الكُبرى في التَّصوُّف المسمَّاة "الفتوحات المكِّيَّة"، وتلا هذا الكتاب مؤلَّف هامٌّ يحمل اسم "فُصُوص الحِكَم".

اختلف أهل العلم في تقييم الشّيخ ابن عَرَبي، فمنهم مَنْ قال بتكفيره وإلحاده واتِّهامه بالخُرُوج عن الإسلام، ومنهم مَنْ عدَّه من أولياء الله العارفين لما عُرِف عنه من صلاح وعبادة وباع طويل في العُلُوم الشّرعيَّة.

أمَّا الفقهاء الذين استنكروا أقوال ابن عَرَبي كقوله مثلاً:

الرّبّ عبد، والعبد ربّ ... يا ليتَ شعري مَن المكلَّف
إنْ قُلت عبد، فذاك ربّ ... أو قُلت ربّ أنَّى يُكلَّف

أو قوله:

فيحمدني، وأحمده ... ويعبدني، وأعبده

فقد أثارتهم أفكاره، وخاصّة مقولته في وحدة الوُجُود، التي ألّبت عليه الكثير من علماء المسلمين وفقهائهم. ويأتي في مقدّمة هؤلاء العلماء الإمام ابن تيميّة، والشّيخ علي القاري، والإمام جمال الدِّين مُحمَّد بن نور الدِّين، والتّفتازاني، وغيرهم، ممَّا أفردنا له فقرة خاصَّة تحت عنوان "العلماء الذين أنكروا على ابن عَرَبي مقولته في وحدة الوُجُود".

إنَّ تصوُّف ابن عَرَبي قاده إلى إطلاق فكرة وحدة الوُجُود التي تفسِّرها كُتُبه أكثر ممَّا تفسِّرها أقواله. فهو يؤمن بأنَّ: الحقيقة الوُجُوديَّة واحدة في جوهرها وذاتها، متكثِّرة بصفاتها وأسمائها، لا تعدُّد فيها إلاَّ بالاعتبارات والنّسب والإضافات، وهي قديمة أزليَّة لا تتغيَّر، وإنْ تغيَّرت الصُّور الوُجُوديَّة التي تظهر فيها. فإذا نظرتَ إليها من حيثُ ذاتها قُلتَ هي الحقّ، ومن حيثُ صفاتها وأسمائها؛ أيْ ظهورها في أعيان الممكنات قُلتَ هي الخلق، فهي الحقّ والخلق معاً، والواحد والكثير، والقديم والحادث، والأوَّل والآخر، والظّاهر والباطن.

وعند ابن عَرَبي لا فرق بين الحقّ والخلق، والله ـ تعالى ـ هو الحقيقة الأزليَّة والوُجُود المطلق، الواجب الذي هو أصل كلّ ما كان، وما هو كائن، وما سيكون. ويبني ابن عَرَبي على نظريَّة وحدة الوُجُود فكرة وحدة الأديان. فالكُلّ عنده يعبدون الله الواحد المتجلِّي في صور كلّ المعبودات، ويقول:

لقد صار قلبي قابلاً كلّ صُورة ... فمرعى لغُزلان، ودير لرُهبان
وبيتُ لأوثان، وكعبة طائف، ... وألواح توراة، ومصحف قرآن
أدين بدين الحبّ أنَّى توجَّهتْ ... ركائبه، فالحبّ ديني وإيماني

إنَّ وحدة الأديان عند ابن عَرَبي تعني أنَّ كلّ الدّيانات طالما تعبد إلهاً واحداً فهي واحدة أيضاً، وعليه؛ فإنَّ دين إبليس هو نفس دين جبريل عليه السّلام!! واليهود عندما عبدوا العجل في غياب موسى ـ عليه السّلام ـ لم يخطئوا!! والصّابئة موحِّدون، وعبدة الأصنام مقدّسون!! فالكُلّ يعبد الله تعالى، السّاري في كلّ مخلوقاته. فالله ـ عزَّ وجلَّ ـ هو الشّاهد والمشهود، فالعالم صورته، وهو رُوحه المدبّر له، بل هو الإنسان الكبير، فكلّ الموجودات ظاهره، وهو باطن كلّ الموجودات. ومن الجدير بالذِّكْر أنَّ فكرة وحدة الوُجُود التي أطلقها

أوَّل مَنْ أطلقها في الإسلام الشّيخ ابن عَرَبي، والتي اعتبرها أكثر الفقهاء آخر مراتب التَّصوُّف التي تمَّ فيها الانحراف بالتَّصوُّف عن الإسلام تعود إلى المسيحيَّة، وقبلهم اليهود الذين استبقوا المسيحيِّين بالقول بها، وهي ـ في أساسها ـ مقولة تعود إلى الهنود. لقد عدَّ أكثر الفقهاء أنَّ فكرة وحدة الوُجُود لا تمتُّ إلى الإسلام بصلة، وإنَّ معتنقها لابُدَّ أنْ يقوده مفهومها إلى الخُرُوج عن الإسلام. وإنَّ الدِّين ـ بشكل عامّ، والصُّوفيَّة بشكل خاصّ ـ بغنى عن التَّزوُّد بأفكار تقود إلى التّشويه أكثر ما تُؤدِّي إلى التّنوير.

أمَّا قصَّة ابن عَرَبي التي كادت تودي بحياته، والتي جرت معه عندما زار مصر، وما رواه هو نفسه عنها في كتابه "محاضر الأبرار"، فإنَّها تشير ـ بصريح العبارة ـ إلى إيمان ابن عَرَبي بمبدأ "الحلول"، وتدفع المستمع إليها إلى الإيمان بفكرة الحلول الإلهي في الإنسان البشري. وتقول القصَّة أنَّه عندما نزل مصر ساكن جماعة من مريديه. وفي ليلة دامسة الظّلام؛ جلس مع مريديه لأداء عباداتهم ومجاهداتهم، فتنورت أجسامهم، ورأى ابن عَرَبي كأنَّ شخصاً له سمت جميل قد دخل عليهم، مبلِّغاً إيَّاه رسالة من الحقِّ يقول فيها:

"إنَّ الخير في الوُجُود، والشَّرَّ في العدم، والحقُّ قد أوجد الإنسان بجوده، وجعله واحداً ينافي وُجُوده، فتخلّق بأسمائه وصفاته، وفني عنها بمشاهدة ذاته، فرأى نفسه بنفسه، فعاد العدد إلى أُسِّه، فكان هو، ولا أنت".

حكى ابن عَرَبي هذه القصَّة، وبلغت هذه الأقوال فقهاء مصر، وفهموا منها أنَّ ابن عَرَبي يدعو إلى "الحلول"، وطلبوا من السّلطان محاكمته بتُهمة الزّندقة. ولكنَّ أحد مناصريه الشّيخ البجائي دافع عنه أمام السّلطان، وفسَّر مقالته تفسيراً رمزيّاً، وتأوّلها. ويبدو أنَّ السّلطان قد اقتنع بكلام الشّيخ البجائي، فأطلق سراح ابن عَرَبي، ولم يستجب لدعوة خصومه.

الفصل الثّاني عشر:

الدّفاع عن ابن عَرَبي في مقولة وحدة الوُجُود ـ رأي الشّيخ عبد الغني النّابلسي في مقولة ابن عَرَبي ـ العلماء الذين أنكروا المقولة ـ رأي فيلسوف الصُّوفيَّة في وحدة الوُجُود ـ إنكار مقولة وحدة الوُجُود، لماذا؟

الدّفاع عن ابن عَرَبي:

وفي المقابل؛ فقد أيّد ابن عَرَبي، ودافع عنه عدد من العلماء والكُتّاب مثل: جلال الدِّين السّيوطي في كتابه الذي سمّاه "تنبيه الغبي في تبرئة ابن عَرَبي"، وسراج الدِّين المخزومي في كتابه "كشف الغطاء عن أسرار محيي الدِّين"، ومجد الدِّين الفيروزبادي صاحب "القاموس المحيط"، وشهاب الدِّين عمر السّهروردي (وهو غير أبو حفص شهاب الدِّين عمر بن مُحمَّد السّهروردي صاحب "عوارف المعارف" الذي اشتهر بالزّهد والورع والصّلاح)، وقطب الدِّين الحموي، وتقي الدِّين السّبكي، ومُحمَّد المغربي أستاذ السّيوطي.

ومن أهل العلم مَنْ يقول إنَّه من أكابر أولياء الله، العارفين، لما عُرف عنه من صلاح وعبادة وباع طويل في العُلُوم الشّرعيَّة، وأنَّه كان من أنصار الظّاهر، وكان ينكر ـ خلافاً ممَّا أُشيع عنه ـ أنَّه من أنصار فكرة وحدة الوُجُود، ويقول الدّكتور مُحمَّد غلاَّب مدافعاً عن ابن عَرَبي بأنَّ ابن عَرَبي أنكر هذه المقولة التي درجت بين النّاس على أنَّه قائلها. ويستشهد الدّكتور غلاَّب في كتابه (التّنسُّك الإسلامي، منشؤه وتطوُّره) أنَّ ابن عَرَبي في شرحه الحديث القدسي: "ما تقرَّب إلي عبدي بشيء أحبّ إلي ممَّا افترضته عليه. ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ

بالنَّوافل حتَّى أحبّه. فإذا أحببتُهُ كُنتُ سَمْعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها.." ويشرح ابن عَرَبي هذا الحديث بقوله: إنَّ مَنْ تقرَّب إلى ربِّه، فأحبَّه، أفاض عليه أنوار المعرفة، فانكشفت له الحقائق، فرأى كُلَّ شيء بنور هذه المعرفة، فلا حلول، ولا اتِّحاد، فَمَنْ فصل بينك وبينه فقد أثبت عينكَ وعينه. ويضيف مؤلِّف الكتاب الدّكتور غلاَّب القول بأنَّ حُسَّاد ابن عَرَبي ومناوئيه هم الذين دسُّوا عليه هذه الدّسيسة، وأنَّه ليس الوحيد الذي تعرَّض لحقد الحاقدين، وافتراء المفترين، وجور المتعصِّبين، ويستشهد بما قاله كعب الأحبار عن الحسد والحُسَّاد: "ما كان رجل حليم في قومه إلاَّ بغوا عليه، وحسدوه". وما قاله جلال الدِّين السّيوطي في هذا الموضوع: "ما كان كبير في عصر قطّ إلاَّ كان له عدد من السَّفَلَة: إذْ الأشراف لم تزل تُبتلَى بالأطراف. وكم أُوذي واضطُهد وشُرِّد أشراف وأخيار هذه الأُمَّة، ولم ينجُ من هذا البلاء حتَّى الأنبياء".

وقد يكون هذا القول صحيحاً، وأنَّ الشّيخ محيي الدِّين بن عَرَبي قد تعرَّض لهذه الدّسيسة، وهو - في الواقع - ليس الوحيد الذي تعرَّض لمثل هذا الأمر، فالتّاريخ يحدِّثنا عن كثير من الأخيار، بل والأنبياء الذين تعرَّضوا للأذى والضّرر والاضطهاد مُنذُ نوح عليه السّلام، ومروراً بالسَّيِّد المسيح ومُحمَّد عليهما الصّلاة والسّلام، والصّالحين الذين جاؤوا بعد المصطفى ﷺ، مثل الأئمَّة أبي حنيفة - ابن حنبل - مالك - والشّافعي، وغيرهم من الصّحابة والتّابعين الكرام.

إلاَّ أنَّ كُتَّاباً كثيرين أصرُّوا على أنَّ مقولة وحدة الوُجُود تعود لابن عَرَبي، وأنَّه هو أوَّل مَنْ ابتدع هذه المقولة، ونادى بها. ويستشهدون بأنَّ كثيراً من الصُّوفيِّين الذين عاصروا ابن عَرَبي، أو جاؤوا بعده نسبوا هذا القول له، وتبنّوا فكرته التي نادى بها قبلهم، كما أنَّ كثيراً من المستشرقين الذين استهوتهم الصُّوفيَّة، وكتبوا عنها، أجمعوا على أنَّ القول بوحدة الوُجُود يعود لابن عَرَبي.

رأي الشّيخ عبد الغني النّابلسي في مقولة وحدة الوُجُود:

والقول الفصل في صحَّة أو عدم صحَّة نسب وحدة الوُجُود إلى ابن عَرَبي أو نَفْي هذه المقولة عنه يأتينا على لسان الشّيخ الصُّوفي الشّهير العلاَّمة عبد الغني النّابلسي، وذلك في

الجواب الذي ردَّ فيه على الرّسالة التي وجَّهها إليه أحدهم، والتي يقول فيها: "وجدت رسالة اسمها (المسلك الجلي في حكم شطح الوليّ) للشّيخ الإمام العلاَّمة المحقّق المدقّق الفهّامَّة الملاَّ إبراهيم الكوراني المدني - رحمه الله تعالى - أجاب بها عن سؤال ورد عليه من بعض جزائر جاوه من أقصى بلاد الهند في سنة ست وثمانين وألف حاصله: " أيَّد الله العلماء أهل التّحقيق، وهدى بهم الطّالبين سواء الطّريق: ماذا يقولون في قول بعض أهل جاوه ممَّنْ يُنسب إلى العلم والورع: إنَّ الله تعالى نَفسُنا ووُجُودُنا، ونحنُ نفسه ووُجُوده. هل له تأويل صحيح كما قال أهل جاوه، أو هو كُفْر صريح كما يقوله بعض العلماء الواردين إليها ممَّن يُثنى عليه بأنَّه عالم بالعلم الظّاهر والباطن؟! !بَيِّنوا لنا ما هو الحقّ بمقتضى الشّرع والتّحقيق، أجزل الله لكم الثّواب، وأدام لكم الإمداد والتّوفيق.

إلى هنا صُورة السّؤال. أمَّا جواب الشّيخ النّابلسي؛ فقد استهلَّه بقوله: لقد أجاب الملاَّ إبراهيم المذكور - يرحمه الله تعالى - عن ذلك بما فُتح له، سالكاً أحسن المسالك. ونحنُ الآن نجيب بما يفيض الله - تعالى - علينا من البيان، بتجلِّي اسم الله - تعالى - المؤمن والنّظر بنور الإيمان.

ورسالة الشّيخ النّابلسي طويلة، ويُمكن عرض أبرز ما جاء فيها من أفكار في النّقاط التّالية:

1 - ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان / 1).

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (البقرة / 109).

المراد معرفة الله بالنّظر في كتابه وسنَّة نبيِّه، والممنوع شرعاً النّظر في حقّ الله بالفعل، وإقامة الأدلَّة العقليَّة على ما يجب له، وما يستحيل عليه، وما يجوز في حقِّه.

2 - العقول مخلوقة قاصرة عن معرفة الرَّبّ سبحانه وتعالى، ولهذا؛ كذَّبت الأمم الماضون أنبياءهم ورُسُلَهُم، وكفروا بالكُتُب المنزَّلة، واعتمدوا على عقولهم، فعبدوا الكواكب والأصنام.

3 - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴾ (الفتح/ 10) فَيَدُ الرّسول ﷺ التي مدَّت للبيعة هي يد الله تعالى، والله هو المقصود ببيعة النّبي ﷺ.

4 ـ ﴿ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾. إنَّ هـذا يعنـي أنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يظهر بالصُّورة التي يرغب أنْ يظهر بها، وهـو الـذي يقلِّب القلوب والأبصار. أمَّا قوله عز وجل: ﴿ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ ﴾؛ يعني اخلعْ صورتكَ الظَّاهرة، وصورتكَ الباطنة؛ لأنَّكَ تمشي ـ الآن ـ في عالم آخر، ثُمَّ قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لموسى ﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ ﴾ بمعنى أنْ تكون أنا، وأكون أنا أنتَ.

5 ـ ﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ (طـه/ 39)؛ أيْ ذاتـي، فأظـهر بـكَ، وتغيب أنتَ، وتظهر أنتَ، وأغيب أنا، وما هما اثنان، بل عين واحدة. أمَّا القول ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴾ (طه / 41)؛ أيْ لأذهب عنكَ عينكَ الفانية، وأرى بكَ عيني الباقية.

6 ـ ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ﴾ (آل عمران/ 5)؛ فيعني الذين اشتُبِهَ عليهم لوقوفهم عند مدارك العقول، وعدم ترقيهم إلى أسرار النّقول.

7 ـ أمَّا النّتيجة التي تنتهي إليها الرّسالة ـ والتي تُؤكِّد بأنَّ رأي الشّيخ النّابلسي يتَّفق تماماً مع ما نادى به إمامه ابن عَرَبي؛ فتأتي على الشّكل التّالي:

{ فإذا علمتَ هذا الذي ذكرناه، فاعلمْ أنَّ جوابنا عن السّؤال المذكور أنَّ هـذا القائل من أهل جاوه يقول إنَّ الله ـ تعالى ـ نفسُنا ووُجودنا، ونحـنُ نفسـه ووُجُوده، فإنْ كان خرج عن طوره الأوَّل، وطوره الثّاني، وطوره الثّالث، ووصل إلى طوره الرّابع، فإنَّ الطَّور الأوَّل هو الأغيار ـ يعني غير الله تعالى كما قال الله تعالى ـ والطَّور الثّاني هو الأفعال ـ يعني صار كلّه أفعال الله تعالى: ظاهره وباطنه، والطَّور الثّالث هو صفات الله تعالى وأسماؤه، والطَّور الرّابع هو ذاته تعالى كما قال تعالى ﴿ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴾ (الانشقاق / 19) فتخرجون من طبق الأغيار، فلا يبقى أحد منكم غيراً لدُخُولكم في طبق الأفعال، فتصيرون أفعال الله تعالى كما قال الله تعالى ﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍ ﴾ (لقمان / 28) وهي النّفس الواحدة والعين الواحدة، ثُمَّ تخرجون من طبق الأفعال، فتدخلون طبق الصّفات الإلهيَّة والأسماء الرّبَّانيَّة، ثُمَّ لا تبقَ منكم بقيَّة، وتصيرون في الطّبق الرّابع. قال الله تعالى ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ

﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ (النّجم / 42)، فهذا القائل للكلام المذكور إنْ صدق في نفسه، وركب هذه الأطباق طبقاً عن طبق فقد صدق، فهو موحِّد بالتَّوحيد، وهو وارث مُحمَّدي }.

"نصُّ الرّسالة بالكامل موجود في المكتبة الظّاهريَّة في دمشق تحت رَقْم 4008، كما بيَّن الدّكتور عبد الرّحمن البدوي في كتابه (شطحات الصُّوفيَّة)، الجزء الأوّل، صفحة 149 ـ 158".

العلماء الذين أنكروا المقولة:

يقول الإمام ابن تيميَّة في الجزء الأوَّل منْ كتابه " الصّفديَّة "، وفي الصّفحة 245 ما يلي:

معلوم أنَّ أصول الإيمان ثلاثة: الإيمان بالله، ورسُله، واليوم الآخر، وهم ـ أي الصُّوفيُّون ـ الذين ينادون بوحدة الوُجُود ألحدوا في الأصول الثّلاثة. أمَّا الإيمان بالله؛ فجعلوا وُجُود المخلوق هو وُجُود الخالق، وهذا غاية التّعطيل، أمَّا الإيمان بالرُّسُل؛ فقد ادَّعوا أنَّ خاتم الأولياء أعلم بالله من خاتم الأنبياء، وأنَّ خاتم الأنبياء هو وسائر الأنبياء يأخذون العلم من مشكاة خاتم الأولياء، وهذا مناقض للعقل والدِّين كما يُقال في قول القائل: "فَخَرَّ عليهم السّقف من تحتهم"، فمن المعلوم للعقل أنَّ المُتأخِّر يستفيد من المتقدِّم دُون العكس، ومن المعلوم في الدِّين أنَّ أفضل الأولياء يستفيدون من الأنبياء، أمَّا الإيمان باليوم الآخر؛ فادَّعى ابن عَرَبي أنَّ أصحاب النّار يتنعَّمون في النّار، كما يتنعَّم أهل الجنَّة في الجنَّة، وأنَّه يُسمَّى عذاباً من عذوبة طعمه".

ويُعلق الدّكتور أبو العلا عفيفي على هذا القول؛ فيقول: " إذا كانت الطّاعة والمعصية ليس لهما مدلول حقيقي ـ أو بالأحرى مدلول ديني ـ فأحرى بالثّواب والعقاب ألاَّ يكون لهما مدلول إيجابي في مذهب كمذهب وحدة الوُجُود. وأقصى ما يستطيع ابن عَرَبي أنْ يقوله هو أنَّ الثّواب اسم ناشئ عن الطّاعة في نفس المطيع، وأنَّ العقاب اسم للأثر النّاشئ عن المعصية في نفس العاصي، ولكنَّه ـ تمشياً مع منطق مذهبه ـ أَميَل أنْ يعدَّ العقاب والثّواب ـ اللّذّة والألم ـ حالتَيْن يشعر بهما الحقُّ نفسه؛ أيْ الحقّ المتعيّن في صُورة العبد.. لا عذاب، ولا ثواب، إذنْ بالمعنى الدِّيني في الدّار الآخرة، بل مآل الخلق جميعاً إلى النّعيم المقيم، سواء منهم مَنْ قُدِّر له الدُّخُول في الجنَّة، أو مَنْ قُدِر له الدُّخُول في النّار، فإنَّ نعيم الجميع واحد، وإنْ اختلفت صوره، وتعدَّدت أسماؤه".

لقد أنكر عدد كبير من خيرة علماء المسلمين وفقهائهم مقولة وحدة الوُجُود التي نادى بها ابن عَرَبي، بل ذهب بعضهم إلى تكفيره على تلك المقولة، وقد ذكر الإمام برهان الدِّين إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (809 ـ 885 هجري) رسالتَيْن بيَّن فيهما أسماء المنكرين على ابن عَرَبي وابن الفارض قولهما بالحلول والاتِّحاد، أو وحدة الوُجُود، وتحمل الرّسالة الأولى عنواناً "تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عَرَبي"، وتحمل الثّانية عنواناً "تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتِّحاد"، ويورد البقاعي في هاتَيْن الرّسالتَيْن نحواً من أربعين اسماً من أسماء كبار العلماء الذين يعترضون على ما ذهب إليه ابن عَرَبي وابن الفارض ومَنْ تابعهما من فلاسفة الصُّوفيَّة كابن سبعين، وابن مسرَّة، والجبلي، وغيرهم. ويذكر البقاعي أنَّ سبب كتابة رسالتَيْه ليس بُغْض الصُّوفيَّة، بل بُغْض من كفَّرَه الصُّوفيُّون الذين يُعدُّون من أعلام الصُّوفيَّة كالجنيد، والقشيري، وغيرهم. الذين أكَّدوا أنَّ طريق الصُّوفيَّة لا يخالف الكتاب، ولا السُّنَّة، ويرتبط بهما، ومَنْ يخالفهما فهو ليس من الصُّوفيَّة، كقول أبي عثمان الحيري: مَن أمَّر على نفسه السُّنَّة قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة. وقول سهل التّستري: أصول مذهبنا ثلاثة: الاقتداء بالنّبي ﷺ في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النِّيَّة في جميع الأحوال.

ويذكر البقاعي أنَّ سبباً آخر دفعه لكتابة رسالتَيْه هو أنَّ النّاس قد اختلطت عليهم الأمور بشأن ابن عَرَبي وابن الفارض، فأراد أنْ يوضِّح من أمرهما ما استغلق من دعاواهما.

أمَّا العلماء الذين صرَّحوا بكُفْر ابن عَرَبي ومَنْ نحا نحوه في مثل أقواله؛ فقد نقل فتاواهم الإمام شهاب الدِّين أحمد بن يحيى ابن أبي حجلة التّلمساني الحنفي، والإمام سيف الدِّين عبد اللّطيف بن بلبان الصُّوفي، والعلاَّمة بدر الدِّين حسين بن الأهدل.

وأمَّا العلماء الذين أنكروا على ابن عَرَبي مقولته؛ فيأتي في مقدمتهم سلطان العلماء عزّ الدِّين بن عبد السّلام، ونقل عنه شيخ الإسلام تقي الدِّين بن دقيق العيد، وقال عن ابن عَرَبي إنَّه شيخ سُوء. ومن المنكرين ـ أيضاً ـ الشّيخ شمس الدِّين مُحمَّد بن الجذري، والإمام أبو حيَّان مُحمَّد الأندلسي. ووصف شيخ الإسلام تقي الدِّين السّبكي مَنْ يقول بوحدة الوُجُود بأنَّهم

ضُلاَّل جُهَّال خارجون عن طريقة الإسلام. وقال الحافظ تقي الدِّين الفاسي أنَّه قد أُحرقت كتب ابن عَرَبي غير مرَّة. وكذلك فعل العلاَّمة الشّيخ بهاء الدِّين السّبكي، أمَّا العلامة القاضي شرف الدِّين عيسى بن مسعود الزَّواوي (شارح صحيح مسلم)؛ فقد نبَّه من تصانيف ابن عَرَبي، وقال: أمَّا ما تضمَّنته هذه التّصانيف من الهذيان والكُفْر والبُهتان؛ فهو كُلُّه تلبيس وضلال، وتحريف وتبديل، ويجب على وَليّ الأمر إذا سمع بهذه التّصانيف البحث عنها، وجَمْع نُسَخها حيثُ وجدها، وإحراقها، وأدَّب مَنْ اتُّهم بهذا المذهب، أو نُسب إليه على قدر التّهمة عليه، حتَّى يعرفه النّاس، ويحذروه. ونحا الإمام المحقّق نور الدِّين علي بن يعقوب البكري المنحى نفسه، ووصف ابن عَرَبي بأنَّه كاذب وفاجر!!. أمَّا العلاَّمة جمال الدِّين عبد اللّطيف بن هشام صاحب "المغني"؛ فقد كتب عن الفُصُوص:

هذا الذي بضلاله ... ضلَّتْ أوائل مع أواخر
مَنْ ظنَّ فيه غير ذا ... فَلْيَنْأَ عنَّا، فهو كافر

وقال هذا كتاب "فُصُوص الظُّلم، ونقيض الحكم، وضلال الأمم".

ومن الذين استنكروا فكرة وحدة الوُجُود ـ أيضاً ـ العلاَّمة ابن خلدون، الذي وصف طريقة المتصوِّفة في مقدِّمته بأنَّها تنحصر في طريقَيْن:

الأولى: وهي طريقة السُّنَّة وسلفهم، الجارية على الكتاب والسُّنَّة والاقتداء بالسّلف الصّالح من الصّحابة والتّابعين.

والثانية: مشوبة بالبدع، وهي طريقة قوم من المُتأخِّرين من المتصوِّفة المتكلِّمين في الكَشْف، وفيما وراء الحسِّ، الذين ذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة؛ ومنهم ابن عَرَبي وابن سبعين ومَنْ اتَّبعهم، ومَنْ سلك سبيلهم.

أمَّا العلاَّمة شمس الدِّين مُحمَّد العزري؛ فيذكر في كتابه "الفتاوى المنتشرة"، فيقول عن "الفُصُوص": قال العلماء: جميع ما فيه كُفْر؛ لأنَّه دائر مع عقيدة الاتِّحاد. وأنَّ الحافظ عماد الدِّين بن كثير قال: هؤلاء كُلُّهم يقتفون في مسالكهم هذه طريقة الحلاَّج، الذي أجمع الفقهاء

في زمانه على كُفْره، وقَتْله. وقد وصف شمس الدِّين مُحمَّد بن عثمان الذّهبي كلام ابن عَرَبي بأنَّه عين الكُفْر والزّندقة.

ويستمرُّ البقاعي في عرض أسماء العديد من مشاهير علماء السُّنَّة الذين أنكروا مقولة ابن عَرَبي. وطبعاً لم يذكر البقاعي في رسالتَيْه اللّتَيْن جمعهما عبد الرّحمن الوكيل في كتاب واحد أعطاه اسم "مصرع التَّصوُّف" أسماء علماء الشّيعة، الذين - أيضاً - أنكروا الصُّوفيَّة، وحاربوها؛ كجعفر الصّادق، والملاّ صدر الشّيرازي، وتلميذه الملاّ محسن، الذين أخذوا على الصُّوفيَّة تعطيلهم لما وهبهم الله من المدارك والمشاعر، وتَرْكَهم لتعلُّم العلم، وتحريمهم لنعَم الله بسبب جهلهم، وفساد إدراكهم وادّعائهم كذباً مشاهدة الحقّ، وقولهم بعلم المعرفة، ودعواهم الوُصُول إلى القرب، ومعاينة الجمال الأُحدي، والفوز باللّقاء السّرمدي، وكذلك علماء الخوارج، الذين لم يرضوا في الصُّوفيَّة إطاعتهم للسّلطان الجائر، وقولهم بتفضيل النِّيَّة على العمل.

ولا يتَّسع المجال لعرض أسماء جميع العلماء والفقهاء الذين أثارتهم مقولة ابن عَرَبي ومَنْ حمل أفكاره، وتبنَّى آراءه، ولكنْ؛ يُمكن القول إنَّ علماء السُّنَّة كانوا أشدَّ النّاس هجوماً على الصُّوفيَّة، وأكثرهم استنكاراً لأقوال أصحابها، الذين نادوا بالاتِّحاد، أو الحلول، أو وحدة الوُجُود. لقد كتب هؤلاء الكُتُبَ العديدة، وبيَّنوا فيها آراءهم وأسانيدهم:

فابن الجوزي في "تلبيس إبليس"، وأبو حامد الغزالي في "المنقذ من الضّلال"، وإبراهيم ابن موسى الشّاطبي في "التّنبيه والرَّدّ على أهل الأهواء والبدع"، وأبو حفص عمر بن مُحمَّد السّهروردي في "عوارف المعارف"، وابن تيميَّة في "الفرقان بين أولياء الرّحمن وأولياء الشّيطان"، والعلاَّمة علاء الدِّين مُحمَّد بن مُحمَّد البخاري الحنفي في رسالته المسمَّاة "فاضحة الملحدين وناصحة الموحِّدين"، والحافظ تقي الدِّين مُحمَّد بن أحمد الفاسي المكِّي في "تحذير النّبيه والغبي من الافتتان بابن عَرَبي"، وشمس الدِّين مُحمَّد بن عثمان الذّهبي في "تاريخ الإسلام"، وأبي الحسن الملطي في "التّنبيه والرَّدّ على أهل الأهواء والبدع"، وجلال الدِّين مُحمَّد بن نور الدِّين في "كشف الظّلمة عن هذه الأُمَّة"؛ كُلُّ هؤلاء وغيرهم الكثير ممَّنْ ذكرنا بعضهم كانوا من أشدَّ النّاس هجوماً على صوفيَّيْ الحلول ووحدة الوُجُود، وقالوا في أقوالهم بأنَّها خُرُوج عن الإسلام، ودعوة للزّندقة والكُفْر.

رأي فيلسوف الصُّوفيَّة في وحدة الوُجُود:

شعر بعض الصُّوفيِّين الذين يتَّصفون بالاعتدال والنّظر الثّاقب كأبي النّصر السَّرّاج، وعلي بن عثمان الهجويري بخطورة الأفكار التي طرحها ابن عَرَبي، وتأثيراتها السّلبيَّة على الحركة الصُّوفيَّة، وأطلق هؤلاء الغيورون على الصُّوفيَّة العديد من صيحات التّحذير والتّنبيه بضرورة الابتعاد عن الوقوع في دائرة فكرة وحدة الوُجُود التي نادى بها ابن عَرَبي. لقد كان هؤلاء يصرُّون على القول بأنَّ الله ـ تعالى ـ مخالف للحوادث مخالفة تامَّة، وأنَّ القول بأنَّ الاتِّصال به أو الاتِّحاد بذاته هو منتهى الكُفْر والضّلال، وأمَّا فكرة وحدة الوُجُود في صورتها المُجرَّدة كما صوَّرها ابن عَرَبي؛ هي ـ في الحقيقة ـ تشويه للعقيدة، وفكرة لابُدَّ أنْ تسيء للفكر الصُّوفي، وتثير أعداءه عليه.

لقد أنتجت مقولة ابن عَرَبي مدرسة عريضة من أنصار فكرة وحدة الوُجُود، الذين يؤيِّدون ما ذهب إليه ابن عَرَبي، ويؤمنون بما نادى به، بل شطح الفكر ببعضهم أنْ تبنَّى آراء غريبة، وأفكاراً مناقضة للفهم الصّحيح، الذي أجمع عليه علماء السُّنَّة، وفقهاؤها. فمن هذه الآراء مثلاً القول بأنَّ عصيان إبليس لأمر ربِّه عبارة عن رفض سليم للخضوع إلى مخلوق خلقه الله تعالى، فالخضوع يجب أنْ يكون لله ـ عزَّ وجلَّ ـ وحده، فرفض وعصيان أمر الله ـ تعالى ـ هو إدراك للمشيئة الإلهيَّة، وفَهْم لآداب الحضرة الإلهيَّة، وذلك من منطلق الاعتقاد بأنَّ كُلَّ فكر وعمل هو ـ في حقيقته، حسب نظريَّة ابن عَرَبي ـ هو لله، وأنَّ العالم وكُلّ ما فيه من خير وشرّ لا يعدو أنْ يكون أثراً من آثار، أو مظهراً من مظاهر أفعال الله عزَّ وجلَّ.

وقبل التّعليق على هذا القول من المفيد أنْ نستعرض رأي أبرز هؤلاء الصُّوفيِّين الذين آمنوا بفكرة ابن عَرَبي، وتبنّوا رأيه، ودعوا له.

يُعدُّ الصُّوفي عبد الكريم الجيلي (767 ـ 826 هجري) الفارسي الأصل، والمولود في بغداد والمتوفَّى في اليمن، والذي له من المؤلَّفات ما يزيد عن الثّلاثين مؤلَّفاً أشهرها "الإنسان الكامل في علم الأواخر والأوائل"، الذي عرض فيه نظريَّات التَّصوُّف، و"الخضم الزّاخر والكنز الفاخر"، الذي شرح فيه التّفسير الصُّوفي للقرآن الكريم من دُعاة وحدة الوُجُود،

ويؤيِّد ابن عَرَبي في دعوته، ويعدُّ مثله أنَّ كُلَّ المتعبِّدين هم عُبَّاد لله تعالى، وإنْ سجدوا للأوثان، وأنَّ كُلَّ المظاهر الكونيَّة هي مظهر لأسماء الله تعالى، وأنَّ الإنسان الكامل - حسب رأيه - هو تصوير لفكرة القُطب/ الغوث، التي رُتبته أعلى رُتب أهل الغيب، وفيه يظهر أكبر تجلٍّ لله في الكون، وهو الخليفة لله في الأرض. والغاية من الخلق والمقصود به هو "مُحمَّد ﷺ" فهو أكمل الخلق، منه يستمد الكُمَّل نورهم من فيض نوره ﷺ، وكلّ منهم صُورة من الحقيقة المُحمَّديَّة تسمَّت باسم صاحبها:

تجلَّى حبيبي في مرائي جماله ... ففي كُلِّ مرئى للحبيب طلائع
فلمَّا تجلَّى حُسْنه متنوِّعاً ... تسمَّى بأسماء فهنَّ مطالع
وأبرز مَنْ فيه آثار وصفه ... فذلكم الآثار مَنْ هو صانع

ويقول أيضاً:

ألا إنَّ الوُجُود بلا محال ... خيال في خيال في خيال
ولا يقظان إلاَّ أهل حقٍّ ... مع الرّحمن هم في كلّ حال

ويؤمن الجيلي إيماناً شديداً بوحدة الوُجُود، وكذلك بوحدة الأديان:

وأسلمتُ نفسي حيثُ أسلمني الهوى ... وما لي عن حكم الحبيب تنازع
فَطَوراً تراني في المساجد راكعاً ... وإنِّي طوراً في الكنائس راكع
إذا كُنتُ في حُكْم الشّريعة عاصياً ... فإنِّي في عالم الحقيقة طائع

ويذهب الجيلي في عرض آرائه الغريبة إلى القول بأنَّ الشَّرَّ من مقدِّمات الوُجُود الإلهي، وأنَّ دنسه هو عين وُجُوده، وأنَّ إبليس في غيِّه هو عين الرَّبِّ، وأنَّ كُلَّ اسم في الوُجُود هو اسمه تعالى؛ لأنَّه عين كلّ مسمَّى، وأنَّ كلَّ صفة لكائن هي صفة لله؛ لأنَّه - تعالى - عين الموصوف بها. وتبلغ تجديفات الجيلي إلى القول:

لي المُلك والملكوت نسجي ... لي الغيب والجبروت منِّي منشأ

ويعتقد الجيلي أنَّ الوُجُود والعدم متقابلان، وفلك الألوهيَّة محيط بهما؛ لأنَّ الألوهيَّة تجمع الضِّدَّين القديم والحديث، الحقّ والخلق، والوُجُود والعدم، فيظهر الحقّ فيها بصُورة الخلق، ويظهر الخلق بصُورة الحقّ:

وتجمَّعت الأضداد في واحد البها وفيه تلاشت فهو عنهنَّ ساطع

ويفسِّر الجيلي عدم سجود إبليس لآدم أنَّ إبليس من أعلم الخلق بآداب الحضرة الإلهيَّة، وأعرفهم بالسّؤال، وما يقتضيه من الجواب، وأنَّ سُلُوكه لا ينبع من مبدأ العصيان، بل من مبدأ الإدراك. أمَّا الطّرد من الحضرة الإلهيَّة؛ فإن الجيلي يفسِّره تفسيراً غريباً؛ فيقول إنَّ إبليس لم يُطرَد، بل مُنح خلعة إلهيَّة لم يلبسها مَلَك مقرَّب، ولا نبي مرسَل!!

والإنسان الكامل عند الجيلي هو الله تعالى في صورته الإنسيَّة، وأنَّ الله ـ تعالى، من حيثُ ذاته ـ يقتضي ألاَّ يظهر في شيء إلاَّ ويُعبَد ذلك الشّيء:

لي الملك في الدّارَيْن لم أرَ فيهما سواي، فأرجو فضله، أو فأخشاه
وقد حُزتُ أنواع الكمال، وإنَّني جمال جلال الكُلِّ، ما أنا إلاَّ هو

إنَّ التَّعمُّق في كلام الجيلي لابُدَّ أنْ يُولِّد القناعة بأنَّ هذا الإنسان الذي وصفوه بالفيلسوف يعتنق أفكاراً فلسفيَّة حقّاً، ولكنَّها لا تخرج عن نطاق الكُفْر، وأنَّ أقواله هذه لابُدَّ أنْ تشعرنا أنَّنا أمام زندقة تتبرقع برداء الإسلام ظلماً وبهتاناً، فالقول بأنْ رفض إبليس السّجود لآدم على أنَّه فَهْم سليم للأمر الإلهي، وليس عصياناً له هو تفسير خاطئ للنَّصِّ القرآني، الذي يبيِّن لنا ـ بوضوح لا لبس فيه ـ خلفيَّة رفض إبليس للسّجود. فالآية رَقْم 13 من سورة الأعراف تقول على لسان الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في وصفه لموقف إبليس بأنَّ سببه التَّكبُّر: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾، فرَفْض السّجود هنا مبعثه التَّكبُّر والعلياء، ثُمَّ إن الآيات التي تلت تلك الآية تشير إلى إصرار إبليس على الإضلال لإثبات المقدرة على الغواية والإفساد: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ (الأعراف 16 ـ 17).

فالآيات واضحة على أنَّ سبب عصيان الأمر الإلهي يعود إلى أنَّ هناك إرادة إبليسيَّة خلفيَّتها التَّكبُّر، ودليل هذا التَّكبُّر قول إبليس ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ (الأعراف 12)، فكيف يريد بعض الصُّوفيِّين أنْ يفسِّر العصيان وعدم الطَّاعة والتَّكبُّر الأجوف الذي تبنَّاه إبليس بأنَّه فَهْم سليم للأمر الإلهي، رغم أنَّ النَّصَّ القرآني يبيِّن ـ بوضوح لا لبس فيه ـ علامات هذا الرَّفض، وخلفيَّته؟! ولا ندري كيف يُمكن لأيِّ عاقل أنْ يقبل هذا التَّفسير، دُون أنْ يذهب به الفكر إلى عَدِّه نوعاً من الهرطقة، التي لا يقبلها المنطق السَّليم، ويدركها التَّفسير الصَّحيح للنَّصِّ القرآني؟ ثُمَّ ألا تدلُّ الآية 21 من سورة الأعراف أنَّ إبليس كذب على آدم، وأقسم ـ وهو يعلم أنَّه كاذب ـ قائلاً ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾، وتبع هذا القسمَ في الآية 22 من السُّورة نفسها ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ . وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾.

إنكار مقولة وحدة الوُجُود، لماذا؟

يصعب على المرء ـ متابع الفكر الصُّوفي ـ أنْ يأخذ أقوال ابن عَرَبي والنَّابلسي التي نادت بمبدأ وحدة الوُجُود، وأنْ يمرَّ على ما قاله العلاَّمة الفاضل الشَّيخ عبد الغني النَّابلسي حول هذا الموضوع في رسالته الجوابيَّة التي أشرنا إليها سابقاً، دُون أنْ تقفز أمام عينَيْه، أو يجول في خاطره السؤال التَّالي:

إذا كان التَّفسير الصُّوفي ـ حسب ما ورد في رسالة النَّابلسي ـ "وأنا اخترتُكَ لنفسي" بمعنى أنْ "تكون أنت أنا، وأنا أنت"، وأنْ تعني "وألقيتُ عليكَ محبَّة منِّي، ولتصنع على عيني"؛ أيْ أنْ "تكون ـ يا موسى ـ ذاتي، فأظهر بكَ، وتغيب أنت، وتظهر أنتَ، وأغيب أنا، وما هما اثنان، بل عين واحدة". وإذا كان هذا التَّفسير لتلك الآيات الكريمة لتبرير مبدأ وحدة الوُجُود، فكيف ينسجم هذا التَّفسير مع:

ـ *أوَّلاً*: آيات الخلق "خلق الإنسان"، التي وردت في القرآن الكريم ما يزيد عن خمسين مرَّة، وفي أكثر من 25 سورة، كلّها تبيِّن طبيعة خلق هذا الإنسان، ومادِّيَّة الخلق، ففي سورة "المؤمنون" (الآيات 12 ـ 14) نقرأ:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

وآيات الخلق كلّها تشير إلى خلق كائن بشري، وليس كائناً إلهيّاً، وهذا الكائن البشري يخاطبه ربُّه خالقه، ويأمره ويبيِّن له ما عليه أنْ يفعله. وفي سورة "طه" التي وردت في رسالة الشّيخ النّابلسي نجد كلمات الله ـ تعالى ـ واضحة في الطّلب إلى رسوله ﷺ:

﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ (طه/ 24).

﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾ (طه/ 42).

وهي بيِّنة ـ أيضاً ـ في الأمر الإلهي الموجَّه إلى موسى وأخيه هارون عليهما السّلام، والمصحوب بالتّركيز على وحدانيَّة الله عزَّ وجلَّ:

﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ (طه/ 14).

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يونس/ 89).

وذلك استجابة لدعاء موسى وهارون ـ عليهما السّلام ـ على فرعون عندما قالا:

﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ (يونس/ 88).

وكذلك مع دعاء رسول الله ـ ﷺ ـ الذي رواه مسلم في صحيحه، والذي يقول فيه:

"اللّهمَّ؛ ربَّ السّموات السّبع، وربَّ الأرض، وربَّ العرش العظيم، ربّنا، وربَّ كلِّ شيء، فالق الحَبِّ والنَّوى، مُنزِّل التّوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بكَ من شرِّ كُلِّ دابَّة أنتَ آخذ بناصيتها، أنتَ الأوَّل، فليس قبلكَ شيء، وأنت الآخر، فليس بعدكَ شيء، وأنتَ الظّاهر، فليس فوقكَ شيء، وأنتَ الباطن، فليس دونكَ شيء، اقض عني الدَّين، وأَغنني من الفقر".

فكيف ينسجم مبدأ وحدة الوُجُود مع هذه الآيات الجليَّة المعنى والدّعاء الواضح الدّلالة، البعيدة كلّها كلّ البُعْد عن فكرة الوحدة والاتِّحاد؟!

ـ *ثانياً*: ثُمَّ كيف تنسجم فكرة وحدة الوُجُود إذا كان الله ـ تعالى ـ والإنسان واحداً، فَمَنْ يحاسب مَنْ؟! وهل يعاقب الله ـ تعالى ـ نفسه عن أخطاء الإنسان، الذي هو نفسه، وهو ذاته؟! ألا يعني هنا انعدام مبدأ الثّواب والعقاب؟! إذْ لا معنى لأنْ يعاقب الله تعالى نفسه ـ معاذ الله جلَّ وعلا ـ عن عمل هو فَعَلَهُ، وقام به!!!

وحتَّى إذا شطح بنا الخيال، وجمح بنا الفكر إلى الإقرار بمبدأ وحدة الوُجُود، أ فلا يعني هذا أنَّنا أصبحنا جُزءاً من الوحدة الإلهيَّة، وأنَّه لابُدَّ ـ في هذه الحالة ـ أنْ نتمتَّع بصفات وخصائص رُوحيَّة وخُلُقيَّة تتَّفق وتنسجم مع هذا الاتِّحاد، أو الوحدة، أو الاندماج؟! ولكنْ؛ للأسف، نتلفَّتُ ونرى أنفسنا أنَّنا خلاف ما جمح بنا الخيال، وذهب بنا الفكر، فالواقع يفرض علينا لنبقى على قيد الحياة أنْ نسعى في طلب الرّزق؛ لأنَّنا بشر، نجوع، ونعرى، ونظمأ، ونحتاج إلى المسكن والملبس، لذلك؛ فإنَّه لابُدَّ لنا من أنْ نجهد في العمل، ونستمرَّ في السّعي، ونطلب ـ بالتّالي ـ العون من الخالق عزَّ وجلَّ، فكيف ينسجم مبدأ الوحدة مع الواقع المُشاهَد، والحقيقة الماثلة أمام أعيننا؟!!

ـ *ثالثاً*: وأين يذهب جلال فكرة العبوديَّة لله تعالى، والتّسليم له، ولقضائه، والتَّبتُّل إليه، والدّعاء له؟! أ لم يقل عزَّ وجلَّ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾؟! ثُمَّ أ لم يقل رسول الله ﷺ: "ما من أحد يدعو بدعاء إلاَّ آتاه الله ما سأل، أو كفَّ عنه السُّوء مثله، ما لم يدعُ بإثم، أو قطيعة رحم"؟! فكيف يتَّفق مبدأ وحدة الوُجُود مع فكرة العبوديَّة لله، والتَّوجُّه إليه بالدّعاء في كُلّ الأحوال إذا كان الدّاعي والمُتوجِّه إليه هما واحد؟! وكيف ينسجم هذا القول مع المنطق؟! وهل يُمكن تصوُّر هذا الأمر وعدُّه قابلاً للتّصديق؟!

ـ *رابعاً*: لقد ورد في بعض الأخبار: يُبعث عبد، فيقول الله تعالى له:

"أ لم آمركَ برَفْع حوائجكَ إليّ"؟ يقول: نعم، وقد رفعتُهَا إليكَ. فيقول الله تعالى: ما سألتَ شيئاً إلاَّ أجبتُكَ فيه. ولكنِّي أنجزتُ لك البعض في الدّنيا، وما لم أُنجزه في الدّنيا

فهو مُدَّخر لكَ، فخُذْهُ الآن. عندئذ يقول العبد حين يرى ما ادُّخر له: ليته لم يقض لي حاجة في الدّنيا".

ولقد نهى الرّسول ﷺ عن الاستعجال في إجابة الدّعاء؛ فقال:

"يُستجابُ لأحدكم ما لم يُعجِّل فيقول: قد دعوتُ، فلم يُستجَبْ لي".

والاستجابة حقّ لكُلّ داع، وهي حسبما ورد في الحديث النّبوي الشّريف وعد صادق، ولكنَّ أمرها بيد الله، يجعلها متى شاء، وقد يكون كُلُّ الخير في تأخيرها وتأجيلها لحكمة يريدها الله، وعلى العبد أنْ يدعُ، ولا ييأس من رحمة الله، ولا يتوقَّف عن سؤاله. وقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: "إنَّ الله يحبُّ المُلحِّين في الدّعاء".

وقد جاء في الحديث الذي رواه أنس بن مالك عن رسول الله - ﷺ - أنَّ جبريل - عليه السّلام - قال: يا ربُّ؛ عبدكَ فلان، اقضِ له حاجته، فيقول: دعوا عبدي، فإنِّي أحبُّ أنْ أسمع صوته.

ألا تدلُّ هذه النّماذج من الأحاديث على أنَّ فكرة وحدة الوُجُود ما هي إلاَّ نموذج من نماذج الشّطحات التي أتحفتنا بها الصُّوفيَّة ورجالها المغرمون بالأفكار الفلسفيَّة البعيدة عن رُوح الإسلام وسُمُوِّ رسالته؟!.

- *خامساً*: إنَّ كبار مشايخ الصُّوفيَّة؛ وخاصَّة الرّعيل الأوَّل منهم مثل: الفضيل بن عيَّاض، والجنيد بن مُحمَّد، وسهل بن عبد الله التّستري، وعمرو بن عثمان المكِّي، وأبو عبد الله مُحمَّد بن خفيف الشّيرازي، وغيرهم، من الذين ذكرهم أبو عبد الرّحمن السّلمي في "طبقات الصُّوفيَّة،" وأبو القاسم القشيري في "الرّسالة القشيريَّة"، الذين كانوا على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة ومذهب أهل الحديث، ولم يشطح بهم الخيال إلى القول بالحلول أو بالاتِّحاد أو وحدة الوُجُود، بل كانوا يتكلَّمون بكلام الأئمَّة العارفين. ويقول ابن تيميَّة في كتابه " الرّسالة الصّفديَّة " عنهم: "كانت دعوتهم - دائماً - التَّقيُّد بالكتاب والسُّنَّة. وقد بيَّن الجنيد وغيره بأنَّ التَّوحيد لا يكون إلاَّ بأنْ يُمَيز بين القديم والمحدث، كما قالوا لعبد الله بن المبارك: بماذا نعرف ربَّنا؟ قال: بأنَّه فوق سماواته، على عرشه، بائن من خلقه".

إلاَّ أنَّ بعض المُتأخِّرين من الصُّوفيِّين تبنَّوا الأفكار الفلسفيَّة الدّخيلة على الإسلام، وظهرت على ألسنتهم المعتقدات الجديدة ذات الصّبغة الإلحاديَّة. وقد أشار ابن عَرَبي إلى وحدة الوُجُود في "فُصُوص الحكَم"، و"الفتوحات المكِّيَّة"، وعَدَّ عقيدة وحدة الوُجُود عقيدة خُلاصة الخاصَّة، وأمَّا عقيدة أهل العوام من أهل الإسلام؛ فهي عقيدة أهل التّقليد، وأهل النّظرة. وكان ابن سبعين "أبو مُحمَّد عبد الحقّ بن إبراهيم" ونحوه يعكسون دين الإسلام، فيجعلون أفضل الخلق (المتحقّق) عندهم هو القائل بوحدة الوُجُود، ولا يضرُّه عندهم أنْ يكون يهوديّاً أو نصرانيّاً. وبهذا؛ أصبح الصُّوفي الحقيقي - بنظر هؤلاء - هو الذي يتصوَّف على طريقة الفلاسفة، ويقول بمبدأ وحدة الوُجُود، وليس الصُّوفي الذي يتبع في سُلُوكه مذهب أهل الكتابْ والسُّنَّة والحديث، وكذلك أصبح - في نظرهم - أئمَّة المذاهب الأربعة ومَنْ تبعهم من الفقهاء دُون الصُّوفيِّين القائلين بمبدأ وحدة الوُجُود. إنَّ هؤلاء الصُّوفيِّين يعتقدون أنَّ ما أخبرتْ به الرُّسُل هو للعامَّة، أمَّا الحقيقة؛ فلا يعلمها إلاَّ الخواصّ؛ أيْ الصُّوفي، الذي شهد أنَّ الموجود واحد.

فهل يُمكن لأيِّ مسلم عاقل أنْ يقرَّ هذا السُّلُوك الصُّوفي، ويقبل به بكُلِّ ما يحويه من فساد العقيدة، وما يشمله من ضلالات؟!

الفصل الثّالث عشر:

الخلفاء الرّاشدون والصُّوفيَّة

الخلفاء الرّاشدون والصُّوفيَّة:

يحتلُّ الخلفاء الرّاشدون مكانة عالية لدى الصُّوفيّين، وينظر هؤلاء إلى كُلٍّ من أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، رضي الله عنهم، وكأنَّهم كواكب دُرِّيَّة، يهتدون بشعاعها، ويستلهمون أفكارهم ومسيرتهم من أنوارها، يسترشدون من زهدهم وورعهم وحياتهم المليئة بأسمى ما يحتويه التَّصوُّف من معان، وأرقى ما يدعو إليه من أعمال، وأسمى ما يصبو إليه من أهداف.

سُلُوك هؤلاء الأئمَّة وأقوالهم وزهدهم وورعهم رموز يعتزُّ بها الصُّوفيُّون، الذين عرفوا قدر نجوم الزّهد وقادته، حتَّى بلغ اعتزازهم بالخلفاء الرّاشدين أنْ أَدْخَلُوا هؤلاء الأعلام في عداد رجال الصُّوفيَّة الأوائل، وجعلوا أولئك الزُّهَّاد العُبَّاد الأتقياء الذين تنتسب إليهم أكثر الفرق الصُّوفيَّة، وتعتمدهم كمرجع رئيسي لها، وخاصَّة أوائل الصُّوفيّين، الذين اعتنقوا التَّصوُّف، وآمنوا به.

إنَّ مقام هؤلاء الزُّهَّاد الكرام، الذين يمثّلون الطُّهْر والفضيلة والمثاليَّة في الإيمان والعقيدة له عند الصُّوفيّين مواقع تستند إلى مفهوم صوفيّ خاصّ.

ولعلَّ النّظرة الصُّوفيَّة إلى كُلٍّ خليفة على انفراد تساعد على توضيح هذا المفهوم الصُّوفي الذي يعتمده الصُّوفيُّون لكُلٍّ من هؤلاء الخلفاء الرّاشدين، الذين أعطوا التَّصوُّف أنبل وأرفع معانيه، وأجمل صوره.

- أبو بكر الصِّدِّيق:

يقول أبو القاسم الجنيد في أبي بكر - ﷺ - إنَّ أشرف كلمة في التَّوحيد قول أبي بكر: سُبحان مَنْ لم يجعل للخَلْق طريقاً إلى معرفته إلاَّ بالعجز عن معرفته.

يعدُّ الصُّوفيُّون أبا بكر - ﷺ - إمامهم وقدوتهم في التّجريد، ويقول أبو بكر الواسطي: أوَّل لسان الصُّوفيَّة ظهرت في هذه الأُمَّة على لسان أبي بكر ﷺ إشارة، فاستخرج منها أهل الفَهْم لطائف تَوَسْوَسَ فيها العقلاء.

ومسطور في الأخبار أنَّ أبا بكر - ﷺ - حينما كان يصلِّي في اللّيل كان يقرأ القرآن بصوت خفيض، أمَّا عمر ﷺ؛ فقد كان يقرأ القرآن بصوت جهير، فسأل رسول الله - ﷺ - أبا بكر ﷺ: لم تقرأ بصوت خفيض؟ فقال: أُسمع مَنْ أناجي، فأنا أعرف أنَّه غير بعيد عنِّي، ويستوي لدى سمعه الخفيض والجهير. وسأل صلَّى الله عليه وسلَّم عمر ﷺ، فقال: أُوقظ الوسنان، وأطرد الشّيطان. فدلَّ هذا عمر على المجاهدة، وأبا بكر على المُشاهَدَة. ومقام المُجاهَدَة في جنب مقام المُشاهَدَة مثل قترة في بحر. ولهذا السّبب قال النّبي - ﷺ - لعمر: وهل أنتَ إلاَّ حسنة من حسنات أبي بكر؟!

ويُنسب إلى أبي بكر - ﷺ - قوله: دارنا فانية، وأحوالنا عارية، وأنفاسنا معدودة، وكسلنا موجود. فعمارة الدّنيا من الجهل، والاعتماد على الحال العارية من البله، وتوطين القول على الأنفاس المعدودة من الغفلة، وتسمية الكسل بالدِّين من الغُبن؛ لأنَّ ما هو عارية يُستَرَدّ، وما هو عابر لا يبقى، وما يأتي تحت العدد ينتهي، وليس للكسل دواء.

ومن أقواله أيضاً: اللّهمَّ ابسط لي الدّنيا، وزهِّدني فيها.

وحينما بُويع رضي الله عنه اعتلى المنبر، وقال: والله ما كنتُ حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قطّ، ولا كنتُ فيها راغباً، ولا سألتها الله تعالى قطّ في سرٍّ، ولا علانية، ولا لي في الإمارة من راحة.

لقد كان أبو بكر الصِّدِّيق - ﷺ - ثالث رجل آمن بالرّسول - ﷺ - بعد عليّ بن أبي طالب وزيد بن حارثة، ودامت ولايته في خلافة المسلمين بعد وفاة رسول الله - ﷺ - عامَيْن وثلاثة أشهر وتسع ليال.

ـ عمر بن الخطّاب ﷺ:

تولّى الخلافة بعد أبي بكر ـ ﷺ ـ أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب ﷺ. وجاءت خلافته بناء على توصية أبي بكر ﷺ، وذلك حرصاً منه على سلامة الأُمَّة من التَّفرُّق؛ إذ لم يكن عمر ـ ﷺ ـ من أقرباء أبي بكر ﷺ، فذاك من عدي وأبو بكر ﷺ من تيم. ولم يكن هذا التّرشيح بدافع شخصي، بل كان بدافع الرّغبة من أبي بكر ـ ﷺ ـ في المُحافظة على وحدة الأُمَّة. لقد كان أبو بكر ـ ﷺ ـ يعلم مكانة عمر ـ ﷺ ـ وقدره، وقُوَّة شخصيَّته، وحُسْن إدارته، وتفانيه في الحقّ، وابتعاده عن أيّ نوع من المحاباة. وفعلاً؛ فقد صدق حدس أبي بكر ﷺ، وكان عمر ـ ﷺ ـ أهلاً لهذه المهمَّة، وقائداً فذّاً، افتخرت به أمَّته، ومجَّده سُلُوكه وأخلاقه وزهده وورعه.

وصدق رسول الله ـ ﷺ ـ عندما قال في عمر ﷺ: "الحقُّ ينطق على لسان عمر".

وكذلك عندما قال رسول الله ـ ﷺ ـ عنه: "قد كان في الأمم محدّثون، فإنْ يكُ في أمَّتي، فعمر".

وكراماته التي تحدَّثنا عنها عندما صاح أثناء خطبته في المسجد: يا سارية؛ الجبل! معروفة. تلك الصّيحة التي سمعها سارية (وهو سارية بن زنيم بن جابر الكناني) وهو على أبواب نهوند، هي التي نبَّهتْهُ إلى موقعه، وضرورة أخذه الحيطة، فاتَّجه إلى الجبل، وأنقذ جيشه، وظفر بعدوِّه.

والصُّوفيُّون ينظرون إلى عمر ـ ﷺ ـ بأنَّه قدوة في الزّهد والورع، وقمَّة في تَرْك ملذَّات الحياة، والابتعاد عن ترفها، وزينتها. ويقول السَّرَّاج في عمر ﷺ: لأهل الحقائق في عمر أُسوة، وتعلق بعمر ﷺ من لبسه المرقعة، واجتناب الشّبهات، وقلَّة المبالاة من لائمة الخلق عند انتصاب الحقّ ومَحْق الباطل، ومساواة الأقارب والأباعد في الحُقُوق، والتَّمسُّك بالأشدّ في الطّاعات.

ومن أقوال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: "العزلة راحة من خلطاء السُّوء".

دامت ولاية الفاروق عمر ـ ﷺ ـ عشرة أعوام وستَّة أشهر وخمس ليال.

ـ عثمان بن عفّان ﷺ:

بويع الخليفة عثمان ـ ﷺ ـ وهو في التّاسعة والستّين من عمره، ودامت ولايته اثنا عشر عاماً، وحجّ بالنّاس أيّامه كلّها إلاّ السّنة الأولى من حكْمه.

حُوصر أربعين يوماً، وقُتل في ذي الحجّة، سنة خمس وثلاثين للهجرة.

وتفيد بعض الرّوايات بأنّ الذين هجموا عليه في حجرته وهو يتلو القرآن ثلاثة؛ هم: مُحمَّد بي أبي بكر، ومُحمَّد بن أبي حذيفة، وابن حزم.

ومن المشهور عنه أنّه اشترى من ماله الخاصّ بئر رومة، التي كانت مملوكة ليهودي، وجعلها سبيلاً للمسلمين، وأنّه جهّز جيش العسرة، الذي وجّهه رسول الله ـ ﷺ ـ لقتال الرّوم.

يعزو الصّوفيّة إلى عثمان ـ ﷺ ـ صفة التّمكين، ويقول السّرّاج: إنّ عثمان ـ ﷺ ـ خُصّ بالتّمكين، والتّمكين من أعلى مراتب المتحقّقين. وما يدلّ على تخصيصه بالتّمكين والثّبات والاستقامة ما رُوي عنه أنّه يوم قُتل لم يبرح موضعه، ولم يأذن لأحد بالقتال للدّفاع عنه، ولا وضع المصحف من حجره إلى أنْ قُتل، وسال الدّم على المصحف، وتلطّخ بالدّم، ووقع الدّم على موقع الآية:

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

وعندما اشتدّ الحصار حول داره طلب من الحسن بن علي ـ ﷺ ـ أنْ يذهب إلى بيته قائلاً له: يا ابن أخي، ارجعْ، واجلس في بيتكَ، حتّى يأتي الله بأمره، فلا حاجة لنا في إهراق الدّماء". وهذا علامة التّسليم في حال ورود البلاء. فكما حدث لإبراهيم ـ عليه السّلام ـ عندما أُلقي في النّار، فقد جاءه جبريل ـ عليه السّلام ـ وقال له: هل لكَ من حاجة؟ فقال إبراهيم: "أمّا إليكَ؛ فلا"، فقال جبريل: فَسَل الله، قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي. فعثمان في هذا الموضع هو في مقام الخليل، والغوغاء في مكان النّار، والحسن في مكان جبريل، ولكنّ إبراهيم نجا من البلاء، وعثمان ـ ﷺ ـ هلك فيه. وعند الصّوفيّة فإنّ النّجاة تتعلّق بالبقاء، وأمّا الهلاك؛ فيتعلّق بالفناء.

- عليّ بن أبي طالب ﷺ:

يقول السَّرَّاج: لأمير المؤمنين علي - ﷺ - خُصُوصيَّة من بين جميع أصحاب رسول الله ﷺ بمعاني جليلة، وإشارات لطيفة، وألفاظ مفردة، وعبادة وبيان للتَّوحيد، والمعرفة والإيمان والعلم، وغير ذلك، وخصال شريفة تعلَّق وتخلَّق بها أهل الحقائق من الصُّوفيَّة. ومن ذلك أنَّه سُئل: بِمَ عَرَفْتَ ربَّكَ؟ فقال: عرَّفني نفسه، لا تُشبهه صورة، ولا يُدرك بالحواسّ، ولا يُقاس بالنّاس، قريب في بُعْده، بعيد في قُرْبه، فوق كُلِّ شيء، ولا يُقال شيء تحته، وتحت كُلّ شيء، ولا يُقال شيء فوقه، أمام كُلّ شيء، ولا يُقال شيء أمامه، داخل في الأشياء، لا كشيء، ولا من شيء، ولا في شيء، ولا بشيء، سبحان مَنْ هو هكذا، ولا هكذا غيره.

وكان رضي الله عنه يقول: "القلوب أوعية، وخيرها أوعاها".

ومن أقواله أيضاً رضي الله عنه: "التّقوى هي ترك الإصرار على المعصية، وترك الاغترار بالطّاعة".

وكان الجنيد يقول: رضوان الله عليه لولا انشغاله بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معاني كثيرة. ذاك امرؤ أُعطي العلم اللّدني، والعلم اللّدني هو العلم الذي خصَّ به الله الخضرَ عليه السّلام.

لقد كان لعلي - ﷺ - حظٌّ تامٌّ في دقة التّعبير عن أصول الحقائق، إلى حَدٍّ أنَّ الجنيد قال عنه: شيخنا في الأصول والبلاء عليّ المرتضى ﷺ.

ويعني الجنيد أنَّ علياً ﷺ هو إمام هذه الطّريقة في العلم والمعاملة. فأهل الطّريقة يطلقون على علم الطّريقة اسم الأصول، ويُسمُّون تحمُّل البلاء فيها بالمعاملات.

سُئل الإمام علي ﷺ: ما أطهر الكسب؟ قال: غناء القلب بالله.

وعندما سأله رجل: يا أمير المؤمنين؛ أَوصني، قال له: "لا تجعلنَّ أكبر شغلكَ بأهلكَ وولدكَ، فإنْ يكن أهلكَ وولدكَ من أولياء الله فإن الله لا يضيع أولياءه، وإنْ كانوا أعداء الله فما همُّكَ وشغلكَ لأعداء الله".

وهذه المسألة تتعلَّق بانقطاع القلب عمَّا دُون الحقِّ جلَّ جلاله؛ لأنَّه يحفظ عباده كما يريد متى كان يقينهم صادقاً.

دامت ولاية أمير المؤمنين علي - ﷺ - خمسة أعوام إلاَّ ثلاثة أشهر، وانتهت بقتله في المسجد في الكوفة، على يد عبد الرّحمن بن ملجم.

إنَّ هذه النّظرة الصُّوفيَّة إلى الخلفاء الرّاشدين دفعت العديد من الصُّوفيّين إلى اعتماد كُلِّ من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم والصّحابة الذين عاصروهم؛ أمثال الحسن البصري، وسفيان الثَّوري، وأبي هريرة، وأبي موسى الأشعري، وغيرهم، من الرُّواد الأوائل الذين لم تتعلَّق قلوبهم في الدّنيا وزخرفها، وآثروا الزّهد والعبادة، واتَّسم سُلُوكهم بالورع والتّقوى، اعتمدوهم في عداد رجال التَّصوُّف، وصنفوا هؤلاء الزُّهَّاد في زمرة رجال الصُّوفيَّة.

ونعتقد أنَّ هذا المنحى الصُّوفي الذي اتَّخذه بعض الكُتَّاب عند تصنيفهم لرجال التَّصوُّف الإسلامي فيه نوع من المبالغة في استخدام كلمة (صوفي)، وفيه إسراف لا مبرِّر له في التَّوصيف.

إنَّ هؤلاء الأعلام الكرام الذين كانوا يمثّلون الفضيلة بأسمى صورها، والمثاليَّة في أرقى مدارجها، والتّقوى في أروع درجاتها، وصدق التَّوجه في أعلى مستوياته، لم يكن اهتمامهم ينصبُّ على حمل أيِّ لقب دنيوي، أو أنْ يُلصق بهم أيُّ وصف ينمُّ عن أيِّ وجه من وجوه سُلُوكهم الإيماني. لقد تخلَّص توجُّههم من كُلّ رغبة دنيويَّة، وَصَفَتْ نفوسهم من كُلِّ ميل لوصفهم بأيَّة صفة سوى صفة الصُّحبة، لقد كان يُشرِّفهم رفقة رسول الله ﷺ، ويسعدهم الاقتداء به، واتِّباع سنَّته. فهذه الشّخصيَّات الإسلاميَّة الرّائعة (الخلفاء والصّحابة) لا يُمكن أنْ نطلق عليهم لقب صوفي بالمعنى الدّقيق للكلمة. فوُفق المفهوم الذي آلت إليه الحركة الصُّوفيَّة في عهدها المُتأخِّر الذي تلا عهد الصّحابة والتّابعين، وتحديداً العصر الذي ارتدت فيه الصُّوفيَّة ثوبها الجديد في بداية القرن الثّالث الهجري؛ حيثُ ظهرت فيها الأفكار الغريبة عن رُوح الإسلام والمغايرة للنَّصِّ القرآني الصّحيح والمفهوم الذي أجمع عليه أهل السُّنَّة والجماعة، والذي بدت الصُّوفيَّة فيه تظهر بمظهر يختلف اختلافاً بيِّناً عمَّا كانت عليه في بداية نشوئها، نجد

أنَّ لقب صوفي أو إلصاق هذه التّسمية برجال يمثّلون قمّة الورع والقوى والفضيلة فيه إجحاف بحقِّ هؤلاء السّادة الكرام.

إنَّ هذا التَّوصيف ـ باعتقادنا ـ بعيد جداً عن هؤلاء الرُّواد الأفاضل. فحسب المفهوم السّائد لكلمة صوفي يتعذَّر أنْ نطلق هذه الكلمة على خليفة؛ مثل أبي بكر، أو عمر، أو عثمان، أو علي، رضي الله عنهم، أو صحابي جليل؛ مثل أبي هريرة، أو أبي موسى الأشعري، أو سفيان الثَّوري، أو حسن البصري.

صحيح أنَّ الصُّوفيِّين الأوائل حملوا إلينا الكثير من الأقوال الجميلة والتّعريفات الرّائعة عن التَّصوُّف وأُسُسه، وبيَّنوا لنا الصّفات الحميدة التي يحملها في طيَّاته، وذكروا لنا ما يشمله التَّصوُّف من أخلاق كريمة وفضائل عالية. ولو استعرضنا ما قاله أعلامهم في هذا المجال لضاق بنا الحال عن ذكر كُلّ ما قالوه من روائع الكلام:

فأبو الحسن النُّوري يقول عن التَّصوُّف: إنَّه الحُرِّيَّة، والكرم، وتَرْك التَّكلُّف، والسّخاء.

وأبو مُحمَّد الجريري يقول عن التَّصوُّف: إنَّه الدُّخُول في كُلّ خُلُق سني، والخُرُوج من كل خُلُق دني.

ويقول أيضاً: التَّصوُّف مُراقبة الأحوال، ولزوم الأدب.

أمَّا أبو نصر السَّرَّاج؛ فإنَّه يقول في التَّصوُّف: النّاس في الأدب على ثلاث طبقات:

أمَّا أهل الدّنيا؛ فأكثر آدابهم الفصاحة والبلاغة، وحفظ العُلُوم والمنظوم.

وأمَّا أهل الدِّين؛ فأكثر آدابهم في رياضة النّفوس، وتأديب الجوارح، وحفظ الحُدُود، وترك الشّهوات.

وأمَّا أهل الخُصُوصيَّة (الصُّوفيَّة)؛ فأكثر آدابهم في طهارة القلوب، ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعُهُود، التي بين العبد وربِّه، وحفظ الوقت، وقلَّة الالتفات إلى الخواطر، وحُسْن الأدب في مواقف الطّلب، وأوقات الحضور، ومقامات القرب.

وصحيح - أيضاً - أنَّ الصُّوفيِّين عملوا على تربيَّة النّفوس، وزرع الفضائل فيها، واقتلاع الرّذائل منها، وتدريبها على الصّبر والرّضا والطّاعات، وحثّها على الإقبال على الله، والإعراض عمَّنْ سواه، إلا أنَّ الفكر الصُّوفي والنّظرة الصُّوفيَّة المهزوزة لمفهوم الشّرع والطّروحات الفكريَّة التي أبرزتها الحركة الصُّوفيَّة بعد ارتدائها حلّتها الجديدة المزيّنة بالأفكار والفلسفات الهنديَّة والبوذيَّة واليونانيَّة لاقت استنكاراً ومعارضة شديدة من قِبَل شريحة كبيرة من علماء وفقهاء المسلمين؛ لما تضمَّنته هذه الصُّوفيَّة الجديدة من انحرافات وتشويهات للعقيدة ومقولات لا تقبلها الشّريعة، ويرفضها المفهوم الدِّيني السّليم. لذلك؛ فإنَّ وصف أولئك الزُّهَّاد وروَّاد التَّنسُّك والورع بالصُّوفيِّين يبقى توصيفاً غير دقيق، بل - هو في الحقيقة - إلصاق تسمية بأشخاص لا يمتُّون إلى الوصف بصلة، إلاَّ إذا اعتبرنا سُلُوكهم وعلمهم وورعهم وطاعاتهم وسعيهم للقرب من الله وابتغاء مرضاته ودأبهم على لزوم طاعته والابتعاد عن معصيته والخوف من عقابه والعمل الدّؤوب لدُخُول جنَّته صفات مستحبَّة عند الصُّوفيِّين الصّادقين المؤمنين بكتاب الله، المتَّبعين لسُنَّة نبيِّه مُحمَّد ﷺ، والرّاغبين في الاقتداء بأولئك النُّخبة الذين أعطوا للزّهد أسمى معانيه.

ولعلَّ وصف هؤلاء الرّجال الأبرار (الخلفاء والصّحابة) الذين كانت فترات تواجدهم بعيدة - نوعاً ما - عن عصر بروز الحركة الصُّوفيَّة ونشوئها في بغداد بالزُّهَّاد هو أقرب إلى الصَّواب والدِّقَّة من تسميتهم بالصُّوفيِّين، فالاسم الأوَّل "الزُّهَّاد" إضافة إلى أنَّه يُعبِّر عن دقَّة الوصف وهفافة التَّوصيف، فإنَّه يدلُّ على شرف التّعبير وكمال التّسمية، أمَّا الاسم الثّاني "الصُّوفي" في معناها الحديث الدّارج على الألسنة؛ فهو - في الحقيقة - لا يجدر إلصاقه بهؤلاء العمالقة الكرام.

الفصل الرّابع عشر:

الطُّرُق الصُّوفيَّة

يُعَرِّف الصُّوفيُّون الطّريقة بأنّها: مجموعة القواعد والرُّسُوم التي يضعها المشايخ لبلوغ المريدين الغاية من التَّصوُّف؛ وهي التَّحقُّق بالحقِّ سبحانه وتعالى. وتتعدَّد الطُّرُق الصُّوفيَّة بتعدُّد مشايخها، ولكُلِّ طريقة مذهبها، ورياضاتها، وأساليب ذكْرها، وأورادها، ومقامات السّالكين فيها، ومراتبهم، والقواعد النّاظمة بينهم وبين غيرهم من النّاس.

وحسب المفهوم الصُّوفي؛ فالطّريقة طريق يُوصل إلى الله تعالى، مثلما أنَّ الشّريعة موصلة إلى الله، غير أنَّ الطّريقة الصُّوفيَّة أخصُّ من الشّريعة؛ لأنَّها تشتمل على أحكام الشّريعة، بالإضافة إلى الأعمال القلبيَّة، والرّياضات، والعقائد المختصَّة بأعضائها. ومُنذُ القرن الرّابع؛ بدأت الفرَق الصُّوفيَّة تنتشر وتتشعَّب في مختلف أنحاء العالم، وبدأت الطُّرُق الصُّوفيَّة تأخذ أشكالاً، ومظاهر معقَّدة، ومعان مختلفة، تتَّفق مع البيئة والحياة السِّياسيَّة التي تتواجد فيها، ويرافق هذا ـ طبعاً ـ الإضافات التي يراها العاملون فيها، والتي يجب إدخالها عليها، والتي كثيراً ما أبعدتْ بعضها عن أصولها، وجذورها؛ ولكنْ؛ يبدو أنَّ كُلَّ الفرَق الصُّوفيَّة حافظت على مراعاة الأذكار التي يردِّدونها في جلساتهم، والتي يرافقها ـ دائماً ـ الموسيقى والغناء والقيام بالحركات الجسمانيَّة، التي تنسجم مع هذه الأنغام المنبعثة من المُنشدين القائمين بحلقات الذِّكْر.

والطّريقة قد تكون بدْعة حسنة إذا كانت تتماشى مع الكتاب والسُّنَّة، أمَّا إذا خالفتْهُمَا؛ فلا يُمكن أنْ تُعدَّ إلاَّ نوعاً من البدْعة السَّيِّئة، التي يتحمَّل صاحبها ومَنْ عمل بها وزْرَهَا تصديقاً لحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "مَنْ سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة فله أجرها

وأجر مَنْ عمل بها من بعده، من غير أنْ ينقص من أجورهم شيء، ومَنْ سنَّ في الإسلام سُنَّة سيِّئة، فعليه وِزْرُهَا ووِزْرُ مَنْ عمل من بعده بها، من غير أنْ ينقص من أوزارهم شيء". (رواه مسلم).

ويقول أنصار الطّريقة إنَّ الطّريقة واجبة، ويُجيب الفقهاء على هذا القول بأنَّ مَنْ أوجب ما ليس بواجب أو بما هو معلوم بالضّرورة أنَّه ليس واجباً فهو ردَّة، وأنَّ الوجوب هنا تضليل، ولا يستند إلى نصٍّ صحيح، وهو اجتهاد فيه الخطأ أكثر ما يحتويه من الصَّواب. ويذهب أصحاب بعض الطُّرُق (الشّاذليَّة اليشرطيَّة، الإباحيَّة، البكتاشيَّة..) إلى الاعتقاد بأنَّ طريقتهم أباحت لهم ترك بعض الفرائض؛ كالصّلاة، والزّكاة، والصّيام، وأباحت لهم بعض المحارم، أيْ بصُورة عامَّة مخالفة الشّريعة الغرَّاء، وعدم الالتزام بالكتاب والسُّنَّة. وهذا ـ طبعاً ـ لا يخالف الشّرع فقط، بل يُخرِج صاحبه من الإسلام.

وبما أنَّ الطُّرُق الصُّوفيَّة متعدِّدة المشارب ومتنوِّعة الاتِّجاهات، وبما أنَّ التَّطرُّق للحديث عنها يتطلَّب بحثاً خاصّاً بها، فقد اخترنا التَّحدُّث عن أبرز هذه الطُّرُق؛ سواء ما كان منها يتَّفق مع الكتاب والسُّنَّة، أو ما يخالفهما، ولكنْ؛ من المفيد ـ قبل هذا العرض ـ أنْ نبيِّن أنَّ بعض الكُتَّاب كعلي بن عثمان الهجويري في كتابه "كشف المحجوب" قد ذكر أنَّ عدد الفرَق الرّئيسة في الصُّوفيَّة لا يزيد عن 12 فرقة، وأنَّ هذه الفرَق تتَّفق ـ فيما بينها ـ في أصول الشّرع، وفروعه، والتَّوحيد، ولكنَّها تختلف في بعض الجزئيَّات: كالمعاملات، والمجاهدات، والمشاهدات، والرّياضات، وفي تفسير بعض المصطلحات؛ حيثُ يبدو هذا الاختلاف واضحاً. أمَّا هذه الفرق؛ فهي:

1 ـ المحاسبيَّة: وتُنسَب إلى عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (وأساس مذهبه يقوم على الرّضا).

2 ـ القصاريَّة: وتُنسَب إلى أبي صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصَّار (وأساس مذهبه يقوم على الملامة).

3 ـ الطّيفوريَّة : وتُنسَب إلى أبي يزيد طيفور بن عيسى البسطامي (وأساس مذهبه يقوم على السُّكْر).

4 ـ الجُنيديَّة : وتُنسَب إلى أبي قاسم الجُنيد بن مُحمَّد (وأساس مذهبه الصَّحْو).

5 ـ السّهليَّة : وتُنسَب إلى سهل بن عبد الله التّستري (وأساس مذهبه يقوم على الرّياضة والمجاهدة).

6 ـ النُّوريَّة : وتُنسَب إلى أبي الحسن أحمد بن مُحمَّد النُّوري (وأساس مذهبه يقوم على الإيثار).

7 ـ الحكيميَّة : وتُنسَب إلى أبي عبد الله بن علي الحكيم التّرمذي (وأساس مذهبه يقوم على الولاية).

8 ـ الخرَّازيَّة : وتُنسَب إلى أبي سعيد الخرَّاز (وأساس مذهبه يقوم على الفناء والبقاء).

9 ـ الخفيفيَّة : وتُنسَب إلى أبي عبد الله مُحمَّد بن خفيف (وأساس مذهبه يقوم على الغيبة والحضور).

10 ـ السَّيَّاريَّة : وتُنسَب إلى أبي العبَّاس السَّيَّاري (وأساس مذهبه يقوم على الجَمْع والتّفرقة).

11 ـ الحلوليَّة 1 : وتُنسَب إلى أبي حلمان الدّمشقي (وأساس مذهبه يقوم على الكلام في الرُّوح).

12 ـ الحلوليَّة 2 : وتُنسَب إلى فارس، الذي يدَّعي أنَّ مذهبه مصدره الحسين بن منصور، (وأساس مذهبه يقوم على أقوال المشايخ في الرُّوح). وهاتان الفرقتان الأخيرتان تُعدَّان من الفرَق المطرودة لما في أقوالهما من الضّلال والكُفْر ومخالفة للتَّوحيد والبُعْد عن جوهر الدِّين. فالرُّوح أدلَّة وُجُودها كثيرة، ولكنَّ التَّصرُّف فيها شيء أمره بيد الله ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ (الإسراء / 85). ويُجمع جمهور المشايخ من أهل السُّنَّة والجماعة

على أنَّ الرُّوح عين، لا وصف؛ لأنَّها طالما هي موصُولة بالقالب على مجرى العادة، فإنَّ الله تعالى يخلق الحياة في ذلك القالب، وحياة الآدمي صفة وهو حيّ بها، والرُّوح مُودَعة في الجسد، ويجوز أنْ تنفصل عنه، ويظلّ حيّاً بالحياة، كما في حال النَّوم، فهي تذهب، وتبقى الحياة، ولكنْ؛ لا يجوز ـ في حال ذهابها ـ أنْ يبقى العلم والعقل. وقد قال الرّسول ﷺ: "أرواح الشّهداء في حواصل طيور خضر"، وقال أيضاً: "الأرواح جُند مجنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف".

أمَّا صفاء الدِّين الكمشخانلي؛ فيذكر في كتابه "جامع الأصول" أنَّ عدد الفرَق الصُّوفيَّة الرّئيسة هو 37 فرقة؛ ويعدِّدها كالتّالي:

1 ـ النّقشبنديَّة، 2 ـ القادريَّة، 3 ـ الرّفاعيَّة، 4 ـ الأحمديَّة، 5 ـ الدّسوقيَّة، 6 ـ الأكبريَّة، 7 ـ المولويَّة، 8 ـ الكبراويَّة، 9 ـ السّرورديَّة، 10 ـ الخلوتيَّة، 11 ـ البكداشيَّة، 12 ـ السّعديَّة، 13 ـ الجشنيَّة، 14 ـ الشّعبانيَّة، 15 ـ الكلشنيَّة، 16 ـ الحمزويَّة، 17 ـ البيراميَّة، 18 ـ العشّاقيَّة، 19 ـ البكريَّة، 20 ـ العمريَّة، 21 ـ العثمانيَّة، 22 ـ العلويَّة، 23 ـ العباسيَّة، 24 ـ الزّينبيَّة، 25 ـ العيسويَّة، 26 ـ المغربيَّة، 27 ـ البحوريَّة، 28 ـ الحدّاديَّة، 29 ـ الغيبيَّة، 30 ـ الخضريَّة، 31 ـ الشّطاريَّة، 32 ـ البيوميَّة، 33 ـ الملاميَّة، 34 ـ العيدروسيَّة، 35 ـ المتبوليَّة، 36 ـ السّنبليَّة، 37 ـ الأويسيَّة.

أمَّا الدّكتور عبد المنعم الحفني صاحب كتاب "معجم الصُّوفيَّة"؛ فقد أحصى ما يزيد عن ثلاثمئة فرقة صُوفيَّة متواجدة في العالم العَرَبي، خلاف ما يُوجد من هذه الفرق في العالم الإسلامي؛ إذْ يبدو أنَّه من المتعذَّر إحصاء هذه الفرَق، وخاصَّة أنَّ كثيراً منها التي تتواجد في الولايات المُتَّحدة هي فروع لفرَق منتشرة في بعض الأقطار الإسلاميَّة لم يرد ذكْرها في لائحته، التي تتضمَّن الثّلاثمئة فرقة، والتي بيَّنَّاها بالتّفصيل في ملحق خاصٍّ منشور في آخر الكتاب. ونبيِّن فيما يلي لمحة موجزة إلى أبرز الفرَق الصُّوفيَّة المتواجدة في العالم العَرَبي:

آ ـ الطَّريقة القادريَّة:

يُعدُّ الشّيخ عبد القادر الجيلاني (471 ـ 561 هجري) الذي يرجع نسبه إلى الإمام الحسن ابن علي رضي الله عنهما، والمولود في جيلان في إيران، والذي انتقل إلى بغداد لدراسة الفقه والحديث، وتتلمذ على كبار مشايخها، وتفقَّه على مذهب ابن حنبل، ثُمَّ اعتنق التَّصوُّف وبرز فيه، هو أوَّل مَنْ نادى بتأسيس الطُّرُق الصُّوفيَّة. وتُعدُّ طريقته "الطّريقة القادريَّة" أقدم الطُّرُق الصُّوفيَّة التي برزت في الوسط الصُّوفي.

ويقول الجيلاني عن نفسه إنَّه أخذ "الخرقة" من شيخه ابن سعد المبارك، ويقول عن نفسه أيضاً:

أنا بلبل الأفراح أملأ دوحها طرباً، وفي العلياء بازٌ أشهب

ويطلق عليه الصُّوفيُّون لقب "الباز الأشهب"، ويقولون عنه: شيخ الكلّ، والعارف الربَّاني، والمعدن الصّمداني، أمَّا هو؛ فيقول في قصيدة له:

سقاني حبيبي من شراب ذوي المجد فأسكرني حقّاً، فغبتُ على وجدي
وأجلسني في قاب قوسَيْن سيِّدي على منبر التّخصيص في حضرة المجد
حضرتُ مع الأقطاب في حضرة اللّقا فغبتُ به عنهم، وشاهدتُهُ وحدي
فما شرب العشَّاق إلاَّ بقيَّتي وفضلة كاساتي بها شربوا بعدي
ولو شربوا ما شربتُ، وعاينوا من الحضرة العلياء صافي موردي
لأمسوا سُكارى قبل أنْ يقربوا المدا م، وأمسوا حبارى من مصادمة الورد

لقد امتدح الجيلاني كُلٌّ من عبد الله بن قدامة الفقيه الحنبلي المشهور صاحب رسالة "ذمّ ما عليه مُدَّعو التَّصوُّف". وأشاد بسُلُوكه ابن كثير لقيامه بالأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، وزهده، وورعه، وصلاحه. كما قال ابن تيميَّة عن طريقته بأنَّها الطّريقة الشّرعيَّة الصّحيحة.

والتَّصوُّف عند الجيلاني ليست أقوالاً تُقال، ولكنَّها طريقة فيها الجوع وقطع المألوفات والمستحسنات والخصال التي ينبغي أنْ يأخذ الصُّوفي بها نفسه، وهي نفس صفات الأنبياء عليهم السّلام، فكلّ نبي له خصلة، والصُّوفي يجمع كلّ هذه الصّفات. إنَّ تعريف الصُّوفي

الذي يؤثره الجيلاني هو من الصّفاء من أدران النّفس والهوى، وأنّه الصّدق مع الحقّ، وحُسْنُ الخُلُقِ مع الخَلْق. ويرمي تعريفه هذا إلى أنْ يُخلِّصَ التَّصوُّف من البدعيَّة، ويُلزم مريديه بالآداب الشّرعيَّة؛ سواء في سُلُوكهم مع شيوخهم، أو مع بعضهم البعض، أو في ذكْرهم، ومجالستهم، وخدمتهم لإخوانهم.

وعند الجيلاني أنَّ كلّ حقيقة لا تشهد لها الشّريعة فهي زندقة، وأنَّ المتصوِّف لا ينبغي أنْ يخترع لنفسه عبادات وصلوات لم يكتبها الله عليه، ويرأيه أنَّ الصَّواب في التَّصوُّف كطريق للعبادة أنْ يلتزم المتصوِّف الكتاب والسُّنَّة التزاماً حرفياً.

وطريقة الجيلاني طريقة سهلة الفَهْم، وتتَّفق مع رُوح الإسلام أساسها: أنَّ بلوغ مقام الفناء هو أنْ يعمل السّالك على أنْ لا تكون له إرادة مع الله ـ تعالى ـ من حيثُ هواه، فهو يريد ما يريده الله بالتزام كتابه وسنَّة نبيِّه، ومن اللاَّزم ـ دائماً ـ أنْ يكون للمؤمن ـ في سائر أحواله ـ ثلاثة أشياء: أمر يمتثله، ونهي يجتنبه، وقَدَرٌ يرضى به.

أمَّا الفضائل والخصال الجامعة التي ينصح بها الجيلاني المريدين؛ فهي سبع: 1 ـ مجاهدة النّفس عن هواها. 2 ـ التَّوكُّل على الله. 3 ـ حُسْن الخُلُق مع النّاس. 6 ـ التَّذكُّر لله. 5 ـ والصّبر على قضائه. 6 ـ والرّضا بقدره. 7 ـ والصّدق في كلّ أمره.

والطّريقة القادريَّة واسعة الانتشار في أنحاء العالم (تركيا ـ الصُّومال ـ اليمن ـ غرب السُّودان)، وهي واسعة الانتشار في مصر، ولها أربعة فروع، كلّ فرع يستمدُّ اسمه من الشّيخ الذي يُنسَب إليه الفرع العائد له. فالقادريَّة الفارضيَّة نسبة إلى الشّيخ مُحمَّد الفارضي، والقادريَّة القاسميَّة نسبة إلى الشّيخ قاسم بن حمد الكبير، والقادريَّة الشّرعيَّة نسبة إلى الشّيخ عبد المنعم القادري، الذي اقتبس أورادها من الأوراد الشّرعيَّة الواردة في الكتاب والسُّنَّة النّبويَّة. أمَّا القادريَّة النّيازيَّة؛ فتُنسَب إلى الشّيخ عبد الرّحمن نيازي.

خلَّف الجيلاني العديد من المصنَّفات؛ أشهرها: "فتوح الغيب، الفيوضات الرَّبَّانيَّة، جلاء الخاطر في الباطن والظّاهر، الغُنْيَة لطالب طريق الحقّ".

ب ـ الطّريقة الشّاذليَّة:

إنَّ تعداد الطُّرُق الصُّوفيَّة التي يبلغ عددها ما يزيد على ثلاثمئة طريقة قد يكون إحصاء غير مجد، ولا يفيد، فالتّعداد قابل للزّيادة كلّ يوم، وهذا يتوقّف على مقدرة شيخ الطّريقة في إقناع أتباعه بأنّه الشّخص الذي ينتسب إلى أحد الأئمّة، وأنّه يحمل إليهم قواعد ورُسُوم جديدة تختلف عن غيرها من رُسُوم الطُّرُق الأخرى. وقد لاحظتُ أثناء وُجُودي في الولايات المتّحدة أنَّ بعض الأشخاص الذين ينتمون إلى طريقة ما ينشقّون عن شيخهم لأسباب واهية، وغير جوهريَّة؛ ليؤسِّسوا فريقاً مستقلاً بهم، ويعملوا ما بوسعهم لجعل طريقتهم تتميَّز، ولو بفارق بسيط عمَّا هو سائد في الطّريقة الأمّ، التي ينتسبون إليها. والطّريقة ـ أصلاً ـ ما هي إلاَّ مجموعة من القواعد يضعها الشّيخ حسب ما يراه، أو ما يتراءى له ملائماً؛ ولكنْ؛ لابُدَّ في خطوته تلك أنْ يراعي وُجُود شيء من الاختلاف عن القواعد المعمول بها في الطُّرُق الأخرى. فهذا التّمايز بين الطُّرُق أمر صوفي مرغوب التّركيز عليه، والأخذ به للحفاظ على مظاهر الطّريقة، ومقاصدها، وغاياتها.

وقد تكون الشّاذليَّة نسبة إلى مُؤسِّسها "علي بن عبد الله بن عبد الجبَّار أبو الحسن المشهور بالشّاذلي (593 ـ 656 هجري) من الفرَق الصُّوفيَّة التي حظيت بانتشار واسع في العالَمَيْن الإسلامي والعرَبي، ومع أنَّ المولويَّة التي تُنْسَب إلى الشّاعر الصُّوفي الشّهير جلال الدِّين الرُّومي، والبكتاشيَّة التي تُنْسَب إلى البكتاش الوليّ قد سبقتا الشّاذليَّة في البروز، إلاَّ أنَّ الشّاذليَّة التي جاءت بعد هاتَيْن الطّريقتَيْن تُعدُّ الطّريقة الأوسع انتشاراً، والأكثر نفوذاً، والأبرز تواجداً في أنحاء مختلفة من العالم؛ ففي المغرب نجدها في: الغازيَّة، والحبيبيَّة، والكرزازيَّة، والنّاصريَّة، والشّيخيَّة، والسّهيليَّة، واليوسفيَّة، والزّروقيَّة، والزّيّانيَّة، أمَّا في مصر؛ فنجد فروعها في الطُّرُق التّالية: البكريَّة، والخواطريَّة، والوفائيَّة، والجوهريَّة، والمكّيَّة، والهاشميَّة، والسّمّانيَّة، والعفيفيَّة، والقاسميَّة، والعروسيَّة، والهندوشيَّة، والقاووجيَّة، وكذلك تمتدُّ فروعها إلى تركيا، وبلاد النُّوبة، وورومانيا، وجزر القمر، والأندلس، وجنوب شرق آسيا، وغرب أفريقيا.

يُعدُّ الشّاذلي شيخ مشايخ عصره. فقد تخرَّج من تحت عباءته العديد من مشايخ الصُّوفيَّة. وكان يدافع عن طريقته، فيقول عنها: ليس هذا الطّريق بالرّهبانيَّة، وإنَّما هو بالصّبر على الأوامر، واليقين في الهداية.

لقد كان الشّاذلي - رحمه الله - يكره أنْ يكون المريد متعطِّلاً، وأنْ يسأل النّاس، ويقول: مَنْ لا يعمل، فليس في طريقنا في شيء. ويقول أيضاً: إنْ كنتَ مقتدياً بالرّسول ﷺ بالأخذ، فكنْ مقتدياً به كيف يأخذ. ومن أقواله أيضاً لمريديه: وانتبهت فسمعت أنَّ الله اختار لك أنْ تقول: اللّهمّ وسِّع علي رزقي من دنياي، ولا تحجبني عن أخراي، واجعل مقامي عندك دائماً بين يدَيْك، وناظراً منك إليك، وأرني وجهك، ووارني عن الرّؤية وعن كلّ شيء دونك، وارفع البين فيما بيني وبينك، يا مَنْ هو الأوّل والآخر، والظّاهر والباطن، وهو بكلّ شيء عليم.

ومن أقواله: إذا كُشف لك عن حقيقة من الحقائق وعارض كشفك الكتاب والسُّنَّة، فتمسَّك في الكتاب والسُّنَّة، ودع الكَشْف، وقلْ لنفسك: إنَّ الله ضمن لي العصمة في الكتاب والسُّنَّة، ولم يضمنها لي في جانب الكَشْف، ولا في الإلهام والمشاهدة. ويقول أيضاً: لا تدع ما هو لك لما ليس لك، ولا تتمنَّ ما فضل الله به غيرك، ولتكن عبوديَّتك التّسليم والقبول لما تُؤتى، وحُسْن الظَّنّ بالله في ما تلقى، والاشتغال بما هو لك أولى.

ويصف الشّاذلي التَّصوُّف بأنَّه تدريب النّفس على العبوديَّة، وردّها لأحكام الرّبوبيَّة.

وتُعدُّ المدرسة الشّاذليَّة في التَّصوُّف - والتي من أركانها أبو العبَّاس المرسي، وابن عطاء الله السّكندري "صاحب الحكَم العطائية" - من المدارس التي لم تتأثّر بأفكار مدرسة ابن عَرَبي ونظريَّاته في وحدة الوُجُود. فقد ابتعد هؤلاء الأقطاب الثّلاث عن ابن عَرَبي، ومن نحا نحوه، وسلكوا في طريقتهم التَّصوُّف السُّنّي السّليم، البعيد عن الأفكار الفلسفيَّة، بل طلبوا من مريديهم أنْ يقتدوا بالإمام أبي حامد الغزالي وكُتُبه، التي تركّز على التَّقيُّد بكتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ. وكان الشّاذلي يقول لمريديه: إذا عرضت لكم إلى الله حاجة، فتوسَّلوا إليه بالإمام أبي حامد الغزالي، فكتاب "الإحياء" يُورِث العلم، وكتاب "قوت القلوب" للمكّي يُورِث النُّور.

ج ـ الطّريقة الرّفاعيَّة:

تُعدُّ الطّريقة الرّفاعيَّة لمؤسّسها أحمد بن السَّيّد أبي الحسن علي الرّفاعي الحسيني (512 ـ 578 هجري) المولود في واسط بالعراق هي الطّريقة الثّانية بين الطُّرُق الصُّوفيَّة من حيثُ القدم. والتَّصوُّف عند الرّفاعي احترام الشّريعة أوَّلاً وأخيراً، وكلّ طريقة صُوفيَّة تخالف الشّرع فهي زندقة، وما لم تشرق مناهجها بنور علم النّبي ﷺ وعمله فهي باطلة. فالطّريق الحقّ هو طريق النّبي ﷺ، والنُّبُوَّة باقيَّة بعد وفاة النّبي ﷺ كبقائها في حياته. وجميع الخلق مخاطبون بشريعته، ومن ردَّ أخباره الصّادقة كمَنْ رد كلام الله تعالى. وأشرف الأنبياء مُحمَّد ﷺ، وأشرف الخلق بعده آله وأصحابه، ثُمَّ التّابعون أصحاب خير القُرُون، والأولياء ذكرهم بالخير، فقد رفع الله تعالى البعض على البعض درجات. وتأييد الأولياء لا يكون بالدّعوى. والأساس في هذه الطّريقة المُحمَّديَّة إحياء السنَّة، والصُّوفي على الطّريق مادام على السُّنَّة، فمتى حاد عنها زلَّ عن الطّريق.

تفرَّع عن الرّفاعيَّة في مصر عدَّة فرَق أبرزها: البازيَّة، والمالكيَّة، والحبيبيَّة. أمَّا في سوريا؛ فقد تفرَّع عنها: الحريريَّة، والسّعديَّة، والسّياديَّة. وللرّفاعيَّة فروع ـ أيضاً ـ في كُلٍّ من العراق، وتركيا. وقد صنَّف كثير من الكتاب مثل: تقي الدِّين الطّوسي، والفاروق الواسطي، وأحمد عزَّت الفاروقي كُتُباً في الشّيخ الرّفاعي والطّريقة الرّفاعيَّة.

والرّفاعي من شدَّة أدبه الصُّوفي ينفي عن نفسه أنَّه شيخ أحد. ويقول: لستُ بشيخ، ولست بمُقَدَّم عليكم، ولستُ بواعظ، ولستُ بمعلّم، وحُشِرتُ مع فرعون وهامان إنْ خطر لي أنّي شيخ على أحد من خلق الله.

انتقد الرّفاعي الحلاَّج لقوله أنا الحقّ، فقال: قد أخطأ الحلاَّج بوَهْمه، لو كان على الحقّ ما قال أنا الحقّ. كما انتقده في قوله في وحدة الوُجُود فقال: كلّ ذلك ومثله باطل، وما أراه رجلاً واصلاً أبداً، وما أراه شرب، أو حضر، وما أراه سمع إلاَّ رنَّة أو طنيناً، فأخذه الوَهْم من حال إلى حال، ومَنْ ازداد قرباً، ولم يزدد خوفاً فهو ممكور. فإيَّاكم والقول بهذه الأقاويل، إنْ هي إلاَّ أباطيل، فقد درج السّلف على التزام الحُدُود بلا تجاوز، والمتجاوز هو الجاهل، فلا

تُخجلوني غداً بين يدَيْ العزيز سبحانه وتعالى، وقد سبقكم أصحاب الأعمال المرضيات، وعليكم بالأدب، فأقرب النّاس إلى الزّندقة المتصوِّفة المشغولون عن العبادات بالخوض في الكلام عن الذّات والصّفات.

لم يُخلِّف الرّفاعي كُتُباً، إلاّ أنَّ مريديه جمعوا ما قال في ثلاثة أسفار هي: "جمع أسرار الشّريعة والحقيقة والطّريقة المشهور باسم البرهان"، "النّظام الخاصّ لأهل الاختصاص"، و "رحيق الكوثر".

ويروي عنه مريدوه أنّه عندما حجَّ عام 555 هجري، زار الرَّوضة الشّريفة، ووقف أمام قبر الرّسولِ ﷺ، وقال هذَيْن البيتَيْن:

في حالة البُعْد رُوحي كنتُ أُرسلها تُقَبِّل الأرض عنِّي، وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامددْ يمينكَ كي تحظى بها شفتي

ويقول أتباعه: إنَّ النّبي ﷺ مدَّ يده من القبر، فقبّلها الرّفاعي. ويذكرون من كراماته أنّه إذا ألقى الدّرس سمعه الأصمّ والسّميع القريب والبعيد، وإنَّ الله أزال عن أتباعه فاعليَّة السّموم، وأبرد لهم النّار، وأذلَّ لهم السّباع والأفاعي، وأَطْلَعَهُم على عجائب الأسرار!! ونسبوا إليه قوله:

- قال لي حبيبي: أنت وجه لا يخزيه الله - تعالى - في أتباعه أبداً.

- أقامنا الله أئمّة الدّعوة بالنّيابة عن نبيِّه ﷺ، مَنْ اقتدى بنا سَلِم، ومَنْ أناب إلى الله بنا غَنِم.

- الحقُّ يُقال نحنُ أهل بيت ما أراد سلبنا سالب إلاَّ سُلِبْ، ولا نبح علينا كلب إلاَّ جُرِبْ، ولا هَمَّ على ضربنا ضارب إلاَّ ضُرِب، ولا تعالى علينا حائط إلاَّ خرِب.

- إذا صلح القلب صار مهبط الوحي والأسرار والأنوار والملائكة.

- إذا صلح القلب أخبرك بما وراءك وأمامك، ونبَّهك على أمور لم تكن تعلمها.

ـ إذا العبد تمكَّن من الأحوال بلغ محلَّ القُرْب من الله تعالى، وصارت همَّته خارقة للسّبع السّماوات، وصارت الأرض كالخلخال برجله، وصارت صفته من صفات الحقّ جلَّ وعلا لا يُعجِزهُ شيء، وصار الحقُّ ـ تعالى ـ يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه.

ويشرح الرّفاعي طريقته فيقول: طريقتنا دين بلا بدعة، وهمَّة بلا كسل، وقلب عامر بالمحبَّة. وقاعدتنا في سُلُوك الطّريقة الرّفاعيَّة: الأدب وصحَّة الصُّحبة. وأورادنا هي: الصّلاة على النّبي ﷺ بالعدد الذي يناسب استعداد المريد.

والرّفاعيَّة كما يسمُّونها ـ أيضاً ـ البطائحيَّة نسبة إلى خال الرّفاعي الشّيخ منصور الرَّبّاني البطائحي، الذي كفل الرّفاعي بعد أنْ توفّي أبوه وهو طفل، هي طريقة تتمسَّك بالشّريعة والسُّنَّة، وفيها من القواعد والسُّلُوك ما يماثل الموجود في بقيَّة الطُّرُق الصُّوفيَّة، ولكنْ؛ إمعاناً في الرّغبة في التّمييز بين هذه الفرَق نجد في الرّفاعيَّة مثلاً ظاهرة "الخلوة"، وهي عبارة عن اختلاء كلّ رفاعي بنفسه لمدَّة سبعة أيَّام، تبدأ من اليوم الثّاني من عاشوراء؛ أيْ الحادي عشر من محرَّم، إلى مساء السّابع عشر منه. وعلى المُختلي أنْ لا يشاركه في فراشه زوجته ولا غيرها، ويكون على وضوئه باستمرار، ويخلو طعامه من كلّ ذي رُوح، ويكون ذكْرُه وفق ترتيب خاصٍّ بكلمات تسبيح كلّ يوم من الأيّام السّبعة. ووردهم العامّ ليلتَيْ الجمعة والاثنَيْن، والخاصّ كلّ يوم بعد العشاء.

وعندما ناظر ابن تيميَّة الرّفاعيَّة انتقد شعوذتهم في دُخُول النّار، وابتلاع السّيف والسّيطرة على الأفاعي، وقال: إنَّ هذه الأعمال تتمُّ عن طريق التّمويه على النّاس باستخدام حيل كيماويَّة بطلاء أجسامهم بأدوية يصنعونها لحجب النّار عنها. أمَّا تكليمهم الموتى؛ فإنَّ ابن تيميَّة يرفض هذا الزّعم، ويقول: إنَّهم كانوا يرسلون رجالاً يضعونهم في اللّحد ليوهموا النّاس بأنَّ الموتى تتكلَّم معهم. وقد أيَّد الواسطي في كتابه "ترياق المحبِّين" ما ذهب إليه ابن تيميَّة عندما ذكر أنَّ أصحاب الرّفاعي كانوا يقومون بتلك الأعمال، ويمرُّون في مواكب أمامه في أرض البطائح، وكان النّاس يُنكرون هذه الفعال عليه.

لقد كان ابن تيميَّة يرى في الرّفاعيَّة إضعافاً للوازع الدِّيني المتَّصل بالفقه الإسلامي مُباشرة، وإنَّها حركة تهدف إلى تخدير النّاس، وتغييبهم عن الوعي. ولَمَّا ناقش ابن تيميَّة

صالح بن عبد الله البطائحي في الرّفاعيَّة، وأفحمه، قال صالح قولته المشهورة: "نحنُ ما ينفع حالنا إلاَّ عند التَّتر، أمَّا عند الشّرع؛ فلا"، وذلك أنَّ الرّفاعيَّة رحَّبوا بالتّتار في بلاد الإسلام، واعتزَّ بهم التّتار، وتوطَّدت الصُّحبة معهم.

د ـ الطّريقة النّقشبنديَّة:

تُنسَب الطّريقة النّقشبنديَّة إلى مؤسّسها الشّيخ مُحمَّد بهاء الدِّين أُويس البخاري، المعروف بـ"شاه نقشبند"، المولود عام 717 هجري في قرية قصر العارفان، قرب بخارى. درس الشّيخ مُحمَّد بهاء العُلُوم الدِّينيَّة، وصحب العديد من الشّيوخ في بلده. وتُركِّز النّقشبنديَّة على مبدأ الذِّكْر في السِّرِّ في الانفراد كما في الجَمْع، لما في ذلك من اعتقادها لما من هذا الذِّكْر السِّرِّي (في القلب) من تأثير على قلوب المريدين.

أسَّس الشّيخ مُحمَّد بهاء الدِّين النّقشبندي مدرسة دينيَّة في مسقط رأسه تُعدُّ من أكبر مدارس تعليم الدِّين الإسلامي في آسيا الوسطى.

وتُعدُّ النّقشبنديَّة من الطُّرُق الأكثر شيوعاً في بلدان وسط آسيا؛ وخاصَّة البلدان الإسلاميَّة التي كانت خاضعة أو ضمن ما كان يُسمَّى بالاتِّحاد السُّوفييتي؛ مثل تركستان، والقوقاز، وطاجاكستان.

وللنّقشبنديَّة انتشار واسع في أفغانستان والهند والعراق وإيران وسوريا. أمَّا في سوريا؛ فقد تم انتشارها على يد الشّيخ العارف بالله ضياء الدِّين خالد بن أحمد الكردي، المولود في قرية قرهداغ، بالقرب من السّليمانيَّة في شمال العراق عام 1190 هجري، والذي حمل النّقشبنديَّة إلى سوريا أيَّام حكم الوالي العثماني للعراق داود باشا، فقد استوطن دمشق عام 1228 هجري، وبنى فيها مسجداً، وأصلح الكثير من مساجدها المندرسة، ومات فيها مصاباً بالطّاعون عام 1242 هجري.

اعتنق النّقشبنديَّة الكثير من مشايخ دمشق، وتخرج في مدرستها ما يزيد عن سبعمئة شيخ ممَّنْ يحمل طريقتها.

ويُعرِّف النّقشبندي طريقته بأنَّها: دوام العبوديَّة لله ـ تعالى ـ ظاهراً وباطناً، كمال الالتزام بالسُّنَّة، واجتناب البدعة، والرّخصة في جميع الحركات والسّكنات، سواء في العبادات، أو العادات، أو المعاملات، مع دوام الحضور مع الله، وبالله تعالى.

أمَّا أصول الطّريقة؛ فهي: كمال اتِّباع النّبي ـ ﷺ ـ وكامل محبَّة الشّيخ. أمَّا شروطها التي لابُدَّ للمريد أنْ يتحلَّى بها؛ فهي أحد عشر شرطاً، أهمّها: أنْ لا يعترض في قلبه على أفعال الشّيخ، وأنْ يُظهر خواطره بخيرها وشرِّها لشيخه، وأنْ يَصْدُقَ في طلبه، فلا تغيِّره المحن، وأنْ يكون منقاداً مستسلماً لأمر شيخه، وأنْ لا يُظهر حاجة لأحد سوى الشّيخ، وأنْ لا يغضب على أحد؛ لأنَّ الغضب يُذهِب نور الذّكْر.

وفي النّقشبنديَّة خمسة عشر أدباً يتعيَّن على المريد أنْ يلتزم بها. أمَّا طُرُق الوُصُول في النّقشبنديَّة؛ فهي أربعة: الصّحبة الحقَّة للشّيخ، الارتباط الكامل بالشّيخ، الالتزام بأوامر الشّيخ، الذّكْر لله دوماً، وهذا البند الرّابع فصَّلته الطّريقة للمريدين تفصيلاً دقيقاً، يبدأ مُنذُ النّطق بالكلمة الأولى للذّكْر، وحتَّى التّفوُّه بكلمة الختام فيه.

ومن وصايا النّقشبندي لمريديه: أوصيكم وآمركم بشدَّة التّمسُّك بالسُّنَّة السّنِّيَّة، والإعراض عن الرُّسُوم والبدَع الجاهليَّة، وعدم الاغترار بشطحات الصُّوفيَّة، وترك صحبة العوامّ والباشوات والأمراء والوزراء، ولا تُدخل الطّريقة أحداً منهم ومن أعوانهم، ولا من التُّجَّار الجشعين، ولا العلماء وطَلَبَة العلم المشتغلين الانتهازيِّين، ولا من البطَّالين الذين يستندون إلى الطّريقة بسبب البطالة (وهذا خلاف ما هو واقع الآن)، وأوصيكم بتقوى الله، وإكرام حَمَلَة العلم وحفظة القرآن، والاشتغال بالقراءة وبعلم الفقه.

أدخلت النّقشبنديَّة نفسها في الصّراع السِّياسي ضدَّ الحكم العثماني في أواخر أيَّامه، وساعدت كمال أتاتورك في صراعه ضدَّ الخلافة العثمانيَّة، إلاَّ أنَّ أتاتورك انقلب عليها، وعلى جميع الطُّرُق الصُّوفيَّة في تركيا، وحظَر نشاطاتها، واتُّهم أتاتورك بالمرتدِّ، وقامت أوَّل انتفاضة نقشبنديَّة ضدَّه على يد الشّيخ سعيد الكردي، ثُمَّ تبعها انتفاضة ثانية وثالثة، ولكن دُون أنْ تحظى هذه الانتفاضات بأيِّ نجاح.

وبقيت النّقشبنديَّة تلعب دوراً بارزاً في الحياة السِّياسيَّة حتَّى يومنا هذا، ومن نشطائها في الولايات المُتَّحدة فئة تنتمي إلى جماعة قبرص، والتي يرأسها الشّيخ ناظم قبرصي، وهو مريد للشّيخ عبد الله الدّاغستاني، الذي ألَّف كتاباً يسمى "الوصيَّة"، أعطى فيه الولي درجة تفوق درجة الأنبياء.

هـ ـ الطّريقة الأحمديَّة:

تُنسَب هذه الطّريقة إلى الشّيخ أحمد بن الشّيخ سيِّد علي البدوي، والذي يرجع نسبه إلى الإمام جعفر الصّادق. وُلد الشّيخ أحمد البدوي في مدينة فاس في المغرب العَرَبي عام 596 هجري. ورحل به أبوه إلى مكَّة لأداء فريضة الحجِّ، وله من العمر سبع سنوات. وفي مكَّة توفِّي أبوه هناك، فبقي الابن وأخوته في مكَّة. فدرس أحمد القرآن، وحفظه، وتفقَّه على مذهب الإمام الشّافعي، وفي عام 633 هجري؛ رحل إلى العراق، ومنها إلى مصر، واستقرَّ في مدينة طنطا، ولازم فيها دعوته من على سطح المنزل الذي استقرَّ به، حتَّى سُمِّي هذا المنزل بـ "جامعة السّطح". اشتهر أحمد البدوي بورعه وزهده، وتخرَّج على يدَيْه الكثير من المشايخ، واشتهر أصحابه بلقب "السّطوحيَّة"، كما اشتهرت طريقته الصُّوفيَّة باسم الأحمديَّة والبدويَّة.

تشعَّبت عن الأحمديَّة ما يقارب العشرين فرقة؛ منها: "الشّناويَّة، والمرازقة، والكناسيَّة، والأمبابيَّة، والحموديَّة، والزّاهديَّة، والشّعيبيَّة، والسّطوحيَّة، والبنداريَّة، والبيوميَّة..". وتحظى الأحمديَّة والفروع المتشعِّبة عنها بانتشار واسع في مصر. وأمَّا الموالد التي تقام عند ضريح الإمام البدوي في طنطا، والتي تجري في مناسبة ذكرى مولده؛ فإنَّها تُعدُّ مناسبة دينيَّة هامَّة يحضرها العديد من النّاس من مختلف أنحاء مصر للاشتراك بها، والتَّبرُّك بالشّيخ البدوي، الذي اشتهر بأسماء عديدة منها: البدوي، وأبو الفتيان، وجيَّاب الأسير. توفِّي الشّيخ أحمد البدوي عام 675 هجري، ودُفن في مدينة طنطا.

و ـ الطّريقة التّجانيَّة:

مُؤسِّس الطّريقة التّجانيَّة أو التّيجانيَّة كما يكتبها البعض هو أبو العبَّاس أحمد بن مُحمَّد ابن المختار بن سالم التّجاني (1150 ـ 1230 هجري) المولود في "بلدة" الواقعة في منطقة البربر

في المغرب، والتي تسمَّى "بني توجين". انتقل التّجاني إلى فاس، وزاول نشاطه فيها، وبنى فيها لمريديه زاوية خاصَّة بهم.

ارتبط تاريخ هذه الفرقة بحوادث سياسيَّة مؤسفة، فقد رفض التّجاني دعوة الأمير عبد القادر الانضمام إليه في مقاومة الاحتلال الفرنسي، بدعوى عدم الاشتغال بالسِّياسة، وأنَّهم قوم منصرفون لعبادة الله فقط، ولا دخل لهم بما يجري من حوادث، وظلَّ هذا الموقف السّلبي من الاحتلال لدى هذه الفرقة حتَّى وفاة مُؤسِّسها. وكسب التّجاني عطف وتأييد الفرنسيِّيْن، وذاع صيته في المغرب، والتفَّ حوله العديد من الأنصار، ويُشاع أنَّه ساعد الفرنسيِّيْن على مقاومة قوَّات الأمير عبد القادر.

انتشرت الطّريقة التجانيَّة في أكثر الدّول الأفريقيَّة النّاطقة باللّغة الفرنسيَّة، وحلَّت محلَّ القادريَّة، التي كانت قد سبقتها في الانتشار.

يؤمن التّجاني بعقيدة الصُّوفيِّيْن الذين يدعون إلى وحدة الوُجُود، ويدعو لها. ويذكر أحد أبرز تلاميذه المدعو علي حرازم الذي ألَّف كتاباً عن أستاذه بيَّن فيه كراماته وطريقته وأذكاره، وذكر فيه أنَّ الذِّكْر الذي يقيمه أستاذه هو ذكْر أعطاه الرّسول ـ ﷺ ـ للشّيخ التّجاني، ويسمَّى هذا الذِّكْر باسم "صلاة الفاتح". ويقول إنَّ هذا الذِّكْر هو أفضل من أيِّ ذكر قُرئ في الأرض، بما في ذلك القرآن الكريم!! وفي هذا الكتاب الذي عنوانه "جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيِّدي أبي العبَّاس التّجاني" يذكر مؤلِّفه أنَّ التّجانيَّة تؤمن بأنَّ كلَّ الأديان حقّ، وأنَّ أتباع التّجانيَّة يدخلون الجنَّة مهما عصوا وارتكبوا من آثام؛ لأنَّ الرّسول ـ ﷺ ـ ضمن له ولأتباعه الجنَّة، وأنَّ هذه الضّمانة تمَّت باليقظة، وليس بالحلم!!ويجمع هذا الكتاب مذهب هذه الطّريقة ورياضاتها، وهي لا تختلف كثيراً عن شعائر الطّريقة الخلوتيَّة.

وكما هي العادة في الطُّرُق الصُّوفيَّة؛ فإنَّ شيخ الطّريقة يحتلُّ مكانة قدسيَّة عالية بين صفوف مريديه، وهو الباب الوحيد الذي يُؤدِّي إلى قضاء حوائج الدّنيا والآخرة. ويدَّعي التّجاني أنَّه خاتم الأولياء، وأنَّه هو الذي يمدُّ جميع الأولياء بالعُلُوم والمعارف مُنذُ أنْ خلق الله العالم، وإلى يوم القيامة!! ومن أقواله عن نفسه: إنَّ الفيوض التي تفيض من ذات سيِّد

الوُجُود ﷺ تتلقَّاها ذوات الأنبياء، وكلّ ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقَّاه ذاتي، ومنّي يتفرَّق على جميع الخلائق مُنذُ نشأة العالم إلى النّفخ في الصُّور". "لا يتلقَّى وليّ فيضاناً من الله - تعالى - إلاَّ بواسطتي". وينعت التيجاني نفسه بأنَّه يُغني، ويُقني، ويعلم الغيب!!

إنَّ هذه الأقوال والتَّحلّي بصفات الله عزَّ وجلَّ، والادّعاء بامتلاك قدراته هي إنْ دلَّت على شيء، فإنَّها تدلّ على أنَّ قائلها غير جدير بحمل اسم المسلم، فقولها لابُدَّ أنْ يُخرج صاحبها من دائرة الإسلام؛ لأنَّ صفات الألوهيَّة والرَّبَّانيَّة لا يُوصَف بها بشر.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ (النّجم / 48). ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ (الجنّ / 26).

ابتدعت التّجانيَّة صلاة خاصَّة سمّوها "جوهرة الكمال"، واشترطوا لقراءتها أنْ يكون قارئها متطهِّراً بالماء فقط؛ بمعنى أنَّه في حال عدم توفُّر الماء لا تجوز الصّلاة. انتشرت التّجانيَّة في شمال أفريقيا وغربها ووسطها، وتبعها، وانطوى تحت لوائها الملايين من النّاس.

التّجانيَّة بين التّأييد والإنكار:

بعد أنْ فرغتُ من كتابة مادَّة "التّجانيَّة" التي كانت مصادر مادَّتها تزيد عن عدَّة كُتُب؛ أهمّها: "الموسوعة الصُّوفيَّة" للدّكتور عبد المنعم الحفني، و"مشتهى الخارف الجاني في زلقات التّجاني الجاني" للشّيخ مُحمَّد الخضر بن عبد الله بن مايابي الشّنقيطي، و"الفكر الصُّوفي في ضوء الكتاب والسُّنَّة "لعبد الرّحمن بن عبد الخالق، فاجأني صديقي مدير مكتبة جرين Green في جامعة ستانفورد بأنَّ لديه مادَّة عن الصُّوفيَّة قد يكون من المفيد الاطّلاع عليها لعلاقتها بالبحث الذي أنا بصدد إعداده، ولقد فُوجئتُ بأنَّ المادَّة المعنيَّة الموجودة لديه والتي لم تُصنَّف بعدُ، وتُدرَج ضمن مقتنيات المكتبة، هي كتاب عن التّجانيَّة مؤلّف من ثلاث مجلّدات ضخمة تحوي على 1742 صفحة من الحجم الكبير تحمل العنوان التّالي: "الطّريقة التّجانيَّة في المغرب والسُّودان الغربي"، تأليف الدّكتور أحمد الأزمي، أستاذ التّاريخ والعُلُوم الإنسانيَّة في جامعة سيِّدي مُحمَّد بن عبد الله بفاس، وأنَّ الكتاب طُبع من قِبَل وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميَّة في المملكة المغربيَّة، وذلك بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الملك مُحمَّد السّادس. وكان

لابُدَّ لي من قراءة ذلك الكتاب الذي قدَّم له وزير الأوقاف والشّؤون الإسلاميَّة في المملكة المغربيَّة الدّكتور عبد الكريم المدغري، فعنوان الكتاب واسم المقدِّم له والجهة النّاشرة له يفيد بأنَّ الطّريقة التّجانيَّة خلافاً لما تمَّ وروده في مادَّتها التي أشرتُ إلى مصادرها أعلاه هي طريقة مقبولة، وتحظى بانتشار واسع في الشّمال الأفريقي؛ وخاصَّة في المملكة المغربيَّة، وتتمتَّع بنفوذ كبير في تلك البلاد. وقد أشاد الدّكتور المدغري وزير الأوقاف في مقدِّمته التي كتبها للمؤلِّف بالطّريقة التّجانيَّة ومؤسِّسها أبي العبَّاس أحمد التّجاني، وبيَّن أنَّ الدّولة كانت ترعى ـ باستمرار ـ التّجانيَّة مُنذُ أنْ استقرَّ مؤسِّسها بفاس، وأنَّ هذه الطّريقة تنسجم مع السُّنَّة المُحمَّديَّة، وتسعى إلى إعلاء كلمة الإسلام، والدّفاع عنه ضدَّ أعدائه الطّامعين في الأراضي المغربيَّة. وفي ختام التّقديم يشيد الوزير بعمل مؤلِّف الكتاب، ويشكر جلالة الملك، الذي أمر بطباعته، ونشره، واعتقد أنَّ من المفيد للقارئ أنْ يطلِّع على محتويات هذا الكتاب بأجزائه الثّلاث؛ كي تتكوَّن لديه صُورة واضحة عن التّجانيَّة، ما لها، وما عليها، ويحكم بنفسه على صواب، أو عدم صواب، أفكارها.

أمَّا محتويات الكتاب؛ فيُمكن تلخيصها في النّقاط التّالية:

1 ـ شرح الطّريقة التّجانيَّة والتّعريف بمؤسِّسها أحمد التّجاني المولود في (عين ماضي عام 1150 هجري)، والتي درس فيها القرآن والعُلُوم الشّرعيَّة على يد علمائها، حتَّى عُرِف بين أهلها بـ" محيي الدِّين، ومجدِّد ما اندرس من إيمان المسلمين". وبعد ذلك؛ انتقل إلى فاس عام 1171 هجري؛ ليمارس حضور مجالس العلم، وملازمة رجال الدِّين، أصحاب الطُّرُق الصُّوفيَّة فيها. ويعدِّد المؤلِّف المحطَّات التي توقَّف فيها الشّيخ التّجاني، وتفرَّغ فيها للعبادة، ويبيِّن كيف تعرَّف إلى أقرب المريدين إليه (علي حرازم برادة)، الذي حمل مع الشّيخ مُحمَّد ابن المشري لواء التّجانيَّة بعد وفاة مؤسِّسها.

2 ـ وينتقل المؤلِّف إلى بيان كيف أذن الرّسول ـ ﷺ ـ للتّجاني بطريقته، وقوله له إنَّه هو مربِّيه وكافله، وإنَّ كلَّ شيء لن يصله إلاَّ بواسطته، وإنَّه لا منَّةَ لأحد من شيوخ الطُّرُق عليه: "فأنا واسطتكَ، وممدُّك، فاتركْ عنكَ جميع ما أخذتَ من جميع الطُّرُق، والزمْ هذه الطّريقة من

غير خلوة ولا اعتزال عن النّاس، حتّى تصل مقاماً كالذي وُعِدتَ به من غير ضيق، ولا حرج، ولا كثرة مجاهدة، واتركْ عنكَ جميع الأولياء".

3 ـ ويذكر المؤلّف الانتقادات التي وُجِّهَتْ إلى التّجانيَّة من قِبَل الفقهاء والعلماء في المغرب، وأبرزها استنكار هؤلاء رؤية التّجاني الرّسول في اليقظة، وأخذ طريقة ورْده منه مُباشرة، ويبيِّن أنَّ فقيهَيْن من فقهاء الطّريقة التّجانيَّة هما مُحمَّد العَرَبي بن السّايح في كتابه "بغية المستفيد لشرح مُنية المريد" من المغرب، وعمر الفوتي من السُّودان الغربي في كتابه "رماح حزب الرّحيم على نحور حزب الرّجيم"، دافعاً فيهما عن الطّريقة التّجانية، وصاحبها، وعن الإفادة التي قالها التّجاني، وهي: "طريقنا طريق محض الفضل، أعطاها لي الرّسول ـ ﷺ ـ منه إليّ من غير واسطة يقظة لا مناماً"، وبيَّن كلّ منهما في دفاعه شَرْعيَّة الطّريقة، وصحَّة رؤية النّبي ـ ﷺ ـ في اليقظة، ويدعمان دفاعهما بإيراد بعض الأحاديث النّبويَّة؛ مثل الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ والذي جاء فيه: "قال رسول الله ﷺ: مَنْ رآني في المنام، فسيراني في اليقظة، ولا يتمثّل الشّيطان بي". كما أورد الشّيخ عمر الفوتي عدَّة أقوال لبعض كبار المشايخ التي تؤيِّد ما ذهب إليه في إمكانيَّة رؤية النّبي ـ ﷺ ـ في اليقظة.

4 ـ ينتقل المؤلّف إلى عرض أقوال مؤرِّخ الدّولة المغربيَّة أبو القاسم الزّيَّاني، الذي يُعدُّ من أشدِّ أعداء التّجانيَّة؛ إذْ يعدُّهم من أهل البدعة، وأنّهم صاحبوا سُكَّان المنطقة المجاورة لـ (عين ماضي)، المشهور عنهم سوء الأخلاق، وأنَّ التّجانيَّة هم سبب تخلُّف المغرب، وكانوا على عداء شديد مع الأمير عبد القادر، الذي فرض عليهم حصاراً بـ (عين ماضي)، استمرَّ مدَّة طويلة؛ بسبب مواقفهم وخذلانهم حركته المقاومة للاستعمار الفرنسي.

ويذهب الزّيَّاني في عدائه للتّجانيَّة بأنْ يصف هذه الطّريقة بأنّها قريبة من المذهب الوهَّابي؛ إذْ إنَّها تُحرِّم على مريديها زيارة الأضرحة، كما تدعو إلى التَّخلّي عن إقامة الحفلات والمواسم، وما يرافق ذلك من تقديم للأضحيَّات، الأمر الذي ـ غالباً ـ ما يساهم في إماتة السنَّة، وإحياء البدعة، فالتّجانيَّة ـ بالنّسبة للزّيَّاني ـ فرقة ضالَّة.

5 ـ آمن بالتّجانيّة عدد كبير من الفقهاء المغاربة. وعرض المؤلّف أسماء عدد كبير منهم، وعدّ أنّ الشّيخ علي حرازم برادة والشّيخ مُحمَّد بن المشري من أبرز هؤلاء، ثُمّ انتقل إلى طرح مقولة الشّيخ التّجاني، التي فيها يقول: إذا سمعتُم عنّي شيئاً، فزنوه بميزان الشّرع، فإنْ وافق، فاعملوا به، وإنْ خالف، فاتركوه، إلاّ أنّ هذه المقولة لم تمنع من بروز عدد كبير من المنتقدين للتّجانيّة والمعترضين عليها؛ وخاصّة بعد وفاة مُؤسّسها الشّيخ علي التّجاني. فمن هذه الاعتراضات مَنْ رأى في تعاليمها انحرافاً عن السُّنّة، ومنها مَنْ كفّر شيخها، ومنها مَنْ رأى فيه دجّالاً محتالاً دخيلاً على التّصوّف؛ لأنّه ليس شيخا حقيقيّاً، باعتبار أنّ مَنْ لا شيخ له لا يُعدّ شيخاً. وظهر في السُّودان الغربي الشّيخ أحمد البكاي الصُّوفي، الذي ينتمي إلى بيت من أكبر بيوتات السُّودان الغربي في تاريخها الفكري والاجتماعي، وهو شيخ الطّريقة الكنتيّة (القادريّة). فقد هاجم الشّيخ البكاي التّجانيّة ومَنْ التزم بها كالشّيخ الفقيه أحمد اكنسوس، الذي ردّ على الشّيخ البكاي بقوله إنّ الشّيخ التّجاني هو شيخ كامل، وهو خاتم الأولياء بجدارة. وقد يكون أكبر مشهر بالتّجانيّة هو الشّيخ مُحمَّد أدييجة بن عبد الله بن حبيب الله الكمليلي، الذي كان ـ في زمانه ـ يُعدُّ من مشاهير علماء شنقيط وشعرائها. ومن شعره الذي ينقد فيه التّجانيّة اخترنا الأبيات التّالية:

وفضّلوا شيخهم على الخُضر ... وكونه شيخاً لموسى لم يضر
والخلف في الخُضر هل نبي ... أم مرسل أم صالح وليّ
وهو على كلٍّ يكون أفضلاً ... ممَّنْ عليه أقبلوا مفضّلاً

وفي نقد أدييجة للتّيجانيّة يُخرج هذه الطّريقة من الإسلام بسبب ما رآه فيها من خُرُوج عن السُّنّة، واعتماد البدع، ومكانة الوليّ، وجواز رؤية النّبي في اليقظة، والأخذ منه لصلاة مُعيَّنة، وإنكار الإيمان بالبعث، ومساواة الورد بالرّضاع، وما ينتج عن ذلك من إقرار الأخوّة، وثبوتها بين الفقراء والمريدين. وأخيراً؛ القول بأنّ صلاة الفاتح لما أُغلق تعدل ستّة آلاف ختمة من القرآن. كما ينقد أدييجة التّجانيّين في ادّعائهم بحضور رُوح النّبي ﷺ، وأرواح الخلفاء الرّاشدين عندما تكون جموع التّجانيّين بصدد قراءة "جوهرة الكمال" سبعاً.

6 ـ يستعرض المؤلِّف ما كتبه أحد فقهاء التّجانيَّة الشّيخ مُحمَّد بن أمبوجه ردّاً على الشّيخ أدييجة في كتابه المسمَّى " الجيش الكفيل بأخذ الثّأر ممَّنْ سلَّ على الشّيخ التّجاني سيف الإنكار"، دافع فيه عن الأفكار التّجانيَّة. وعرض المؤلِّف أسماء الكُتَّاب التّجانيِّين الذين كتبوا عن الطّريقة، وأسماء مؤلَّفاتهم، وبيَّن محتويات الصّلاة المسمَّاة " جوهرة الكمال "، الذي يدَّعي التّجاني أنَّه تلقَّاها من سيِّد الوُجُود مُحمَّد ﷺ.

وأخيراً؛ بيَّن المؤلِّف الانتقادات التي وُجِّهَتْ إلى التّجانيَّة في النّصف الأوَّل من القرن العشرين، والتي انصبَّتْ كلّها على تكفير التّجاني، وتكذيب ما ادَّعاه من مشافهة الرّسول ﷺ باليقظة، لا بالمنام، وأخذه أذكار وأوراد طريقته منه ـ ﷺ ـ مُباشرة، وادّعائه بدُخُول أصحابه الجنَّة تبعاً لذلك بدُون حساب، كما كفَّروه ـ أيضاً ـ بسبب ما نُسبَ إليه من قول بأفضليَّة صلاة الفاتح على القرآن، ونسبته الكتمان للرّسول ﷺ، وتصدُّره لكلّ الشّيوخ قبل زمانه، وبعده، كلّ ذلك بفضل القطبيَّة والختميَّة، التي رأى فيها خصوم الطّريقة خُرُوجاً عن الدِّين الإسلامي والسُّنَّة النّبويَّة الشّريفة.

ويُعدُّ أشهر هؤلاء المنتقدين في هذه الفترة هو الشّيخ مُحمَّد الخضر بن عبد الله بن ميابي الجكني الشّنقيطي مفتي المالكيَّة في المدينة المُنوَّرة، والذي حظي كتابه "مشتهى الخارف الجاني في ردّ زلقات التّجاني الجاني " بتأييد واسع من شيوخ وفقهاء مصر، والسُّعُوديَّة، والإمارات العَرَبيَّة المُتَّحدة، وسوريَّة، والأردن، والذي بيَّن فيه ـ بتفصيل دقيق وأدلَّة قاطعة من القرآن والحديث ـ عدم إمكانيَّة أنْ يكتم الرّسول ـ ﷺ ـ أيَّة رسالة تبلَّغها عن ربّه، وأنْ لا يُطلع عليها أحداً من أصحابه، أو يبيِّن منافعها لأيِّ قريب منه، ويخصّ بها ـ فقط ـ التّجاني، الذي يدَّعي أنَّ النّبي ـ ﷺ ـ أعطاه ـ ووحده ـ الورْد الذي أطلق عليه اسم " صلاة الفاتح لما أُغلق ". كما بيَّن المؤلِّف استحالة رؤية الرّسول ـ ﷺ ـ باليقظة، لا بالمنام، وذكر أنَّ ادّعاء التّجاني بتحقيق هذه الرّؤية هو نوع من التّخيُّل أكثر منه حقيقة، وذكر الشّنقيطي أنَّ الصّحابيَّيْن الجليلَيْن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا يختلفان في بعض الأمور الدِّينيَّة والدّنيويَّة، ولم يَدَّعِ أيٌّ منهما أنَّه رأى الرّسول ﷺ، وأبلغه، أو أرشده، إلى ما يجب عمله، أو يزيل حيرته، وأنَّ ابنة رسول الله ـ ﷺ ـ فاطمة ـ رضي الله عنها ـ رغم حزنها الشّديد على وفاة والدها لم تَدَّعِ أنَّها رأت رسول الله ـ ﷺ ـ

وأخبرها بشيء عن موضوع ميراثها في (فدك)، ونفس الشّيء ينطبق على أمّ المؤمنين السّيّدة عائشة - ﷺ - في موقفها من سيّدنا علي - ﷺ - فلم يظهر لها زوجها النّبي - ﷺ - ويخبرها بما يجب عليها عمله قبل، أو بعد، أو أثناء، موقعة الجمل. كما ندّد المؤلّف بقول التّجاني: "بأنَّ مَنْ رآني يدخل الجنَّة، بلا حساب، ولا عقاب، ويأمن عذاب النّار"، فإذا كان الرّسول - ﷺ - لا يملك هذه الخاصيَّة التي منحها التّجاني لنفسه، وإذا كان نوح وإبراهيم - عليهما السّلام - لا يملكان - أيضاً - هذه المكانة، أ فلا يعني هذا القول إنَّ مكانة التّجاني هي أعلى من مكانة الأنبياء؟! كما ندّد المؤلّف - أيضاً - بأقوال التّجاني التي تقول إنَّ وردَهُ يُسقط الصّغائر والكبائر، وبيّن أنَّ الكبائر لا تُكفِّرها إلاَّ التّوبة. أمّا قول التّجاني بأنَّ صلاة الفاتح تعدل ستَّة آلاف مرَّة من القرآن الكريم؛ فذكر الشّنقيطي أنَّ حديث رسول الله - ﷺ - ينسف هذا القول من جذوره: "يقول الرَّبُّ - عزَّ وجلَّ -: مَنْ شَغَلَهُ القرآن عن ذكري وعن مسألتي أعطيتُهُ أفضل ما أعطي السّائلين، وفضل كلام الله - تعالى - على سائر الكلام؛ كفضل الله - تعالى - على خلقه". أمّا قول التّجاني بأنَّ النّبي - ﷺ - أخبره بذلك الفضل؛ فيردّ الشّنقيطي عليه بعدَّة أحاديث نبويَّة منها: "مَنْ كذب علي متعمِّداً فليتبوأ مقعده من النّار". ويأتي - أيضاً - في مقدِّمة هؤلاء المنتقدين في تلك الفترة العالم الغني عن كلّ تعريف والمشهور بتضلُّعه في العُلُوم الإسلاميَّة وسعة فكره عبد الحميد بن باديس (1889 - 1940م)، فقد أعلن ابن باديس نقده الشّديد للتّجانيَّة، وذهب في نقده لها باتِّهام أصحابها بتكفيرهم؛ بسبب اعتقادهم بأنَّ صلاة الفاتح أفضل من تلاوة القرآن، وبأنَّها من كلام الله عزَّ وجلَّ، ولإيمانهم بأنَّ مَنْ تعلَّق بحبل الطّريقة التّجانيَّة دخل الجنَّة، بغير حساب، ولا عقاب، وبذلك؛ فإنَّ هذه الطّريقة أصبحت في تقدير ابن باديس وسيلة لهَدْم الإسلام.

وفي ختام المجلَّد الثّاني يعرض الدّكتور الأزمي مجدَّداً أسماء بعض التّجانيّين الذين دافعوا عن التّجانيَّة؛ مثل أحمد سكيرج، ومُحمَّد السُّوسي، ومُحمَّد الحجوجي، وغيرهم، وردّوا على منتقديها مكرِّرين القول بأنَّه ليس من المستحيل رؤية النّبي - ﷺ - باليقظة، وإنَّه من الممكن جداً قبول أخذ وِرْد الطّريقة من النّبي مُباشرة، وإنَّ كرامة الشّيخ تؤهِّل أصحابه الدُّخُول إلى الجنَّة بغير حساب، إلى غير ذلك من الدّفوع التي تضعف أسانيدها أمام ما أورده المنتقدون

لها. وفي المجلّد الثّالث ينتقل المؤلّف إلى عرض كيفيَّة انتشار التّجانيَّة في السُّودان الغربي، وكيفيَّة تأسيس الشّيخ عمر الفوتي الدّولة التّجانيَّة هناك. وكيف تحالفت بعض الدّول الإسلاميَّة المجاورة للدَّولة التّجانيَّة مع القوّات الفرنسيَّة لقتال الجيش التّجاني، وإنهاء الدّولة التّجانيَّة.

بعد الاطّلاع على هذا الكتاب؛ رأيتُ أنَّ من الأمانة أنْ أبيِّن للقارئ وجهة نظر منتقدي التّجانيَّة، ومنكريها، وردّ أنصارها على الانتقادات الموجَّهة لها. وسواء كانت الأفكار التّجانيَّة مقبولة أو مرفوضة لمخالفتها الشّرع الحنيف إلاَّ أنَّها تبقى طريقة متواجدة في الوسط الإسلامي، لها من الأنصار والمؤيِّدين ما يزيد عن الثّلاث ملايين نسمة، وسواء قبلنا آراءها، أو رفضنا أفكارها، إلاَّ أنَّها تبقى واقعاً معترفاً به، وليس لنا إلاَّ أنْ ندعو الله - عزَّ وجلَّ - أنْ يُنقذ هذا الدِّين الحنيف من كلّ مَنْ يسعى إلى تشويهه، أو إدخال الأفكار الغريبة عليه، وأنْ يُبعد عنه كلّ راغب في اختلاق معتقدات فيه لا تمتُّ إليه بصلة، أو بدَع لا يقبلها الشّرع، ونهى عنها الله ورسوله.

الفصل الخامس عشر:

المصطلحات الصُّوفيَّة

سُئل الصُّوفي الكبير ابن عطاء: ما بالكم أيُّها المتصوِّفة قد اشْتَقَقْتُم ألفاظاً أغربتُم بها على السّامعين، وخرجتُم بها عن اللّسان المعتاد؟! فهل هذا للتّمويه، أو لسَتْر عوار المذهب؟!

فقال ابن عطاء: ما فعلنا ذلك إلاَّ لغيرتنا على المذهب، ولعزَّته علينا كيلا يُشر بها غيرنا، وأنشد قائلاً:

إذا أهل العبارة ساءلونا أجبناهم بأعلام الإشارة
نشير بها فنجعلها غموضاً تقصر عنه ترجمة الإشارة

وغالبا ما تأخذ عُلُوم الصُّوفيَّة كعُلُوم الأحوال، والخواطر، والمشاهدات، والمكاشفات، والإشارة، وتُعلم بالمنازلات والمواجيد، وكلّها سرٌّ من الأسرار، معان ومدلولات لا يعلمها إلاَّ الصُّوفيُّون أنفسهم. ولقد اصطلحت الصُّوفيَّة على ألفاظ في عُلُومهم، تعارفوها بينهم ورَمزوا بها، وفي ذلك يقول قائلهم:

أحسن ما أظهره، ونظهره بادي حقّ للقلوب نشعره
يخبرني عنِّي، وعنه أخبره أكسوه من رونقه ما يستره
عن جاهل لا يستطيع ينشره يفسد معناه إذا ما يعبُرُه
فلا يطبّق اللّفظ، بل لا يعشره ثُمَّ يوافي غيره، فيخبره
فيظهر الجهل، وتبدو زُمَرُهُ ويدرس العلم، ويعفو أثره

وفي الواقع؛ نجد في الصُّوفيَّة مفردات ومصطلحات هي أقرب للغموض منها للوضوح. فعبارات مثل: أبدال، أوتاد، بُدلاء، تجريد، تغريد، رجعة، مشاهدة، نجباء،

وجد، وصل. . كلّها في المصطلح الصُّوفي تحمل معان لا يُحسن تفسيرها سوى الصُّوفيِّين أنفسهم. فلُغتهم الاصطلاحيَّة واختلاف مدلول اللّفظ عن المفهوم العامّ للكلمة شيء يحرص عليه الصُّوفيُّون. ولربَّما كان هذا المنحى في استخدام تلك المصطلحات يعود إلى ما عاناه هؤلاء من تحوُّلات نَفْسيَّة، وأزمات فكريَّة، وتطوُّرات فلسفيَّة، دفعتهم إلى اللّجوء إلى هذا الأسلوب في التّعبير عن أفكارهم، وآرائهم.

ورغم قول الصُّوفيِّين إنَّ المصطلح الصُّوفي منشؤه القرآن والسُّنَّة، إلاَّ أنَّ مدلولاته لدى رجال الفكر الصُّوفي تبقى محدَّدة ضمن نطاق المفهوم الصُّوفي الخاصّ، الذي اعتمدوه لهذا المصطلح. ويبدو أنَّ الصُّوفيِّين - رغبة منهم في إضفاء مسحة خاصَّة على أفكارهم تميِّزهم من النُّسَّاك الزّاهدين الذين سبقوهم في مجال الورع والزّهد - مالوا إلى اعتماد مصطلحات جديدة قد يكون مبعثها التّبحُّر في عُلُوم النّفس، والأخلاق، والإلهيَّات. ولهذا؛ نجد أنَّ كتابات العديد من علمائهم تتَّسم بنتاج فكري لا يخلو من الغموض أحياناً، والرّمزيَّة أحياناً أخرى، ولكنْ؛ يبقى إنتاجاً فكرياً رائعاً؛ سواء اقتنعنا بالتَّصوُّف، أو رفضنا أفكاره. وقد صنَّف أبو عبد الرّحمن السّلمي (الذي اشتُهِرَ بأنَّه نقَّال الصُّوفيَّة، وراوي كلامهم) في كتابه "طبقات الصُّوفيَّة" الصُّوفيِّين في خمس طبقات، كلّ طبقة تتألَّف من عشرين صوفيَّاً من أعلام رجال التَّصوُّف، وعرض فيه المصطلحات الصُّوفيَّة كما وردت على لسان أولئك الأعلام. وقد أضفنا إلى هذه المصطلحات ترجمتها إلى اللّغة الإنكليزيَّة، وثبَّتنا أمام كلّ صوفي رَقْم الطّبقة التي يمثّلها، وتسلسل وروده في طبقته. فالرَّقْم الأوّل يشير إلى رَقْم الطّبقة، والرَّقْم الثّاني يشير إلى رَقْم اسم الصُّوفي الطّبقة. أمَّا الحرف (ت) المبيَّن أمام اسم الصُّوفي؛ فهو للدّلالة على تاريخ وفاة ذلك الصُّوفي.

في مستهلّ عرضنا للمصطلحات الصُّوفيَّة كما وردت في كتاب عبد الرّحمن السّلمي "طبقات الصُّوفيَّة" لابُدَّ من الإشارة والتّأكيد على أنَّ السّلمي قد بيَّن في عرضه ذاك أبرز هذه المصطلحات، دُون أنْ يتضمَّن عرضه كافَّة المصطلحات الصُّوفيَّة التي انطلقت على لسان الصُّوفيِّين، ووردت في كلامهم، وأقوالهم. ولقد تبيَّن لنا - لدى اطّلاعنا على العديد من المصادر والكتابات الصُّوفيَّة - أنَّ هناك كلمات وتعابير ومصطلحات لم ترد في كتاب السّلمي،

ولكنَّنا آثرنا أنْ نعتمد على مصدر واحد لتبيان أبرز وأهمّ هذه المصطلحات التي تبنَّاها الصُّوفيُّون الأوائل، دُون أنْ نسترسل في استعراض التّعابير الصُّوفيَّة الأخرى التي وردت على لسان الصُّوفيّين الذين لم ترد أسماؤهم في كتاب عبد الرّحمن السّلمي، والتي قيلت للتّدليل على بعض الأفكار والمعتقدات الصُّوفيَّة. إنَّنا نعتقد بأنَّ هذا الاسترسال في العرض قد يتطلَّب ضعف أو ثلاثة أمثال التّعابير التي اعتمدها السّلمي، والتي بيَّنها في كتابه ذاك. لذلك؛ آثرنا أنْ نقتصر على هذه المصطلحات، ونبيِّن أمام كلّ مصطلح بعض الأقوال التي قيلت فيه على لسان رجال التَّصوُّف، الذين ذكرهم السّلمي في كتابه المشار إليه.

(الألف)

الآيات: *SIGNS*

سهل بن عبد الله التّستري: 2 / 10. . ت 283 هجري

الآيات لله، والمعجزات للأنبياء، والكرامات للأولياء، والمغوثات للمريدين، والتّمكين لأهل الخُصُوص.

أبو عمرو الدّمشقي: 3/ 5. . ت 320 هجري

كما فرض الله على الأنبياء إظهار الآيات والمعجزات ليؤمنوا بها، كذلك فرض على الأولياء كتمان الكرامات، حتَّى لا يفتتن الخلق بها.

الأبدال: *SUBSTATUENTS*

أبو عبد الله المغربي: 2/ 17. . ت 279 هجري

الأبدال بالشّام، والنُّجباء باليمن، والأخيار بالعراق.

الأبرار: *RIGHTEOUS*

إبراهيم بن أدهم: 1/ 3. . ت 161 هجري

إيَّاكَ إذا صحبتَ الأخيار، أو حادثتَ الأبرار، أنْ تُغضِبهم عليكَ، فإنَّ الله يغضب لغضبهم، ويرضى لرضاهم.

يحيى بن معاذ الرّازي:

أبناء الدّنيا تخدمهم الإماء والعبيد، وأبناء الآخرة يخدمهم الأبرار والأحرار.

الأحبَّاء: *LOVERS*

يحيى بن معاذ الرّازي: 1/ 14. . ت 258 هجري

أولياؤه أُسراء نعمه، وأصفياؤه رهائن كرمه، وأحبَّاؤه عبيد مننه: فهم عبيد محبَّة لا يُعتقون، ورهائن كرم لا يُفكُّون، وأُسراء نعَم لا يُطلقون.

الاحتجاب: *HIDING*

أبو بكر الشّبلي: 4/ 1. . ت 334 هجري

ليس مَنْ احتجب بالخلق عن الحقّ كَمَنْ احتجب بالخلق عن الحقّ، وليس مَنْ جذبته أنوار قُدسه إلى أُنسه، كَمَنْ جذبته أنوار رحمته إلى مغفرته.

الإحسان: *BENEFACTION*

أبو سليمان الدّاراني: 1/ 9. . ت 215 هجري

مَنْ صدق كُوفيء، ومَنْ أحسن عُوفي، ومَنْ أحسن في نهاره، كُوفيء في ليله.

الأحوال: *MYSTICAL STATES*

الحسين بن منصور الحلاَّج: 3/ 13. . ت 309 هجري

إنَّ الأنبياء ـ عليهم السّلام ـ سُلِّطوا على الأحوال، فملكوها، فهم يُصرِّفونها، لا الأحوال تصرِّفهم. وغيرهم سُلِّطتْ عليهم الأحوال، فالأحوال تصرِّفهم، لا هم يصرِّفون الأحوال.

الإخلاص: *SINCERITY*

أحمد بن عاصم الأنطاكي: 1/ 18. . ت

أنفع الإخلاص ما نفى عنك الرّياء والتّزيُّن والتَّصنُّع.

الأدب: *DISCIPLINE*

يوسف بن الحسين الرّازي: 2/ 6. . ت 304 هجري

بـالأدب تفـهم العلـم، وبـالعلم يصحّ لـكَ العمــل، وبـالعمل تنــال الحكمــة، وبالحكمة تفهم الزّهد، وتُوفَّق له، وبالزّهد تترك الدّنيا، وبترك الدّنيا ترغب فـي الآخرة، وبالرّغبة بالآخرة تنال رضى الله.

الإرادة: *WILL*

أبو مُحمَّد المرتعش: 4/ 2. . ت 328 هجري

الإرادة حبـس النَّفْـس عـن مراداتـها، والإقبـال علـى أوامـر الله، والرّضـا بمـوارد القضاء عليه.

الأزليَّة: *ETERNITY*

أبو سعيد الخرَّاز: 2/ 14. . ت 279 هجري

للعـارفين خزائـن أودعوهـا عُلُوماً غريبـة وأنبـاء عجيبـة، يتكلَّمـون فيـها بلسـان الأبديَّة، ويُخبرون بعبارة الأزليَّة.

الاستدراج: *DRAW GRADUALLY*

سري السّقطي: 1/ 5. . ت 253 هجري

من علامة الاستدراج العمى عن عيوب النَّفْس.

الاستعانة: *ASKING ASSISTANCE*

حمدون القصَّار: 1/ 16. . ت 271 هجري

استعانة المخلوق بالمخلوق كاستعانة المسجون بالمسجون.

الاستقامة: *STRAIGHTNESS*

حاتم الأصمّ: 1/ 11. . ت 237 هجري

يُعرَف الإخلاص بالاستقامة، والاستقامة بالرّجاء، والرّجاء بالإرادة، والإرادة بالمعرفة.

الأسرار: *SECRETS*

علي بن سهل الأصبهاني: 2/ 15. . ت 307 هجري

المبادرة إلى الطّاعات من علامات التّوفيق، والتّقاعد عن المخالفات من علامات حُسن الرّعاية، ومراعات الأسرار من علامات التّيقُّظ، وإظهار الدّعاوى من رعونات البشريّة.

الإشارة: *INDICATION*

أبو يزيد البسطامي: 1/ 8. . ت 261 هجري

أبعد الخلق من الله أكثرهم إشارة إليه.

الإصرار: *PERSISTENCE*

الحارث المحاسبي: 1/ 6. . ت 243 هجري

الذي يبعث العبد على التّوبة ترك الإصرار، والذي يبعثه على ترك الإصرار ملازمة الخوف.

الاضطراب: *TURBULANCE*

شقيق البلخي: 1/ 7. . ت 194 هجري

مَنْ لم يكن معه ثلاثة أشياء، لا ينجو من النّار: الأمن والخوف والاضطراب.

الألفة: *FAMILIARITY*

عبد الله بن خبيق الأنطاكي: 1/ 19

علامة الأُلفة قلّة الخلاف، وبذل المعروف.

الإنابة: *RETURNING TO GOD*

الحارث المحاسبي:

العلم يورث المخافة، والزّهد يورث الرّاحة، والمعرفة تورث الإنابة.

الأنس: *CONVIVIALITY*

أبو العبّاس بن عطاء الأدمي: 3/ 2. . ت 309 هجري

من وحشة القلوب عن مصادر الحقّ أُنسها بالأجناس، ومَنْ أنس قلبه بالله استوحش ممّا سواه.

الفضيل بن عياض:

طوبى لمَنْ استوحش من النّاس، وأنس بربّه، ويكى على خطيئته.

الإنصاف: *FAIRNESS*

عبد الله بن خبيق الأنطاكي:

سأله أحدهم بما أُلزمُ الحقَّ في أحوالي؟ فقال: بإنصاف النّاس من نفسكَ، وقبول الحقِّ ممَّنْ هو دونكَ.

أهل التَّوحيد: *PEOPLE OF UNIFICATION*

أهل الدّيانة: *PEOPLE OF RELIGION*

أهل الرّضا: *PEOPLE OF SATISFACTION*

أهل الانقطاع: *PEOPLE FAR AWAY FROM GOD*

أبو الحسين النُّوري: 2/ 2. . ت 295 هجري

أهل الدّيانة موقوفون، وأهل التَّوحيد يسيرون، وأهل الرّضا يستروحون، وأهل الانقطاع يتحيَّرون.

أهل الحضور: *PEOPLE OF PRESENCE*

أهل الغيبة: *PEOPLE OF ABSENCE*

أحمد بن عطاء الرُّوذباري: 5/ 17. . 369 هجري

الذَّوق أوَّل المواجيد، فأهل الغيبة إذا شربوا طاشوا، وأهل الحضور إذا شربوا عاشوا.

أهل الحق: *RIGHTEOUS PEOPLE*

ذو النُّون المصري: 1/ 2. . ت 245 هجري

كلّ مدَّعٍ محجوب بدعواه عن شهود الحقّ؛ لأنَّ الحقَّ شاهد لأهل الحقِّ؛ لأنَّ الله هو الحقُّ، وقوله الحقُّ، ولا يحتاج أنْ يدَّعي إذا كان الحقُّ شاهداً له، فأمَّا إذا كان غائباً فحينئذ يدَّعي، وإنَّما تقع الدّعوى للمحجوبين.

أهل الخُصُوص: *CHOSEN PEOPLE*

أبو عبد الله المغربي:

أهل الخُصُوص مع الله - تعالى - على ثلاث منازل:

- قوم يضنُّ بهم عن البلاء، لئلاً يستغرق الجزع صبرهم، فيكرهون حُكْمه، أو يكون في صدورهم حرج من قضائه.

- وقوم يضنُّ بهم عن مساكنة أهل المعاصي، لئلاً تغتمَّ قلوبهم، فمن أجل ذلك سلمت صدورهم للعالم.

- وقوم صُبَّ عليهم البلاء صبّاً، وصبَّرهم، وارتضاهم، فما ازدادوا بذلك إلاَّ حُبّاً له ورضا لحُكْمه. وله عباد منحهم نعماً تجدَّد عليهم، وأسبغ عليهم باطن العلم وظاهره، وأخمل ذكرهم.

أهل المحبة: PEOPLE OF INTIMACY

أبو القاسم إبراهيم بن مُحمَّد النّصراباذي: 5/ 14. . ت 367 هجري

أهل المحبة واقفون مع الحق على مقام؛ إن تقدموا غرقوا، وإن تأخروا حُجبوا.

أهل المعرفة: *PEOPLE OF GNOSIS*

الفضيل بن عياض: 1/ 1. . ت 187 هجري.

أحقُّ النّاس بالرّضا عن الله، أهل المعرفة بالله عزَّ وجلَّ.

أهل النّظر: *PEOPLE WITH SIGHT*

أبو الحسين النُّوري:

مقامات أهل النّظر في النّظر شتّى: فمنهم مَنْ كان نظره نظر التَّسلّي، ومنهم مَنْ كان نظره نظر استفادة، ومنهم مَنْ كان نظره نظر عيان المكاشفة، ومنهم مَنْ كان نظره نظر المنافسة في المشاهدة، ومنهم مَنْ كان نظره نظر المشاكلة والمُماثلة،

ومنهم مَنْ كان نظره نظر طيبة وملاحظة، ومنهم مَنْ كان نظره نظر إشراف ومطالعة. وكلٌّ واحد منهم أهل نظر.

أهل الهمَّة: *PEOPLE OF DETERMINATION*

أبو يزيد البسطامي:

كُفْر أهل الهمَّة أسلم من إيمان أهل الجنَّة.

الأولياء: *SAINTS*

مُحمَّد بن عليَّان النّسوي:

علامة الأولياء خوف الانقطاع عنه، لشدَّة في قلوبهم، من الإيثار له، والشَّوق إليه.

(الباء)

الباطل: *FALSEHOOD*

أبو العبَّاس بن مسروق الطَّوسي: 2/ 16.. ت 295 هجري

كثرة النّظر في الباطل تذهب بمعرفة الحقّ من القلب.

الباطن: *THE HIDING*

أبو سعيد الخرَّاز:

كلّ باطن يخالف ظاهراً فهو باطل.

البخل: *NIGGARLINESS*

أبو علي الجوزجاني: 2/ 18.. ت

البخل ثلاثة أحرف: الباء هو البلاء، والخاء هو الخسران، واللاَّم هو اللَّوم. فالبخيل بلاء في نفسه، وخاسر في سعيه، وملوم في بخله.

البدعة: *INNOVATION*

أبو حفص النّيسابوري: 1/ 15.. ت270 هجري

البدعة هي التَّعدِّي في الأحكام، والتّهاون بالسُّنن، واتِّباع الآراء والأهواء، وترك الاقتداء والاتِّباع.

البكاء: *WEEPING*

أحمد بن أبي الحواري:

أفضل البكاء بكاء العبد على ما فاته من أوقاته على غير الموافقة، أو بكاء على ما سبق له من المخالفة.

البلوى: *CATASTROPHE*

سهل بن عبد الله التّستري:

البلوى من الله على وجهَيْن: بلوى رحمة، وبلوى عقوبة. فبلوى الرّحمة يبعث صاحبه على على إظهار فقره إلى الله، وترك التّدبير، وبلوى العقوبة يبعث صاحبه على اختياره وتدبيره.

(التّاء)

التّائب: *REPENTANT*

محفوظ بن محمود النّيسابوري: 3/ 3. . ت 304 هجري

التّائب الذي يتوب من غفلاته وطاعاته.

تحقيق العبوديّة: *COMPLETE (FULL) SLAVERY*

أحمد بن خضرويه: 1/ 13. . ت 240 هجري

إنَّ في الحُرِّيَّة تمام العبوديّة، وفي تحقيق العبوديّة تمام الحُرِّيَّة.

التّدبير: *PLANNING*

سهل بن عبد الله التّستري:

ليس في الضّرورة تدبير، فإذا صار إلى التّدبير خرج من الضّرورة.

التّسليم: *SUBMISSION*

الحارث المحاسبي:

التّسليم هو الثّبوت عند نزول البلاء، من غير تغيُّر منه في الظّاهر والباطن.

التَّصوُّف: *SUFISM*

أبو الحسين النُّوري:

التَّصوُّف ترك كلّ حظٍّ للنَّفْس. وليس التَّصوُّف رُسُوماً، ولا عُلُوماً، ولكنّها أخلاق.

علي بن سهل الأصبهاني:

التَّصوُّف التّبرّي عمَّنْ دونه، والتَّخلّي عمَّنْ سواه.

أبو العبَّاس بن مسروق الطّوسي:

التَّصوُّف خُلُوٌّ الأسرار ممَّا عنه بُدٌّ، وتعلُّقها بما ليس منه بُدٌّ.

أبو بكر الشّبلي:

التَّصوُّف ضبط حواسِّكَ، ومراعاة أنفاسكَ.

أبو الحسن علي بن أحمد البوشنجي: 5/ 8. . ت 348 هجري

التَّصوُّف اسم، ولا حقيقة، وقد كان حقيقة، ولا اسم.

معروف الكرخي:

الأخذ بالحقائق، واليأس ممَّا في أيدي الخلائق.

أبو القاسم الجنيد:

الخُرُوج عن كلّ خُلُق دني، والدُّخُول في كلّ خُلُق سَني.

سري السّقطي:

خُلُقٌ كريم، يُخرجه الكريم، إلى قوم كرام.

التّضرُّع: *SUPPLICATION*

سهل بن عبد الله التّستري:

الأعمال بالتَّوفيق، والتَّوفيق من الله، ومفتاحها الدّعاء والتَّضرُّع.

التّفويض: *AUTHORIZATION*

أبو عثمان النّيسابوري: 2/ 3. . ت 298 هجري

التّفويض ردُّ ما جهلت علمه إلى عالمه، والتّفويض مقدِّمة الرّضا، والرّضا باب الله الأعظم.

التّقوى: *RIGHTEOUSNESS*

شاه الكرماني: 2/ 7. . ت 299 هجري

علامة التّقوى الورع، وعلامة الورع الوقوف عند الشّبهات، وعلامة الخوف الحزن، وعلامة الرّجاء حسن الطّاعة، وعلامة الزّهد قصر الأمل.

التَّواضع: *MODESTY*

منصور بن عمَّار: 1/ 17. . ت225 هجري

أحسن لباس العبد التَّواضع والانكسار، وأحسن لباس العارفين التّقوى.

الفضيل بن عيَّاض:

أنْ تخضع للحقِّ، وتنقاد له، وتقبل الحقَّ من كلّ مَنْ تسمعه منه.

التَّوبة: *REPENTANCE*

أبو القاسم الجنيد: 2/ 1. . ت 297 هجري

سُئل الجنيد عن التَّوبة، فقال: هي نسيانُ ذَنْبكَ.

شقيق البلخي:

تفسير التَّوبة أنْ ترى جرأتكَ على الله، وترى حلم الله عنكَ.

ذو النُّون المصري:

توبة العوامّ تكون من الذّنوب، وتوبة الخواصّ تكون من الغفلة.

التَّوكُّل: (*DEPENDENCE TRUST IN GOD*)

أبو عبد الله مُحمَّد بن خفيف: 5/ 9. . ت 371 هجري

حقيقة التَّوكُّل هو الاكتفاء بضمانه، وإسقاط التّهمة عن قضائه.

أبو عمرو إسماعيل بن نُجيد: 5/ 7. . ت 366 هجري

سُئل ما التَّوكل؟ فقال: أدناه حسن الظَّنّ بالله عزَّ وجلَّ.

التَّوابون: *REPENTANTS*

يحيى بن معاذ الرّازي:

جوع التَّوابين تجربة، وجوع الزّاهدين سياسة، وجوع الصِّدِّيقين تكرمة.

التَّوحيد: *MONOTHEISM*

أبو يزيد البسطامي:

عملت في المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدتُ شيئاً أشدَّ عليَّ من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لبقيتُ. واختلاف العلماء رحمة إلاَّ في تجريد التَّوحيد.

(الثّاء)

الثّقة: *TRUST*

حاتم الأصم:

مَنْ أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء فهو يتقلّب في رضا الله:

الثّقة بالله، ثُمَّ التَّوكُّل، ثُمَّ الإخلاص، ثُمَّ المعرفة، وبالأشياء كلّها تتمُّ بالمعرفة.

(الجيم)

الجدل: *ARGUMENT*

معروف الكرخي:

إذا أراد الله بعبد خيراً فتح عليه باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل.

الجمع: *GATHERING*

أبو القاسم الجنيد البغدادي:

القرب بالوجد جمع، والغيبة بالبشريّة تفرقة.

بندار بن الحسين الشّيرازي :

الجمع ما كان بالحقّ، والتّفرقة ما كان للحقّ.

الجوع: *HUNGER*

عبد الله بن مُحمَّد الرّازي: 3/ 8. . ت 309 هجري

الجوع طعام الزّاهدين، والذّكْر طعام العارفين.

الجهاد: *STRIVING*

حاتم الأصم:

الجهاد ثلاث: جهاد في سرِّكَ مع الشّيطان حتّى تكسره، وجهاد في العلانيَّة في أداء الفرائض حتّى تُؤدّيها كما أمر الله، وجهاد مع أعداء الله في غزو الإسلام.

(الحاء)

الحال: *MYSTICAL STATE*

أبو حفص النّيسابوري:

الحال لا يفارق العلم، ولا يقارن القول.

الحبّ: *LOVE*

حاتم الأصم:

أصل الطّاعة ثلاثة أشياء: الخوف، الرّجاء، الحبّ.

حبّ الدّنيا: *LOVE OF LIFE*

أحمد بن أبي الحواري: 1/ 12. . ت230 هجري

إذا مرض قلبكَ بحبّ الدّنيا، وكثرة الذّنوب، فَداوِه بالزّهد فيها، وترك الذّنوب.

المحبّة: *INTIMACY*

عمرو بن عثمان المكّي: 2/ 9. . ت 291 هجري

المحبة داخلة في الرّضا، ولا محبَّة إلاَّ بالرّضا، ولا رضا إلاَّ بمحبَّة؛ لأنَّكَ لا تحبُّ إلاَّ ما رضيتَ، وارتضيتَ، ولا ترضى إلاَّ ما أحببتَ.

الحجاب: *VEIL*

ذو النُّون المصري:

سُئل: ما أخفى الحجاب وأشدّه؟ قال: رؤية النَّفْس وتدبيرها.

الحرص: *STINGINESS*

حاتم الأصم:

أصل المعصية ثلاثة أشياء: الكِبَر، والحرص، والحسد.

الحُرِّيَّة: *FREEDOM*

أبو الحسين بن بنان: 4/ 11. . ت

الحُرِّيَّة أنْ يكون السرُّ حراً إلاَّ من عبوديَّة سيِّده، يصحُّ له بذلك العبودية للحقّ، والحُرِّيَّة عن الخلق.

الحسبة: *RECKONING*

حاتم الأصم:

لكلّ قول صدق، ولكلّ صدق فعل، ولكلّ فعل صبر، ولكلّ صبر حُسبة، ولكلّ حسبة إرادة، ولكلّ إرادة أثرة.

حُسْنُ الخُلُق: *GOOD CHARACTER*

الحارث المحاسبي:

حُسْنُ الخُلُق احتمال الأذى، وقلّة الغضب، وبسط الوجه، وطيب الكلام.

حُسْن المعاملة: *GOOD TREATMENT*

معروف الكرخي:

سُئل بِمَ تُخرج الدّنيا من القلب؟ فأجاب: بصفاء الوُدّ، وحُسْن المعاملة.

الحضور: *PRESENCE*

أبو القاسم الجنيد:

كلام الأنبياء نبأ عن حضور، وكلام الصِّدِّيقين إشارات من مشاهدات.

الحفّاظ: *READERS (OF THE QUR'AN)*

أحمد بن أبي الحواري:

إنِّي لأقرأ القرآن، فأنظر في آية، فيُحار عقلي فيها. وأعجب من حفَّاظ القرآن! كيف يُهنِّيهم النَّوم، ويسعهم أنْ يشتغلوا بشيء من الدّنيا، وهم يتلون كلام الرّحمن؟! أمَّا لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقّه، وتلذّذوا به، واستحلُّوا المناجاة به، لذهب عنهم النَّوم، فرحاً بما رُزقوا، ووُفِّقوا.

الحقّ: *TRUTH*

أحمد بن خضرويه:

القلوب أوعية، فإذا امتلأت من الحقّ أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح. الطّريق واضح، والحقّ لائح، والدّاعي قد أسمع، فما التَّحيُّر بعد هذا إلاّ من العمى.

الحقيقة: *REALITY*

أبو بكر بن طاهر الأبهري: 4/ 12. . ت 330 هجري

الحقيقة كلّها علم، العلم كلّه حقيقة.

حقيقة المعرفة: *REALITY OF KNOWLEDGE*

أبو يزيد البسطامي:

المعرفة في ذات الحقّ جهل، والعلم في حقيقة المعرفة حيرة، والإشارة - من المشير - شرْك في الإشارة. وأبعد الخلق من الله أكثرهم إشارة إليه.

الحكمة: *WISDOM*

أبو بكر الورَّاق: 2/ 13. . ت

الحكماء خَلَفُ الأنبياء، وليس بعد النُّبُوَّة إلاَّ الحكمة، وهي إحكام الأمور. وأوَّل علامات الحكمة طول الصّمت، والكلام على قدر الحاجة.

أبو العباس القاسم السيَّاري: 5/ 4. . ت 342 هجري

مَنْ حفظ قلبه مع الله بالصّدق أجرى الله على لسانه الحكمة.

الحكيم: *THE WISE*

بشر الحافي: 1/ 4. . ت 227 هجري

يأتي على النّاس زمان، لا تقرُّ فيه عين حكيم، ويأتي عليهم زمان تكون الدّولة فيه للحمقى على الأكياس.

الحياء: *SHYNESS*

بندار بن حسين الشّيرازي: 5/ 10. . ت 353 هجري

سُئل عن الفرق بين المحبَّة والحياء؟ فأجاب: إنَّ المحبَّة رغبة وهي مزعجة، والحياء خجلة، والمحبُّ طالب غائب، والمستحي حاضر. وبينهما فُرقان: لأنَّ المحبَّة تصحُّ مع الغيبة، والحياء يصحُّ مع المشاهدة، فشتَّان بين غائب غريب، وحاضر قريب.

أبو العبَّاس بن عطاء الأدمي:

العلم الأكبر الهيبة والحياء، فَمَنْ عُرِّي منهما عُرِّي عن الخيرات.

ذو النُّون المصري:

الحياء وُجُود الهيبة في القلب، مع حشمة ما سبق منكَ إلى ربِّكَ.

(الخاء)

الخاصَّة: *THE SPECIAL ONES*

أبو بكر الورَّاق:

الخاصَّة هم الذين فَقُهت قلوبهم، وحَسُنَتْ أخلاقهم، وكانوا أئمَّة يدعون النّاس إلى الخير، والعمل به، وسالموا السّلطان على الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، والعلماء على صدق الخبر، والعامَّة على ظاهر الأمور، فإذا خلوا من ذلك فهم المفترون.

الخالق : *THE CREATOR*

يحيى بن معاذ الرّازي :

قيل له : أخبرنا عن الله ما هو؟قال : (إله واحد) . قيل : كيف هو؟ قال : (ملك قادر) .

قيل : أين هو؟ قال : (بالمرصاد) . قيل : ليس عن هذا أسألكَ . قال يحيى : فذاكَ صفة المخلوق . أمَّا صفة الخالق ؛ فما أخبرتكَ به .

الخذلان : *FAILURE*

أبو سليمان الدّاراني :

لكلّ شيء علم ، وعلم الخذلان تَرْك البكاء .

الخشوع : *HUMILIATION*

أبو سليمان الدّاراني :

لكلّ شيء حلية ، وحلية الصّدق الخشوع .

الخشية : *FEAR*

أبو بكر الوراق :

من صحَّت معرفته بالله ، ظهرت عليه الهيبة والخشية .

الخطرات : *THOUGHTS*

أبو العبَّاس بن مسروق الطَّوسي :

مَنْ راقب الله ـ تعالى ـ في خطرات قلبه ، عصمه الله في حركات جوارحه .

خلاف : *CONTRADICTION*

أبو سليمان الدّاراني :

أفضل الأعمال خلاف هوى النَّفْس .

خُلّة : *FRIENDSHIP*

أبو عبد الله بن الجلاء :

الحقّ استصحب أقواماً للكلام، وأقواما للخُلّة، فَمَنْ استصحبه الحقُّ لمعنى ابتلاه بأنواع المحن، فليحذر أحدكم طلب رتبة الأكابر.

الخلوة: *SECLUSION*

ذو النُّون المصري:

مَنْ أحبَّ الخلوة فقد تعلّق بعمود الإخلاص، واستمسك بركن كبير من أركان الصّدق.

خواطر: *INTUITIONS*

أبو تراب النّخشبي: 1/ 20. . ت 245 هجري

ليس من العبادات شيء أنفع من إصلاح خواطر القلوب.

الخوف: *FEAR*

إبراهيم بن شيبان القرميسيني: 4/ 15. . ت 330 هجري

إنَّ الخوف إذا سكن القلب أحرق مواضع الشّهوات فيه، وطرد عنه رغبة الدّنيا، وبعّده عنها.

(الدّال)

الدّعاء: *INVOCATION*

بشر الحافي:

الدّعاء ترك الذّنوب.

الدّعوى: *CALLING TO RELIGION*

أبو العبّاس بن عطاء الأدمي:

ثلاثة مقرونة بثلاثة: الفتنة مقرونة بالمنيّة، والمحبّة مقرونة بالاختيار، والبلوى مقرونة بالدّعوى.

الدّنيا: *THIS WORLD (PRESENT LIFE)*

مُحمَّد وأحمد أبناء أبي الورد: 2/ 19 . . ت

قال مُحمَّد بن أبي الورد: مَنْ كانت نفسه لا تحبُّ الدّنيا فأهل الأرض يحبُّونه، ومَنْ كان قلبه لا يحبُّ الدّنيا فأهل السّماء يحبُّونه.

قال أحمد بن أبي الورد: إذا زاد الله في الوليّ ثلاثة أشياء زاد منه ثلاثة أشياء: إذا زاد جاهه، زاد تواضعه، إذا زاد ماله، زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده.

الدِّين: *RELIGION*

أبو عبد الله الصُّبيحي: 3/ 19 . . ت

سُئل عن أصول الدِّين، فقال: إثبات صدق الافتقار إلى الله، وحسن الاقتداء برسول الله ﷺ.

وفروعه أربعة أشياء: الوفاء بالعُهُود، وحفظ الحُدُود، والرّضا بالموجود، والصّبر على المفقود.

(الذّال)

الذّاكرين: *THOSE WHO ALWAYS MENTION GOD*

أحمد بن أبي الحواري:

إذا رأيتَ من قلبكَ قسوة، فَجَالسْ الذّاكرين، واصحبْ الزّاهدين، وأَقلِلْ مطعمكَ، واجتنبْ مرادكَ، ورَوِّض نفسكَ على المكاره.

الذِّكْر: *REMEMBERANCE OF GOD*

أحمد بن خضرويه:

حقيقة المعرفة: المحبَّة له بالقلب، والذِّكْر له باللّسان، وقطع الهمَّة عن كلّ شيء سواه.

الرّاضي: *SATISFIED*

الحارث المحاسبي:

سُئل الحارث: مَنْ أقهر النّاس لنفسه؟ فقال: الرّاضي بالمقدور.

الرَّبَّانيَّة: *GODLY*

مُحمَّد بن علي التّرمذي: 2/ 12. . ت320 هجري

مَنْ جَهل أوصاف العبوديَّة فهو بنعوت الرَّبَّانيَّة أجهل.

الرّبوبيَّة: *GODHOOD*

بنان بن مُحمَّد الحمَّال: 3/ 9. . ت 316 هجري

إنْ أَفْرَدْتَهُ بالرّبوبيَّة أَفْرَدَكَ بالعناية، والأمر بيدكَ: إنْ نصحتَ صافوكَ، وإنْ خلَّطتَ جافوك.

الرّجاء: *HOPE*

أبو عثمان الحيري النّيسابوري:

صلاح القلب في أربع خصال: في التَّواضع لله، والفقر إلى الله، والخوف من الله، والرّجاء في الله.

الرّضا: *SATISFACTION*

أبو يزيد البسطامي:

إنَّ الله بحكمته وجلاله، جعل الرُّوح والفرح في اليقين والرّضا، وجعل الهَمَّ والحزن في الشَّكِّ والسّخط.

الرُّوح: *SPIRIT*

علي بن سهل الأصبهاني:

العقل مع الرُّوح يدعوان إلى الآخرة، ومخالفة الهوى والشّهوات ؛ فلذلك سُمِّي رُوحاً.

الرّياء: *HYPOCRISY*

الحارث المحاسبي:

المحاسبة والموازنة في أربعة مواطن: فيما بين الإيمان والكفر، وفيما بين الصّدق والكذب، وبين التّوحيد والشّرك، وبين الإخلاص والرّياء.

جعفر بن مُحمَّد الخلدي: 5/ 3. . ت 348 هجري

الفرق بين الرّياء والإخلاص أنَّ المرائي يعمل ليُرى، والمخلص يعمل ليصل.

الرّياضة: *EXCERCISING*

منصور بن عمّار:

النّاس رجلان: عارف بنفسه، فشغله في المجاهدة والرّياضة، وعارف بربّه، فشغله بخدمته وعبادته ومرضاته.

(الزّاي)

الزّاهد: *ASCETIC*

أبو عبد الله بن الجلاء:

مَنْ استوى عنده المدح والذَّمُّ، فهو زاهد؛ ومَنْ حافظ على الفرائض في أوَّل مواقيتها، فهو عابد ؛ ومَنْ رأى الأفعال كلّها من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، فهو مُوَحِّد.

الزُّهد: *ASCETICISM*

أبو عثمان الحيري النّيسابوري:

الزّهد في الحرام فريضة، وفي المباح فضيلة، وفي الحلال قُربة.

(السّين)

السّابقون: *THE EARLIER IN FAITH*

أبو علي الجوزجاني :

السّابقون هم المقرّبون بالعطيّات ، والمرتفعون بالمقامات ، وهم العلماء بالله من بين البريّة ، عرفوا الله حقّ معرفته ، وعبدوه بإخلاص العبادة ، وآووا إليه بالشّوق والمحبّة ، وهم الذين قال الله عزّ وجلّ : "وإنّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار" .

السّخاء : *BOUNTY*

معروف الكرخي :

السّخاء إيثار ما يُحتاج إليه عند الإعسار .

السِّرُّ : *SECRET*

سهل بن عبد الله التّستري :

الذي يلزم الصُّوفي ثلاثة أشياء : حفظ سرّه ، وأداء فرضه ، وصيانة فقره .

السّعادة : *HAPPINESS*

أبو عثمان الحيري النّيسابوري :

علامة السّعادة أنْ تطيع الله ، وتخاف أنْ تكون مردوداً .

السُّكْر : *INTOXICATION*

أبو عبد الله مُحمَّد بن خفيف :

السُّكْر غليان القلب عن معارضات ذكْر المحبوب .

سلامة النَّفْس : *SELF SAFETY*

منصور بن عمّار :

سلامة النَّفْس في مخالفتها ، وبلاؤها في متابعتها .

السّمع : *HEARING*

أبو عبد الله الصّبيحي :

السّماع بالتّصريح جفاء، والسّماع بالإشارة تكلُّف.

السُّنَّة: *AL-SUNNAH*

يحيى بن معاذ الرّازي:

العبادة حرفة: حوانيتها الخلوة، ورأس مالها الاجتهاد بالسُّنَّة، وربحها الجنَّة.

السّياحة: *WANDERING*

جعفر بن مُحمَّد الخلدي:

المجاهدات في السّياحات. والسّياحة سياحتان: سياحة النَّفْس بالسّير في الأرض، ليرى أولياء الله، ويعتبر بآثار قدرته، وسياحة القلب ليجول في الملكوت لمشاهدة الغيوب.

(الشّين)

الشّاطر: *THE CLEVER*

رويم بن أحمد البغدادي: 2/ 5. . ت 303 هجري

سُئل رويم عن الشّاطر، فقال: من شطرت نفسه عن الباطل.

الشِّرْك: *POLYTHEISM*

أحمد بن أبي الحواري:

مَنْ أحبَّ أنْ يُعرَف بشيء من الخير، أو يُذكَر به، فقد أشرك بعبادته؛ لأنَّ مَنْ عبد على المحبَّة لا يحبُّ أنْ يرى خدمته سوى محبوبه.

الشّفاعة: *INTERCESSION*

معروف الكرخي: 1/ 10. . ت200 هجري

طلب الجنَّة بلا عمل ذنب من الذّنوب، وانتظار الشّفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة مَنْ لا يُطاع، جهل وحُمق.

الشّقاوة : *DISTRESS*

أبو عثمان الحيري النّيسابوري :

علامة الشّقاوة أنْ تعصي الله ، وترجو أنْ تكون مقبولاً .

الشُّكْر : *GRATITUDE*

أبو بكر بن أبي سعدان : 4/ 20 . . ت

الشُّكْر أنْ يشكر على البلاء شُكْره على النّعماء .

الفضيل بن عيَّاض :

إنَّ من شُكْر النّعمة أنْ تُحدِّث بها .

الشَّوق : *LONGING*

عبد الله بن خُبيق الأنطاكي :

خلق الله القلوب مساكن للذِّكْر ، فصارت مساكن للشّهوات ، ولا يمحو الشّهوات من القلوب إلاّ خوف مُزعج ، أو شوق مُقلق .

الشّهوة : *DESIRE*

حاتم الأصم :

الشّهوة ثلاثة : شهوة في الأكل ، وشهوة في الكلام ، وشهوة في النّظر ، فاحفظ الأكل بالثّقة ، واللّسان بالصّدق ، والنّظر بالعبرة .

(الصّاد)

الصّابر : *THE PATIENT*

أحمد بن خضرويه :

مَنْ صَبَرَ على صبره فهو الصّابر ، لا مَنْ صَبَرَ وشَكَرَ .

صاحب الحديث : *THE NARRATOR*

عبد الله بن خُبيق الأنطاكي :

لكلّ تاجر رأس مال، ورأس مال صاحب الحديث الصّدق.

الصّادق: *TRUTHFUL*

معروف الكرخي:

ما أكثر الصّالحين وأقلّ الصّادقين في الصّالحين.

الصّالح: *THE RIGHTEOUS*

إبراهيم بن أدهم:

اعلمْ أنّكَ لا تنال درجة الصّالحين، حتّى تجور ستّ عقاب:

أنْ تغلق باب النّعمة	وتفتح باب الشّدّة
أنْ تغلق باب العزّ	وتفتح باب الذّلّ
أنْ تغلق باب الرّاحة	وتفتح باب الجهد
أنْ تغلق باب النّوم	وتفتح باب السّهر
أنْ تغلق باب الغنى	وتفتح باب الفقر
أنْ تغلق باب الأمل	وتفتح باب الاستعداد للموت

الصّبر: *PATIENCE*

خير النّسّاج: 3/ 17.. ت 320 هجري

الصّبر من أخلاق الرّجال، والرّضا من أخلاق الكرام.

الصّحبة: *FRIENDSHIP*

ممشاذ الدّينوري: 3/ 15.. ت 299 هجري

صحبة أهل الصّلاح تورث في القلب الصّلاح، وصحبة أهل الفساد تورث فيه الفساد.

الصّدق: *TRUTH*

أبو العبّاس أحمد بن مُحمَّد الدّينوري: 5/ 12. . ت 341 هجري

ليس يبلغ بالإنسان إلى مراتب الأخيار إلاّ الصّدق. وكلّ وقت وحال خلا عن الصّدق فهو باطل.

الفضيل بن عيّاض:

لم يتزيّن النّاس بشيء، أفضل من الصّدق، وطلب الحلال.

الصِّدِّيق: *MAN OF TRUTH*

يحيى بن معاذ الرّازي:

الوحدة مُنيَّة الصِّدِّيقين، والأُنس بالنّاس وحشتهم.

الصّفاء: *CLARITY*

معروف الكرخي:

سُئل معروف: بِمَ تُخرج الدّنيا من القلب؟ قال: بصفاء الوُدِّ، وحُسْن المعاملة.

الصُّوفي: *THE SUFI*

أبو بكر مُحمَّد بن داود الدّقّي: 5/ 5. . ت 350 هجري

سُئل ما علامة الصُّوفي؟ فقال: أنْ يكون مشغولاً بكلّ ما هو أولى به من غيره، ويكون معصوماً عن المذمومات.

أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري: 5/ 15. . ت 371 هجري

الصُّوفي وَجْدُهُ وُجُوده، وصفاته حجابه.

الصُّوفيَّة: *SUFISM*

طاهر المقدسي (حبر أهل الشّام): 3/ 4. . ت

سُئل لِمَ سُمِّيت الصُّوفيَّة بهذا الاسم؟ فقال: لاستتارها عن الخلق بلوائح الوَجْد، وانكشافها بشمائل القَصْد.

رويم بن أحمد البغدادي:

لا يزال الصُّوفيَّة بخير ما تنافروا، فإنْ اصطلحوا هلكوا. وقال: لَمَّا عظمت فيهم البليَّة، استحكمت عليهم الفتنة، واستصغروا عند ذلك كلَّ مقام، وعزب عنهم التّدبير والنّظام.

يوسف بن الحسين الرّازي:

نظرتُ في آفات الخلق فعرفتُ من أين أُتوا. ورأيتُ آفة الصُّوفيَّة في صحبة الأحداث، ومعاشرة الأضداد، وأرفاق النّسوان.

أبو بكر الكتّاني:

الصُّوفيَّة عبيد الظَّواهر، أحرار البواطن.

الصَّوم: *FASTING*

مظفر القرميسيني: 4/ 13. . ت

الصَّوم ثلاثة: صوم الرُّوح بقصر الأمل، وصوم العقل بخلاف الهوى، وصوم النَّفْس بالإمساك عن الطّعام والمحارم.

(الضّادّ)

الضّرورة: *NECESSITY*

سهل بن عبد الله التّستري:

الضّرورة للأنبياء، والقوام للصِّدِّيقين، والقوت للمؤمنين، والمعلوم للبهائم.

ضيَّع: *LOSE*

أبو عبد الله التّروغندي: 5/ 16. . ت 351 هجري

مَنْ ضيَّع أمر الله في صغره، أذلَّه الله في كبره.

(الطّاء)

الطّاعة: *OBEDIENCE*

أبو إسحاق إبراهيم بن المولّد: 4/ 17. . ت

حلاوة الطّاعة بالإخلاص، تذهب بوحدة العجب.

الطّاهر: *THE PURIFIED*

معروف الكرخي:

قلوب الطّاهرين تُشرَح بالتّقوى، وتُزهَر بالبرّ؛ وقلوب الفُجّار تظلم بالفجور، وتعمى بسوء النّيّة.

الطّريق: *THE WAY*

ذو النُّون المصري:

يا معشر المريدين! مَنْ أراد منكم الطّريق، فليلقَ العلماء بالجهل، والزُّهّاد بالرّغبة، وأهل المعرفة بالصّمت.

الطّمع: *GREED*

عبد الله بن خُبيق الأنطاكي:

مَنْ أراد أنْ يعيش غنيّاً في حياته، فلا يسكن الطّمع قلبه.

(الظّاء)

الظّاهر: *THE EVIDENT*

أبو العبّاس بن مسروق الطّوسي:

سُئل أبو العبّاس عن سماع الرّباعيّات فأجاب: ولا أرى سماع الرّباعيّات إلاّ لمستقيم الظّاهر والباطن، قويّ الحال، تامّ العلم.

(العين)

العابد: *WORSHIPPER*

أبو يزيد البسطامي:

العابد يعبده بالحال، والعارف الواصل يعبده في الحال.

العارف: *COGNIZANT*

أبو يعقوب النّهرجوري 4/ 8. . ت 330 هجري

مَنْ عرف الله لم يغترَّ بالله. وأعرف النّاس بالله أشدّهم تحيُّراً فيه.

أبو مُحمَّد عبد الله بن مُحمَّد الشّعراني: 5/ 6. . ت 353 هجري

العارف لا يعبد الله على موافقة الخلق، بل يعبده على موافقته عزَّ وجلَّ.

أبو بكر مُحمَّد بن أحمد الشّبهي: 5/ 19. . 359 هجري

العارفون يقوون بمعروفهم، وسائر النّاس يقوون بالأكل والشّرب.

العافية: **SAFETY**

حاتم الأصم:

قال رجل لحاتم: ما تشتهي؟ قال: أشتهي عافية يومي إلى اللّيل! فقيل له: أ ليست الأيّام كلّها عافية؟!. فقال: إنَّ عافية يومي ألاّ أعصي الله فيه.

العاقل: *THE SENSIBLE MAN*

أبو علي الثّقفي: 4/ 4. . ت 328 هجري

أربعة أشياء، لابُدَّ للعاقل من حفظهنَّ: الأمانة، والصّدق، والأخ الصّالح، والسّريرة.

العباء: *THE CLOAK*

حاتم الأصمّ:

العباء علم من أعلام الزّهد، فلا ينبغي لصاحب العباء أنْ يلبس عباء بثلاثة دراهم ونصف، وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم. أما يستحي من الله أنَّ تُجاوز شهوة قلبه عباءه؟!

العبادة: *WORSHIP*

أبو يزيد البسطامي:

سُئل بماذا يُستعان على العبادة؟ فقال: بالله إنْ كنتَ تعرفه.

العبرة: *LESSON*

أبو عبد الله السّجزي:

العبرة أنْ تجعل كلّ حاضر غائباً، والفكرة أنْ تجعل كلّ غائب حاضراً.

العبوديَّة: *SERVANTHOOD*

عبد الله بن مُحمَّد بن منازل: 4/ 5 . . ت 329 هجري

العبوديَّة الرّجوع في كلّ شيء إلى الله ـ تعالى ـ على حدّ الاضطرار.

أبو حفص النّيسابوري:

سُئل عن العبوديَّة، فقال: تَرْكُ ما لَكَ، والتزام ما أُمِرْتَ به.

مُحمَّد بن علي التّرمذي:

مَنْ جهل أوصاف العبوديَّة، فهو بنعوت الرّبَّانيَّة أجهل.

العدل: *JUSTICE*

أحمد بن عاصم الأنطاكي:

العدل عدلان: عدل ظاهر، فيما بينكَ وبين النّاس، وعدل باطن فيما بينكَ وبين الله تعالى.

وطريق العدل طريق الاستقامة، وطريق الفضل طريق الفضيلة.

العشق: *ADORATION*

أبو بكر الورّاق:

مَنْ عشق نفسه عشقه الكِبر، والحسد، والذُّلّ، والمهانة.

العطاء: *GIVING*

أبو حفص النّيسابوري:

مَنْ يعطي ويأخذ فهو رجل، ومَنْ يعطي ولا يأخذ فهو نصف رجل، ومَنْ لا يعطي ولا يأخذ فهو همج لا خير فيه.

العقل: *MIND*

أبو عمرو الزّجّاجي: 5/ 2 . . ت 348 هجري

العقل الصّحيح هو الذي يستحسن محاسن الشّريعة، ويستقبح ما تستقبحه.

العلم: *COGNIZANCE*

أبو عثمان سعيد بن سلاّم المغربي: 5/ 13 . . ت 373 هجري

العلم علمان: علم الأديان، وعلم الأبدان، ورحم الله الشّافعي ما أحسن ما قال: علم الأديان علم الحقائق والمعارف، وعلم الأبدان علم السّياسات والرّياضات والمجاهدات.

علم الانقطاع: *THE ACT OF REFUGING*

علم الدُّنُوّ: *THE ACT OF APPROACHING*

أبو مُحمَّد الحريري:

التَّسرُّع إلى استدراك علم الانقطاع وسيلة، والوقوف على حدّ الانحسار نجاة، واللّياذ بالمهرب من علم الدُّنُوّ وصلة.

عمى القلب: *BLINDNESS OF THE HEART*

أبو سليمان الدّاراني:

إذا جاع القلب وعطش، صفا، ورقّ، وإذا شبع وروي عمي.

العمل: *THE DEED*

أبو بكر مُحمَّد بن أحمد الفرّاء: 5/ 20 . . ت 370 هجري

يصحُّ للمرء عمله على قدر اهتمامه بالدُّخُول فيه، وحزنه على تقصيره وجهده في الخُرُوج منه على السُّنَّة.

عهد الله:

حمدون القصّار:

مَنْ ضيع عُهُود الله عنده، فهو لآداب شريعته أضيع.

عوامّ: *MAJORITY*

أبو بكر الورّاق:

عوامّ الخلق هم الذين سلمت صدورهم، وحسنت أعمالهم، وطهرت ألسنتهم. فإذا خلوا من هذا فهُم الغوغاء، لا العوامّ.

عين المحبّة: *THE REAL LOVE*

أبو القاسم الجنيد:

عين المحبّة أنْ تحبّ ما يحبُّ الله - تعالى - في عباده، وتكره ما يكره الله - تعالى - في عباده.

(الغين)

الغافل: *THE HEEDLESS*

سهل بن عبد الله التّستري:

مَنْ أحبّ أنْ يطّلع الخلق على ما بينه وبين الله فهو غافل.

الغفلة: *THE NEGLIGENCE*

أبو القاسم الجنيد:

الغفلة عن الله - تعالى - أشدّ من دُخُول النّار.

الغنى: *THE WEALTH*

أبو تراب النّخشبي:

حقيقة الغِنى أنْ تستغني عمّنْ هو مثلك، وحقيقة الفقر أنْ تفتقر إلى مَنْ هو مثلك.

الغيبة: *THE ABSENCE*

أبو القاسم الجنيد:

القرب بالوجد جمع، والغيبة بالبشريّة تفرقة.

الفتنة: *TEMPTATION*

سهل بن عبد الله التّستري:

الفتن ثلاثة: فتنة العامّة، من إضاعة العلم؛ وفتنة الخاصّة، من الرّخص والتّأويلات؛ وفتنة أهل المعرفة، من أنْ يلزمهم حقّ في وقت، فيؤخّروه إلى وقت ثان.

الفتوّة: *GOOD BEHAVIOUR*

مُحمّد بن فضل البلخي:

سُئل ما الفتوّة؟! فقال: حفظ السّرّ مع الله على الموافقة، وحفظ الظّاهر مع الخلق بحُسْن العشرة، واستعمال الخلق.

الفراسة: *INTUITION*

حمدون القصّار:

مُذْ علمتُ أنّ للسّلطان فراسة في الأشرار، ما خرج خوف السّلطان من قلبي.

الفرج: *REFUGE*

أبو تراب النّخشبي:

يا أيُّها النّاس؛ أنتم تحبُّون ثلاثة ليست هي لكم: تحبُّون النَّفْس وهي لله، وتحبُّون الرُّوح، والرُّوح لله، وتحبُّون المال، والمال للوَرَثة، وتطلبون اثنَيْن، ولا تجدونهما الفرج والرّاحة؛ وهما في الجنّة.

الفريضة: *DUTIES IMPOSED BY GOD ON ADULTS*

أبو يزيد البسطامي:

سُئل عن السُّنَّة والفريضة. فقال: السُّنَّة تَرْك الدّنيا، والفريضة الصّحبة مع المولى، فَمَنْ تعلّم السُّنَّة والفريضة فقد كمل؛ لأنّ السُّنَّة كلّها تدلُّ على تَرْك الدّنيا، والكتاب كلّه يدلُّ على صحبة المولى.

الفقر: *POVERTY*

أحمد بن عاصم الأنطاكي:

أنفع الفقر ما كنتَ به متجمِّلاً، وبه راضياً.

الفقير: *THE POOR*

بشر الحافي:

الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل، وإنْ أُعطي لا يأخذ، فذاكَ من الرُّوحانيِّين، إذا سأل الله أعطاه، وإنْ أقسم على الله أبرَّ قسمه. وفقير لا يسأل، وإنْ أُعطي قبل، فذاكَ من أوسط القوم، عقده التَّوكُّل والسّكون إلى الله تعالى؛ وهو ممَّنْ توضع له الموائد في حظيرة القُدس. وفقير اعتقد الصّبر ومدافعة الوقت، فإذا طرقته الحاجة خرج إلى عبيد الله، وقلبه إلى الله بالسّؤال، فكفَّارة مسألته صدقه في السّؤال.

سمنون بن عمر المحبّ: 2/ 8. . ت298 هجري

سُئل سمنون عن الفقير الصّادق، فقال: الذي يأنس بالعُدْم كما يأنس الجاهل بالغنى. ويستوحش من الغنى، كما يستوحش الجاهل من الفقر.

أبو الحسن علي بن بندار الصّيرفي: 5/ 18. . ت 359 هجري

ليس الفقير مَنْ يُظهر فقره، إنَّما الفقير مَنْ يكتم فقره، ويأنس به، ويفرح.

الفقيه: *JURISPRUDENT IN RELIGION*

علي بن سهل الأصبهاني:

مَنْ فقه قلبه أورثه ذلك الإعراض عن الدّنيا وأبنائها، فإنَّ من جهل القلب متابعة سرور لا يدوم، والفقيه مَنْ لا يدخل تحت المنسوبات إليه.

الفكرة: *NOTION*

أبو بكر بن حامد التّرمذي: 3/ 6. . ت

الفكرة على خمسة أوجه:

فكرة في آيات الله وعلاماته، يتولَّد منها المعرفة.

فكرة في آلاء الله ونعمائه، يتولَّد منها المحبَّة.

فكرة في وعد الله وثوابه، يتولَّد منها الرّغبة في الطّاعة والموافقة.

فكرة في وعيد الله وعقابه، يتولَّد منها الرّهبة من المخالفة.

فكرة في جفاء النَّفْس في جنب إحسان الله إليها، يتولَّد منها الفكرة فيما سلف، والحياء من الله تعالى ذكْره.

الفوت: *MISSING*

يحيى بن معاذ الرّازي:

الفوت أشدُّ من الموت؛ لأنَّ الفوت انقطاع عن الحقّ، والموت انقطاع عن الخلق.

فوت الحقّ: *MISSING OF RIGHTEOUSNESS*

أبو العبَّاس بن مسروق الطّوسي:

أكثر ما يخاف منه العارف فوت الحقّ.

(القاف)

قارئ: *THE MAN WHO RECITES(THE QUR'AN)*

بشر الحافي:

شاطر سخي أحبّ إلى الله من قارئ لئيم.

قرَّاء: *NARRATORS*

الفضيل بن عيَّاض:

تَبَاعَدْ من القرَّاء، فإنَّهم إنْ أحبُّوك، مدحوك بما ليس فيكَ، وإنْ أبغضوكَ شهدوا عليكَ، وقُبل منهم.

أبو بكر الرّازي:

النّاس ثلاثة : العلماء والأمراء والقرّاء. فإذا فسد الأمراء فسد المعاش، وإذا فسد العلماء فسدت الطّاعات، وإذا فسد القرّاء فسدت الأخلاق.

القبض: *SADDNESS*

أبو القاسم الجنيد:
سُئل على ماذا يتأسّف المحبُّ من أوقاته؟ قال: على زمان بسط أورث قبضاً، أو زمان أنس أورث وحشة.

القول: *SPEECH*

أبو حفص النّيسابوري:
الحال لا يقارن العلم، ولا يقارن القول.

القُرْب: *CLOSE BY*

علي بن سهل الأصبهاني:
الصّادقون يعيشون في قُرْب الله، والمحبُّون يعيشون في الأنس بالله، والشّوق إليه.

القربة: *CLOSENESS*

أبو العبَّاس بن عطاء الأدمي:

الإنصاف فيما بين الله وبين العبد في ثلاثة: في الاستعانة والجهد والأدب:

فمن العبد الاستعانة	ومن الله القربة
ومن العبد الجهد	ومن الله التّوفيق
ومن العبد الأدب	ومن الله الكرامة

القلب: *THE HEART*

أبو الحسن المزيّن: 4/ 9.. ت 328 هجري
ملاك القلب في التّبرّي من الحول والقوّة.

القلّة: *DISDAIN*

عمرو بن عثمان المكّي:

إنّ رأس الزّهد وأصله في القلوب هو احتقار الدّنيا واستصغارها، والنّظر إليها بعين القلّة، وهذا هو الأصل الذي يكون منه حقيقة الزّهد.

القلوب: *HEARTS*

أبو الخير الأقطع التّيناتي: 4/ 6. . ت 340 هجري

القلوب ظُرُوف: فقلب مملوء إيماناً، علامته الشّفقة على جميع المسلمين والاهتمام بما يهمُّهم، ومعاونتهم بما يعود صلاحه إليهم. وقلب مملوء نفاقاً، فعلامته الحقد، والغلّ، والغشّ، والحسد.

القناعة: *SATISFACTION*

أبو تراب النّخشبي:

القناعة أخذ الغوث من الله عزّ وجلّ.

(الكاف)

الكِبَر: *ARROGANCE*

حاتم الأصمّ:

أصل المعصية ثلاثة أشياء: الكبَر والحرص والحسد.

الكتاب: *THE QUR'AN*

أبو الحسين بن هند الفارسي: 4/ 14. . ت

المتمسِّك بكتاب الله هو الملاحظ للحقّ على دوام الأوقات، لا يخفى عليه شيء من أمور دينه ودنياه، بل يجري في أوقاته على المشاهدة، لا على الغفلة، يأخذ الأشياء من معدنها، ويضعها في معدنها.

الكرامات: *EXTRA ORDINARY ACTIONS*

مُحمَّد بن عليّان النّسوي:

مَنْ أظهر كراماته فهو مُدَّع، ومَنْ ظهرت عليه الكرامات فهو وَليّ.

إبراهيم القصّار: 3/ 16. . ت 326 هجري

الأولياء يرتبطون بالكرامات والدّرجات، والأنبياء مكشوف لهم عن حقائق الحقّ، فالكرامات والدّرجات عندهم وحشة.

الكرم: *GENEROUSITY*

أبو حفص النّيسابوري:

الكرم طرح الدّنيا لمَنْ يحتاج إليها، والإقبال على الله لاحتياجك إليه.

الكسب: *GAIN*

حمدون القصّار:

قُعُود المؤمن عن الكسب إلحاف في المسألة.

الكُفْر: *BLASPHEMY*

أبو حفص النّيسابوري:

المعاصي بريد الكُفْر، كما أنَّ الحمَّى بريد الموت.

الكياسة: *SELF CONCERNED*

حمدون القصّار:

الكياسة تورث العجب.

(اللاَّم)

لسان (الأبدية): *TONGUE OF ETERNITY*

أبو سعيد الخرّاز 2/ 14. . ت 279 هجري

للعارفين خزائن أودعوها عُلُوماً غريبة وأنباء عجيبة؛ يتكلّمون فيها بلسان الأبديَّة، ويخبرون عنها بعبارة الأزليَّة.

لسان (الباطن): *TONGUE OF THE HIDDIN*

لسان (الظّاهر): *TONGUE OF THE EVIDENT*

أبو سعيد الخرّاز:

إنَّ الله ـ تعالى ـ عجَّل لأرواح أوليائه التَّلذُّذ بذكْره، وعجَّل لأبدانهم النّعمة بما نالوه من مصالحهم، وعيش أرواحهم. عيش الرَّبَّانيِّين لهم لسانان: لسان في الباطن، يعرِّفهم صنع الصّانع في المصنوع، ولسان في الظّاهر يعلِّمهم علم المخلوقين، فلسان الظّاهر يكلِّم أجسامهم، ولسان الباطن يناجي أرواحهم.

(الميم)

المتزهِّد: *UNTRUE ASCETIC*

شقيق البلخي:

الزّاهد الذي يقيم زهده بفعله، والمتزهِّد الذي يقيم زهده بلسانه.

المتَّقي: *PIOUS*

أبو بكر الكتَّاني: 4/ 7. . ت 312 هجري

سُئل عن المتَّقي، فقال: مَنْ اتَّقى ما لهج به العوامّ من متابعة الشّهوات، وركوب المخالفات؛ ولزم باب الموافقة، وأنس براحة اليقين، واستند إلى ركن التَّوكُّل، وأتته الفوائد من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في كلّ حال، فلم يغفل عنها.

المتوكِّل: *HE WHO TRUSTS IN GOD*

منصور بن عمَّار:

سبحان مَنْ جعل قلوب الزّاهدين أوعية التَّوكُّل، وقلوب الفقراء أوعية القناعة، وقلوب المتوكِّلين أوعية الرّضا.

المجاهدة: *STRIVING*

الحارث المحاسبي:

مَنْ صحَّح باطنه بالمُراقبة والإخلاص، زيَّن الله ظاهره بالمجاهدة واتِّباع السُّنَّة.

مُحمَّد بن الفضل البلخي: 2/ 11. . ت 319 هجري

أعرف النّاس بالله أشدّهم مجاهدة في أوامره، وأتبعهم لسنَّة نبيِّه ﷺ.

المجاورة: *NEIGHBOURING*

أبو العبَّاس بن عطاء الأدمي:

خلق الله الأنبياء للمشاهدة، وخلق الأولياء للمجاورة.

المحاسبة: *CALL TO ACCOUNT*

أبو سليمان الدّاراني:

أبلغ الأشياء فيما بين الله وبين العبد المحاسبة.

المحال: *THE IMPOSSIBLE*

أبو حمزة البغدادي البزّاز: 3/ 10. . ت289 هجري

من المحال أنْ نحبّه، ثُمَّ لا نذكره، ومن المحال أنْ تذكر ولا يُوجدك طعم ذكْره، ومن المحال أن يُوجدكَ طعم ذكْره، ثُمَّ يُشغلك بغيره.

المحبّ: *DEVOTED*

ذو النَّون المصري:

من علامات الحبّ لله، متابعة حبيب الله في أخلاقه، وأفعاله، وأمره، وسننه.

المحجوب: *HE WHO WILL BE VEILED*

أبو يزيد البسطامي:

الجنَّة لا خطر لها عند أهل المحبَّة، وأهل المحبَّة محجوبون بمحبَّتهم.

المحدث: *NARRATOR*

مُحمَّد بن علي التّرمذي:

سُئل: هل يخاف المحدثون سوء العاقبة؟ قال: خوف هول وقلق، يكون كالخطرات، ثُمَّ يمضي، فإنَّ الله - تعالى - لا يحبُّ أنْ يكدر عليهم مِنَنَه.

المراقبة: *CONTEMPLATION*

أبو العبَّاس بن مسروق الطّوسي:

اجعلْ مُراقبتكَ لِمَنْ لا يغيب عن نظره إليكَ، واجعلْ شكركَ لِمَنْ لا تنقطع نعمه عنكَ، واجعلْ خضوعكَ لِمَنْ لا تخرج عن ملكه وسلطانه.

المروءة: *HELPFULNESS*

عمر بن عثمان المكّي:

المروءة التّغافل عن زَلَل الأخوان.

المريد: *DISCIPLE*

أبو بكر الشّبلي:

سُئل متى يكون الرّجل مريداً؟ فقال: إذا استوت حاله في السّفر والحضر والمشهد والمغيب.

المشاهدة: *SIGHTING*

أبو بكر الواسطي: 3/ 12. . ت 320 هجري

شاهد بمشاهدة الحقّ إيَّاكَ، ولا تشهده بمشاهدتكَ له.

المقال: *SPEECH*

أبو جعفر بن سنان: 3/ 20. . ت 387 هجري

جمال الرّجل في حُسْن مقاله، وكماله في صدْق أفعاله.

المعاينة: *PERCEIVING*

يحيى بن معاذ الرّازي:

مَنْ لم يعتبر بالمعاينة، لم يتَّعظ بالموعظة، ومَنْ اعتبر بالمعاينة، استغنى عن الموعظة.

المعرفة: *KNOWLEDGE*

أبو الحسن الصّائغ الدّينوري: 3/ 14. . ت 330 هجري

سُئل ما المعرفة؟ فقال: رؤية المنَّة في كلّ الأحوال، والعجز عن أداء شُكر النّعم من كلّ الوجوه، والتّبرّي من الحول، والقوّة في كلّ شيء.

المقام: *STATION*

أبو بكر بن حامد التّرمذي:

إذا أوصلكَ الله إلى مقام، ومنعك حرمة أهله والالتذاذ بما وصلتَ إليه، فاعلمْ أنَّكَ مغرور مستدرج.

المقت: *HATRED*

معروف الكرخي:

علامة مقت الله العبد أنْ تراه مشتغلاً بما لا يعنيه من أمر نفسه.

(النُّون)

النّدامة: *REGRET*

أبو العبَّاس بن مسروق الطّوسي:

شجرة التّوبة تُسقَى بماء النّدامة، وشجرة المحبَّة تُسقى بماء الاتِّفاق والمُراقبة والإيثار.

نزَّه: *EXAULT*

أبو علي بن الكاتب: 4/ 10. . ت 340 هجري

المعتزلة نزَّهوا الله ـ تعالى ـ من حيثُ العقول، فأخطأوا، والصُّوفيَّة نزهَّوه ـ تعالى ـ من حيثُ العلم، فأصابوا.

نصح: *ADVISE*

أبو حمزة الخراساني: 3/ 18. . ت309 هجري

مَنْ نصح نفسه كرُمت عليه، ومَنْ تشاغل عن نصيحتها هانت عليه.

النّصيحة: *THE ADVICE*

حاتم الأصمّ:

النّصيحة للخلق، إذا رأيتَ إنساناً في الحسنة أنْ تحثّه عليها، وإنْ رأيته في معصية أنْ ترحمه.

النَّفْس: *THE SELF*

أبو مُحمَّد الحريري: 3/ 1. . ت 311 هجري

مَنْ استولت عليه النَّفْس صار أسيراً في حكم الشّهوات، محصوراً في سجن الهوى، وحرَّم الله على قلبه الفوائد، فلا يستلذُّ كلامه، ولا يستحليه، وإنْ كثر ترداده على لسانه؛ لأنَّ الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾.

نور (اليقين): *LIGHT OF CERTAINITY*

أحمد بن أبي الحواري:

مَنْ نظر إلى الدّنيا نظر إرادة وحبّ لها، أخرج الله نور اليقين والزّهد من قلبه.

(الهاء)

الهَمّ: *ANXIETY*

أبو تراب النّخشبي:

احفظ همَّكَ، فإنَّه مقدِّمة الأشياء، فَمَنْ صحَّ له همُّه، صحَّ له ما بعد ذلك من أفعاله وأحواله.

الهِمَّة: *DETERMINATION*

أبو سعيد بن الأعرابي: 5/ 1. . ت 341 هجري

مَنْ أصلح الله همَّته، لا يُتعبه ـ بعد ذلك ـ ركوب الأهوال، ولا مُباشرة الصّعاب، وعلا بعُلُوِّ همَّته إلى أسنى المراتب، وتنزَّه عن الدّناءة أجمع.

أبو عبد الله بن الجلاَّء: 2/ 4. . ت 306 هجري

مَنْ علت همَّته على الأكوان، وصل إلى مُكوِّنها، ومَنْ وقف بهمَّته على شيء ينوي الحقّ، فاته الحقّ؛ لأنَّه أعزُّ من أنْ يرضى معه بشريك.

الهيبة: *DIGNITY*

أبو بكر الورّاق:

مَنْ صحّت معرفته بالله ظهرت عليه الهيبة والخشية.

(الواو)

الوارد: *COMING SIGNS*

أبو بكر الكتّاني:

الموارد ترد، فتصادف شكلاً أو موافقة، فأيّ وارد صادف شكلاً مازجه، وأيّ وارد صادف موافقاً ساكنه.

الواعظ: *THE PREACHER*

أبو عبد الله السّجزيّ:

كلّ واعظ لا يقوم الغني من مجلسه فقيراً، والفقير من مجلسه غنيّاً، فليس هو بواعظ.

الوَجْد: *ECSTASY*

عمرو بن عثمان المكّي:

لا يقع على كيفيّة الوَجْد عبارة؛ لأنّه سرّ الله ـ تعالى ـ عند المؤمنين الموقنين.

الوحدة: *LONELINESS*

يحيى بن معاذ:

الوحدة منية الصّدّيقين، والأنس بالنّاس وحشتهم.

الوُدّ: *AFFECTION*

أبو الحسين النُّوري:

مَنْ وصل إلى وُدّه، أنس بقُربه. ومَنْ توسّل بالوداد، فقد اصطفاه من بين العباد.

الورع: *PIETY*

أبو إسحاق إبراهيم الخوّاص: 3/ 7. . ت 291 هجري

سُئل عن الورع، فقال: ألاّ يتكلّم العبد إلاّ بالحقّ غضب أم رضي، ويكون اهتمامه بما يرضي الله تعالى.

الوفاء: *FIDELITY*

أبو بكر الشّبلي:

سُئل عن الوفاء، فقال: هو الإخلاص بالنّطق، واستغراق السّرائر بالصّدق.

الوقت: *TIME*

أبو القاسم الجنيد:

الوقت إذا فات لا يُستدرَك، وليس شيء أعزّ من الوقت.

الولاية: *SAINTHOOD*

أبو بكر بن حامد التّرمذي:

الوَليّ في ستر حاله أبداً، والكون كلّه ناطق عن ولايته، والمدّعي ناطق به، والكون كلّه ينكر عليه.

الوليّ: *SAINT*

أبو عبد الله بن سالم البصري: 4/ 18. . ت

سُئل: بماذا يُعرَف الأولياء في الخلق؟ فقال: بلُطف لسانهم، وحُسْن أخلاقهم، وبشاشة وجوههم، وسخاء أنفسهم، وقبول عُذر مَنْ اعتذر إليهم، وتمام الشّفقة على جميع الخلائق؛ برِّهم، وفاجرهم.

(الياء)

اليقظة: *AWAKENING*

أبو بكر الطّمستاني: 5/ 11. . ت 340 هجري

اليقظة ـ في أهل اليقظة ـ لعمارة الآخرة، والغفلة ـ في أهل الغفلة ـ لعمارة الدّنيا.

اليقين: *CERTAINTY*

أبو بكر بن يزدانيار: 4/ 16. . ت

المعرفة صحّة العلم بالله، واليقين النّظر بعين القلب إلى ما عند الله تعالى ممَّا وعده، وادَّخره.

أبو علي الرُّوذباري: 4/ 3.. ت322 هجري

أنفع اليقين ما عظَّم الحقّ في عينَيْكَ، وصغَّر ما دونه عندكَ، وأثبت الخوف والرّجاء في قلبكَ.

أبو الحسين الورَّاق النّيسابوري: 3/ 11.. ت319 هجري

اليقين ثمرة التَّوحيد، فَمَنْ صفا في التَّوحيد صفا له اليقين.

الفصل السّادس عشر:

هل الصُّوفيَّة مُؤامرة فارسيَّة على الإسلام؟
الصُّوفيَّة في حلَّتها الجديدة؛ هل تمثِّل التَّصوُّف الحقيقي؟

التَّصوُّف كمُؤامرة فارسيَّة على الإسلام:

بتوفيق من الله عرضنا في الصَّفحات السَّابقة اللّمحات العامَّة، التي اتَّسمت بها الحركة الصُّوفيَّة مُنذُ نشأتها أيَّام الخلافة الرَّاشديَّة تحت عنوان الزّهد، والتي استمدَّت سُلُوكها التَّصوُّفي من قائد الأُمَّة ورسول العناية الإلهيَّة للبشريَّة جمعاء مُحمَّد ﷺ، وحمل رايتها الخلفاء الرَّاشدون والصَّحابة الكرام؛ أمثال: أبي هريرة، أبي الدّرداء، أبي ذرّ، سعد بن أبي وقَّاص، وعبد الرّحمن بن عوف، وغيرهم، رضي الله عنهم جميعاً. وبيَّنَّا كيف تطوَّرت حركة التَّصوُّف في عُصُورها اللاَّحقة؛ حيثُ امتزجت فيها الفلسفة، ودخلت إليها المعتقدات الغريبة والبعيدة عن رُوح الإسلام، تلك الآراء التي انتقلت إليها من الفلسفات الشّرقيَّة؛ كالهندوسيَّة، والزّراداشيتة، والبوذيَّة، أو ممَّا أنتجته الفلسفة اليونانيَّة، التي نادى بها سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، وغيرهم من أصحاب الفكر اليوناني، ولم تكن الاتِّجاهات التَّنسُّكيَّة في المسيحيَّة بعيدة عن هؤلاء الصُّوفيِّين، الذين كانت تستهويهم كلّ المعتقدات والأفكار الرُّوحيَّة التي تطرحها تلك الفلسفات، التي لا تمتُّ إلى الإسلام بصلة.

لقد كان عرضنا الموجز- والذي حاولنا أنْ يكون شاملاً للفكر الصُّوفي، وما يحتويه من تيَّارات- أنْ نُبيِّن للقارئ الكريم صُورة واضحة وعامَّة عن الحركة الصُّوفيَّة وأصحابها، وما تحتويه من حقائق قد تكون خافية على قطاع من النّاس؛ لنتمكَّن من الوُصُول إلى إجابة صحيحة وموضوعيَّة على السّؤال الذي يتردَّد على ألسنة الكثير من الكُتَّاب والمفكِّرين الذين

يؤمنون بأنَّ الصُّوفيَّة ما هي إلاَّ حركة فارسيَّة برزت في الوسط الإسلامي كرَدٍّ فعل للعقليَّة الآريَّة، التي رفضت الإسلام الذي جاء به الفاتحون العَرَب المسلمون، وفشلت في إعادة الدّيانة المجوسيَّة التي كانت سائدة في بلاد فارس قبل الفتح الإسلامي، وأنَّ التَّصوُّف هو - في حقيقته - بعيد عن الإسلام، وفيه الكثير من الطّقوس والمفاهيم التي لا تمتُّ إلى الإسلام بصلة، وأنَّ إدخال هذه المعتقدات الغريبة عن الدِّين الإسلامي ما هو إلاَّ محاولة لتشويه ذلك الدِّين، وتحريفه، والسّعي إلى إفساده.

إنَّ أصحاب هذا الطّرح وهذه الرّؤية للحركة الصُّوفيَّة ومراميها ينظرون إلى ما أنتجته حركة التَّصوُّف من آثار، وما خلَّفتْهُ من معتقدات أحدثت الكثير من البلبلة في الفكر الإسلامي، وأثارت الكثير من الجَدَل في صفوف رجال الفكر فيه. لقد بدأت هذه المنازعات الفكريَّة التي أثارتها أقوال الحسين بن منصور الحلاَّج في وقت مبكِّر من مسيرة حركة التَّصوُّف. كان الحلاَّج يمثِّل أوَّل مَنْ قال في الإسلام: "أنا الحقُّ"، وهو أوَّل مَنْ نادى بالاتِّحاد بالذّات الإلهيَّة "وحدة الشّهود"، تلك المقولة التي تبنَّاها محيي الدِّين بن عَرَبي، وعبَّر عنها تحت عنوان "وحدة الوُجُود". ويرى لويس ماسينيون - المستشرق الفرنسي - أنَّ شخصيَّة الحلاَّج هي خير ما يُوصِّل المسيحيَّة في الإسلام، ويتعاطف ماسينيون مع الحلاَّج الذي يعتبره الإنسان الذي يحتلّ أسمى درجات القداسة؛ لأنَّه وصل إلى الحقيقة عن طريق المجاهدة النَّفْسيَّة والفناء، وهذا ما قاده إلى قولته الشّهيرة "أنا الحقّ"، وما عبَّر عنه شعراً، وهو في طريقه إلى الإعدام؛ حيثُ قال:

نديمي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف

سقاني مثل ما يشر ... ب فعل الضّيف بالضّيف

فلمَّا دارت الكأس ... دعا بالنّطع والسّيف

كذا مَنْ يشرب الرَّاح ... مع التِّنِّين في الصّيف

والفكر الصُّوفي الذي عبَّر عنه الحلاَّج، وانتقده، واستنكره الكثير من الفقهاء لم يكن هو المأخذ الوحيد الذي استند إليه أصحاب نظريَّة المُؤامرة الفارسيَّة على الإسلام من خلال

التَّصوُّف، بل كان ـ في الحقيقة ـ يمثِّل المدخل الذي اعتمده هؤلاء في مقالتهم، التي تعزي كُلّ الانحرافات الفكريَّة التي رانت على الصُّوفيَّة بعد فترة الحلاَّج إلى أولئك الصُّوفيِّين الخراسانيِّين، الذين آثروا تبنِّي مقولات لا تمتُّ إلى الإسلام بصلة، وأدخلوا إلى الصُّوفيَّة تعابير ومصطلحات غريبة عن المفهوم الدِّيني الإسلامي، وأسَّسوا مدارس فكريَّة أطلقت العديد من البدَع، وروَّجت الكثير من التَّأويلات والشّطحات، وأنتجت من صفوفها مَنْ ينادي بالمجاهدة والفناء بالذّات الإلهيَّة والوَجْد، الذي يصل إلى مقام الاتِّحاد بالله، ومَنْ يقول بفكرة تعدُّد الوُجُود للذّات الواحدة والاندفاع نحو هذه الذّات، التي تتراءى للإنسان في كُلّ شيء، وتظهر له في كلّ موجود.

إنَّ ما ران على هذه المدارس من توجُّهات فلسفيَّة بعيدة عن رُوح الإسلام دفعت العديد من الفقهاء وعلماء الدِّين الإسلامي إلى مجابهة هذه الأفكار بالنّقد والتّجريح، ورفض ما تحتويه من آراء وأفكار ومعتقدات غريبة، وانتهت إلى اتِّهام الحركة الصُّوفيَّة بأنَّها مُؤامرة فارسيَّة تدعو إلى تشويه الإسلام، وإدخال مفاهيم لا تمتُّ إلى عقيدته بصلة.

ويبدو أنَّ الحركة الصُّوفيَّة بعد أنْ ارتدت حلَّتها الجديدة، وتحرَّكت فيها النّزعة نحو التّمازج مع الفلسفات الفكريَّة غير الإسلاميَّة للاستفادة من نتاج هذه الفلسفات، وبعد أنْ ودَّعت مراحل حبوها الأولى، التي كانت لا تخرج عن منهج مدرسة الزّهد، التي تخرج منها الحسن البصري، وسفيان الثَّوري، وإبراهيم بن أدهم، وأجاد التّعبير عنها كُلٌّ من الجنيد، والتّستري، والسّقطي، والمحاسبي، سرعان ما تطوَّرت مناهجها، وانتقلت معالمها الفكريَّة من الزّهد إلى ما أُطلق عليه الكَشْف والمعرفة، ومن ثمَّ؛ الحلول والاتِّحاد، وفتحت أبواباً جديدة في المعرفة تحت عنوان (مدرسة وحدة الوُجُود)، وأصبح لهاتَيْن المدرستَيْن الجديدتَيْن ـ مدرسة الكشف، والمعرفة، ومدرسة الاتِّحاد والحلول ـ أساتذتها ونجومها وطلاَّبها، أولئك الصُّوفيُّون الذين حملوا إلى الصُّوفيَّة الأفكار الجديدة المطعَّمة بالفلسفات غير الإسلاميَّة، وأوجدوا فيها آراء ومصطلحات وتعابير ومعتقدات غريبة عن الدِّين وبعيدة عن الفكر الإسلامي. وربَّما اعتقد هؤلاء الصُّوفيُّون ـ خطأ أو صواباً ـ أنَّ الإسلام بحاجة إلى ثقافة وأفكار وآراء جديدة قد تُؤدِّي إلى إغناء التّراث العقائدي فيه، أو أنَّ الحركة الصُّوفيَّة بحاجة إلى رافد ثقافي وفلسفة

فكريَّة تُزيِّن أفكارها، وتساعدها على الظّهور بمظهر متميِّز في وسط تتزاحم فيه الحركات الفكريَّة الغنيَّة بتراثها الثّقافي؛ كالبوذيَّة، والهندوسيَّة، واليونانيَّة، والمسيحيَّة، وغيرها.

ولكنْ؛ هل يسمح لنا وُصُول الصُّوفيَّة إلى ما عبَّر عنه أصحابها، وما ابتدعوه من مقولات، وما نادوا به من آراء إلى وصف هذه الحركة بأنَّها مُؤامرة فارسيَّة لهدم الإسلام؟! وإذا اعتمدنا هذا القول، وآمنَّا به، أ فلا يعترض على ما ذهبنا إليه معترض، ويقول: أ لم تكن الحركة الصُّوفيَّة تعبِّر عن حالة فكريَّة خاصَّة آمنت بمعتقدات مُعيَّنة، وتبنَّت منهجاً خاصَّاً بها، وأسلوباً تنفرَّد به للتّعبير عمَّا تؤمن به، وتدعو أتباعها إلى التَّمسُّك به، ليتميَّزوا من غيرهم من أصحاب الفرَق الإسلاميَّة الأخرى؟! ثُمَّ أ ليس من حقِّ الصُّوفي أنْ يدعو إلى عقيدته ومذهبه ومنهجه مثله مثل أيّ فريق آخر ظهر على المسرح السِّياسي ضمن العديد من الفرَق الإسلاميَّة الأخرى؟!

ولعلَّ من سوء حظِّ الصُّوفيَّة، الذي أبعد عنها تأثُّر المجتمع الإسلامي بها، وافتقادها إلى الكثير من الانتشار والتّأثير والنّفوذ في صفوفه، هو المقولات والتّعابير الصُّوفيَّة والشّطحات التي ابتدعها بعض أعلامها كمقولة وحدة الوُجُود التي نادى بها محيي الدِّين بن عَرَبي، ونظريَّة عبد الكريم الجيلي حول النّعيم والجحيم، ومقولة الحلاَّج في الاتِّحاد، وآراء البسطامي في مقامات الوليّ، وغير ذلك من الأفكار التي لاقت معارضة واستنكاراً عند العديد من رجال الدِّين الإسلامي وفقهائه.

واستعراض سريع لمسيرة التَّصوُّف تقفز أمامنا حقائق وصور متنوِّعة؛ منها ما هو مُشرق ومُضيء، ومنها ما هو مظلم شديد السّواد، فالجانب البهيّ الطّلعة هو ما يسود بعض الفرَق الصُّوفيَّة من الإصرار على التَّمسُّك بالكتاب والسُّنَّة، وعدم القيام بأيَّة أعمال، أو أقوال تناقض ما جاء فيهما، وإنكار كلّ ما جاءت به الصُّوفيَّة من بدَع ومقولات لا تتَّفق مع الشّرع، ولا تنسجم مع الدِّين الحنيف. أمَّا الجانب الشّديد العتمة في الصُّوفيَّة؛ فملامحه كثيرة؛ أبرزها:

1 ـ احتواء الفكر الصُّوفي على الكثير من المعتقدات الدِّينيَّة التي تخالف أصول الشّريعة المبيَّنة في الكتاب والسُّنَّة: كالإيمان بالمكانة العالية للوليّ، والاعتقاد بأنَّه أعلى رتبة من النّبي.

وأنَّ دور الوليّ في تبليغ الرّسالة السّماويّة أكثر أهمّيّة من دور الرّسول، فالرّسول تنتهي رسالته بوفاته، أمّا الوليّ؛ فتبقى مهمّته مادامت الحياة.

2 ـ الإيمان بأنَّ الوليّ يأخذ وحيه من الله مُباشرة (حدَّثني قلبي عن ربِّي)، أمّا النّبي؛ فإنّه يأخذ وحيه بواسطة المَلَك. وأنَّ النُّبوَّة مغلقة، أمّا الولاية؛ فهي مفتوحة؛ لأنَّ خاتم الأولياء ليس واحداً، وعند ابن عَرَبي الوليّ عارف بالله ومقامه وعلمه أعلى من مقام النّبي، فالوليّ في الصُّوفيّة هو الإنسان الذي يأتمنه الله على أسراره، ويُطلعه على الغيب، وتجري خوارق العادات على يدَيْه.

3 ـ الأقوال التي أطلقها بعض أعلامهم، "الحلاَّج"، وأيَّدها غالبيّتهم، والتي منها أنَّ عصيان إبليس لأمر الله عندما أمره الله بالسّجود لآدم ليس بعصيان، بل يمثّل منتهى الفهم للأمر الإلهي، الذي لم يدركه أحد من الملائكة سوى إبليس، وأنَّ ما كان في أهل السّماء مُوحّداً مثل إبليس، وأيضاً؛ ما أطلقه "عبد الكريم الجيلي" من تفسيرات حول الجحيم والنّعيم، فقد ذهبت أقواله إلى "إنَّه إلى جانب المعذَّبين المخلَّدين في النّار معذَّبون آخرون من ذوي النّفوس الطّاهرة، الذين جعلهم الله في النّار؛ ليتجلى من خلالهم، ويكونوا محلّ نظره عندما ينظر إلى الجحيم، وإنَّ من أهل النّار أناساً أفضل بكثير من أهل الجنَّة"!!.

4 ـ ميل أكثر الفرَق الصُّوفيَّة إلى إعطاء أذكارها وأورادها قيمة دينيّة عالية تفوق ـ في بعضها ـ قيمة القرآن الكريم، بل تعادل قراءة واحدة من هذه الأذكار ستّة آلاف مرّة من قراءة القرآن الكريم؛ كما هو الحال في الطّريقة التّجانيّة. وتحاول هذه الفرَق أنْ تُثبِّت في أذهان مريديها أنَّ المنتسب إليها سيدخل الجنَّة بدُون حساب، كما هو الحال في الرّفاعيّة، والتّجانيّة.

5 ـ إيمان بعض الفرَق الصُّوفيَّة بضرورة القيام بكامل الشّعائر الدِّينيَّة وفق النّمط المتعارف عليه عند أهل السُّنَّة والجماعة، رغم ثقتهم العميقة بأنَّ القيمة الحقيقيّة للعبادات هي من أعمال القلوب، وليست من أعمال الجوارح، إلاَّ أنَّهم يلتزمون بأداء العبادات المعمول بها وُفق ما نصَّت عليه السُّنَّة النّبويّة الشّريفة. إنَّ هذا السُّلُوك السَّوي السّائد لدى بعض الفرَق يقابله وُجُود مجموعات صُوفيَّة أخرى، يغاير سُلُوكها ما أقرّته، وسارت عليه تلك الفرَق. فهذه المجموعات تؤمن بأنَّ الشّعائر التَّعبُّديَّة لا قيمة لها، ولا مبرِّر للقيام بها، وتذهب في إيمانها ذاك

إلى القول بأنَّ الله قد رفع عنها التّكاليف الدِّينيَّة المفروضة على عباده، وحرَّرها من القيود الشّرعيَّة، التي أنزلها، وأمر بها، وذلك لشدَّة حبِّه لهذه المجموعات، وإخلاصها له.

6 ـ الإيمان السّائد لدى الصُّوفيِّين بمقدرة مشايخهم على إتيان المعجزات، التي لم يتمكّن الأنبياء من القيام بها: "خضتُ بحراً وقف الأنبياء بساحله" / أبويزيد البسطامي/ . بل تذهب أكثر الفرَق إلى الادِّعاء بأنَّ شيخ الطّريقة يتمتّع بميزة الشّفاعة التي منحها الله لرسله، في حين أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ يخاطب ابنته فاطمة ﷺ: يا فاطمة ابنة مُحمَّد؛ اعملي، فإنِّي لا أُغني عنك من الله شيئاً.

7 ـ التّركيز على الاهتمام بالأذكار والأوراد، وتسليط الأضواء على شيخ الطّريقة، ودفع المريد إلى الالتزام بالطّاعة العمياء له، والحثّ على مصاحبته، دُون الدّعوة إلى الاهتمام بتشغيل الفكر، وتنوير العقل، وتحرير إرادة المريد من سلطة شيخه وجبروته، أو دُون الحضّ على ما أمر الله به عباده في السّعي إلى المعرفة والعلم. إنَّ هذا السُّلُوك الصُّوفي يعطي الصُّوفيَّة استحقاقاً بحمل لقب الحركة الدّاعية إلى تعطيل الدّعوة التي أمر الله بها في كتابه الكريم عندما قال:

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ ﴾ التّوبة / 105 ـ ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ ﴾ الأنعام / 11 ـ ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ طه / 114 ـ ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الزّمر/ 9.

فالله ـ تعالى ـ يأمر في كتابه الكريم عباده بالعمل، لا بالرّكون إلى حصر العبادة بالصّلاة وتلاوة الأذكار. وعندما قال عزَّ وجلَّ في الآية 191 من آل عمران ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ أتبعها بقوله ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فالأمر الإلهي هنا ليس ـ فقط ـ ذكْر الله، بل ـ أيضاً ـ الحثّ على العمل، والدّعوة إلى تشغيل الفكر. والرّسول الكريم عندما سأل عن رجل يقضي كلّ وقته في المسجد: "مَنْ ينفق على معيشة هذا المتعبِّد؟ قالوا له: أخوه. فقال صلَّى الله عليه وسلّم: أخوه أفضل منه.

8 ـ إطلاق مقولات يؤمن بها الصُّوفيُّون بكافَّة نزعاتهم؛ مثل: الاتِّحاد، والفناء، والحلول، ووحدة الوُجُود، وتفسيرات غريبة مثل أنَّه ما كان في السَّماء فهو موحِّد؛ مثل إبليس (الحلاَّج في كتابه الطَّواسين)، وأنَّ إبليس هو أعلم خلق الله بآداب الحضرة الإلهيَّة، وأنَّ الطَّرد من رحمة الله هو خِلعة من الله لم يمنحها الله لملك مقرَّب أو نبيّ مرسَل مثل إبليس " الجيلي في كتابه الإنسان الكامل ".

9 ـ اعتماد التَّفسير الباطني للنَّصّ القرآني، والإصرار على أنَّ الصُّوفيِّين هم المعنيُّون والمخوَّلون والمؤهَّلون لامتلاك موهبة التَّفسير الباطني للنَّصّ القرآني جعل تفسيراتهم للقرآن الكريم تأخذ منحىً بعيداً جداً عن المفهوم الصَّحيح للنَّصّ، فمن قبيل هذه التَّفسيرات ما ورد في سورة الحجرات، في الآية التَّاسعة منها، ففي الآية المذكورة نقرأ:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾.

إنَّ التَّفسير الصُّوفي لكلمة الطَّائفتَيْن في الآية هو الصِّراع بين مبدءَيْن متناقضَيْن، وليس بين فئتَيْن من المسلمين.

وينطلق التَّفسير الصُّوفي في شطحاته، فيفسِّر كلمتَيْ المشرق والمغرب بأنَّهما ترمزان إلى إشراق القلب بالتَّوحيد، وغروبه بالمشاهدة، التي تقوِّي على محو ما يتعرَّض لها. وإذا رجعنا إلى كلّ الآيات التي وردت فيها كلمتا المشرق والمغرب في القرآن الكريم لرأينا أنَّ معاني هاتَيْن الكلمتَيْن كلّها تتَّجه إلى تحديد مكاني، ولا تعني أيَّ وصف نَفْساني:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ البقرة / 115.

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ البقرة / 142.

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ البقرة / 177.

﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ البقرة / 258.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الشّعراء / 28.

﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ المزّمّل / 9.

أمّا كلمات الأولياء، والصّالحين، والمتوسّمين، والرّاسخين في العلم، الواردة في القرآن الكريم؛ فإنّها ـ بنظر التّفسير الصّوفي لها ـ تعني الصّوفيّين حصراً، وإنْ كان هذا الحصر يعني جنوحاً للمبالغة في التّفسير، أو رغبة في إضفاء تقييم ذاتي فيه من الشّطحات ما يُفقده القيمة الحقيقيّة، والأساس السّليم، الذي يجب أنْ يستند عليه.

10 ـ بعد أنْ جعل الصّوفيّون أنفسهم المخوّلين بالتّأويل والاستنباط، والمؤهّلين لامتلاك موهبة التّفسير الباطني للنّصّ القرآني، التمسوا المعاذير لما قد يجافي ظاهر عملهم أصول الشّريعة، واستندوا في ذلك على قصّة الخضر مع النّبي موسى عليه السّلام، لقد حمّلوا هذه القصّة تأويلات وتفسيرات لتدعيم ما ذهبوا إليه. صحيح أنّ العبد الصّالح قام بأعمال تخالف المألوف، ولكنْ؛ في الحقيقة، فقد كان ينفّذ إرادة الله عزّ وجلّ. والصّوفيّون يعتقدون بأنّ ما قام به الخضر لا يفقهه إلاّ أهل الخُصُوص؛ أيْ الصّوفيّون أنفسهم، وأنّ هذا الحصر للإدراك لا يتمّ إلاّ للوليّ، الذي في اعتقادهم أنّ الله ـ تعالى ـ منحه مكانة تفوق مكانة النّبي. إنّ اعتقاد الصّوفيّة بأنّ الخضر "وليّ"، وليس بنبيّ، هو خلاف ما أجمع عليه أهل السُّنّة والجماعة بنُبُوّة الخضر، وذلك استنادا على الآية 65 من سورة "الكهف" التي تقول ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ فالرّحمة في هذه الآية تعني النُّبُوّة.

11 ـ لقد أنكر الصّوفيّون ما أجمع عليه أهل السُّنّة والجماعة في اعتماد التّفسير الظّاهري للنّصّ القرآني، وذهبوا في اعتمادهم على التّفسير الباطني كأسلوب مميّز لهم، مدّعين بأنّهم المؤهّلون الوحيدون الذين يجيدون تفسير القرآن الكريم. وذهبوا في تفسيراتهم شوطاً، بلغ من الشّطط وغريب القول حُدُوداً بعيدة، وغلب على تفسيرهم الذي اعتمدوه الكثير من الغموض والإيهام بأنّ وراء النّصّ أسراراً لا يعلمها إلاّ الصّوفيّون، ومعان لا يدركها القارئ العادي، بل يصعب عليه أنْ يتبيّن ما يريده النّصّ القرآني من غايات، وما يدعو إليه من

أهداف، وكأنَّهم يريدون أنْ يقولوا لأهل التّفسير الظّاهري - أولئك العلماء الأجلاَّء، الذين اعتمدوا على تفسير ظاهر النَّصِّ وُفق ما يقتضيه سياق الآية، وما توحي إليه أسباب نزولها - إنَّ ما ذهبتُم إليه من تفسير ليس هو الذي قصده الله - عزَّ وجلَّ - عندما أنزل قرآنه على نبيِّه المصطفى مُحمَّد ﷺ، وأنَّنا نعلم أكثر ممَّا تعلمون عن إرادة الله وكتابه!!

ومن هذا المنطلق؛ نجد أنَّ سهل التّستري يفسِّر كلمات: الجار ذي القربى، والجار الجنب، وابن السّبيل، الواردة في الآية 36 من سورة النّساء بأنَّ هذه الكلمات تعني القلب والنّفس والجوارح. ولو رجعنا إلى نصِّ الآية؛ لوجدنا أنَّها تبتدئ بـ:

﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.

إنَّ التّفسير المقبول لهذه الآية هو أنَّ الله - عزَّ وجلَّ - "يأمر بعبادته حقَّ العبادة، دُون إشراك أيِّ شريك آخر معه، ويأمر عباده بالإحسان إلى الوالدَيْن.. وينتهي إلى القول بأنَّه لا يحبُّ كلَّ متكبِّر على النّاس، متعال عليهم". فالنَّصُّ القرآني - لحكمة أرادها الله - لم يُنزَّل ضمن هالة من الغموض، أو دائرة من الألغاز والأسرار، بل معجزته تتجلَّى في وضوحه، وسهولة تبيان مقاصده، وعدم صُعُوبة فَهْمه:

﴿فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ النّساء / 78.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ الأنعام / 65.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ الأنعام / 98.

﴿كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود/ 1.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ﴾ فصلت / 44.

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الرُّوم/ 28.

12 ـ إنَّ كلَّ الانتقادات والاعتراضات التي أطلقها علماء وفقهاء السُّنَّة، وكلَّ التّنبيهات والدّعوات التي وجَّهها كبار رجال الفكر الإسلامي إلى الصُّوفيَّة وكُتَّابها وأعلامها لم تحظَ بأيِّ اهتمام أو اعتبار. ولم نجد في صفوف الصُّوفيِّين صدىً لها، بل بالعكس، فقد قوبلت هذه الدّعوات وهذه النّداءات بالإهمال والتّجاهل، الأمر الذي زاد من عدد المعارضين للفكر الصُّوفي والمنكرين لتوجُّهاته.

إنَّ عدم اهتمام الصُّوفيِّين بدراسة ما أبداه علماء السُّنَّة الغيورون على سلامة المنهج الإسلامي، وعدم إدخال أية شبهة عليه ليبقى كصفحة بيضاء نقيَّة كما تركه الرّسول الكريم ﷺ، ويبقى منارة تضيء، دُون أنْ يعكِّر إشعاعه أيُّ ضباب، أو سحابات تحجب صورته البرَّاقة "تركتُ فيكم أمرَيْن لن تضلُّوا إنْ تمسَّكتم بهما كتاب الله وسُنَّتي". إنَّ هذا التّجاهل الصُّوفي لهذه الرّغبة النّبيلة والهدف السّامي الذي أبداه كبار العلماء والفقهاء من رجال السُّنَّة والجماعة قوبل بالإصرار من قِبَل الصُّوفيِّين على إبقاء كلّ الآراء الغريبة التي تبنَّتْهَا الصُّوفيَّة، وتأثَّرت بها من ثقافات بعيدة عن رُوح الإسلام والسُّنَّة النّبويَّة الشّريفة.

والخلاصة؛ فإنَّه يُمكن القول إنَّ المنحى الذي ذهب إليه أصحاب نظريَّة المُؤامرة الفارسيَّة على الإسلام من خلال حركة التَّصوُّف، وإنْ استند إلى اعتبار أنَّ أكثر المنادين بالأفكار الغريبة التي بيَّنَّا تفاصيلها هم من الخراسانيِّين الذين قادوا الحركة الصُّوفيَّة مثل: الحلاَّج صاحب فكرة الاتّحاد الإلهي، وأبي سعيد الخرَّاز أوّل مَنْ نادى بفكرة الفناء والبقاء، وأبي يزيد البسطامي، الذي قال بالحبِّ الإلهي والوَجْد، ومُحمَّد بن خفيف، الذي نادى بعُلُوم الحقائق والغيبة والحضور، وغيرهم من أعلام الصُّوفيِّين، أو إنْ اعتمد على ما يختزنه الفُرْس من كراهيَّة للعَرَب والمسلمين، أو عدَّ أنَّ ميل هؤلاء الصُّوفيِّين إلى إطلاق مقولات وأفكار تتعارض مع الشّرع والدِّين، ولا تنسجم مع الكتاب والسُّنَّة، فإنَّ هذه الاعتبارات والأسس التي بنى هؤلاء النّاس ـ أصحاب نظريَّة التّآمر ـ رؤيتهم عليها تبقى مُجرَّد اتّهام يفتقر إلى براهين يتعذَّر تقديمها، أو الحصول عليها لإثبات عنصر التّآمر.

صحيح أنَّ النّتائج التي آلت إليها الصُّوفيَّة في المجتمع الإسلامي كانت تتوافق مع ما كان يجول في خاطر أعداء الإسلام، إلاَّ أنَّه ليس من الضّروري أنْ نُعْزي كلَّ هذه النّتائج إلى

وُجُود تخطيط دقيق ومُؤامرة محكمة قادتها عقول مدبِّرة ورؤوس تحيك ما بدا على أنَّه مُؤامرة، بينما هو - في الحقيقة - نزعات فكريَّة وميول يغلب على أصحابها المغرقين في فلسفة التَّصوُّف الرُّوحي، الذي سيطر على خواطر هؤلاء النّاس المتزهِّدين العابدين، الذين شاء القدر أنْ يكونوا من الفُرْس.

إنَّ الميل الغريزي عند الإنسان للبحث عن إطلالات فكريَّة ليس من الضّرورة أنْ تكون سائدة في مجتمعه هو الأمر الطّبيعي الذي يلازم تطوُّر الفكر الإنساني في مسيرته عبر الزّمن. وكثيراً ما تتصادم هذه الرّؤية الفكريَّة مع ما يسود من معتقدات، وما يألفه المجتمع الإنساني من أفكار وآراء. لهذا؛ نرى ملامح الرّفض والاستهجان، وأحياناً؛ الإنكار لكلّ فكر يدعو، أو يطرح رؤية لا تتماشى مع ما يحمله المجتمع من أفكار، وما يؤمن به من آراء. إنَّ هذا المنحى الذي رأيناه واضحاً في الموقف إزاء الحلاَّج، وابن عَرَبي، وابن سبعين، وغيرهم من الصُّوفيِّين، الذين نادوا بأفكار ونظريَّات عدَّها البعض نوعاً من الزّندقة تقود قائلها إلى الكُفْر، وتُخرج صاحبها من دائرة الإسلام.

لذلك؛ فإنَّه يُمكن القول بأنَّ إلقاء صفة المُؤامرة على هذا التَّوجُّه الفكري الصُّوفي هو - في الحقيقة - ابتعاد عن التَّوصيف الصّحيح لهذا الميل الصُّوفي، الرّاغب والمندفع نحو النّزوع إلى الفلسفة للاغتناء بما أنتجته الأفكار الفلسفيَّة لدى الآخرين، مهما كانت مشاربهم وتوجُّهاتهم، ومهما قاد هذا التَّوجُّه إلى جَلْب المعارضين الرّافضين للنّتائج التي حملتها الصُّوفيَّة من جرَّاء هذا الميل.

الصُّوفيَّة في حلَّتها الجديدة، هل تمثِّل التَّصوُّف الحقيقي؟!

بدأت الحركة الصُّوفيَّة التي قدَّمها إلى المجتمع الإسلامي روَّادها الأوائل؛ أمثال الجنيد، وابن عيَّاض، والكرخي، والمحاسبي، والسّقطي، والتّستري، وغيرهم من الصُّوفيِّين الذين استلهموا من حركة الزّهد الإسلامي أفكارهم، واستناروا بسُلُوك روَّادها الخلفاء الرّاشدين والصّحابة الكرام، وساروا على الطّريق الذي سلكه هؤلاء الزّهَّاد الأتقياء بالدّعوة إلى التَّصوُّف وُفق ما نصَّت عليه تعاليم القرآن الكريم والسُّنَّة النّبويَّة الشّريفة. وفي دعوتها

وطروحاتها كانت الحركة الصُّوفيَّة تحرص على أنْ يكون مسلكها خالياً من أيَّة شائبة، ومبتعداً عن أيَّة مخالفة لكتاب الله وسنَّة رسوله الكريم ﷺ.

لقد كان إصرار رجال الصُّوفيَّة الأوائل على ضرورة التَّمسُّك بالقرآن والسُّنَّة أمراً مميَّزاً، وكانت الحركة الصُّوفيَّة في مرحلة نشوئها ترفض اعتماد أيَّة بدعة، أو انتهاج أيّ سُلُوك نهى عنه رسول الله ﷺ. ولكنْ؛ ما إنْ حبت هذه الحركة، ونمت في الوسط الإسلامي، حتَّى شابها الانحراف، وأدخلها بعض رجالها في نفق الفلسفة ومجاهل الغيبيَّات. ولم يمض وقت طويل حتَّى حملت من الأفكار والآراء ما بدا لكثير من الفقهاء وعلماء الدِّين على أنَّ هذا الحمل الثّقيل الذي قدَّمته الصُّوفيَّة بعَدِّه إثراءً للفكر الإسلامي - حسب اعتقادها - هو - في حقيقته - دعوة لإنكار مفاهيم العقيدة الصّحيحة، ورغبة مبطَّنة لإفساد المفهوم السّليم للدِّين والشَّرْع الحنيف.

حاولت الحركة الصُّوفيَّة أنْ تقدِّم نفسها إلى الأُمَّة الإسلاميَّة على أنَّها الحركة الأكثر ثقافة، والأكثر اطِّلاعاً، والأعمق تفهُّماً لعلُوم الدِّين. وكان لابُدَّ لها لتثبيت هذا المفهوم في الوسط الإسلامي أنْ يلجأ أعلامها ومفكِّروها إلى الالتفات نحو الثّقافات الأخرى، التي كانت سائدة آنذاك؛ كالفارسيَّة، والهنديَّة، واليونانيَّة.

لقد رأت الصُّوفيَّة في تلك الثّقافات معيناً يُمكن أنْ يُغني طروحاتها، ويعطي مقولاتها، نوعاً من التّميز، وشيئاً من التّرف الفكري، الذي اعتقدت، وآمنت، بأنَّه سيُغني فكرها، مهما شاب هذا الإغناء من شبهات.

ولم تُبال الحركة الصُّوفيَّة فيما إذا كانت طروحاتها تتماشى مع مفاهيم القرآن الكريم والسُّنَّة النّبويَّة الشّريفة، وفيما إذا كانت هذه الطّروحات لا تتعارض معهما، أو تُقابل بأيّ نوع من المجابهة أو الاستنكار من علماء السُّنَّة والجماعة. فقد كانت تؤمن بأنَّ هذه المقولات والآراء غايتها فتح القلب، ودغدغة المشاعر الإنسانيَّة في النَّفْس البشريَّة، والسّعي لسُمُوّ هذه النَّفْس، وإيصالها إلى مستويات تصل حدُودها إلى الذّات الإلهيَّة.

كان الصُّوفيُّون يؤمنون بأنَّ تحقيق ما يصبون إليـه يتطلَّـب تقديـم أفكـار فلسـفيَّة جديـدة. وكانوا يرون أنَّه لا مانع من الاستعانة لتحقيق هذا الغرض بأيَّة أفكار فلسفيَّة غريبة، ولو كـانت مصادر هذه الأفكار ومنابعها لا تمتُّ إلى الدِّين الإسلامي، ولا تلتزم بمبادئـه ومعتقداتـه، حتَّى ولو كانت مناقضة لـه. لقـد كـانت تعتقـد أنَّ الوُصُول إلـى هدفـها هـذا يتطلَّـب تغذيـة مجراهـا الفكري بروافد تمنحه شيئاً من الإثراء، الذي آمنت بأنَّه لابُـدَّ وأنْ يُغنـي آراءهـا وأفكارهـا، وأنَّ هذا الإغناء هو ضرورة ملحَّة لإضفاء شيء من الحداثة على طروحاتها الفكريَّة الجديدة.

إنَّ حصيلة هـذا الاتِّجاه الصُّوفي كـان طـرح مقـولات جديـدة علـى الفكـر الإسـلامي، وتقديم آراء غريبة عليه، بل ران على هذه الطّروحات والمقولات الكثير من الملامح البعيدة عن مفهوم الإيمان الصّحيح والعقيدة السّليمة، واتَّسمت هذه الأقوال بسمات هي أقرب إلى الشِّرْك منها إلى الإيمان.

فطروحات البسطامي، والحلاَّج، وابن عَرَبي، والمقـولات الصُّوفيَّـة التـي أخـذت تسـود في المجتمع الإسلامي؛ مثل: الفناء، الاتِّحاد، الحلول، الوَجْد، السُّكْر، الصَّحْـو، والتّعـاريف العديـدة التـي انتشـرت علـى لسـان الصُّوفيّيـن؛ مثـل: البُـدلاء، النُّقبـاء، النُّجبـاء، الأوتـاد، القُطْب، والغَوْث، وكلمـات مثـل: الشّـيخ، الخرقـة، المريـد، الفـرق والجمـع، المشـاهدة والمعاينة، الفتـوَّة والمجـاهدة، الخواطـر والـواردات، كـلّ ذلـك أعطـى الحركـة الصُّوفيَّـة ملامـح جديدة تختلف اختلافاً كُلّيّاً عمَّا كانت عليه في بداية عهدها، لقد كانت حصيلة تطـوُّر الحركـة الصُّوفيَّة بروز عقائد في صفوفها لا تنسجم مع الكتاب والسُّنَّة، ومعتقدات تتناقض مع العقيدة الإيمانيَّة الصّحيحة، ودعوات للتّخاذل والانشغال بالقراءات والتَّعبُّـدات الدِّينيَّـة، والانصـراف عن الاهتمام بعلُوم الدّنيا، وحصـر التّفكـير بمشـاغل الآخـرة. إنَّ مـا حملتـه الصُّوفيَّـة مـن آراء شـجَّعت - فـي كثير مـن الأحيـان - الدّعـوات إلـى الخنـوع والاستسـلام والخضـوع لسـلطان جـائر ومستعمر غاز، كما كان الحال مع تيمورلنك، ونابليون، والفرنسيِّين في المغرب العَرَبـي، فقـد كان موقف الصُّوفيّين التّخاذلي سبباً في توجيه أقسى عبارات النَّقْد لـهم، ونعتهم بأنَّـهم كـانوا - دائماً - من مساعدي الغزاة الغاشمين، والرّاغبين في الاستعاضة بالأذكار والأوراد، بـدلاً مـن اللّجوء إلى الجهاد والدّفاع عن الأُمَّة.

إنَّ القول بأنَّ الحركة الصُّوفيَّة قد خلَّفت في الوسط الإسلامي دائرة واسعة من البلبلة الفكريَّة، وشغلت العالم الإسلامي بأمور ومشاكل جَدَليَّة لفترة طويلة من الزّمن، وحملت إلى الإسلام أفكاراً هي أقرب للزّندقة والكُفْر منها للإيمان، ونقلت إليه اجتهادات فكريَّة ساعدت الكثير من أعدائه على الطّعن بعقيدته، وأعطت المستشرقين المتربِّصين بالإسلام مادَّة جديدة لُممارسة كلّ أنواع النّقد والطّعن فيه هو قول ينطبق ـ تماماً ـ على الحركة الصُّوفيَّة، التي برزت بوجهها الجديد، والتي تحمل أفكاراً ومبادئ تتعارض مع الكتاب والسُّنَّة، واختلقت مقولات امتزجت بالشُّبهات، واقترنت بالشّطحات:

ـ فبينما العقيدة في الإسلام تقوم على أنَّ الله خالق كلّ شيء، لا شريك له، لا يماثله شيء، واحد، أحد، فرد، صمد، مخلوقاته مهما أوتيت من علم فإنَّها عاجزة أنْ تحيط بعلمه، وأنَّ الله أمر الإنسان بعبادته، وبيَّن له طريق سعادته، ولم يطلب منه التَّفرُّغ للعبادة، ولم يشأ له أنْ ينسى نصيبه من الدّنيا، وذكَّره بأنَّ طريق الضّلالة هو اتّباع السُّبُل التي لم يأمره بها. نرى أنَّ العقيدة في الصُّوفيَّة أقرَّت الوحدة والاتّحاد، وآمنت بحلول الله بجسد الإنسان، وفناء الذّات الإنسانيَّة في الذّات الإلهيَّة، كما ذهبت مُعظم فرَقها إلى الإيمان بنظريَّة وحدة الوُجُود، وأنَّ الله مجموع هذه الموجودات.

ـ وبينما الإسلام يدعو إلى شريعة واحدة بيَّنها الكتاب، وشرحها، وفصَّلها الرّسول ﷺ في سُنَّته الشّريفة، نرى أنَّ الصُّوفيَّة ابتدعت ما أطلقت عليه الشّريعة والحقيقة. ففي المفهوم الصُّوفي تبقى الشّريعة للعامَّة، وأمَّا الحقيقة؛ فهي للخاصَّة. فتقسيم الدِّين بين الشّريعة والحقيقة يناقض الرّسالة التي جاء بها الرّسول ﷺ، والتي خصَّ بها جميع البشر؛ بكلّ فئاتهم، وبمختلف مشاربهم وأحوالهم، إضافة إلى أنَّ الله ـ تعالى ـ لم ينزِّل على نبيِّه رسالتَيْن؛ إحداهما الشّريعة، وهي للعامَّة، والأخرى الحقيقة، وهي للخاصَّة، ولن يحاسبهم على مبدءيْن، أو يعاملهم معاملتَيْن. بل رسالته التي أنزلها على رسوله فيها من الوضوح الذي لا لبس فيه، والحقيقة التي لا غموض فيها. فلا الشّريعة تعني شيئاً يختلف عن الحقيقة، ولا الحقيقة تعني شيئاً يختلف عن الشّريعة، فكلتاهما تنبعثان من رسول واحد، يوحى إليه من إله واحد.

- ليس في الإسلام أيّ مبدأ أو عرف يُقرُّ بإسقاط الفرائض عن الأصحّاء من النّاس لأيّ سبب من الأسباب، وأيُّ مسلم مهما بلغ من درجات الإيمان، ومهما علا في مركز الورع والتّقوى، ومهما سما عمله في الخيرات، فإنّه يبقى متوجبًا عليه كلّ ما فُرض على العباد من فرائض، ولا يخوّله مقامه ودرجة ورعه من أنْ يُسقط الله عنه فرضاً فرضه، أو التزاماً أَلْزَمَ النّاس به وُفق ما بيّنه في كتابه، وما ذكره رسوله - ﷺ - في سُنّته. فالإسلام أبقى إكرام الله - تعالى - لعباده إجزاء الثّواب لهم بيده عزّ وجلّ، يقضي به أينما شاء، وكيفما شاء، وليس بيد النّاس يعملون به وفق مشيئتهم، وحسب رغبتهم، وتفسيراتهم الخاصّة. ثُمَّ ليس في الإسلام توجيه أو دعوى للانصراف للعبادة والتّفرُّغ لها، فالزّهد في الدّنيا لا يعني في الإسلام الانقطاع عن العمل، أو الجهاد في سبيل الله، أو التّمتُّع بالطّيّبات من الرّزق، الذي أحلّه الله تعالى:

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ القصص/ 77.

ولكنْ؛ في الصُّوفيّة نجد أنّ بعض الفرَق تؤمن بأنّ الله قد أسقط عن أتباعها أداء الفرائض، بل حرّرهم من الشّريعة ذاتها؛ بسبب قُربهم منه، وحبّه لهم.

- وفي الصُّوفيّة ميل شديد للابتعاد عن أسباب الرّزق، والرّغبة الشّديدة في الاتّكال على الله في تحصيل الرّزق، دُون بذل أيّ مجهود لنيل أيّ دخل، دُون القيام بأيّ نوع من الأعمال. ولعل ما ذهبت إليه بعض الفرَق في تحريم التّنعُّم بالطّيّبات من الرّزق هو من البِدَع التي سادت في الوسط الصُّوفي، وقوبلت بالتّرحيب والتّأييد، وظنّ أصحابها أنّ هذا الزّهد هو عين ما يقصده الشّرع، متجاهلين نيّة الشّارع الذي ذكر في كتابه الكريم آيات عدّة تحثّ على أكل الحلال من الرّزق، وعدم اتّباع دعوة الشّيطان في تحريم الحلال، وتحليل الحرام:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ البقرة / 168.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ المائدة / 87.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ النّحل / 114.

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ طه / 81.

ـ المفهوم الباطني لتفسير النَّصِّ القرآني الذي اعتمده الصُّوفيُّون أمر مرفوض في الدِّين الإسلامي. فالاستواء في السِّرِّ والعلن حتَّى يكون باطن الأمر كظاهره هو المبدأ الذي يحرص عليه الإسلام، وحتَّى لا يكون هناك مساحة أو فاصل بين ما يسمَّى بالباطن، وما يسمَّى بالظَّاهر، ولكي تبقى الصِّلة بين الله والإنسان، أو الإنسان وأخيه الإنسان قائمة على الحقيقة النَّاصعة البياض، التي يبيِّنها الظَّاهر، ولا يخفيها، أو يستر بعضها الباطن. فقد أراد الله ـ تعالى ـ أنْ تكون شرعته واضحة، صريحة، وظاهرة. فالظَّاهر يتَّسم بوحدة المسار، أمَّا الباطن؛ فطريقه غير معروفة، ومساراته متعدِّدة. لقد بيَّن الله ـ تعالى ـ في كتابه الكريم هذه الرَّغبة في الدَّعوة إلى طريق مستقيم واحد في قوله في سورة الأنعام في الآية 153 عندما قال:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.

فلا سرِّيَّة في الإسلام، ولا معرفة أو معلومة يُراد إخفاؤها، أو إضفاء نوع من السِّرِّيَّة عليها. فكلّ ما يريد المؤمن معرفته مذكور بوضوح وجلاء في القرآن الكريم، ومبيَّن تفاصيله في السُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة.

ـ لقد اعتمدت الصُّوفيَّة لترويج أفكارها وتدعيم آرائها على الاستناد إلى أحاديث غير صحيحة، أو تأويل نُصُوص بعض الأحاديث يخدم عقيدتها. ولجأت في طريق استدلالها ببعض الأحاديث إلى تفسير بعض النُّصُوص تفسيراً خاطئاً بشكل واضح، ومن ذلك حديث أبي هريرة ـ ﷺ ـ الذي قال فيه: أخذتُ من رسول الله ﷺ وعاءين، فأمَّا وعاء؛ فَبَثَثْتُهُ، وأمَّا الآخر؛ لو بَثَثْتُهُ لقُطِعَ منِّي هذا البلعوم (رواه البخاري في صحيحه)، وقد فسَّر الصُّوفيُّون بأنَّ المراد بالوعاء الثَّاني الذي لم يَبُثُّهُ أبو هريرة ـ ﷺ ـ هو علم الباطن، وهو العلم الذي اختصُّوا به، وسمَّاه ابن عَرَبي "علم الأسرار"، وقال: "وهو العلم الذي فوق العقل، وهو علم نفث روح القُدس في الرَّوع يختصّ به النَّبي والوليّ". وقد جعل الصُّوفيُّون هذا الحديث مسنداً لهم، وذريعة للقول بأنَّ للشَّريعة ظاهراً وباطناً. علماً بأنَّ ورع أبي هريرة ـ ﷺ ـ يمنعه من كتمان التَّحدُّث عن الوعاء الثَّاني؛ إذْ ذهب أكثر المفسِّرين أنَّ امتناع أبي هريرة عن التَّحدُّث عن الوعاء هو خوفه على نفسه من ذكْر أسماء وفتن وأحوال تنبأ بها رسول الله ـ ﷺ ـ قد لا تُرضي، أو تسرّ

مَنْ يسمعها، أو ظهور أشخاص يعترضون عليها. لقد كان أبو هريرة ـ ﷺ ـ يقول: لولا آيتان في كتاب الله ما حدَّثت هنا، ثُمَّ تلا:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ البقرة / 159 ـ 160. ومنه أيضاً؛ فقد زعم الصُّوفيُّون أنَّ الخضر كان على علم من عُلُوم الباطن، وهي عُلُوم القوم وأسرارهم، التي لا ينبغي كشفها إلاَّ لأهلها، وكان موسى ـ عليه السّلام ـ على علم من الله بظاهر الشّرع، وأنَّ الخضر "الولي" ـ برأيهم، وليس بـ "النّبي" على علم من الله بباطن الشّرع، وهذا بخلاف ما ذهب إليه جمهور أهل العلم من أنَّ الخضر ـ عليه السّلام ـ كان نبياً بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾، فدلَّ ذلك على أنَّه أُوحي إليه. وقال القرطبي: هو نبيّ عند الجمهور، والآية تشهد بنُبُوَّته ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾؛ ولأنَّ النّبي لا يتعلَّم ممَّنْ هو دونه.

ـ ومن اختلاقاتهم أنَّ الذي وضع التَّصوُّف هو النّبي مُحمَّد ﷺ، وأنَّه هو الذي خصَّهم بهذا العلم، وتناقله بعض الصّحابة والتّابعين حتّى وصل إليهم، وأنَّ جبريل نزل بالشّريعة أوَّلاً، ثُمَّ خصَّ بعضهم بالحقيقة، فالشّريعة عامَّة، والحقيقة خاصَّة. وأوَّل مَنْ تكلَّم بالحقيقة هو سيِّدنا عليّ بن أبي طالب ﷺ، وأخذ هذا العلم عنه الحسن البصري، حتّى وصل إلى سري السّقطي، وأبي القاسم مُحمَّد بن الجنيد. أمَّا الخرقة التي تعني المعرفة عندهم؛ فإنَّهم يزعمون بأنَّ الحسن البصري أوَّل مَنْ لبسها من يد عليّ بن أبي طالب ﷺ، وأنَّ أويس القرني لبسها من يد عمر بن الخطَّاب ﷺ، وأنَّ عمراً وعلياً ـ رضي الله عنهما ـ لبساها من يد رسول الله ﷺ، وأنَّ رسول الله لبسها من يد جبريل ـ عليه السّلام ـ بأمر من ربِّه عزَّ وجلَّ. إنَّ هذا الشّطح الصُّوفي المختلَق الذي لا يستند على أيّ سند تاريخي أو رواية صحيحة هو تصوُّر صيغ متعدِّدة لتثبيت وقائع باطلة، بغية تدعيم الفكرة التي أرادوا أنْ يثبتوها في أذهان أتباعهم، مثلها مثل الذي يدَّعي أنَّ أذكاره وأوراده أتت من الرّسول ـ ﷺ ـ إليه مُباشرة، بدُون أيّ وسيط، وأحياناً؛ يقظة، وليس وحياً!!

ـ لقد اختلق الصُّوفيُّون أحـاديث كثيرة، ورووا قَصَصاً عديدة عن الرّسـول ﷺ، وعن سُلُوكه؛ ليبرِّروا ـ تارةً ـ حالة الوَجْد التي مرَّ بها عند سماعه جبريل يقول له: إنَّ فقراء أمَّتكَ يدخلون الجنَّة قبل الأغنياء بنصف يوم؛ وهو 500 عام!! أو قصَّة الوَجْد الذي تمثَّل في غيبة رسول الله ـ ﷺ ـ عن نفسه عند دُخُول عائشة ؓ عليه وسؤاله لـها: مَنْ أنت؟ وعندما أجابته أنَّها عائشة، قال: مَنْ عائشة؟ فأجابت: بنت الصِّدِّيق. قال: مَن الصِّدِّيق؟ قالت: حمو مُحمَّد. قال: مَن مُحمَّد؟ عندها؛ لزمت الصّمت، وعلمت أنَّ النّبي مُحمَّد ﷺ لم يكن في حالة عاديَّة.

كلّ هذه الاختلاقات عن سيِّد الخلق هي لتبرير السُّلُوك الصُّوفي، والتّدليل أنَّ ما يرافق الوجد عندهم من أحوال الغيبة والمحو والسُّكْر والفناء مصدرها النّبي مُحمَّد ﷺ!!

ونفس المذهب في التّأويل الذي يخدم الفكر الصُّوفي نجده في تفسير الحديث القُدْسي: "مَنْ عادى لي وليّاً. ." الذي سبق وأنْ تعرَّضنا له، وبيَّنَّا شطط التّفسير الصُّوفي له، نُضيف إليه ما ذهب ابن عَرَبي في تفسيره "كُنتُ سَمْعَهُ وبصره. . إلى آخر الحديث، فقال:

"فكما أنَّ الاسم عين المسمَّى كذلك العبد عين المولى، وفي الصّحيح من الأخبار أنَّ الحقّ يد العبد ورجله ولسانه وسمعه وبصره" (الفتوحات المكيَّة 2).

فسبحان الله؛ كيف يجنح الفكر في هؤلاء النّاس إلى اعتماد مثل هذا التّفسير! دُون أنْ يعطوا أيّ اهتمام لتفسير بقيَّة الحديث: "وإنْ سألني لأعطينَّه، وإنْ استعاذ بي لأعيذنَّه"، فالحديث هنا يقتضي سائلاً ومسؤولاً، ومستعيذاً ومستعاذاً به، كما يقضي وُجُود معاد ومعادى، وعابد ومعبود، ومحبّ ومحبوب. فالعبد في عبادته مهما لازمها ومهما صفت نفسه فيها يبقى عبداً بين يدي الرّحمن، ولا يصبح جزءاً منه يفنى فيه.

ـ يقول المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون في كتابه "الطَّواسين" الذي شرح فيه أقوال الحلاَّج عن الحبّ الإلهي: إنَّ الحلاج هو أوَّل مَنْ أدخل إلى الإسلام العَرَبي الفكرة المستقاة من الفكر الدِّيني المسيحي السّيرياني، وهو فكرة الطّبيعة الثّنائيَّة (اللاَّهوت والنّاسوت)، التي تعبِّر عن طبيعتَيْ المسيح، الذي هو الكلمة المتجسِّدة؛ أيْ طبيعته الإلهيَّة الأبديَّة، وطبيعته الإنسانيَّة التي أكَّدها بالتَّجسُّد. فحسب رأي الحلاَّج فإن الله ـ تعالى ـ سوف يدين النّاس يوم

الدّينونة من خلال مظهره النّاسوتي ؛ أيْ شكله البشري ، وهـي نفس الفكـرة التي جاءت من الأصل المسيحي :

سبحان مَنْ أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثّاقب
ثُمَّ بدا لخلقه ظاهراً في صُورة الآكل والشّارب
حتَّى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

والحلاَّج عندما يتحدَّث عن الحبّ الإلهي ينطلق تصوُّره إلى أنَّ الطّبيعة الإلهيَّة يُمكن أنْ تمتزج امتزاجاً كاملاً مع الطّبيعة البشريَّة ؛ بحيث تتلاشى الـذّات الإنسانيَّة في الـذّات الإلهيَّة ، وأنَّ الطّبيعة الإلهيَّة لا يُمكنها الاتّحاد بالمركّب البشري إلاَّ بنوع من الحلول يشبه ـ حسب تعبيره ـ حلول الرُّوح الإنساني في الجسد الإنساني بتجسُّد يطبع فيه الإله :

أنا مَنْ أهوى ، ومَنْ أهوى أنا نحنُ روحان حللنا بدنا
فإذا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَهُ وإذا أَبْصَرْتَهُ أَبْصَرْتَنَا

. . . .

مزجت روحكَ في روحي كما تُمزج الخمرة بالماء الزّلال
فإذا مسَّكَ شيء مسَّني فإذا أنتَ أنا في كلّ حال

إنَّ هذا الفكر الصُّوفي الذي أطلقه الحلاَّج سواء كان نتيجة التّأثر بالفكر الدِّيني المسيحي أو كان حصيلة التّأثُّر بالفلسفة اليونانيَّة أو الهنديَّة ، فإنَّه يبقى فكر مضاداً لفكرة وحدة الإله في الدِّين الإسلامي ، ويبقى مقولة أقرب إلى الشِّرْك منها إلى الإيمان ، وفكرة بعيدة جداً عن المفهوم الدِّيني الإسلامي ، الذي يؤمن بوحدانيَّة الله وطبيعته الإلهيَّة التي يبيِّنها القرآن :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الشُّورى / 11 .

﴿ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ الفرقان / 2 .

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ آل عمران / 18.

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ الإخلاص / 1 ـ 4.

في نظرة متفحِّصة لدعاء الحلاَّج في ساعاته الأخيرة وقبل سوقه إلى منصَّة الإعدام والتَّمعُّن في كلمات هذا الدّعاء يقودنا إلى صحَّة ما ذهب إليه المستشرق الفرنسي "لويس ماسينيون" عندما أشار في كتابه "الطَّواسين" بأنَّ الحلاَّج هو أوَّل مَنْ أدخل إلى الإسلام الفكرة المستقاة من الفكر الدِّيني المسيحي، والمتعلِّقة بالطّبيعة الثّنائيَّة للذّات الإلهيَّة المتجسِّدة بالسَّيِّد المسيح عليه السّلام.

إنَّ تماثل فكر الحلاَّج ومعتقده الدِّيني في دعائه مع دعاء السَّيِّد المسيح لربِّه قبل إلقاء القبض عليه، وسوقه للصّلب، أمر واضح وجليّ. وإنَّ مضمون الدّعاءيْن يبدو واحداً والنّظرة إلى الذّات الإلهيَّة تبدو واحدة. فالحلاَّج يدعو ربَّه بكلمات قريبة جداً في المعنى من الكلمات التي نطق بها السَّيِّد المسيح ـ عليه السّلام ـ في صلاته قبل القبض عليه.

ففي السِّفْر 17 من إنجيل يوحنَّا، يقول المسيح:

"أيُّها الأب، قد حانت السّاعة! مَجِّد ابنكَ، ليُمجِّدكَ ابنكَ أيضاً، فقد أوليته السّلطة على جميع البشر، ليمنح جميع الذين قد وهبتهم له حياة أبديَّة، والحياة الأبديَّة هي أنْ يعرفوكَ أنتَ الإله الحقُّ وحدكَ، والذي أرسلته: يسوع المسيح. أنا مجَّدتكَ على الأرض، وأنجزتُ العمل الذي كلَّفتني، فَمَجِّدْني في حضرتكَ الآن، أيُّها الأب، بما كان لي من مجد عندكَ، قبل تكوين العالم.

أظهرتُ اسمكَ للنّاس، الذين وهبتهم لي من العالم، كانوا لكَ، فوهبتَهُم لي، وقد عملوا بكلمتكَ، وعرفوا ـ الآن ـ أنَّ كلَّ ما وهبتَهُ لي فهو منكَ؛ لأنّي نقلتُ إليهم الوصايا التي أوصيتني بها، فقبلوها، وعرفوا ـ حقّاً ـ أنّي خرجتُ من عندكَ، وآمنوا أنَّكَ أنتَ أرسلتني.

من أجل هؤلاء أصلّي إليكَ. لستُ أصلّي - الآن - من أجل العالم، بل من أجل الذين وهبتَهُم لي؛ لأنَّهم لكَ.

وكلّ ما هو لي فهو لكَ، وكلّ ما هو لكَ فهو لي، وأنا قد تمجَّدتُ فيهم.

هؤلاء باقون في العالم، أمَّا أنا؛ فلستُ باقياً فيه؛ لأنّي عائد إليكَ. أيُّها الأب القدُّوس احفظْ في اسمكَ الذين وهبتهم لي؛ ليكونوا واحداً، كما نحنُ واحد.

أمَّا الحلاَّج؛ فإنَّ دعاءه الذي قاله في ساعاته الأخيرة قبل إعدامه، والذي يماثل كلمات السَّيِّد المسيح عليه السّلام، وتتقارب معانيه معها، فإنَّه يقول فيه ما يلي:

"نحنُ شواهدكَ، نلوذ بسنا عزَّتكَ، لتبدي ما شئتَ من شأنكَ ومشيئتكَ.

أنتَ الذي في السّماء إله، وفي الأرض إله.

يا مُدهِّر الدّهور، ومُصوِّر الصُّور، يا مَنْ ذلَّت له الجواهر، وسجدت له الأعراض، وانعقدت بأمره الأجسام، وتصوَّرت عنده الأحكام، يا مَنْ تجلَّى لما يشاء كيف شاء، مثل التَّجلّي في المشيئة لأحسن الصُّورة، والصُّورة هي الرُّوح النّاطقة التي أفردته بالعلم والبيان والقدرة، ثُمَّ أوعزت إلى شاهدكَ في ذاتك الهوى اليسير لما أردت بدايتي، وأظهرتني عند عقيب كراتي، ودعوت إلى ذاتي بذاتي، وأبديت حقائق عُلُومي ومعجزاتي، صاعداً في معارجي إلى عروش أولياتي عدد القول من بريَّاتي، إنَّني أُحتَضَر، وأُقتَل، وأُصلَب، وأُحرَق، وأُحمَل على السّافيات الذّاريات وإنْ ذرَّة من ينجنوج(*) مظانّ هيكل متجليَّاتي لأعظم من الرّاسيات".

- إنَّ الفكر الصُّوفي الذي أطلق فكرة ابن عَرَبي في وحدة الوُجُود أدَّى إلى نتائج وتفسيرات تتناقض مع العقيدة الإسلاميَّة الصّحيحة، فابن عَرَبي يقول معبِّراً عن عقيدته في وحدة الوُجُود:

فلولاه ولولانا لما كان الذي كانا ... فأنا أعبد حقّاً، وأنَّ الله مولانا

(*) ينجوج: العود الذي يتبخَّر.

وأنا عينه ، فاعلم إذا ما قلت إنساناً فلا تحجب بإنسان فقد أعطاك برهانا
فكن حقاً، وكن خلقاً تكن بالله رحمانا وإذا خلقه منه نكن روحاً وريحانا
فأعطيناه ما يبدو به فينا وأعطانا فصار الأمر مقسوماً بإيَّاه وإيَّانا
فكُنَّا فيه أكواناً وأعياناً وأزمانا

ويضيف ابن عَرَبي في شرح مقولته :

ففي حال أقربه وفي الأحيان أجحده
فيعرفني ، وأنكره وأعرفه ، فأشهده
فإنِّي بالغنى ، وأنا أساعده ، وأسعده
فيحمدني ، وأحمده ويعبدني ، وأعبده

إنَّ الإسلام لا يقرُّ نظريَّة أو مذهباً يقول بوحدة الوُجُود ، أو بحلول الله في جسد الإنسان ، أو فناء الذّات الإنسانيَّة في الذّات الإلهيَّة . فوُفق نظريَّة وحدة الوُجُود فإنَّه يجوز ـ وفق ما يدَّعيه ابن عَرَبي ـ عبادة كلّ شيء في الكون ، طالما أنَّ كلّ شيء في هذا الكون هو مظهر من مظاهر الله . فابن عَرَبي يرى صواب عبادة السّامري للعجل ، وصحَّة هذا السُّلُوك . فالسّامري في نظر ابن عَرَبي عرف الحقّ ، فعبده . والصُّوفيَّة القائلون بوحدة الوُجُود يعتقدون أنَّ مَنْ عبد غير الله فهو مؤمن حقّاً ، ومادام الله عين خلقه ، وأنَّ الأشياء الموجودة في الكون هي مظهر من مظاهر الله عزَّ وجلّ ، ومادام الأمر كذلك ، فإن معنى ذلك أنَّ الأديان متوحِّدة ، أيّاً كان إلهها . فكلّ طائفة تعبده بحسب ما تتصوَّره عقولهم تجسيداً ، أو تجريداً ؛ لأنَّ الله مظهر من تلك المظاهر . وعلى ذلك ؛ فإنَّ عَبَدَةَ الأوثان والنّار وآلهة اليونان وغيرهم أصحاب الشّرائع السّماويَّة عبدوا إلهاً واحداً . ويقول المستشرق غولدتسيهر : مهما تظاهر الصُّوفيُّون بتقديرهم للإسلام ، فلغالبيَّتهم نزعة مشتركة إلى محو الحُدُود الفاصلة بين العقائد والأديان ، وعندهم أنَّ هذه العقائد كلّها لها نفس القيمة النّسبيَّة إزاء الغاية المثلى التي ينبغي الوُصُول إليها .

ولا ندري كيف تنسجم فكرة وحدة الوُجُود مع ما ذكره القرآن الكريم من أنَّ الإنسان مخلوق من العدم ، وأنَّ هذا يعني لكلّ ذي بصيرة نفي فكرة وحدة الوُجُود جملة وتفصيلاً .

فلو كان الإنسان في وحدة مع الله لكان ذلك يعني وُجُوده قبل عمليَّة الخلق، ولا كان هناك مبرِّر للخلق. وأنَّ الإسلام يقول بإثنينيَّة الوُجُود؛ أي الله والعالم، فالله خالق، والعالم مخلوق.

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ مريم / 9.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ مريم / 67.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ يس / 77.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ﴾ السّجدة / 7.

- يلجأ الصُّوفيُّون إلى إضفاء صفات خارقة ومبالغات غير مقبولة لمكانة النَّبيّ مُحمَّد ﷺ. فمن هذه المبالغات:

أ - الاعتقاد بأنَّ الرّسول - ﷺ - مخلوق من نور ربَّاني، وأنَّه أوَّل مخلوق على الإطلاق، وأنَّ من نوره خلق الله جميع ما في الكون من أرض وسماء!!

ب - الاعتقاد بأنَّ جميع الأنبياء فاضت عليهم العُلُوم الرَّبَّانيَّة من الرّسول ﷺ؛ لأنَّ الله - تعالى - خصَّه بهذه العُلُوم.

ج - الاعتقاد بأنَّ الرّسول - ﷺ - بيده النّفع والضرّ، وأنَّ التَّوجُّه إليه ضروري في الدّعاء، والاستغاثة من دُون ضرورة التَّوجُّه إلى الله.

- وفي مفهومهم للقضاء والقدر يذهب الصُّوفيُّون إلى القول بأنَّ كلّ ما قدَّره الله وقضاه هو راض به، فلا يحاسب صاحب المعصية على معصيته؛ لأنَّه هو الذي قدَّرها له. وأنَّ ما قدرَّه فهو يحبُّه. وبناءً على ذلك؛ فعندهم لا طاعة ولا معصية إلاَّ بأمر الله، فالكلّ محبوب عند الله، والكلّ مجبور على قضاء الله وقدره.

- في تقديرهم المغالي لمكانة الشّيخ يعتقد الصُّوفيُّون بأنَّ الشّيخ لا يفعل شيئاً سيِّئاً إلاَّ لحكمة، وإذا فعل فاحشة فهي بجسمه، وليست بروحه!! وأنَّ الشّيخ إذا كانت شريعته تخالف

مُحمَّداً ـ ﷺ ـ فإنَّ على المريد أنْ يلتزم بتنفيذ شريعة الشّيخ . فعمل الشّيخ قد يكون مباحاً في شريعته ، ومحرَّماً في شريعة الرّسول ﷺ .

وخلاصة القول ؛ فإنَّ الصُّوفيَّة ـ في قالبها الجديد ، وفي عقيدتها ، وأفكارها ، وطروحاتها المناقضة للكتاب والسُّنَّة ، ومُمارسة فرَقها ، وسُلُوك مشايخها المشحون بالانحرافات العقائديَّة ـ تمثِّل ظاهرة تثير قلق العديد من رجال الفكر الإسلامي على مختلف نزعاتهم وانتماءاتهم الدِّينيَّة .

لقد انخدع الكثير من النّاس بما أظهرته الصُّوفيَّة من معسول الكلام ، وجميل العبارات ، وما أطلقته من شعارات وعناوين ظاهرها التَّوجُّه الإيماني ، وباطنها الشّرك والزّندقة ، والرّغبة في ابتداع ديانة جديدة تحت غطاء الإسلام ، تستظلُّ بغطاء خادع ؛ لتمرِّر ـ من خلاله ـ أفكاراً ملغومة ، مموَّهة بالفلسفة ، وممزوجة بالزّيغ والضّلال .

إنَّ ميل الصُّوفيَّة في التَّميُّز من الجماعات الإسلاميَّة الأخرى بميِّزات خاصَّة دفعت الحركة إلى إطلاق أفكار مناقضة للشّرع ، ومناهضة للسُّنَّة النّبويَّة الشّريفة ، التي يدَّعي أكثر الصُّوفيِّين بأنَّهم حريصون عليها . ولعلَّ هذا السُّلُوك الصُّوفي قد تمَّ بناء على تصميم ورغبة عارمة في نفوس مشايخها الخراسانيِّين للوُصُول إلى تثبيت مفاهيم مُعيَّنة في الدِّين الإسلامي تخدم المشاعر التي كانت مخزونة في نفوس هؤلاء المشايخ .

إنَّ هذا التّصميم وهذا السّعي الصُّوفي دعا العديد من المفكِّرين الإسلاميِّين إلى استنكاره ، وفضح أهدافه ومراميه ، كما دفع الكثير منهم إلى تسميته بـالمُؤامرة على الإسلام . وقد يكون هذا التَّوجُّه الصُّوفي هو ـ بالفعل ـ مُؤامرة ، رغم صُعُوبة انطباق أوصاف التّآمر عليه ، واستحالة تحديد عناصر وأدوات التّآمر فيه ، ولكنْ ؛ في اعتقادنا أنَّه ليس المهمّ ثبوت ، أو عدم ثبوت التّآمر ، أو صحَّة تسمية هذا السُّلُوك وسلامة هذه التّسمية من أيَّة شبهة ، بل المهمّ ـ هنا ـ التَّطلُّع إلى ما آلت إليه هذه الحركة ، وما أنتجتهُ من آثار سلبيَّة على المجتمع الإسلامي .

إنَّ الآثار التي خلَّفتْهَا الرّغبة الصُّوفيَّة وتطلُّعات مشايخها ـ سواء جاءت نتيجة تخطيط مدروس ، أو نتيجة نيَّة وسعي مشبوه ، أو مُؤامرة حيكت في الخفاء ، ووُزِّعت أدوار أدواتها

بعناية بالغة، وقامت تلك الأدوات بتنفيذ المطلوب منها على أتمّ وجه - تبقى محصُورة في أنَّ الثّمرة التي قطفتها الصُّوفيَّة نتيجة هذا السّعي والتّصميم، والحصيلة التي جنتها من مسعاها ذاك قد تحقَّق. فقد ران على المجتمع الإسلامي بروز طائفة جديدة من المسلمين أضفت على انقسامه رافداً جديداً من الصّعب، ولكنْ ليس من المتعذَّر، تحديد مصادره وينابيعه، وتصنيف هذه المصادر:

هل تأتي تحت عنوان التآمر على الإسلام؟!

أم تأتي تحت عنوان الرّغبة في اختلاق مفاهيم جديدة في الإسلام؟!

أم تخضع لعنوان تشويه الشّريعة الإسلاميَّة؟!

أم أنَّ هذه النّزعة الصُّوفيَّة "الخراسانيَّة" تمثّل رغبة باطنيَّة، هدفها نزع الصّبغة العَرَبِيَّة عن الإسلام، التي حمل لواءها أولئك المؤمنون، الذين حافظوا على الشّريعة السّماويَّة كما نزلت على النّبيّ العَرَبي مُحمَّد ﷺ، وكما فصَّلتْهَا سُنَّته الشّريفة؟!

ملحق رَقْم 1:

أبرز الطُّرُق الصُّوفيَّة الواسعة الانتشار في الوسط الإسلامي

1 ـ *الإباحيَّة* : طريقة الإباحيِّين، أو المتصوِّفة المبطلين، ويُوجد الكثير منهم في العراق، وقرأنا عن بعض الفرَق الإباحيَّة في مصر مؤخَّراً بثغر الإسكندريَّة.

2 ـ *الاتِّحاديَّة* : طريقة مَنْ قال بالاتِّحاد، ومن هؤلاء الحلاَّجيَّة.

3 ـ *الأحمديَّة* : طريقة السَّيِّد البدوي المتوفَّى سنة 1276م ولها عدَّة فروع؛ منها: 4 ـ الشّناويَّة، 5 ـ والمرازقة، 6 ـ والكناسيَّة، 7 ـ والإنبابيَّة، 8 ـ والحموديَّة، 9 ـ والمنائفيَّة، 10 ـ والسّلاميَّة، 11 ـ والحلبيَّة، 12 ـ والزّاهديَّة، 13 ـ والشّعيبيَّة، 14 ـ والتّسقيانيَّة، 15 ـ والعَرَبيَّة، 16 ـ والسّطوحيَّة، 17 ـ والبنداريَّة، 18 ـ والمسلميَّة، 19 ـ والشّرنبلاليَّة، 20 ـ والبيوميَّة.

ومُعظم هذه الفروع بحسب أسماء المشايخ أو الأماكن.

21 ـ *الإدريسيَّة* : فرع من الطّريقة الخاضريَّة في العسير.

22 ـ *الأدهميَّة* : تُنسَب إلى إبراهيم بن أدهم.

23 ـ *الإسماعيليَّة* : طريقة نوبيَّة في كردفان.

24 ـ *الإشراقيَّة* : أتباع السّهروردي الحلبي.

25 ـ *الأشرفيَّة* : فرع تركي من الطّريقة القادريَّة، مُؤسِّسها عبد الله الأشرفيَّة الرُّومي (899هـ)، وتسمَّى ـ أيضاً ـ الواحديَّة.

26 ـ *الإعت باشيَّة* : فرع تركي من الطّريقة الخلوتيَّة.

27 ـ *الاغتشاشيَّة* : فرع خراساني من الطّريقة الكبراويَّة (إسحق ختّلاني المتوفَّى في القرن الخامس عشر).

28 ـ *الأكبريَّة* : هي الحاتميَّة .

29 ـ *الأميرغنيَّة* : فرع نوبي من الطّريقة الإدريسيَّة .

30 ـ *الأمي سنانيَّة* : طريقة تركيَّة .

31 ـ *الأويسيَّة* : تُنسَب لأويس القرني الصّحابي .

32 ـ *البابائيَّة* : طريقة تركيَّة في أدرنة .

33 ـ *البحوريَّة* : معروفة بالاسم فقط .

34 ـ *البدويَّة* : نسبةً لأحمد البدوي .

35 ـ *البُراقيَّة* : مؤسّسها بُراق بابا من تركيا .

36 ـ *البرهانيَّة* : أو البرهميَّة ، طريقة إبراهيم الدّسوقي ، وفرعاها : 37 ـ الشّهاويَّة ، 38 ـ والشّرابنة .

39 ـ *البسطاميَّة* : أو الطّيفوريَّة ، نسبة إلى أبي يزيد طيفور البسطامي .

40 ـ *البكتاشيَّة* : طريقة أناضوليَّة ، ولها فرع ألباني مركزه آقجه حصار .

41 ـ *البكريَّة* : أنظر الصِّدِّيقيَّة ، وتطلق ـ أحياناً ـ على بيت البكري شيوخ الصُّوفيَّة في القاهرة مُنذُ القرن السّادس عشر ، وهي فرع سوري مصري من الشّاذليَّة ، وطريقة خلوتيَّة .

42 ـ *البكائيَّة* : فرع سوداني للقادريَّة ، ولها فرعان : 43 ـ الفضليَّة ، 44 ـ والآل سيديَّة .

45 ـ *البناوة* : فرع القادريَّة في الدّكن .

46 ـ *البوعليَّة* : فرع جزائري مصري من القادريَّة .

47 ـ *البونوحيَّة* : طريقة مغربيَّة .

48 ـ *البيريَّة* : طريقة من طُرُق قيليقيَّة .

49 ـ *البيرحاجات* : طريقة أفغانيَّة من أتباع الأنصاري الهروي .

50 ـ *البيراميَّة* : مؤسّسها حاجي بيرام ، فرع تركي من الطّريقة الصّفويَّة ، وانقسمت إلى :

51 ـ *الحمزاويَّة* .

52 ـ *والشّيخيَّة* .

53 ـ *والهمتيَّة* .

54 ـ *البيوميّة* : فرع من الأحمديّة .

55 ـ *التّبانيّة* : طريقة تونسيّة .

56 ـ *التّجانيّة* : طريقة جزائريّة مغربيّة انتشرت إلى السُّودان .

57 ـ *التّشتيّة* : طريقة هنديّة أفغانيّة مركزها أجمير .

58 ـ *التّلقينيّة* : زندقة .

59 ـ *التّهاميّة* : هي الطّيبيّة .

60 ـ *الجباويّة* : هي الطّريقة السّعديّة .

61 ـ *الجراحيّة* : فرع تركي من الخلوتيّة .

62 ـ *الجزوليّة* : من فروع الشّاذليّة ، ومنها فروع : 63 ـ الدّرقاوة ، 64 ـ والحمادشة ، 65 ـ العيسويّة ، 66 ـ والشّرقاوة ، 67 ـ والطّيبيّة .

68 ـ *الجلالة* : فرع القادريّة في المغرب .

69 ـ *الجلاليّة النّجاريّة* : فرع هندي من السّهروردية (مُؤسّسها مخدوم جهانيان المتوفّى 1383م) .

70 ـ *الجماليّة* : فرع فارسي من السّهرورديّة ، مُؤسّسها أردستاني المتوفى في القرن الخامس عشر الميلادي . والجماليّة أيضاً 71 ـ طريقة تركيّة مكانها استنبول .

72 ـ *الجلوتيّة* : فرع تركي للصّفويّة ، وفروعها : 73 ـ الهاشميّة ، 74 ـ والرُّوشنيّة ، 75 ـ والفنائيّة ، 76 ـ والهذائيّة .

77 ـ *الجنيديّة* : تُنسَب للجنيد ، وتفرَّع منها : 78 ـ الخواجكان ، 79 ـ والكبراويّة ، 80 ـ والقادريّة .

81 ـ *الحاتميّة* : تنسب لابن عَرَبي .

82 ـ *الحبيبيّة* : فرع من الشّاذليّة في تافيلالت .

83 ـ *الحُروفيّة* : زندقة .

84 ـ *الحريريّة* : فرع حوراني من الرّفاعيّة .

85 ـ *الحفنويّة* : أو الحفناويّة فرع مصري من الخلوتيّة (توفّي 1767م) .

86 ـ *الحكيميَّة* : تُنسَب للحكيم التّرمذي في القرن الثّالث الهجري ، وأساسها الولاية .

87 ـ *الحلاَجيَّة* : تُنسَب للحلاَّج .

88 ـ *الحلمانيَّة* : فرع حلوليَّة أتباع أبي حلمان الدّمشقي ، وتلاميذ ابن سليم البصري ، وتسمَّى الفرقة المطرودة .

89 ـ *الحلوليَّة* : زندقة .

90 ـ *الحمادشة* : فرع مغربي من الجزوليَّة ، ولها فروع هي : 91 ـ الدّغوغيَّة ، 92 ـ والصّداقيَّة ، 93 ـ والرّباحيَّة ، 94 ـ والقاسميَّة .

95 ـ *الحمزاويَّة* : مزيج من البيراميَّة والملاميَّة .

96 ـ الحنصليَّة : طريقة مغربيَّة .

97 ـ *الحيدريَّة* : فرع فارسي من القلندريَّة .

98 ـ *الخاضريَّة* : أو الخضريَّة ، طريقة ابن الدّبَّاغ بالمغرب ، وتفرَّعت منها : 99 ـ الميرغنيَّة ، 100 ـ والإدريسيَّة ، 102 ـ والسّنوسيَّة .

103 ـ *الخرازيَّة* : تُنسَب لأبي سعيد الخرَّاز في القرن الثّالث الهجري ، وتقوم على البقاء والفناء .

104 ـ *الخفيفيَّة* : تُنسَب لابن خفيف الشّيرازي ، وأساسها الغيبة والحضور .

105 ـ *الخفيَّة* : لقب النّقشبنديَّة في الصّين والتّركستان .

106 ـ *الخلوتيَّة* : فرع السّهورورديَّة في خراسان ، وفروعها في تركيا :

107 ـ *الجراحيَّة* .

108 ـ *والاغتباشيَّة* .

109 ـ *والعشّاقيَّة* .

110 ـ *والنّيازيَّة* .

111 ـ *والسّنبليَّة* .

112 ـ *والشّمسيَّة* .

113 ـ *والكلشنيَّة* .

114 ـ *والشّجاعيَّة* ، وفي مصر :

115 ـ *الضّيفيَّة* .

116 ـ *والحفنويَّة* .

117 ـ *والسّباعيَّة* .

118 ـ *والصّاويَّة* .

119 ـ *الدّرديريَّة* .

120 ـ *والمغازيَّة* ، وفي النّوبة والحجاز والصُّومال :

121 ـ *الصّالحيَّة* .

122 ـ *الخليليَّة* : طريقة تونسيَّة .

123 ـ *الخموسيَّة* : طريقة تونسيَّة .

124 ـ *الخواجكان* : في إيران ، متفرِّعة من الجنيديَّة ، وفي تركستان هي 125 ـ اليسويَّة ، نسبة إلى يوسف الهمذاني المتوفَّى سنة 1440م .

126 ـ *الخواطريَّة* : فرع ابن عراق للطّريقة .

127 ـ *المدنيَّة* بالحجاز .

128 ـ *الدّرديريَّة* : فرع مصري من الخلوتيَّة .

129 ـ *الدّرقاوه* : فرع جزائري من الجزوليَّة ، وفروعها : 130 ـ البوزيديَّة ، 131 ـ والكتَّانيَّة ، 132 ـ والحراقيَّة ، 133 ـ والعلويَّة .

134 ـ *الدّسوقيَّة* ، هي البرهانيَّة .

135 ـ *الدّهريَّة* : اليمن والصّين وتركستان .

136 ـ *الذّهبيَّة* : الاسم الفارسي للكبراويَّة .

137 ـ *الرّحَّاليَّة* : مغربيَّة .

138 ـ *الرّحمانيَّة* : فرع خلوتي في بلاد القبائل .

139 ـ *الرّسولشاهيَّة* : هنديَّة .

140 ـ *الرّشيديَّة* : الجزائر، منشقَّة عن اليوسفيَّة.

141 ـ *الرّفاعيَّة* : البصرة، ثُمَّ دمشق واستنبول، وفروعها السُّوريَّة : 142 ـ الحريريَّة، 143 ـ والسّعديَّة، 144 ـ والسّياديَّة، وفروعها المصريَّة : 145 البازيَّة، 146 ـ والمالكيَّة، 147 ـ والحبيبيَّة.

148 ـ *الرّكنيَّة* : فرع عراقي للكبراويَّة، أسَّسها علاء الدّولة السّمناتي المتوفَّى سنة 1336م.

149 ـ *الرُّوشنيَّة* : فرع خلوتي مصري وتركي (الكلشني المتوفَّى 1553م). والرُّوشنيَّة فرع أفغاني من 150 ـ السّهرورديَّة.

151 ـ *الرُّوميَّة* : هي الأشرفيَّة.

152 ـ *الزّروقيَّة* : فرع إيراني من الشّاذليَّة.

153 ـ *الزّريقيَّة* : أو الزّرقيَّة، زندقة.

154 ـ *الزّيّاتيَّة* : فرع مغربي من الشّاذليَّة.

155 ـ *الزّينيَّة* : فرع تركي من السّهرورديَّة في بروسه.

156 ـ *السّاسانيَّة* : رباط حرفي في سوريا والأناضول.

157 ـ *السّالميَّة* : فرع من السّهليَّة.

158 ـ *السّبعينيَّة* : طريقة ابن سبعين.

159 ـ *السّعديَّة* : فرع سوري من الرّفاعيَّة.

160 ـ *السّقطيَّة* : تركيَّة (نسبة إلى السّقطي المتوفَّى 867م).

161 ـ *السّلاميَّة* : وهي العروسيَّة أيضاً.

162 ـ *السّلطانيَّة* : تركستانيَّة.

163 ـ *السّليمانيَّة* : تركيَّة.

164 ـ *السّمّانيَّة* : فرع مصري وسوداني من الشّاذليَّة.

165 ـ *السّنبليَّة* : فرع تركي من الخلوتيَّة.

166 ـ *السّنان أميَّة* : تركيَّة.

167 ـ *السّنانيّة* : تونسيَّة.

168 ـ *السّنوسيّة* : ليبيَّة.

169 ـ *السّهرورديّة* : عراقيَّة (نسبة إلى عبد القاهر السّهروردي، وعمر السّهروردي)، وتسمَّى الصدِّيقيَّة على اسم أبي بكر الصدِّيق، وفروعها: الجلاليَّة، والجماليَّة، والخلوتيَّة، والرُّوشنيَّة، والصّفويَّة، والزّينيَّة.

170 ـ *السّهليّة* : نسبة إلى سهل التّستري، وطريقته الاجتهاد والمجاهدة ورياضة النّفس وقبول البلاء.

171 ـ *السّهيليّة* : فرع جزائري للشّاذليَّة.

172 ـ *السّياريّة* : نسبة لأبي العباس السّياري، وتقوم على الجمع والتّفرقة.

173 ـ *الشّاذليّة* : فروعها في المغرب: 174 ـ الغازيَّة، 175 ـ والحبيبيَّة، 176 ـ والكرزازيَّة، 177 ـ والنّاصريَّة، 178 ـ والشّيخيَّة، 179 ـ والسّهيليَّة، 180 ـ واليوسفيَّة، 181 ـ والزّروقيَّة، 182 ـ والزّيّانيَّة. وفروعها المصريَّة: 183 ـ البكريَّة، 184 ـ والخواطريَّة، 185 ـ والوفائيَّة، 186 ـ والجوهريَّة، 187 ـ والمكّيَّة، 188 ـ والهاشميَّة، 189 ـ والسّمّانيَّة، 190 ـ والعفيفيَّة، 191 ـ والقاسميَّة، 192 ـ والعروسيَّة، 193 ـ والهندوشيَّة، 194 ـ والقاووجيَّة. ولها فروع في استنبول ورومانيا والنُّوبة وجزائر القمر.

195 ـ *الشّرقاوة* : فرع مغربي من الجزوليَّة.

196 ـ *الشّرقاويّة* : مصريَّة من الخلوتيَّة.

197 ـ *الشّطاريّة* : هنديَّة وسومطريَّة وجاويَّة. نسبة إلى شطار المتوفى 1415م.

198 ـ *الشّعبانيّة* : تركيَّة خلوتيَّة.

199 ـ *الشّمسيّة* : تركيَّة خلوتيَّة.

200 ـ *الشّونيّة* : تركيَّة سبعينيَّة.

201 ـ *الشّيخيّة* : أولاد سيدي شيخ في وهران، وهم شاذليَّة.

202 ـ *الصّفويّة* : فرع آذري من السّهرورديَّة.

203 ـ *الطّالبيّة* : مغربيَّة.

204 ـ *الطّيبيّة* : مغربيَّة جزوليَّة.

205 ـ *الطيفوريّة* : نسبة إلى أبي يزيد طيفور البسطامي، وهي طريقة الغلبة والشُكْر.

206 ـ *العاشقيّة* : زندقة.

207 ـ *العروسيّة* : طرابلسيّة قادريّة.

208 ـ *العزوزيّة* : تونسيّة.

209 ـ *العشّاقيّة* : تركيّة خلوتيّة.

210 ـ *العشيقيّة* : هنديّة شطاريّة (أبو يزيد عشقي المتوفّى في القرن الخامس عشر).

211 ـ *العلوانيّة* : حجازيّة.

212 ـ *العماريّة* : تونسيّة جزائريّة قادريّة.

213 ـ *العلويّة* : جزائريّة درقاويّة.

214 ـ *العلويّة* : نسبة إلى علي بن أبي طالب.

215 ـ *العواصريّة* : تونسيّة عيسويّة.

216 ـ *العيدروسيّة* : يمنيّة كبراويّة.

217 ـ *العيسويّة* : مغربيّة جزوليّة.

218 ـ *الغازيّة* : مغربيّة شاذليّة.

219 ـ *غزاليّة* : مدرسة الغزالي.

220 ـ *الغوثيّة* : هنديّة شطاريّة.

221 ـ *الفارسيّة* : أتباع فارس الدّينوري، وتدين بالحلول؛ كالحلاّجيّة، وتسمّى الفرقة المطرودة.

222 ـ *فردوسيّة* : هنديّة كبراويّة.

223 ـ *قادريّة* : نسبة لعبد القادر الجيلاني، ولها فروع في اليمن والصّومال: 224 ـ اليافعيّة، 225 ـ والمشارعيّة، 226 ـ والعرابيّة، وفي الهند: 227 ـ البناوة، 228 ـ والكرزمر، وفي الأناضول: 229 ـ الأشرفيّة، 230 ـ والهنديّة، 231 ـ والخلوصيّة، 232 ـ والنّابلسيّة، 233 ـ والرّوميّة، 234 ـ والوصلنيّة، وفي مصر: 235 ـ الفارضيّة، 236 ـ والقاسميّة، وفي المغرب: 237 ـ العماريّة، 238 ـ والعروسيّة، 239 ـ والبوعليّة، 240 ـ والجلالة، وفي السّودان الغربي: 241 ـ البكائيّة.

242 ـ *القرّائيّة* : تونس .

243 ـ *القشيريّة* : تُنسَب للقشيري .

244 ـ *القصّاريّة* : نسبة إلى حمدون القصّار ، واسمها الملامتيّة ، ومرادهم الحق لا الخَلْق .

245 ـ *القلندريّة* : ملامتيّة فارسيّة ، ومن قواعدهم هدم العادات .

246 ـ *القونياويّة* : نسبة لصدر الرُّومي ، انبثقت من الحاتميّة .

247 ـ *الكبراويّة* : خراسانيّة ، من الجنيديّة . وفروعها : 248 ـ العيدروسيّة ، 249 ـ والهمذانيّة ، 250 ـ والاغتشاشيّة ، 251 ـ والنُّوربخشيّة ، 252 ـ والنُّوريّة ، 253 ـ والركنيّة .

254 ـ *الكازرونيّة* : فارس من الخفيفيّة .

255 ـ *الكرزاريّة* : شاذليّة في تافيلالت .

256 ـ *الكرزمر* : هنديّة قادريّة .

257 ـ *الكلشنيّة* : الرُّوشنيّة .

258 ـ *المتبوليّة* : مصريّة .

259 ـ *المحاسبيّة* : نسبة إلى الحارث المحاسبي (توفّي سنة 243هـ ببغداد) .

260 ـ *المحمّديّة* : نسبةً إلى النّبي ﷺ ، استُعمل الاسم على الخواصّ ، والشّعراني .

261 ـ *المداريّة* : هنديّة .

262 ـ *المدنيّة* : اسم الشّاذليّة أوّلاً .

263 ـ *المراديّة* : تركيّة .

264 ـ *المرازقة* : فرع الأحمديّة .

265 ـ *المشارعيّة* : يمنيّة قادريّة .

266 ـ *المشيشيّة* : أتباع ابن مشيش .

267 ـ *المصريّة* : النّيازيّة .

268 ـ *المطاوعة* : الأحمديّة .

269 ـ *المغربيّة* : مريدو الشّاعر الفارسي مغربي .

270 ـ *الملاميّة* : خراسانيّة .

271 ـ *اللامتيَّة* : الاسم الآخر للقصَّارية .

272 ـ *النصوريَّة* : الحلاَّجيَّة .

273 ـ *المولويَّة* : أتباع جلال الدِّين الرُّومي ، وفروعها : 274 ـ البوشتنشينيَّة ، 275 ـ والإرشاديَّة .

276 ـ *النّاصريَّة* : مغربيَّة شاذليَّة .

277 ـ *النّبويَّة* : رابطة حرفيَّة في سوريا .

278 ـ *النّعمانيَّة* : أتباع أبي عبد الله النّعمان المتوفَّى 683 هـ بالإسكندريَّة .

279 ـ *النّعمت اللّية* : طريقة شيعيَّة في كرمان فارس من القادريَّة اليافعيَّة .

280 ـ *النّقشبنديَّة* : تركستانيَّة من الطّيفوريَّة ، وفروعها في الصّين وقازان وتركيا والهند وجاوه .

281 ـ *الخالديَّة* : نقشبنديَّة ، نسبة إلى خالد النّقشبندي .

282 ـ *النُّوربخشيَّة* : خراسانيَّة كبراويَّة (مُحمَّد نور بخش المتوفَّى 1465م) .

283 ـ *النُّور الدّينيَّة* : الجراحيَّة .

284 ـ *النُّورسيَّة* : تركيَّة .

285 ـ *النُّوريَّة* : مدرسة أبي الحسن النُّوري ، وتقوم على الإيثار .

286 ـ *النّيازيَّة* : تركيَّة جلوتيَّة .

287 ـ *الهدارة* : مغربيَّة .

288 ـ *الهمذانيَّة* : كشميريَّة كبراويَّة .

289 ـ *الوارث عليشاهيَّة* : هنديَّة .

290 ـ *الوحدنيَّة* : زندقة .

291 ـ *الوُصُوليَّة* : زندقة .

292 ـ *اليسويَّة* : فرع خواجكان بتركستان .

293 ـ *اليوسفيَّة* : شاذليَّة مغربيَّة .

294 ـ *يونسيَّة* : سوريَّة (الشّيباني المتوفَّى 1222م) .

ملحق رَقْم 2:

عدد المرّات التي استخدمت فيها الولايات المُتّحدة حقّ النّقض "الفيتو" في مجلس الأمن الدّولي عند عرض القضايا المتعلّقة بمنطقة الشّرق الأوسط؛ وخاصّة القضيّة الفلسطينيّة، وذلك خلال الفترة الممتدّة ما بين 10/ 9/ 1972 وحتّى 10/ 5/ 2004.

موضوع الشّكوى	التّاريخ	نتيجة التّصويت
1 - شكوى من سورية ولبنان ضدّ الاعتداءات الإسرائيليّة	10/ 9/ 1972	13/ 1
2 - طلب بحث موضوع الشّرق الأوسط	2/ 7/ 1973	13/ 1
3 - شكوى من لبنان ومصر ضدّ الاعتداءات الإسرائيليّة	8/ 12/ 1975	13/ 1
4 - طلب بحث مشكلة الشّرق الأوسط	26/ 1/ 1976	9/ 1
5 - بحث الموقف في الأراضي الفلسطينيّة	25/ 3/ 1976	14/ 1
6 - تقرير عن لجنة حُقُوق الشّعب الفلسطيني	29/ 6/ 1976	10/ 1
7 - اقتراح تونسي لبحث حُقُوق الفلسطينيّين	30/ 4/ 1980	10/ 1
8 - اقتراح أردني لبحث موضوع الجولان	20/ 1/ 1982	9/ 1
9 - مشروع اقتراح ببحث الموقف في الأراضي المحتلّة	2/ 4/ 1982	13/ 1
10 - طلب بحث حادث المسجد الأقصى في القدس	20/ 4/ 1982	14/ 1
11 - مشروع إسباني لبحث غزو إسرائيل للبنان	8/ 6/ 1982	14/ 1
12 - مشروع فرنسي لمناقشة غزو إسرائيل للبنان	26/ 6/ 1982	14/ 1
13 - اقتراح روسي لبحث الغزو الإسرائيلي للبنان	6/ 8/ 1982	11/ 1
14 - اقتراح مقدّم من عدّة دول لبحث الوضع في الأرض المحتلّة	2/ 8/ 1983	13/ 1
15 - مشروع قرار لإدانة إسرائيل في إنشاء المستعمرات على الأراضي المحتلّة	-------	----
16 - مشروع لإدانة إسرائيل على أعمالها في جنوب لبنان	6/ 9/ 1984	13/ 1
17 - مشروع للتّنديد بأعمال القمع الجارية في الأراضي الفلسطينيّة	13/ 9/ 1985	10/ 1
18 - مشروع قرار بإدانة إسرائيل على أعمالها في جنوب لبنان	3/ 12/ 1985	11/ 1

19 - مشروع قرار بالتّنديد بإسرائيل لأعمالها العدوانيّة في جنوب لبنان	17/ 1 / 1986	11/ 1
20 - مشروع نداء بضرورة احترام الأماكن المقدّسة الإسلاميّة	30/ 1 / 1986	13/ 1
21 - التّنديد بإسرائيل لعدوانها على الطّائرة اللّيبيّة	6 / 2 / 1986	10/ 1
22 - التّنديد بإسرائيل لأعمالها ضدّ المدنيّين في جنوب لبنان	18/ 1 / 1988	13/ 1
23 - التّنديد بتكرار العدوان الإسرائيلي على الجنوب اللّبناني	10/ 5 / 1988	14/ 1
24 - التّنديد بالاعتداءات الإسرائيليّة على الأراضي اللّبنانيّة	14/ 12/ 1988	14/ 1
25 - دعوة المجتمع الدّولي لإسرائيل باحترام معاهدة جنيف	----- 1988	14/ 1
26 - دعوة لإسرائيل باحترام المادّة الرّابعة من اتّفاقيّة جنيف المتعلّقة بالمدنيّين	----- 1988	14/ 1
27 - مشروع تنديد بالممارسات الإسرائيليّة في الأراضي المحتلّة	17/ 2 / 1989	14/ 1
28 - مشروع إدانة إسرائيل على أعمالها في الأراضي المحتلّة	9 / 6 / 1989	14/ 1
29 - مشروع إدانة إسرائيل على أعمالها في الأراضي المحتلّة	7 / 11/ 1989	14/ 1
30 - مشروع إرسال لجنة للتّحقيق في مقتل سبعة عمّال فلسطينيّين	31/ 5 / 1990	14/ 1
31 - مشروع التّنديد بمصادرة إسرائيل للأراضي في شرق القدس	17/ 5 / 1995	14/ 1
32 - مشروع الطّلب من إسرائيل الكفّ عن إقامة المستوطنات	7 / 3 / 1997	14/ 1
33 - مشروع طلب التّوقّف عن الاستمرار في إنشاء المستوطنات في الأرض المحتلّة	21/ 3 / 1997	13/ 1
34 - مشروع الطّلب من الأمم المتّحدة إرسال مُراقبين إلى الضّفّة الغربيّة	27/ 3 / 2001	9 / 1
35 - مشروع إدانة كلّ الأعمال الإرهابيّة وإنهاء أعمال العُنف	14/ 12/ 2001	12/ 1
36 - مشروع التّنديد بقتل موظّفين من الأمم المتّحدة	19/ 12/ 2002	12/ 1
37 - مشروع الطّلب من إسرائيل بالكفّ عن التّهديد بقَتْل عرفات	9 / 1 / 2003	11/ 1
38 - مشروع الطّلب من إسرائيل التّوقّف عن بناء الجدار الأمني	16/ 9 / 2003	11/ 1
39 - مشروع إدانة إسرائيل لقَتْلها أحمد ياسين قائد مُنظّمة حماس	25/ 3 / 2004	11/ 1
40 - مشروع قرار بالطّلب من إسرائيل بوقف عمليّاتها العسكريّة في غزّة	10/ 5 / 2004	11/ 1

المراجع والمصادر

آ - المراجع العَرَبِيَّة:

اسم الكتاب	اسم المؤلِّف
1 - المُؤامرة على الإسلام	جابر رزق
2 - المُؤامرة الكُبرى على بلاد الشّام	مُحمَّد فاروق الخالدي
3 - نظرة حول المُؤامرات الدّوليَّة اليهوديَّة	د. سعيد مُحمَّد أحمد باناجه
4 - حركات ومُؤامرات مناهضة في تاريخ الإسلام	د. أحمد الحفناوي
5 - الإسلام واستمرار المُؤامرة	د. طه الدّسوقي الحبشي
6 - المُؤامرة على الكعبة	د. عبد المنعم النّمر
7 - سياسات الأديان	نبيل عبد الفتاح
8 - قصَّة الاستبداد	د. فاضل الأنصاري
9 - عبد الله بن سبأ	الشّيخ علي آل محسن
10 - نشأة التَّصوُّف الإسلامي	د. إبراهيم بسيوني
11 - التَّنسُّك الإسلامي	د. مُحمَّد غلاَّب
12 - في التَّصوُّف الإسلامي وتاريخه	رينولد نيكولسون
13 - التَّصوُّف طريقة وتجربة ومذهباً	د. مُحمَّد كمال إبراهيم جعفر
14 - لمحات حامديَّة	إبراهيم سلامة الرّاضي
15 - مرشد المريد في الفقه والتَّصوُّف والتَّوحيد	إبراهيم سلامة الرّاضي
16 - التَّصوُّف الإسلامي في مدرسة بغداد	د. مُحمَّد جلال أشرف
17 - التَّصوُّف الإسلامي تاريخه ومدارسه وطبيعته وأثره	أحمد توفيق عياد
18 - طبقات الصُّوفيَّة	أبو عبد الرّحمن السّلمي
19 - حلّة الأولياء وطبقات الأصفياء	أبو نعيم الأصبهاني
20 - تذكرة الأولياء	فريد الدِّين العطَّار " النّيسابوري "

21 ـ المنقذ من الضّلال	أبو حامد الغزالي
22 ـ إحياء عُلُوم الدِّين	أبو حامد الغزالي
23 ـ عوارف المعارف	شهاب الدِّين السّهروردي
24 ـ الرّسالة القشيريَّة	أبو القاسم القشيري
25 ـ رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي	عبد الفتَّاح أبو غدَّة
26 ـ بدَع الصُّوفيَّة	علي أحمد عبد العال الطّهطاوي
27 ـ شطحات الصُّوفيَّة	د. عبد الرّحمن البدوي
28 ـ الكواكب الدّرِّيَّة في تراجم السّادة الصُّوفيَّة	زين الدِّين مُحمَّد عبد الرّؤوف المناوي
29 ـ إرغام أولياء الشّيطان بذكر مناقب أولياء الرّحمن	زين الدِّين مُحمَّد عبد الرّؤوف المناوي
30 ـ نفحات الأنس من حضرات القدس	الملاَّ نور الدِّين عبد الرّحمن بن أحمد الجامي
31 ـ كشف المحجوب	علي بن عثمان الهجويري
32 ـ الرّسالة الصّفديَّة	أحمد بن تيميَّة
33 ـ الموسوعة الصُّوفيَّة	د. عبد المنعم الحفني
34 ـ آداب المريدين	أبو بكر الشّيباني الموصلي
35 ـ الفكر الصُّوفي في ضوء الكتاب والسُّنَّة	عبد الرّحمن بن عبد الخالق
36 ـ التَّصوُّف الثّورة الرُّوحيَّة في الإسلام	د. أبو العلا عفيفي
37 ـ التَّشرُّف بذكر أهل التَّصوُّف	جمعيَّة المشاريع الخيريَّة الإسلاميَّة، بيروت
38 ـ الطّوَّاسين (حسين بن منصور الحلاَّج)	لويس ماسينيون (ترجمة رضوان السّح)
39 ـ الطّريقة التّجانيَّة في المغرب والسُّودان الغربي	د. أحمد الأزمي
40 ـ مشتهى الخارف الجاني في زلقات التّجاني الجاني	الشّيخ مُحمَّد الخضر بن عبد الله الشّنقيطي
41 ـ مقدِّمة ابن خلدون	الإمام عبد الرّحمن بن مُحمَّد بن خلدون
42 ـ الإسلام والتَّصوُّف	مُحمَّد أحمد الشّامي
43 ـ التَّصوُّف والتّفلسف	د. صابر طُعيمة
44 ـ اليهود في شبه الجزيرة العَرَبيَّة	مُحمَّد أرشيد العقيلي

B- Foreign Language References

Title of the Book	*Name of the Author*
1- The End of the Peace Process	*Edward W. Said*
2- From Oslo to Iraq and the Road map	*Edward W. Said*
3- What Uncle Sam really wants	*Noam Chomesky*
4- 9 / 11	*Noam Chomesky*
5- The Conquest continues	*Noam Chomesky*
6- The Origins of the Eisenhower Doctrine	*Ray Takeyh*
7- The Game of Nations	*Miles Copeland*
8- Le Pentagate	*Thierry Meyssan*
9- L,efforyable Imposture	*Thierry Meyssan*
10- American Jewish Organisations and Israel	*Lee Obrien*
11- Living by the sword	*Steven Green*
12- Israel and the American National Interest	*Cheryl A. Rememberg*
13- A Cultural of Sufism	*Dina Lee Gall*
14- Sufism Beyond Religion	*Kumar Rajendra*
15- The Quranic Sufism	*Valiuddin Mir*
16- Sufism : A Short Introduction	*William C. Chittiek*
17- Spiritual Poverty in Sufism	*Jawad Nurbakhsh*
18- The Sufis	*Idris shah*
19- Readings From The Mystics of Islam	*Margret Smith*
20- Sufism: The Essential	*Mark J. Sedwick*

صَدَرَ للمؤلِّف

1 ـ كلمات القرآن الكريم مترجمة إلى اللّغة الإنكليزيّة حسب المفهوم القرآني .

2 ـ الأصوليّة في الشّرائع السّماويّة الثّلاث اليهوديّة ، المسيحيّة ، والإسلام ، إلى أين؟

3 ـ حُدُود الصّراع تاريخيّة وخفايا الصّراع العَرَبي ـ اليهودي ـ الصّهيوني ـ الإسرائيلي .

منشورات الأوائل للنّشر والتّوزيع

سورية - دمشق ص ب 3397

هاتف 00963112233013 فاكس 00963112460063

www.daralawael.com / alawael@scs-net.org

1) ناستراداموس والألفيَّة الجديدة ، جُون هُوغ ، ترجمة ، مُحمَّد الواكد ، 2006.

2) الدَم المُقدَّس الكأس المُقدَّس ، ميشيل بيجنت - ريتشارد لاي - هنري لينكون ، ترجمة : مُحمَّد الواكد ، 2006.

3) دفاعاً عن الجهاد ، آرشي أُوغوستاين ، ترجمة : مُحمَّد الواكد ، 2006.

4) وُجهة نظر مسيحيَّة : تفجيرات انتحاريَّة أم استشهاد؟! آرشي أُوغوستاين، ترجمة :مُحمَّد الواكد ، 2006.

5) أُصول البرمجة الزّمنيَّة في الفكر الإسلامي دراسة مُقارنة في الفكر الغربي ، د.مُحمَّد بن مُوسى بابا عمي ،2006.

6) الصدق في العمل الاجتماعي ، د.مُوسى بن بابا عمّي ، 2006.

7) المُعادلة الفعَّالة لحلّ الإشكاليَّات وقيادة الجماعات ، د.مُوسى بن بابا عمّي ، 2006.

8) المُعادلة السّحريَّة لحلّ الإشكاليَّات وإدارة المشاريع ، د.مُوسى بن بابا عمّي ، 2006.

9) حَدِّدْ غايتكَ ، د.مُوسى بن بابا عمّي ، 2006.

10) رَدٌّ على كتاب (الشّخصيَّة المُحمَّديَّة لمعروف الرّصافي) ، د.مُحمَّد بن مُوسى بابا عمي وآخرون ، 2006.

11) التَّشيُّع والعولمة رُؤية في الماضي والمُستقبل، د.جمال البدري ، 2006.

12) السّيف الأخضر دراسة في الأُصوليَّة الإسلاميَّة المُعاصرة ، د.جمال البدري ، 2006.

13) القرامطة واليهود الاتّجاه الواحد ، د.جمال البدري ، 2006.

14) اليهود وألف ليلة وليلة ، د.جمال البدري ، 2006.

15) الكافي في تاريخ القُدس ، رجا عبد الحميد عُرابي ، 2006.

16) مُحمَّد ﷺ بين أهل بيته وآل بيته وعشيرته ودورهم الفعّال في حمايته ونصرته ، رجا عبد الحميد عُرابي ، 2006.

17) أصالة الوُجود عند صدر الدِّين الشّيرازي من مركزيَّة الفكر الماهوي إلى مركزيَّة الفكر الوُجودي ، كمال عبد الكريم حُسين الشّلبي ، تقديم : د صلاح الجابري ، 2006.

18) أنماط العلاقات الاجتماعيَّة في النّصّ القُرآني دراسة سُوسيُولُوجيَّة لعمليات الاتّصال في القصَّة القُرآنيَّة (قصَّة مُوسى تطبيقاً) ، د.عبد العزيز خواجة ، 2006.

19) جَدَليَّة القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النّصّ القُرآني ، جهلان مُحمَّد ، 2006.

20) التّغلغل الإسرائيلي في إيران وأثره في الأمن الوطني العراقي (1950 – 1967) ، د. جاسم إبراهيم الحيَّاني ، 2006.

21) خفايا علاقات إيران – "إسرائيل" وأثرها في احتلال إيران للجُزُر العَربيَّة الإماراتيَّة الثّلاث (1967 – 1979) ، د. جاسم إبراهيم الحيَّاني ، 2006.

22) أمْرَكَةُ العولمة في الشّرق الأوسط وآسيا الوُسطى مُثلّث الخيرات ، مُحمَّد سرحان ، 2006.

23) لقد سرقوها ! القضيَّة الفلسطينيَّة حقائق ودلالات ، نبيل السّهلي ، 2006.

24) نحنُ وتنظيم القاعدة ، مُنتصر حمادة ، 2006.

25) نظريَّة المؤامرة أوَهْمٌ أم حقيقة "الصُّوفيَّة" ؟! مُوفَّق العطّار ، 2006.

26) الرّأسماليَّة في محكّ التّكنُولُوجيا أو في النّظام التّكنُولُوجي للعولمة ، د.يحيى اليحياوي ، 2006.

27) القضيَّة الكُرديَّة والحلّ المنشود التّاريخ الواقع المُستقبل ، د.خالد سُليمان الفهداوي ، 2006.

28) القُدس في قُلُوب المُسلمين ، د.خالد سُليمان الفهداوي ، 2006.

29) العلامة مُحمَّد رشيد رضا عصره وتحدّياته ومنهجه الإصلاحي ، د.خالد سُليمان الفهداوي ، 2006.

30) الفقه السّياسي عند شيخ الإسلام ابن تيمية ، د.خالد سُليمان الفهداوي ، 2006.

31) منهج التعايش بين المُسلمين واستراتيجيَّة التّقريب بين المذاهب الإسلاميَّة ، د.خالد سُليمان الفهداوي ، 2006.

32) الخَبَر بالبُرهان والدَّليل على أنَّ النَّبي يعقوب غير إسرائيل ، سُويد الأحمدي ، 2006.

ستند المُؤلِّف في هذا الكتاب إلى أدلَّة من القُرآن الكريم وكُتُب الأحاديث (السُّنَّة ومُسند الإمام أحمد)، فَفَحصَ الآيات، ودقَّق في الأحاديث، ثُمَّ جمع أدلَّة وشهادات أضافها إلى بحثه ن التّوراة السَّامريَّة، وإنجيل برنابا، وكذلك ما يُسمَّى الكتاب المُقدَّس بعهدَيْه القديم والجديد، وممَّا كُتب عن التّلمود، ثُمَّ ما كتبه كُلُّ الدّارسين والباحثين والمُؤرِّخين والعُلماء في تاريخ والآثار. من موضوعات الكتاب:

ابيل وهابيل ـ قابيل وشيث في المصادر الإسلاميَّة ـ بنو قابيل وبنو شيث ـ إدريس ـ نُوح ـ الذين آمنوا مع نُوح ـ إسرائيل ـ يعقوب ـ مواقف من اسم إسرائيل ـ السّبط واليهود الذين ادوا في اللُّغة العَربيَّة ـ الإسلام وانشقاق اليهود والنّصرانيَّة ـ عزرا اليهود وبُولُس النّصارى ـ أدلَّة القُرآن الكريم على أنَّ يعقوب غير إسرائيل ـ نهاية بني إسرائيل ـ آية وإشكاليَّة ـ ل الإشكاليَّة عند ابن كثير ـ أدلَّة الحديث الشّريف ـ أدلَّة التّوراة السّامريَّة ـ أدلَّة العهد القديم ـ أدلَّة إنجيل برنابا ـ أدلَّة العهد الجديد ـ أدلَّة التّلمود ـ أدلَّة مخطوطات قمران (البحر يّت) ـ أدلَّة وثائق إيبلا ـ أدلَّة التّاريخ المصري ـ مصر وبنو إسرائيل ـ ست والهكسوس ـ التّاريخ والسّامريُّون ـ تحليل لمدلولات لُغوية ـ شهادات الباحثين والمُؤرِّخين وعُلماء الآثار ـ سرائيل الاسم والمعنى والأصل ـ الشّجرة الملعونة في القُرآن. بإيجاز: (بعد قراءة هذا البحث المُهمّ جدّاً جدّاً) نفهم عن بني إسرائيل أنَّهم ليسوا من ذُرِّيَّة نُوح، وليس لهم أيُّ علاقة ـرِّيَّة إبراهيم أو يعقوب، فنفهم ـ بالتّالي ـ سبب إفسادهم في الأرض، فهُم من ذُرِّيَّة مُحدَّدة من بين جميع البشر، والشُّعُوب من ذُرِّيَّة أخرى.

33) **كَشْفُ الحال في وَصْف الخال ، صلاح الدِّين خليل بن أيبك الصَّفدي ، تحقيق مُحمَّد عايش** ، 2006.

يُعدُّ هذا الكتاب من روائع ذخائر تُراثنا العَربي الجميل، الذي لم يسبق له أنْ نُشر في العصر الحديث، وقد بقي مئات السّنين مُنتظراً مَنْ يُخلّصه من ذلك الغُبار المُتراكم عليه على مرِّ العُصُور. في هذا الكتاب يبسط المُؤلِّفُ الكلامَ عن الخال في اللُّغة، ثُمَّ الشّامة، ثُمَّ الحسنة، وذلك مع إيراد الشّواهد الشّعريَّة وأقوال أهل اللُّغة، ثُمَّ ينتقل إلى حقيقة الخال وسبب ظُهُوره، وتفسير الحُكماء لذلك، ثُمَّ يُورد كلام أبقراط، ثُمَّ يُترجم الصّفدي لعدد من الأعلام ممَّن كان به شامة، ويُورد ما يتعلَّق بذلك من النُّقُول والأشعار والحكايات. وكانت النَّتيجة جنَّة ضمَّت أزهار الأشعار، التي قيلت في الخال، وفي وصف مَنْ كان به خال أو شامة، مُرتَّبة حسب القافية من الألف إلى الياء.

34) **موسوعة أنواع الحُرُوب ، الفريق الرّكن الدُّكتُور مُحمَّد فتحي أمين** ، 2006.

يبحث هذا الكتاب المُهمُّ في الحُرُوب التي يجري فيها القتال المُسلَّح فعلاً؛ كالحرب البريَّة والجويَّة وحرب الدّبّابات وحرب الصّواريخ والحرب النّوويَّة، إلخ ، ثُمَّ يتحدَّث عن صفات تلك الحُرُوب؛ مثل التّقليديَّة والشّاملة والمحدودة والنّظيفة، ثُمَّ علاقة الحُرُوب بالسّياسة ، وهل هُناك شيء اسمه الحُرُوب السّياسيَّة مثل الحرب الاستعماريَّة وحرب الاستقلال والحرب الأهليَّة والحرب الثّوريَّة والحرب الشّعبيَّة ، ثُمَّ يُفصِّل في الحُرُوب التي لها تأثير على فكر الإنسان ورُوحه المعنويَّة والنَّفسيَّة ؛ مثل الحُرُوب الفكريَّة كحرب الإذاعة والأعصاب والإعلاميَّة والعقل والحرب النَّفسيَّة وحرب المعلومات، ثُمَّ ينتقل إلى الحُرُوب العلميَّة والاقتصاديَّة مثل حُرُوب الإشعاعات والتّقنية وحرب النُّجُوم، والحرب الاقتصاديَّة، وحرب الغذاء. الغاية من هذا الكتاب اطِّلاع أفراد وضُبَّاط وقادة الجُيُوش وكذلك المدنيِّين على الحُرُوب كافَّة، والتي يكاد يبلغ عددها أكثر من 110 لتكوين صُورة عن هذه الحُرُوب.

35) **الإنسان ولُغته من الأصوات إلى اللُّغة (الكلام) ، مارسيل لوكان، ترجمة: د. ماري شهرستان** ، 2006.

كيف تطوَّرت الجُمجُمة عند البشر؟ تسلسل الأحداث التَّاريخيَّة العامَّة للجنس البشري - ما هي المناطق الحسِّيَّة والحواسِّيَّة، والمناطق المُحرِّكة المُرتبطة بالسَّمْع؟ هجرات الإنسان الماهر والمُنتصب والعاقل - مَنْ هُو الإنسان؟ ما هي الذَّاكرة البيُولُوجيَّة؟ نغنغة الطِّفل وذاكرته اللُّغويَّة - توازي التَّطوُّر واللُّغة - الخيال التَّطوُّري الطَّوطمة - البشر في الماضي - الإرث اللُّغوي القبْتاريخي (قبل التَّاريخ) - بداية العصر الجليدي المُعاصر - نتائج بُركان هائل - أوائل البشر المُتكلِّمين - أقدم إنسان عُرف حتَّى الآن - كيف تطوَّرت اللُّغات وتنوَّعت؟ ما هي مصادر اللُّغة؟ أصداء نموذجيَّة أصليَّة في الكلام - أصوات الكلام النَّموذجيَّة الأصليَّة للإنسان المُنتصب، ثُمَّ العاقل - المُساعِدات الصَّوتيَّة - بدايات النُّمُوّ - هكذا تكلَّم الإنسان المُنتصب قبل حوالي مليون سنة - ازدياد السُّكَّان وتنوُّع اللُّغات - هجرات ولُغات أحفاد آدم - أحفاد حوَّاء - هجرات العرب - مَنْ هُم العيلاميُّون؟ نُشُوء العَدِّ والصِّناعة - نُشُوء الفنِّ وتطوُّره - نهاية ما قبل التَّاريخ - بدايات الاتِّصال بين المُدُن - من اليد إلى اللِّسان - بُنية الأُذن وتطوُّرها - حواسُّنا الخمسة - التَّسلسل التَّاريخي الحديث للُغات المحكيَّة والمكتوبة - تطوُّر اللُّغة وإبداعيَّتها - من التَّصوُّر العقلي المجازي إلى المفهوم - نماذج المجاز - اتِّصال، وعي، ثقافات، طُرُق انتقال المعرفة - التَّكييف الاجتماعي باللُّغة - طُقُوس غذائيَّة - ما هُو مُستقبل اللُّغات؟ ومَنْ هُو الإنسان النَّاطق في المُستقبل؟ رُؤية مُستقبليَّة

36) **العجيب والغريب في كُتُب تفسير القُرآن تفسير ابن كثير أُنمُوذجاً ، وحيد السّعفي** ، 2006.

لتُبادر إلى طَمْأنة القارئ؛ فهُو مُقبل على قراءة كتاب شيِّق يتعلَّق - لا محالة - بعلْم التّفسير؛ وهُو علم يقتضي الإلمام به معارف دقيقة، إلاَّ أنَّه - بكُلِّ تأكيد - ليس كتاباً في التّفسير يُضاف إلى التّفاسير التي يضعها عُلماء الدِّين. هُو كتاب يستعصي على التّصنيف بحسب المعايير المَدْرسيَّة، ولعلَّنا لا نتعسَّف عليه تعسُّفاً كبيراً إنْ اعتبرنا أنَّه أقرب ما يكون إلى الإناسة التَّاريخيَّة. وهُو - إلى جانب ذلك - مكتوب بلُغة أنيقة راقية مُمتعة تشدُّ القارئ شدَّاً، وتُحلِّق به - برفق وأناة - في دُنيا الظَّنِّ والأُسطُورة مثلما تجول به في قضايا الفكر والمُجتمع ومجالات العقائد والمشاعر، وتنتقل به - من حيثُ لا يتوقَّع - في الزّمان والمكان، من فترة البدايات إلى عصر المُفسِّرين، وبين بيئات العَرَب، والبهُود، واليُونان، والهُنُود، وغيرهم، ثُمَّ هُو كتابٌ طريفٌ من حيثُ رَبْطُه بين عناصر مُستقلّ في الظاهر بعضها عن بعض؛ حيثُ يطَّلع عليها قارئ التّفسير الغرّ، والذي ليست له هواجس وحيد السّعفي المعرفيَّة وسَعَة اطِّلاعه على تُراث الشُّعُوب، وعلى اتِّجاهات البحث المُعاصر ومناهجه.

37) **القُربان في الجاهليَّة والإسلام ، وحيد السّعفي** ، 2006.

ما هي القرابين البشريَّة؟ الأُنثى قُربان الجاهليَّة ... الذَّكر قُربان الإسلام ... ابن الذَّبيحَيْن - القُربان الأُنمُوذج - الإله القُربان وابنه المصلوب - القرابين البديلة - الكبش الكبش - الهَدْيُ البُدْنُ - الإسلام والنَّسج على المُنوال - وجاء الإسلام ينشر الأضاحي - كتاب الأضاحي - هذا القُربان لكَ يا عَبْدِي، فكُلْ واشربْ على نخبي. ها نحنُ ندرس القُربان في الجاهليَّة والإسلام، من خلال أخبار المُسلمين والقُرآن، وما حفَّ بالقُرآن من عُلُوم الدِّين، لا غاية لنا غير تَتَبُّع مظاهر السُّنَّة الثّقافيَّة في هذا الدِّين، ومظاهر السُّنَّة الثّقافيَّة في هذا الدِّين عالم من الفكر والخيال لشعب مُختلف الأمصار، مُتعدِّد الأوطان، عاش في كثير من الأزمان، فجاء فكره والخيال فُسيفُساء، سُبحان مَنْ ضمَّ أشتاتها، فبدتْ واحدة. ذاك هُو عملنا، فُسيفساء؛ فاجْمع الأشتاتَ، ورَتِّبْ، تقف على رحلة في عالم النّاس، أردناها جميلة كالفُسيفُساء، ترسم خُيُوطاً تشدُّ النّاس إلى الإله، تربط بينهم وبينه، ولا تُفرِّق. وكانت تلكم الخُيُوط موؤودة وهدياً وأُضحيَّة ونذراً قَرَّبُوها للإله ساعة أيقنوا أنَّ الإله لا يُعطي إلاَّ بحساب، وأنَّ الدِّين حمْل يُثقل كاهل الإنسان، وإنْ اشتدَّ عُوده أو غَلُظَ. قُمنا إلى تلك الخُيُوط الرّابطة بين الرَّبِّ والعبد، نبحث لها عن أصل في عالم القرابين والنّحر والذَّبح، ونرسم خُطُوط عرضها والطُّول، لعلَّنا نفوز بما تستَّرت عليه من أُمُور تُقرِّبها من التّفكير الميثي حيناً، فتُجهِّز نفسها لنَقْضه، وتجذرها في أرضها حيناً، فتسعى إلى تجاوزها، وتُحلِّق في أمصار النّاس من غير جنسها، وفي الثقافات على اختلافها، والأديان على تنوُّعها، وتستوي كَونيَّة لا تعرف الحُدُود.

38) **المرأة عبر التَّاريخ البشري الحضارات القديمة**

العبرانيُّون. التَّوراة. الفراعنة. الشّرق الأقصى. البُوذيُّون. الصِّينيُّون. اليُونانيُّون. رُوما القديمة. المسيحيُّون. الجاهليُّون. الإسلام. د. عبد المُنعم جبري ، 2006.

لعلَّ هذا الكتاب هُو الأشمل والأدقّ في بحثٍ مُهمٍّ كبحث المرأة ... استعرض فيه مُؤلِّفه تطوُّر حُقُوق المرأة عبر التَّاريخ البشري، بدءاً من الحضارات القديمة، مُرُوراً بالعُصُور الوُسطى في أُوروبا والجاهليَّة والإسلام، ثُمَّ تحدَّث عن أنَّ المرأة، هل هي التي تُحدِّد مصير العالم؟.. ومَنْ هي المرأة في أُنوثتها الأُولى والمُراهقة، وسِنّ النُّمُوّ العقلي والجسدي؟ ثُمَّ عرَّج إلى المرأة في حضارات الشّرق الأوسط (بابل - التَّوراة - الفراعنة - الكَهَنُوت...) ثُمَّ المرأة في حضارات الشّرق الأقصى (اليابان - الصِّين)، (اليُونان - رُوما القديمة..) المسيحيَّة والمرأة - عداء الكَهَنَة للمرأة - تحرير المرأة في نظام العائلة البَلشفي الشُّيُوعي الرُّوسي - المرأة الفارسيَّة - المرأة في عصر النَّهضة - الطَّبيعة والتَّاريخ في حقِّ المرأة - واقع المرأة عبر العُصُور - المرأة العربيَّة - (البداوة والإسلام وعصر النَّهضة)... البغاء ودوافعه - اللِّواط - السِّحاق - المرأة المُسلمة عبر التَّاريخ - المُساواة بين المرأة والرَّجل (قانونيَّاً)... وغيرها من الموضوعات المُهمَّة جدَّاً جدَّاً.

39) حَرَكَةُ فَتْح من العاصفة إلى كتائب الأَقْصى (الانعطافات الفلسطينيَّة)، علي بدوان - نبيل السهلي، 2005.
يُؤرِّخ الكتاب تأريخاً دقيقاً لنُشوء مُنظَّمَة التّحرير الفلسطينيّة وحَرَكَة فَتْح، إلى أنْ يصل إلى تشكيل كتائب الأقصى، فيبدأ بفَتْح العاصفة ومخاض الرّصاصة الأُولى، ومسيرة ياسر عرفات مُنْذُ بدايتها حتّى لحظة استشهاده.ويُبيِّن كيف عَقَدَت اللّجنة التّنفيذيّة لمُنظَّمَة التّحرير الفلسطينيّة اجتماعها التّاريخي الأوّل في القاهرة يوم2/ 9/ 1964، برئاسة أحمد الشُّقيري. ويُبيِّن كيف انتقلت فَتْح / قُوَّات العاصفة من القومي العامّ إلى التّلمُّسات الفلسطينيّة للدّور الذّاتي، كما يُبيِّن كيف تخرَّجت أوّل دورة للمُقاتلين الفدائيِّين بدمشق في 3/ 5/ 1965 .ثُمَّ ينتقل إلى (من العاصفة إلى كتائب الأَقصى)، ونجد في ثنايا الكتاب أسماء لقادة فلسطينيِّين بعضهم مازال حيّاً إلى الآن، وبعضهم استُشهد، وبعضهم اعتُقل، وبعضهم نسيه الزّمن. . . الكتاب تأريخ دقيق، بذل فيه المُؤلِّفان قصارى جهدهما لهذا التأريخ، رغم ندرة المصادر.
40) التَّوراة اليهُوديَّة مكشوفةً على حقيقتها رُؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأُصول نُصُوصها المُقدَّسة على ضوء اكتشاف علم الآثار.
أ. د إسرائيل فنكلشتاين، فيل أشر سيلبرمان، ترجمة: سعد رُستُم، 2005.
الكتاب مُهمٌ جدّاً جدّاً؛ لأنّه إقرار على لسان مُحقِّقَيْن يهُوديِّيْن؛ إسرائيلي وأمريكي، صاحبَيْ خبرة طويلة في التّنقيبات الآثاريّة، وعلم الآثار، بأنَّ التّوراة الحاليّة ليست كُلُّها كلمة الله، فجاء كتابهما هذا مُثيراً جدّاً، واستفزازيّاً جدّاً لليهُود؛ حيثُ أثبتا أنَّ التّوراة الحاليّة قد كَتَبَها كَهَنَةُ يهُود في عهد الملك المُستقيم (يوشيا) ملك يهُوذا في القرن السابع ق.م، فيبدأ كُلّ فصل من فُصُول الكتاب بعرض الرّواية التّوراتيّة، ثُمَّ يُعقِّب بذكر ما تقترحه المُكتشفات الآثاريّة، فكانت النّتائج التي وصل إليها المُؤلِّفان العلمانيّان طعنة نجلاء في صميم المُعتقدات اليهُوديّة التّقليديّة، وتحطيماً للرُّمُوز الدّينيّة التّقليديّة لليهُود. ولعلَّ أهمَّ نُقاط الكتاب:
1 ـ لا تُؤيِّد الأدلّة الآثاريّة رواية الخُرُوج الجماعي من مصر بالشّكل والأعداد والطّريقة التي تذكرها التّوراة العبريّة. 2 ـ لم يقم يشوع بن نُون بحملة غزوات مُوحَّدة لفتح أرض كنعان. 3 ـ داود سُليمان وُجدا تاريخيّاً، لكنْ؛ كانا أقرب إلى رئيسَيْ عشيرة منهما إلى مَلكَيْن، كما أنَّ سُليمان لم يبن أيّ هيكل (معبد) هائل. 4 ـ لم يكن هُناك دينٌ يهُودي مُوحَّد في أغلب تاريخ يهُوذا (إسرائيل القديمة). 5 ـ ليس هُناك دليل علمي على الوُجود الحقيقي لشخصيّات مثل إبراهيم أو إسحق أو يعقوب. إنَّ قُوَّة وإفادة هذا الكتاب هُو بُطلان الدّعاوى الصّهيونيّة في أرض فلسطين استناداً لتواجدهم القديم فيها، أو أنّها أرض الميعاد، على لسان اثنَيْن من كبار عُلمائهم أنفسهم، اللّذَيْن أكّدا أنَّ فلسطين كانت ـ وظلّت دائماً ـ مسكونة من عدَّة شُعُوب تتالوا عليها كاليبوسيِّيْن والكنعانيِّيْن، والفلسطينيِّيْن، والعماليق، والعَرَب، وأنَّ الإسرائيليِّيْن لم يكونوا إلاّ مجموعة هامشيّة فوضويّة نَمَتْ وسيطرت لفترة قصيرة على منطقة محدودة من المُرتفعات والتّلال المركزيّة في فلسطين، في حين كانت بقيّة فلسطين مسكونة من الكنعانيِّيْن والفلسطينيِّيْن وغيرهم.
41) حُدُود الصّراع تاريخيَّة وخفايا الصّراع العَرَبي واليهُودي الصّهيوني الإسرائيلي، مُوفَّق صادق العطّار، 2005.
إنَّ النُّصُوص الواردة في التّوراة والمُستخدمة لتبرير الطّبيعة العُدوانيّة والرّغبة الكامنة لدى الشّعب اليهُودي بالقتل والعُدوان الانفصال عن الآخرين من مُنطلق عُنصُري باعتباره المزعوم بأنّه شعب الله المُختار قد أيّدتْها كتابات التّلمود، التي تُعدُّ كتابات مُقدَّسة عند مُعظم الفرَق اليهُوديّة. يبدأ الكتاب بتعريف كتاب العهد القديم، ثُمَّ التّوراة، وأسفار مُوسى الخمسة، ثُمَّ يُلقي أضواء على النّصّ التّوراتي (من ناحية المُعتقد والإله)، ثُمَّ يتحدَّث عن تشويه العقيدة (الخلفيّة الدّينيّة ـ النّصّ التّوراتي ـ الإطار العامّ للنّصّ المُقدَّس ـ الإصرار على تحريف العقيدة ـ اليهُود والإسلام)، ثُمَّ يُفصِّل في الصّهيونيّة والصّراع العَرَبي الإسرائيلي (حقيقة النّصر ـ استغلال الحَدَث ـ أبعاد الموقف الإسرائيلي ـ الادّعاءات الباطلة)، ثُمَّ القُرآن الكريم والتّوراة ـ الغرب والصّهيونيّة ـ اللّعنة الإلهيّة ـ المسيح اليهُودي الصّهيوني ـ الولايات المُتَّحدة واليهُود اللاّساميّة كسلاح يهُودي للتّشهير ـ مُعاداة السّاميّة ـ طُمُوح نحو المزيد من السّيطرة ـ الجُمُوح إلى الهيمنة على صناعة السّينما ـ الولايات المُتَّحدة والعلاقة الخاصَّة مع (إسرائيل) ـ طبيعة التّحالف الأميركي مع الصّهيونيّة ـ حُدُود الصراع (البُعد الدّيني للصّراع العَرَبي الإسرائيلي ـ العَرَب والصّهيونيّة ـ أضواء على طبيعة الصّراع) أسماء رُؤساء الولايات المُتَّحدة، عدد اليهُود في دُول الاتّحاد الأوروبي ـ وعددهم خارج دُول الاتّحاد الأوروبي، وعددهم في دُول أوروبا الشّرقيّة ـ التّوزيع الجغرافي لليهُود في العالم ـ عدد أتباع أبرز الدّيانات في العالم ـ الأحزاب الإسرائيليّة المُتمثِّلة في الكنسيت واتّجاهاتها.
42) عالية الهاشميّة ملكة العراق سيرة وأحداث 1934 - 1950، د. مُحمَّد حمدي صالح الجعْفري، 2005.
ولادة عالية ونشأتها ـ رحيلها من الحجاز واستقرارها في بغداد ـ زفافها وزواجها من الملك غازي ـ ولادة ابنها البكْر ـ مصرع زوجها ـ كيف تلقَّتْ نبأ مصرع زوجها؟ روايات مَقْتَله ـ نشاطها السّياسي والاجتماعي والثّقافي ـ عالية وحرب فلسطين 1948 ـ هل كانت عالية رائدة النّهضة الاجتماعيّة العراقيّة؟ ـ كيف كَتَبَتْ مُذكّراتها؟ مَرَضُها ـ ساعاتُها الأخيرة ـ وفاتها ـ النَّصُّ الّذي ألقاه الوصيُّ ـ تقرير الأطبّاء عن وفاة الملكة عالية ـ كلمة الوصيّ عبد الإله التّأبينيّة ـ بعض ما قيل في رثاء الملكة برقيّات التّعزية ـ صُور ووثائق مُهمَّة تُنْشَر للمرَّة الأُولى. الكتاب بانوراما تفصيلية تأريخيّة دقيقة لحياة الملكة عالية، ولتاريخ العراق في عهدها.
43) نُوري السّعيد وبريطانيا خلاف أم وفاق؟! د. مُحمَّد حمدي صالح الجعْفري، 2005.
نُوري السّعيد شغل النّاس في العراق والمنطقة العربيّة ردحاً من الزّمن، فمُنْذُ بُروزه فوق المسرح السّياسي، لَفَت أنظار السّاسة العرب والأجانب طيلة نصف قرن، لِمَا تمتّع به من ذكاء وقّاد وفطنة عالية، وقُدرة على المُناورة والخداع، وقد انتبه له البريطانيُّون، وكسبوه إلى صفّهم، مُنْذُ قَدِمَ إلى العراق عام 1920، واستقرّ بمنصبه كمُدير للشّرطة العامّة في الحُكُومة العراقيّة الجديدة، وبعدها كرئيس لأركان الجيش، ثُمَّ كوزير للدّفاع، ورئيس للوُزراء لعدَّة مرَّات، وبقي مُخلصاً لبريطانيا، وفيّاً لها حتّى ساعة انتهاء نُفُوذها عام 1958. يبحث المُؤلِّف نُشوء العلاقة وتطوُّرها بين نُوري السّعيد وبريطانيا، نُوري السّعيد النّشأة والتّكوين ـ اتّصاله بالسّاسة البريطانيِّيْن ـ السّعيد وحُكُومة سُوريا العربيّة ـ السّعيد والحُكُومة العراقيّة المُؤقَّتة 1920، السّعيد ومهمَّة حماية المصالح البريطانيّة ـ السّعيد والموقف البريطاني من قضيّة فلسطين ـ السّعيد والمهمَّة الإقليميّة في الخمسينيّات مشاريع الدّفاع عن الشّرق الأوسط ـ السّعيد والإصلاح ـ السّعيد واتّفاقيّة النّفط ـ السّعيد والتّلويح بالخطر الشُّيُوعي ـ السّعيد وتعديل مُعاهدة 1930 ـ السّعيد وسياسة الأحلاف في الخمسينيّات ـ أزمة السُّويس والتّحالف البريطاني العراقي، وإجراءات نُوري السّعيد ـ الاعتداء الثّلاثي على مصر وبداية السُّقوط البريطاني ـ إجراءات السّعيد ومُناورته خلال العُدوان الثّلاثي ـ نُوري السّعيد وانضمام الكُويت إلى العراق، والتّآمر على سُوريا ـ نُوري السّعيد والتّقارب مع أُسرة آل الصّباح ـ بريطانيا والحلّ العراقي الكُويتي ـ السّعيد والمشروع البريطاني لحلّ الخلاف ـ آراؤه لانضمام الكُويت إلى العراق ـ السّعيد والتّآمر على عرش سُوريا ـ الثّورة في العراق ونهاية نُوري السّعيد والنُّفوذ البريطاني ـ إعلان الثّورة وسُقُوط النّظام المَلكي في العراق ـ السّاعات الأخيرة من حياة نُوري السّعيد ـ موقف بريطانيا من الثّورة في العراق ـ تدابير الحُكُومة العراقيّة الجديدة موقف دُول حلف بغداد من الثّورة ـ اجتماع لندن والاعتراف بالحُكُومة العراقيّة الجديدة..

44) تاريخ مدينة دمشق وعلماؤها خلال الحُكم المصري ، خالد أحمد مفلح بني هاني ، 2005.

تتناول هذه الدِّراسة فترة تاريخيَّة هامَّة، نُظر إليها على أنَّها من أهمِّ فترات التَّاريخ الحديث لبرِّ الشَّام. بدأ الباحث دراسته بالعُلماء والأعيان الدِّمشقيِّين، وشُيُوخ الطُّرق الصُّوفيَّة، والأشراف، والعَسْكر، والحِرَفيِّين، والعامَّة، والملاَّكين، والفلاَّحين، ثُمَّ تحدَّث عن دمشق قُبيل الحُكم المصريِّ، وعن الفتنة الدَّاخليَّة(1831 م) وعن المسيحيِّين والمُسلمين، كما تحدَّث عن الإصلاحات المصريَّة في برِّ الشَّام (الإدارة، والقضاء، والزِّراعة، والصِّناعة، والتِّجارة، والتَّعليم، وعن المُتغيِّرات الرُّوحيَّة والاجتماعيَّة) وبحث ـ بالتَّفصيل ـ موقف العُلماء والأعيان في دمشق من الحُكم المصريِّ، ورُدُود الفعْل والمواقف المحليَّة الدِّمشقيَّة، ثُمَّ تناول أساليب الحُكم المصريِّ في التَّعامل مع العُلماء والأعيان، ثُمَّ دَرَسَ نهاية الحُكم المصريِّ، وآثاره السِّياسيَّة، والاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، وكيف انسحب المصريُّون، ثُمَّ أورد مُقارنة لتقييم أحكام بعض المُؤرِّخين لآثار الحُكم المصري لبرِّ الشَّام.

45) العلم العسكري ، مفهومه وتطبيقاته علم الحُرُوب والصِّراعات نظريَّة الحرب وقوانينها الاستراتيجيَّة ، الفريق الرُّكن الدُّكتور مُحمَّد فتحي أمين ، 2005.

يتحدَّث هذا الكتاب المُهمُّ عن مفهوم العلْم العسكري، ثُمَّ ينتقل إلى بعض العُلُوم التَّطبيقيَّة وتطبيقاتها في القُوَّات المُسلَّحة كعُلُوم الإدارة السِّياسيَّة والاقتصاد والقوانين والاجتماع والنَّفْس والإنسان والجغرافيا والمناخ والتَّاريخ، ثُمَّ يتحدَّث عن بعض العُلُوم التَّطبيقيَّة وتطبيقاتها في القُوَّات المُسلَّحة كعُلُوم الحاسبات وبُحُوث العمليَّات والليزر والألياف الضَّوئيَّة والإحصاء والتَّجفير (التشفير)، ثُمَّ يُفصِّل في العلْم العسكري، مفهومه، علْم الحُرُوب والصِّراعات، النَّظريَّة العسكريَّة، نظريَّة الحرب، السِّياسة العسكريَّة، قوانين الحرب، علم المعرفة السَّوقيَّة (الاستراتيجيَّة)، عُلُوم الكيمياء والأحياء والذَّرَّة وعلم المُتفجِّرات وعلم المقذوفات...

46) الغزو المغولي لديار الإسلام ، الفريق الرُّكن الدُّكتور مُحمَّد فتحي أمين ، 2005.

يبحث هذا الكتاب في حالة المغول العامَّة وعصر جنكيز خان، وحالة البلاد الإسلاميَّة قبل غزو المغول، وما هي أعمال جنكيز خان، ثُمَّ ينتقل إلى هُولاكو وحملاته الأوَّليَّة، ثُمَّ احتلال بغداد ـ ومعركة عين جالوت، ويتحدَّث عن تعاون الفرنجة مع المغول. والكتاب مُدَّعم بالصُّور والخرائط المُهمَّة.

47) الوَعْيُ والعَالَمُ السَّيكُولُوجي والباراسيكُولُوجي دراسة علميَّة فلسفيَّة لمجالات ساي اللاانفصاليَّة ، د. صلاح الجابري ، 2005.

الكتاب من أدقِّ وأمتع ما كُتب ـ علميَّاً ـ في مجال الدِّراسة العلميَّة الفلسفيَّة لمجالات ساي اللاَّانفصاليَّة، ما هي لاانفصاليَّة الوعي والعَالَم؟ ما هُو البُعْد التَّاريخي التَّقليدي للمُشكلة؟ ما هُو قُصُور الرُّؤية الانفصاليَّة في العلم؟ العلم وإعادة حُضُور الوعي في المُستوى الفيزيائي الدَّقيق، ما هُو المُستوى الفيسيُولُوجي؟ ما هُو الأساس العلْمي للنَّظريَّة الثُّنائيَّة؟ ما هُو المُستوى السَّيكُولُوجي؟ وما هُو المُستوى الباراسيكُولُوجي؟ ما تأثير الجسم على النَّفْس؟ ما تأثير النَّفْسي على الجسم؟ ما الحالات المُتبدِّلة للوعي؟ ما التَّغذية الاسترجاعيَّة الحَيَويَّة؟ ما هُو الإدراك فوق الحسِّي؟ ما هُو التَّخاطر؟ ما هُو الاستشفاف؟ ما هُو الإدراك المُسبَق؟ ما هي باراسيكُولُوجيَّة الوعي؟ ما هُو المُستوى الصُّوفي أو الاستشفافي؟ هل الإنسان مُعادلة كونيَّة مُتعدِّدة الأطراف؟ ما هُو التَّزامن؟ ما هُو مجال ساي؟ ما هُو قانون السِّلسلة؟ ما هي علاقة التَّزامن والباراسيكُولُوجي؟ ما هي التَّفسيرات البديلة للتَّزامن؟ ما هي السَّببيَّة التَّراجعيَّة؟ ما هُو البُعْد الفلسفي لحُضُور الوعي؟ ما هُو المُستوى الفلسفي لاكتشاف بُعْد ساي (الباراسيكُولُوجي)؟ الباراسيكُولُوجي بين الميتافيزيقيا والرُّؤية المادِّيَّة... ابن سينا .. الشِّيرازي، ما هي التَّجربة الصُّوفيَّة؟ ما هُو التَّصوُّر الميتافيزيقي الحديث للعَالَم؟ ما هُو التَّحديد الإبستمُولُوجي للمُعطَى المُوفي لساي؟ ما هي الظَّواهر الباراسيكُولُوجيَّة والمبادئ الأساسيَّة الحدْسيَّة؟ العقل والخُلُود في ضوء مجال ساي، ما هي الوسائط الرُّوحيَّة؟ ما هي الوساطة الذِّهنيَّة؟ أسئلة هامَّة، نجد إجابات عنها في ثنايا هذا الكتاب العلْمي جدَّاً، والسَّهل جدَّاً، والشَّيِّق جدَّاً..

48) خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام ، ويلسون براين كي ، ترجمة : مُحمَّد الواكد ، 2005.

ما هُو الهدف من الاستغلال الإعلامي الجنسي؟ هذا الكتاب غير العادي يكشف كُلَّ الطُّرُق التي تقوم بها كُلٌّ من المجلاَّت والصُّحُف والأغنية التِّلفزيونيَّة والأفلام والمُوسيقى الشَّعبيَّة، والتي تقوم على مبدأ الاغتصاب والاستغلال الفكْري للشَّعب. بعد قراءته؛ لابُدَّ أنَّكَ ستنظُرُ، وتُنصتُ، وتُدركُ، ولكنْ؛ بطريقة جديدة تماماً. ـ لا تدعهم يضعون السِّتار أمام عينيْكَ وأُذُنيْكَ وفمكَ وأنفكَ وحواسِّكَ كُلِّها... أيُّها المُشتري؛ كُنْ حريصاً! كُنْ حريصاً! أوَّلاً من أنَّ الإعلان مُصمَّمٌ من أجل أنْ يضعكَ في عالم الخيال، تلك هي رسالة الاستغلال الإعلامي الجنسي... ما هي الرُّمُوز المخفيَّة في وسائل الإعلام الأمريكيَّة؟ ما هي كيفيَّة قيام تلك الرُّمُوز بَرْمَجة وتكييف عقلنا الباطن؟ إنَّه كَشْفٌ مُثير لعواقب الإغواء اللاَّشُعُوري؛ لأنَّ وسائل الإعلام تَعْلَمُ كُلَّ شيء عن مُخيِّلاتكَ، ومخاوفكَ، وعاداتكَ المُتأصِّلة والعميقة، فهي تعلم ـ إذاً ـ كيف تستغلُّ مشاعركَ وسُلُوككَ الشِّرائي ـ كيفيَّة قيام إعلانات الحلوى بإزالة مخاوفكَ من زيادة الوزن ـ كَشْفُ أنَّ مجلاَّت مثل "بلاي جير" و "فيفا" المُخصَّصة للنِّساء، هي ـ في الواقع ـ تستهدف الرِّجال ـ كيفيَّة قيام إعلانات السَّجائر بإزالة مخاوفكَ من الإصابة بالسَّرَطَان ـ كيفيَّة قيام الأفلام بابتكار طُرُق تعذيب جديدة من أجل إيلامكَ، ومن أجل زيادة أرباحها ـ كيفيَّة قيام إعلانات الأزياء بالتَّوجُّه إلى السُّحاقيَّة المُستَتِرَة ـ كيفيَّة نجاح مُوسيقى الرُّوك الشَّعبيَّة السَّاحق في ترويج المُخدِّرات ـ كيفيَّة قيام صُور الأخبار بقَوْلَبَة وصياغة آرائكَ ـ كيفيَّة تَضْمين وإخفاء كلمة من أربعة أحرف في صُور طعامكَ وفي صُور ملابسكَ من أجل إثارة الرَّغبة الجنسيَّة ـ كيفيَّة قيام كُلِّ ذلك ـ وأكثر من ذلك بكثير ـ بإثارتكَ، واستعبادكَ، ومن دُون أدنى علم حسِّيٍّ بذلك! (صدمة مُدهشةٌ!) (سحْرٌ شديدٌ!) (الأمرُ يتطلَّب أقصى درجات الحَرص!).

49) لُصُوص في مناصب مرموقة لقد سَرَقُوا بلدَنَا وعلينا أنْ نستعيدَهُ ، هاي تاوير ، ترجمة : مُحمَّد الواكد ، 2005.

يتحدَّث الصُّحُفي الأمريكي الشَّهير في كتابه هذا، الذي أحْدَثَ ضجَّة كبيرة في الولايات المُتَّحدة عن أمَّة الكليبتُوقراطيَّة (كُتلة من الشَّعب مُدارة من قِبَل لُصوص).. ويُدلِّل على أنَّ حُكُومة أمريكا هي حُكُومة تتَّسم بعمليَّة نَقْل وتحويل الأموال والسُّلطة من الأغلبيَّة إلى الأقليَّة، وأنَّ نُخبة من المُشرِّعين المُرْتَشين تغتصب الحُرِّيَّة والعدالة والاستقلال، وحُقُوق أُخرى من الشَّعب، ويدعو ـ بكُلِّ قُوَّة ـ لإصلاح أمريكا، ويتحدَّث عن شركات بُوش في نَزْع السِّلاح، ويُدلِّل أنَّ الحادي عشر من أيلول وصدَّام حُسَيْن كانا قد أضْفَيَا تغطية مُسهبة وتبريراً للتَّكتُّل العديم الشَّفقة لرجال بُوش في سُلطة الحُكُومة، ويُثبت أنَّ بُوش ـ رجل النِّفط ـ أُعطي صفقة حميدة في هاركين إنيرجي، وأنَّ الذين أعطوه شراكة جوهريَّة في تكساس رانجيرز لم يُحضروه إلى المجلس لقُدراته العقليَّة أو لفطنته القياديَّة، بل لأنَّهم اشتروا رئيساً صُوريَّاً ذا اسم مقبول على مُستوى البُنُوك.. ما هي حقيقة الضَّرائب في أمريكا؟ كيف يتمُّ التَّلاعب بالقوانين في أمريكا؟ ما هي حقيقة إمبراطُوريَّة المعايير المُزدَوَجَة للملك جُورج دبليُو بُوش؟! ما هي تعاليم بُوش؟ لقد أكلتْ إدارة بُوش كُلَّ شيء.. ما هي الويليقراطيَّة (سياسة التَّذبذب)؟ أمريكا المُحتمَلَة.. حُرُوب النِّفط.. أمريكا الجميلة.. كيف نهزم الشَّيطان؟ الطَّريق إلى السِّرِّيَّة.. المصارف.. الشَّركات الاحتكاريَّة.. و.. و.. بُوب يُرشِّح نفسه للرِّئاسة .. و ..

50) **نظرية التّأويل في الفلسفة العربيّة الإسلاميّة ، د. عبد القادر فيدوح ، 2005.**

ما هي جُذُور وفلسفة التّأويل في الفكر الشّيعي؟ ما التّأويل في قراءته الكلاميّة (السّلَف ومرجعيّة النّصّ...)؟ ـ التّأويل بين النّقل والعقل ـ ما التّأويل البياني؟ وما الجَدَل الكلامي؟ التّأويل وتحصيل البُرهان ـ التّأويل الفلسفي ومقاصد الشّريعة ـ المعراج الصُّوفي والتّأويل الذّوقي... و... هل استطاع العقل العربي في منظوره ـ الذي أسهمت الفلسفة في تحريره ـ أنْ يقوم بالدّور الفعّال المُستمرّ في معرفة الوُجُود بما هُو موجود؟ أَمْ أنَّ مفهومه لم يتجاوز العقل العملي المُكتسَب من وصايا الثّوابت؟ وهل استطاعت الفلسفة العربيّة الإسلاميّة ـ في نظرتها التّأويليّة ـ أنْ تُميّز بين المعقول واللّامعقول في تطوير الفكر الإسلامي تباعاً؟ وقبل كُلّ ذلك؛ هل نستطيع الحديث عن الفلسفة العربيّة الإسلاميّة بمعزل عن العقيدة؟ وإلى أيِّ مدى استطاع هذا العقل أنْ يُراهن على تحليل النّصّ؟ وأيُّ نصّ؟

51) **المسيح عند اليهُود والنّصارى والمُسلمين وحقيقة الثّالوث ، د. عبد المُنعم جبري ، 2005.**

الكتاب بحث مُوسّع للتّعريف بعقائد النّصارى واليهُود من خلال العهد القديم والأناجيل المُعتمَدَة لدى المرجعيّات الكَنَسيّة، اعتمد فيه الباحث على التّلمود والأسفار والأناجيل، فعرّف بكُلّ طائفة من طوائفهم ومرجعيّاتهم وأناجيلهم، قديماً وحديثاً، مُبيّناً معنى المسيح في القواميس اللُّغويّة؛ العبريّة والعَرَبيّة والمعاجم اللّاهوتيّة، ومُعرّفاً بالمذاهب النّصرانيّة القديمة كالبيلاجُوسيّة والنّسطوريّة والمَلَكيّة واليعقوبيّة والكاثُوليكيّة، مُروراً بالمارونيّة والأرثُوذكسيّة، ثُمّ البرُوتستانتيّة وشُهُود يَهْوَه، وحاول أنْ يُثبت أنّه ـ ومُنذُ غياب المسيح ـ أخذ اليهُود يخترعون الآلهة لأُمم المسيح، ثُمّ استعرض المسيح في قَصَص الأنبياء وعند المُسلمين، كما تحدّث عن المسيح الدّجّال. الكتاب بانوراما تفصيليّة تحليليّة لما يعنيه المسيح عند اليهُود، وعند النّصارى، وعند المُسلمين..

52) **أضواء على برُوتُوكُولات حُكماء صهيُون ، (النُّصُوص الكاملة) دراسة تحقيقيّة تاريخيّة مُعاصرة، رجا عبد الحميد عُرابي ، 2005.**

ما هي الجُذُور القديمة لليهُوديّة ؟ فرية الشّعب المُختار.. الوعد وأرض الميعاد ـ الفطير المُقدّس. ما هي النُّصُوص الكاملة لبرُوتُوكُولات حُكماء صهيون؟ ومَنْ واضعها؟ اليهُود والإمبراطُوريّة العُثمانيّة ـ ما هي الأهداف الهامّة للبرُوتُوكُولات؟ ما هي مُنظّمات اليهُود وحَرَكاتهم؟ .. الصّهيونيّة المسيحيّة ـ اللّجنة اليهُوديّة الأمريكيّة ـ بْناي بريت ـ كيف تمّ تسخير الدُّول العُظمى لخدمة اليهُود ـ بريطانيا ـ الاتّحاد السُّوفيتي سابقاً ـ ألمانيا ـ فرنسا ـ الولايات المُتّحدة الأمريكيّة. تنظيم القاعدة وحرب أفغانستان ـ زلزال 11 أيلول 2001 لماذا احتلال أفغانستان؟! لماذا احتلال العراق؟ الدّولة الكُرديّة ومشروع (إسرائيل) لتفجير الشّرق الأوسط ـ حرب الخليج الثّالثة ـ اليهُود ومُحاولة السّيطرة على العالم ـ الدّولة اليهُوديّة العالميّة ـ العراق يُنهَبُ ويُعرَض للبَيْع ـ (إسرائيل) استثمار أمريكيٌّ ـ ماذا تحقّق من أهداف البرُوتُوكُولات؟ وماذا لم يتحقّق بَعْدُ؟ مسيرة الانحدار بدأت عند اليهُود..

53) **القُرآن بين اللّغة والواقع ، سامر إسلامبولي ، 2005.**

لقد جاء هذا البحث يدعو الأمّة لكي تقوم بدراسة النّصّ القُرآني بحواسّها لا بحواسّ غيرها، لكي تنشر وعياً جديداً وثقافة إيمانيّة جديدة، مُعتمدة على الماضي بما يُناسب الحاضر، مُكملة ـ من خلال ما سبق ـ ما يُناسب الحاضر والمُستقبل قدر الإمكان، وبذلك تكون الأمّة قد قامت بدور فعّال ومُنتج مُشيّدة جسراً من التّواصل بين الماضي والحاضر والمُستقبل (سيرورة وصيرورة)، وقد تحوّلت من موقع الأخذ والتّلقّي إلى موقع العطاء والتّرقّي، وحينئذ ستشعر الأمّة بأنّها موجودة فعلاً وفكراً لا جسداً ورَقْماً. على أنْ يكون كُلّ ذلك تحت سُلطان الأدلّة والبراهين، قال تعالى: (قُلْ هاتوا بُرهانكم إنْ كُنتُم صادقين).

54) **قراءة حول مصير النّبي مُوسى عليه السّلام : هل مات أم قُتل؟! بديع السُّيوفي ، 2005.**

ضبابيّة، مجهولة، غامضة، هكذا تبدو نهاية النّبي مُوسى، مَنْ هُو إبراهيم الخليل؟ قصّته بالتّفصيل مع هاجر وسارة وهجرته، هل كان يعقوب يهُوديّاً؟ وما هي أصل تسمية اليهُود باليهُود؟ ولادة ونشأة مُوسى عليه السّلام ، ما هي ديانة أخناتون التّوحيديّة؟ مَنْ هُو أخناتون؟ مُوسى الكاهن والقائد،عودة مُوسى من الحبشة، مُوسى القاتل، مُوسى في أرض مدين، مُوسى والعودة إلى مصر، خُرُوج مُوسى من مصر، قصّة خُرُوج بني إسرائيل، عودة مُوسى من الحبشة وأحداث مصر والخُرُوج . مَنْ هُو مُوسى ؟! مُوسى لم يك إسرائيليّاً، هل كان مُوسى يهُوديّاً؟ كيف ظهرت اليهُوديّة؟ الغُمُوض في موت مُوسى، وفاة مُوسى أم اغتيال مُوسى. مُوسى والمُوسويُّون ـ اليهُوديّة والصّهيونيّة ـ الصّهيونيّة حركة سياسيّة ـ العبريّة واليهُوديّة، والتّوراة ـ الصّهيونيّة واليهُوديّة ـ الشّعب اليهُودي . باختصار: الكتاب يُثبت أنّ النّبي مُوسى لم يك عبرانيّاً . . ولا إسرائيليّاً . . ولا يهُوديّاً . . إنّما كان صاحب دعوة دينيّة خاصّة اسمها المُوسويّة، ويُسمّى أتباعه بالمُوسويّين.

55) **السي. آي. إيه و/11/أيلول 2001 والإرهاب العالمي ودور أجهزة الاستخبارات ، أندرياس فون بُولُوف ، ترجمة : د. عصام الخضراء - سُفيان الخالدي ، 2005.**

ماذا جرى من أكاذيب وخدَع وآثار زائفة في 11 أيلول 2001؟ كيف بيّن المُؤلّف أنّ الإسلاميّين كانت آثارهم واضحة في أحداث 11 أيلول؟ وكيف أنّ آثارهم هذه تلاشت حين التّأمّل والتّدقيق بتلك الآثار على انفراد؟ خبير الاستخبارات ووزير الاتّحاد السّابق يُشكّك بالرّواية الرّسميّة عن هَجَمات 11 أيلول 2001 ـ أليس مُمكناً أنْ تكون الهجمات جاءت مُواتية جدّاً للحُكُومة الأمريكيّة؟! آثار وأدلّة كثيرة تقود إلى شبكة الاستخبارات، وفي مُقدّمتها سي آي إيه... الهُجوم الرُّباعي في صباح 11/ 9 / 2001 ـ نظرة إلى الوراء ـ أثر الإرهاب ـ رفاق قُدامى، 19 مُهاجماً في تحضير سرّيٍّ ـ تكهُّنات قبل الهَجَمات ، أُسامة بن لادن والأثر الإسلامي ـ الوَصْف الرّسمي لأحداث 11 / 9 / 2001 ـ مَنْ كان في الطّائرات؟ آثار تدعو إلى الاستغراب ـ تناقضات لا نهاية لها ـ أحداث نيُو يُورك ـ جهاز الحُكُومة الأمريكي: هل هُو أعمى؟ أم غبيٌّ؟ أم على علم؟ أجهزة الاستخبارات في عمليّة مُستترة ـ إمكانيّة التّحكّم بالطّائرات من خارجها ـ ماذا جرى مع الرّحلة / 77 / ؟ ما هُو سرّ العمارة / 7 / من مركز التّجارة العالمي؟ ماذا يعرف جهاز الاستخبارات الإسرائيلي الموساد؟ كيف استغلت حُكُومة بُوش الفُرصة؟ اللُّعبة الكبيرة للسّيطرة على العالم.الكتاب من أهمّ الكُتُب التي صَدَرَتْ، والتي تُعالج، وتُفنّد، وتُحلّل هَجَمات 11 أيلول2001.

56) **الفكر والسّياسة لدى الجمعيّات والمُنتديات والأحزاب العَرَبيّة حتّى نهاية الحرب العالميّة الأولى ، زُهير عبد الجبّار الدُّوري ، 2005.**

ما هي الأوضاع السّياسيّة في الشّرق العَرَبي في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر حتّى بداية القرن العشرين؟! ما طبيعة حُكْم السّلاطين العُثمانيّين الأوائل؟ ما هي جمعيّة الاتّحاد والتّرقّي؟ وكيف استلمت الحُكْم؟ ما هي فلسفة العُثمانيّين للتّعامل مع العَرَب مع بداية القرن العشرين؟ ما الأوضاع السّياسيّة في المشرق العَرَبي في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر حتّى بداية القرن العشرين؟ ما هي الأوضاع السّياسيّة في كُلّ من سُورية ولُبنان واليمن والحجاز ومصر والعراق؟ كيف نشأت الجمعيّات والنّوادي والأحزاب الفكريّة والسّياسيّة في الوطن العَرَبي؟ ما هُو أثر الفكر السّياسي المصري في الفكر السّياسي المشرقي؟ كيف انتقل الفكر السّياسي من مصر إلى المشرق العَرَبي؟ ما هي جُذُور نشأة الجمعيّات والنّوادي الفكريّة والسّياسيّة في المشرق العَرَبي؟ بعض الجمعيّات مثل الجمعيّات الصّغيرة: جمعيّة النّهضة العَرَبيّة ـ جمعيّة الإخاء العَرَبيّة ـ الجمعيّة القحطانيّة ـ المُنتدى الأدبي ـ جمعيّة العهد، الجمعيّات الكبيرة: الجمعيّة العَرَبيّة الفتاة ـ حزب اللّامركزيّة ـ مُؤتمر باريس.

57) **انتبهوا... الدَّجَّال يجتاح العالم، مُحمَّد مُنير إدلبي، 2005 ط 4.**

دراسة تحليليَّة علميَّة موثوقة تُثبت بُطلان الزّعم القائل بأنَّ الدَّجَّال إنسان واحد. وتُثبت - في الوقت نفسه - أنَّ ما يُسمَّى بالأعور الدجَّال قد ظهر في الأرض وأنَّه يجتاح العالم، ويعيث فيه فساداً !!! ما تفسير الحديث الشّريف: تغزون جزيرة العَرَب، فيفتحها الله؟ ثُمَّ تغزون فارس، فيفتحها الله؟ ثُمَّ تغزون الرُّوم، فيفتحها الله؟ ثُمَّ تغزون الدَّجَّال فيفتحها الله؟

58) **الحجاز في نَظَر الأندلسيِّين والمغاربة في العُصُور الوُسطى، أ. د. إبراهيم أحمد سعيد، 2004.**

59) **سِفر التَّاريخ اليهُودي اليهود تاريخهم عقائدهم فرَقهم نشاطاتهم سُلُوكيَّاتهم الحركة الصّهْيَوْنيَّة والقضيَّة الفلسطينيَّة، رجا عبد الحميد عُرابي، 2004.**

تزعم - دار الأوائل - أنَّه الكتاب الأشمل في ما أُلِّف عن اليهُود؛ حيثُ يتحدَّث المُؤلِّف فيه عن تاريخ اليهُود وتشتُّتهم وانتشارهم في العالم، وعن كُتُبهم الدِّينيَّة وعقائدهم وفرَقهم وطوائفهم قديماً وحديثاً، وعن تعاليم حُكَمائهم، وعن نشاطاتهم السّياسيَّة، وعن سُلُوكيَّاتهم وأخلاقيَّاتهم، كما يتحدَّث عن الحركة الصّهْيَوْنيَّة والقضيَّة الفلسطينيَّة. ممَّا يتناوله المُؤلِّف: جنَّة عَدَن في التوراة، وفكرة الفردوس عند السُّومريِّين، وآدم وجنَّته، مصادر التّاريخ القديم لليهُود، النّظريَّة السّاميَّة، العبريَّة والعبْرانيُّون، القُرآن والعبْريَّة، إبراهيم، العبْرانيُّون والإسرائيليُّون والموسويُّون واليهُود، أسباب انحراف اليهُود، الخَلْطُ بين اليهُود وبني إسرائيل، يعقوب والرّحيل، الهكسُوس، مُوسى، أخناتون والتّوحيد، مُوسى والتّوحيد، بُرهان أنَّ مصر هي مصران الجزيرة، الأمر بغزو فلسطين، تابوت العهد وخيمة الاجتماع، يُوشع بن نُون، عهد القُضاة، عهد المُلُوك، داود، سُليمان، بلقيس، سبأ، انقسام المملكة اليهُوديَّة، مملكة دمشق الآراميَّة، الأسباط العشرة، التوراة، السّبي البابليّ، الفُرْس الإخمينيُّون، اليهُود والرُّومان، تشتُّت اليهُود، انتشار اليهُود في العالم، الخَزَر، اليمن، الجزيرة العَرَبيَّة، الحبشة، الأشكناز، السّفارد، الدّيانة اليهُوديَّة، ترجمة التّوراة، التّلمُود، القرَّاءون، السّنهدرين، الكَتَبة، السّامريُّون، الصّدوقيُّون، الفرّيسيُّون، الإسينيُّون، المسيح المُنتظَر، الدُّونمة، الصّهْيَوْنيَّة، الأحزاب الدِّينيَّة اليهُوديَّة، الهسكالا، بُرُوتُوكُولات حُكَماء صِهْيَوْن، الماسُونيَّة، بْنَاي بريت، إله اليهُود، اللاَّساميَّة، حاخامات اليهُود، هرتزل، ألمانيا وفرنسا واليهُود، إسرائيل وفلسطين بالتّفصيل الدّقيق، العلاقة الأمريكيَّة الإسرائيليَّة، وغيرها من المعلومات المُهمَّة التي لا غنى عنها لكُلِّ عَرَبيٍّ ومُسلم وغير يهُوديٍّ.

60) **الفرَق والمذاهب الإسلاميَّة مُنذُ البدايات النَّشأة - التَّاريخ - العقيدة - التَّوزُّع الجغرافي، سعد رُستُم، ط1 وط2 2004 و ط3 2005.**

عرض تاريخيٌّ تحليليٌّ لقصَّة نُشُوء الفرَق والمذاهب الإسلاميَّة، وأسباب انقسامها، مع شرح أهمِّ العقائد التي ميَّزت كُلَّ فرقة، ويُبيِّن التّوزُّع الجغرافيّ لأتباعها، والأسباب الحقيقيَّة الكامنة وراء انفصالها، وأسرار انقساماتها، مع التّعرُّف - بدقَّة وموضوعيَّة - إلى أهدافها ونواحيها، والوُقُوف على عقائدها الحقيقيَّة التي تميَّزت بها، برُوح موضوعيَّة علميَّة ومُتجرِّدة، أوَّل اختلاف بين المُسلمين، الخوارج، مأساة كربلاء، الانقسامات الكلاميَّة والفقهيَّة ضمن أهل السُّنَّة، المُعتزلة، الحشويَّة، الحنابلة، الأثريَّة، والأشاعرة، الماتريديَّة، النّزاع بين الرّأي والحديث، المذاهب: الحنفيّ، المالكيّ، الشّافعيّ، الحنبليّ، التّصوُّف، الإباضيُّون، الشّيعة: اليزيديُّون، الإماميَّة الاثنيْ عشريَّة (الجعفريَّة)، الشّيعة الجعفريُّون العلويُّون، الشّيعة الإسماعيليَّة، الحوشبيَّة، الخلفيَّة، الفاطميُّون، الصّليحيُّون، المُستعلية، النّزاريَّة، المُوحِّدون (الدُّرُوز)، الآغا خانيَّة، القاديانيَّة (الجماعة الإسلاميَّة الأحمديَّة) جمعيَّة أهل القُرآن (أصحاب الفَهْم العصريّ للقُرآن ورَفْض السُّنَّة والحديث)، وغيرها من الموضوعات التي تُؤكِّد أنَّ جُلَّ المذاهب والفرَق الإسلاميَّة لا تعدو وُجهات نَظَر مُختلفة في فَهْم الإسلام، وكُلُّها نابعة من الإسلام الحنيف، تتحرَّك فيه، وتتمسَّك بأُصوله، حسب فَهْمها، وترجع إليه، الكُلُّ مُسلمون ينتمون لأُمَّة واحدة هي أُمَّة مُحمَّد بن عبد الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، ويعبدون إلهاً واحداً هُو الله الواحد الأحد، الفَرْد الصَّمَد، الذي لم يلدْ، ولم يُولدْ، ولم يكنْ له كُفُواً أحد، ويُؤمنون بكتاب واحد هُو القُرآن الكريم، ويستقبلون قبلة واحدة هي بيت الله الحرام.

61) **الفرَق والمذاهب المسيحيَّة مُنذُ ظُهُور الإسلام حتَّى اليوم، سعد رُستُم، ط1 2004 وط2 2005.**

الأريُوسيَّة - النّساطرة - اليعاقبة - الملكانيَّة - الخلاف بشأن تقديس الأيقونة والتّماثيل والصُّور - الانشقاق المسيحيُّ الكبير إلى كنيستَيْن: اليُونانيَّة الشّرقيَّة الأرثُوذُكسيَّة والرُّومانيَّة الغربيَّة الكاثُوليكيَّة - الشّتات الأرثُوذُكسيُّ والبعثات التّبشيريَّة - الفُرُوقات الرّئيسيَّة بين الأرثُوذُكسيَّة والكاثُوليكيَّة - فترة الانقسام البابويِّ - الإصلاح والحركة المُضادَّة - التّحوُّل الهامُّ لموقف الكنيسة الكاثُوليكيَّة تجاه الإسلام في المجمع الفاتيكانيِّ الثاني - الحوار الإسلاميُّ المسيحيُّ بعد المجمع الفاتيكانيِّ الثاني - الرّهبانيَّات والحركات التّبشيريَّة الكاثُوليكيَّة - مُنظَّمات الفُرسان الرُّوحيَّة - فُرسان القدِّيس يُوحنَّا - فُرسان الهيكل - الفُرسان التّيوتُونيُّون - حركة الإصلاح الدِّينيِّ ونشأة الكنائس البرُوتستانتيَّة - مارتن لُوثر - أولريخ زفينغلي - جان كالفن - الفرَق والحركات التي انشقَّت عن البرُوتستانتيَّة: الأنابابتستيست - المنيونيُّون - السُّوسيانيَّة - الأرمينيانيُّون الكنيسة اللُّوثريَّة - المنهجيَّة - المشيخيَّة والمُصْلَحة - التّطهُّريَّة البيُوريتانيَّة - حركة الإصلاح المُضادِّ للكنيسة الكاثُوليكيَّة في نضالها مع البرُوتستانتيَّة: مجمع ترينت اليسُوعيُّون - الفرَق والشّيَع المسيحيَّة الغربيَّة الحديثة: المعمدانيَّة - الألفيُّون - السّبتيُّون - شُهُود يَهْوَه - جماعة أصدقاء الإنسان - المُورمون - النّفاثيُّون - الأنطونيُّون المسيحيَّة العلميَّة - الأخت غايا - حركات اليقظة أو الصّحوة المسيحيَّة - الإخوة بلايموث - الرّسُوليَّة - الرّسُوليَّة الجديدة - جمعيَّة الأصدقاء الهزَّازين - جيش الخلاص العنصرة - الكنائس الكاثُوليكيَّة الصّغيرة - رابطة توحيد المسيحيَّة في العالم - الصّهيونيَّة المسيحيَّة الأصوليَّة - مذهب الألفيَّة السّابقة البريطانيّ والصّهيونيَّة المسيحيَّة مُنظَّمة المائدة المُستديرة الدِّينيَّة - مُؤتمر القيادة المسيحيَّة الوطنيَّة لأجل (إسرائيل) - المسيحيُّون المُتَّحدون من أجل (إسرائيل) - المصرف المسيحيِّ الأمريكيّ لأجل (إسرائيل) - و . . . الكتاب ليس مُناظرة دينيَّة، أو مُجادلة كلاميَّة، أو لاهوتيَّة لبيان الحقِّ من الباطل، وإنَّما هُو عرض تحليليٌّ، تاريخيٌّ، دينيٌّ، اجتماعيٌّ، سياسيٌّ، للفرَق المسيحيَّة جميعها؛ بدءاً من بُزُوغ فجر الإسلام حتَّى الآن، يُبيِّن فيه المُؤلِّف تاريخ نشأة كُلِّ فرقة، والأسرار الكامنة وراء انقساماتها، وترجمة مُؤسِّسيها، مع شرح ما يُميِّز كُلَّ فرقة من عقائد، أو طُقُوس، أو مبادئ وأهداف، وطريقة تنظيم وإدارة، مع الإشارة - ما أمكن - إلى التّوزُّع الجغرافيّ لأبناء كُلِّ فرقة، والعدد المُقدَّر لأتباعها.

62) **نساء في قُصُور الحُكَّام (ومن الجنس ما قَتَل)، مازن النّقيب، ط 1 2004 وط 2 2005.**

بعض الرجال - سياسيِّين كانوا أم أُدباء، مُلُوكاً أم رُؤساء، عُلماء أم من العامَّة ... - لا يستطيعون مُقاومة عُيُون النّساء، ولا دَلَعهنَّ، ولا أصواتهنَّ، ولا ... ولا ...، حُكَّام ونساءٌ من الشّرق والغرب، بعضهم رحل وأصبح في عالم النّسيان، وبعضهم مازال يقف على الشُّطآن، يحلم بأنْ يكون إنساناً، ليصطاد حُوريَّة من البحر، يتعرَّض الكتاب إلى عيِّنة من البشر تخلَّت عن المبادىء والقيَم والعادات والأخلاق والتّقاليد من أجل لحظة فساد ونشوة عابرة، فمَنْ منَّا لا يذكر الملك فاروق وناريمان، وقَصص بيل كلينتون، والأميرة ديانا ودُودي الفايد، وجُون كينيدي وزوجته ومارلين مُونرُو، وشاه إيران مُحمَّد رضا بهلوي، والمُشير عبد الحميد، والرّئيس ميتيران ومازارين، والملك إدوارد الثّامن وأليس سيمبسُون، والملكة أليزابيث الثّانية، والأمير فيليب، والأميرة مارغريت وعاشقها المُطلَّق، والأمير آندرو وسارة، وجواهر لال نهرو والّليدي مُونتباتن، وبانازير بُوتُو وزَرَادي، وأُوناسيس وجاكلين كينيدي، والأميرة كارولين وفينسان لينذُون، والأميرة مارتا وآري بين، ...، يربط الكتاب بين قَصص حُبٍّ وعشق هؤلاء مع الخفايا والأسرار التي كانت تُحاك خلف أسوار القُصُور والمنازل، وعلاقة ذلك كُلِّه - في النّهاية - بالسِّياسة.

63) لماذا الاغتيالات السِّياسيَّة؟! مازن النَّقيب، 2004.
الاغتيال السِّياسيُّ موضوع هامٌّ شغل ألباب المُفكِّرين على مرِّ العُصُور؛ حيثُ كَتَبَ عنه عُلماء النَّفس والاجتماع والسِّياسة والدِّين، ما هي النَّظريَّات العلميَّة في تفسير الاغتيال السِّياسيِّ؟ ما هُو الاغتيال السِّياسيُّ للدَّولة؟ اليهُوديَّة الصَّهيُونيَّة والاغتيال السِّياسيُّ. القصَّة الحقيقيَّة لكيفيَّة اغتيال (أبو جهاد؛ خليل الوزير). اغتيال الشَّهيد زُهير مُحسن. اغتيال د. فتحي الشِّقاقي مُؤسِّس الجهاد الإسلاميِّ. اغتيال (أبو علي مُصطفى، علي حسن سلامة، وفاء إدريس، وغيرهم من شُهداء فلسطين). كيف تمَّت اغتيالات: حُسني الزَّعيم، سامي الحنَّاوي، أديب الشِّيشكلي، عدنان المالكي، الملك عبد الله الأوَّل، هزَّاع المجالي، وصفي التَّل، نُوري السَّعيد، الملك فيصل الثَّاني ملك العراق، أنور السَّادات، أنطُون سعادة، رشيد كرامي، كمال جُنبلاط، عبَّاس الموسوي، رينيه مُعوَّض، بشير الجميِّل، إيلي حبيقة، إسحق رابين، رحبعام زائيفي، مُحمَّد بُو ضياف، المهدي بن بركة، مُحمَّد فرح عيديد، عبد الفتَّاح إسماعيل، إبراهيم الحمدي، جُون كينيدي، باتريس لُومُومبا، د. مارتن لُوثر كينج، تشي غيفارا، أنديرا غاندي، شهبور بختيار، بعض السُّفراء الأتراك، المُونسينيُور دُوراتي.
64) تشنيف السَّمع في انسكاب الدَّمع (من جميل تُراثنا)، صلاح الدِّين خليل بن أيبك الصَّفدي، تحقيق: مُحمَّد عايش، 2004.
كتابٌ فريدٌ في بابه، وليس له نظير، فهُو الوحيد الذي يُفصِّل القَوْل في الدَّمع، من ناحية لُغويَّة ونَقْليَّة وعَقْليَّة وأدبيَّة، ويربط بينها بصيغة منطقيَّة، ويُشكِّل الكتاب حلقة وَصل بين دواوين مفقودة لكثير من الشُّعراء، بل هُو يُضيف بعض الشِّعر إلى دواوين مطبوعة. إنَّه - بحقٍّ - دُرَّة من دُرَر تُراثنا.
65) التَّقاليد والعادات الدِّمشقيَّة خلال عُهُود السَّلجُوقيِّين - الزَّنكيِّين - الأيُّوبيِّين د. فراس سليم حياوي السَّامرَّائي، 2004.
إنَّ دراسة المُجتمع العَرَبيِّ الإسلاميِّ في هذه المُدَّة يُعدُّ من أكثر الدِّراسات تعقيداً؛ لأنَّ في دمشق طوائف مُتعدِّدة. دَرَسَ الباحث - بداية - جَغرافيَّة دمشق، وأهمَّ التَّطوُّرات السِّياسيَّة، ثُمَّ عرَّج على دراسة فئات المُجتمع الدِّمشقيِّ (حُكَّام، رجال دين، أرباب الفكر والعُلماء، تُجَّار، أصحاب الفُنُون الجميلة، وغيرهم) ثُمَّ فصَّل في الطَّعام، والشَّراب، والملابس، والحمَّامات، والخانات، والصِّحَّة العامَّة، والأسواق، ووسائل الرُّكُوب، ومُستوى المعيشة، والأسعار، والأعياد، والمُناسبات، ووسائل التَّسلية، والعائلة الدِّمشقيَّة، ومُفرداتها، وعلاقاتها بغيرها، وأوصاف قُصُور الأُمراء والميسورين.
66) مسارات وحدة الوُجُود في التَّصوُّف الإسلامي الله الإنسان العَالَم، مُحمَّد الرَّاشد، 2004.
67) العبادات في الدِّيانات القديمة المصريَّة - العراقيَّة - الرُّومانيَّة - الهندُوسيَّة - البُوذيَّة - الصِّينيَّة - الزرادشتيَّة - الصَّابئيَّة، عبد الرَّزَّاق المُوحي، 2004.
عبادة قُرص الشَّمس عند المصريِّين القُدماء، ودعوة أخناتون إلى التَّوحيد وصيام الكَهَنَة - ربُّ الأرباب عند العراقيِّين القُدماء (أنُو إله السَّماء، وأنليل سيِّد الرِّيح العاصفة) - الدِّيانة اليُونانيَّة القديمة والفلسفة والإشراك، وصيامهم - الرُّومان القُدماء وآلهتهم وصيامهم - الهندُوس والبُوذيُّون والصِّينيُّون والزِّرادشتيُّون والصَّابئيُّون وصلاتهم وصيامهم وزكاتهم وحجُّهم و .....
68) العبادات في الدِّيانة اليهُوديَّة، عبد الرَّزَّاق المُوحي، 2004.
الله في الفكر اليهُودي - النُّبُوَّة عند اليهُود - الصَّلاة (الطَّهارة الوُضُوء) صلاة الصَّباح - صلاة المساء - الصَّلاة الجماعيَّة - صلاة الظَّهيرة أو العصر - صلاة المغرب - صلاة الغُفران - صلاة القمر - صلاة السَّبت - صلاة عيد شعوت - صلاة عيد المظال - صلاة العشاء الخاصَّة بالافتتاح بيوم الغُفران - الزَّكاة - الصَّدقة - الصَّوم (فَرْديّ وجَماعيّ) صوم الصَّمت - الحجُّ (إلى بيت المقدس) - الأعياد: الفصح - المظال - الأسابيع (العُنْصُرة) ما هُو رأي الإسلام في العبادات اليهُوديَّة؟ وما هُو تأثير الدِّيانات القديمة على العبادات اليهُوديَّة؟ وما هي التَّأثيرات الإسلاميَّة في العبادات اليهُوديَّة مُتمثِّلة بالصَّلاة؟ وغيرها من الموضوعات التي يجهلها عامَّة النَّاس.
69) العبادات في الدِّيانة المسيحيَّة، عبد الرَّزَّاق المُوحي، 2004.
الأُلُوهيَّة والنُّبُوَّة - الصَّلاة (عقليَّة فَرْديَّة - لفظيَّة جَماعيَّة) - صلاة المساء وصلاة الصُّبح وصلاة الظَّهيرة - التَّسابيح - صلوات الاستغاثة والثِّقة والحمد - مزامير التَّعليم الزَّكاة - الصِّيام (صوم الصَّمت - الصَّوم عن أنواع الطعام) الصِّيام عند الكاثُوليك - الصِّيام في الكنيسة الأرثُوذُكسيَّة الشَّرقيَّة - صوم الأربعين - صوم الميلاد - صوم العُنْصُرة - صوم العذراء - صوم نينوى - صيام طائفتَيْ الأرمن والقبط - الحجُّ - أثر الدِّيانات القديمة على العبادات المسيحيَّة - ومُقارنة بيْنَ السَّيِّد المسيح وبُوذا - أوجه التَّشابه بين المسيحيَّة وعَبَدَة بَعْل - تأثُّر الدِّيانة المسيحيَّة بالدِّيانة الميثيريَّة - العبادات المسيحيَّة الواردة في القُرآن الكريم ورأي الإسلام فيها.
70) الهجرة على مدار الحَمَل (رواية)، رزان نعيم المغربي، 2004.
71) الاستبداد والمرجعيَّة في الخطاب الإسلاميِّ دراسة الحالة المُعاصرة، أ. د. خالد مدحت أبُو الفضل، ترجمة: مُحمَّد سفر عيد، تقديم: أنور إيمان، 2004.
بمَوْت الرَّسول الكريم أصبح المُسلمون وحدهم، مُنفردين بأنفسهم، فقد كان الرَّسول الكريم الصِّلة الوحيدة المُباشرة بالله، حينها؛ لم تتحطَّم الولاءات السِّياسيَّة فحسب، بل تحطَّمت - أيضاً - تلك الرَّابطة الفريدة والضَّروريَّة بالمشيئة الإلهيَّة، ومن ثمَّ؛ بدأ علم الشَّريعة. إنَّ سياسات إبراز الهُويَّة هبطت بالشَّريعة إلى مُستوى الشِّعار السِّياسيِّ، وكان الأحرى أنْ ترتفع بها إلى مُستوى المكانة الثَّقافيَّة الرَّفيعة التي تبوَّأتها في عُهُود أسلافنا الفُقهاء المُشرِّعين. ما هي إشكاليَّة السُّلطة؟ النَّصُّ والسُّلطة، الفتوى، حديث أنس حول الوُقُوف، حديث مُعاوية، علم منهج الحديث وحديث السُّجُود، بنية الاستبداد بالرَّأي.
72) تاريخ الخطِّ العَرَبيِّ وغيره من الخُطُوط العالميَّة، آن زالي وآني بيرثييه، ترجمة: سالم سُليمان العيسى، 2004.
لقد جمع هذا الكتاب أسمى الصِّفات المُبدعة للخطِّ العَرَبيِّ الذي يفتخر به كُلُّ العَرَب، وخُطُوط بلاد ما بين النَّهرَيْن، ومصر، والصِّين، وأمريكا قبل العهد الكُولُومبي، وإفريقية، وتحدَّث مُؤلِّفاه فيه عن الحضارة الغربيَّة وعن خطِّ بلاد ما بين النَّهرَيْن / المسماريِّ و .../ وعن القُدرة السِّحْريَّة للخطِّ، وعن خطِّ الفراعنة، والأبجديَّة الهيرُوغليفيَّة وخطِّها الخطِّ الدِّيمُوطيِّ والقبطيِّ، وأساطير ولادة الأحرف الصِّينيَّة وأحرفها، مُرُوراً عبر فيتنام، واللُّغة اليابانيَّة المُعقَّدة، ومدينة الأزتيك اللَّامعة، ومصير الخُطُوط المُدوَّنة قبل تأسيس كُولُومبيا، وإفريقية من الكلام فيما يتعلَّق بالرَّسْم إلى الخطِّ، وُصُولاً بالقارئ إلى ثورة الأبجديَّة، بدءاً بالفينيقيَّة ونُقُوشها، ومُرُوراً بالآراميِّين وهُم النَّاشرون للأبجديَّة، وُصُولاً إلى الخُطُوط في العَرَبيَّة الجنُوبيَّة، وفي الحبشة، وُصُولاً إلى القُرآن، وبيان أنَّ الخطَّ العَرَبي ارتقى من الفينيقيَّة عن طريق الآراميَّة مُتخلِّلاً بين الفارسيَّة والهندُو أُورُوبيَّة (مثل التُّركيَّة).. وكيف وصل الخطُّ إلى الهيلِّلينيِّين، وابتكار الأحرف الصَّوتيَّة، وكيف وُلدت من الأبجديَّة اليُونانيَّة، ومُرُوراً من اليُونانيَّة، ووُصُولاً إلى اللَّاتينيَّة، وبيان أنَّ الخطَّ هُو مرآة الكلام. كتاب جدير بالقراءة. هذا أقلُّ ما يُمكن أنْ يُقال عنه.

73) **الإسلام ونُبُوءات المسيح والقرن الحادي والعشرون ، عبد الوهاب نُوشاد ،ط1 2004 وط2 2006.**

يبحث المُؤلِّف في نُبُوءات المسيح المذكورة في العهد الجديد، ومُقارنة هذه النُّبُوءات مع الواقع، ومعرفة مقدار ما تحقَّق منها. الإنجيل وأعمال المسيح، نُبُوءة المسيح عن مَلَكُوت السَّموات، نُبُوءة المسيح عن المُعين رُوح الحقِّ، نُبُوءة المسيح عن عودته من السَّماء. كما تمَّ في هذا البحث الاستعانة بالنُّبُوءات الموجودة في العهد القديم (التَّوراة)، لتوضيح نُبُوءات المسيح بشكل دقيق.

74) **أساطير وكالة الاستخبارات المركزيَّة الأمريكيَّة ، فيليب آجي وآخرون ، ترجمة : حمدي الصَّاحب ، ط1 2004 وط 2 2005.**

يبحث هذا الكتاب الهامُّ جدًّا في كيفيَّة انشقاق بعض زُمر مُوظَّفي وكالة الاستخبارات المركزيَّة الأمريكيَّة على مدى سنين عديدة، وخاصَّة بعد حرب فيتنام؛ حيثُ ترك العديد منهم هذه الوكالة وهُم ساخطون. وبدلاً من الانشقاق والذَّهاب إلى الاتِّحاد السُّوفيتيِّ فَعَلوا الأخطر؛ وهُو إبلاغ أسرارهم إلى العالم أجمع؛ وخاصَّة إلى الشَّعب الأمريكي. بدأ بكيفيَّة تحديد مكان الجاسُوس، وكيفيَّة هَتْك أسرار الـ سي آي إيه، ومَنْ هُم رُؤساء المركز. ومَنْ هُو الجاسُوس السُّوبر (كُوردميير). والـ سي آي إيه في البُرتغال والتَّغيرات فيها. ثُمَّ انتقل إلى نُقطة التَّحوُّل ومسألة ريتشارد ويلتسن، وُصُولاً إلى أثينا وبيان مُنظَّمة 17 نُوفمبر الثَّوريَّة. وماذا تفعل الـ سي آي إيه في أُورُوبة الغربيَّة. إسبانيا بعد فرانكو عمليَّات الاستخبارات في اليُونان. العامل الأمريكيُّ في اليُونان. مُونتغمري. إيطاليا ومارتشيني. الاستخبارات في فرنسا. في ألمانية الغربيَّة. وكيف تنتزع أموالُ الـ سي آي إيه أسنانَ الاشتراكيَّة البريطانيَّة، وكيف تدعم الـ سي آي إيه السُّوق المُشتركة. كيف تصنع الـ سي آي إيه الأخبار. سويسرا. ثُمَّ يُختتم الكتاب بمقاييس معنويَّات الـ سي آي إيه، ثُمَّ الـ سي آي إيه الجديدة. كتاب جدير جدًّا بالقراءة والتَّدبُّر، وُصُولاً إلى مُحاولة استشفاف ما بين السُّطُور أكثر ممَّا على السُّطُور.

75) **لورنس والقضيَّة العَرَبيَّة 1888-1935 ، حسام علي مُحسن المدامغة ، ط1 2004 وط2 2005.**

حفلت المنطقة العَرَبيَّة في فترة الحُكْم العُثمانيِّ بنشاط من الرَّحَّالة والمُستشرقين الأُورُوبيِّين والأمريكان الذين اختلفوا في مغزى نشاطهم، فمنهم مَنْ جاء بحثاً عن معلومات جديدة تُغني معرفته، وتُرضي فُضُوله، ومنهم مَنْ جاء بناءً على توجيه من حُكُومته لأهداف استخباريَّة يقصد من ورائها جَمْعَ معلومات سياسيَّة أو عسكريَّة. وتُوماس إدوارد لُورانس من الذين عملوا في المنطقة العَرَبيَّة بتوجيه خارجي، فتحدَّث المُؤلِّف عن ولادته ونشأته الأُسَريَّة وصفاته الشَّخصيَّة، وكيف انخرط لُورنس في الجيش البريطانيِّ عند اندلاع الحرب العالميَّة الأُولى، وكيفيَّة عمله في عمليَّات الثَّورة العَرَبيَّة. اعتمد المُؤلِّف ـ فضلاً عن الوثائق العَرَبيَّة والإنكليزيَّة غير المنشورة والمنشورة ـ على الكثير من المصادر العَرَبيَّة والأجنبيَّة وفي مُقدِّمتها مُؤلَّفات لُورانس نفسه، والتي أهمُّها (أعمدة الحكْمة السَّبعة) ممَّا جعل الكتاب غنيّاً جدًّا بمصادره وتحليلاته واستنتاجاته.

76) **اليهُوديَّة والغَيْريَّة غير اليهُود في منظار اليهُوديَّة ، ألبيرتو دانزول ، ترجمة : د. ماري شهرستان ، 2004.**

ألبيرتو دانزول كاتبٌ فرنسيٌّ ذُو خلفيَّة ثقافيَّة علمانيَّة، وهُو ـ في هذه الدِّراسة ـ يرمي إلى إلقاء الضَّوء على هيكليَّة خفايا التَّفاسير اليهُوديَّة والتَّلمُود، ويُعرِّي دور التَّلمُود الآثم في بناء شخصيَّة اليهُودي، حتَّى غدا اليهُودي أشدَّ المخلوقات عداوة لبني البشر، كما أنَّه وضَّح البنى الذِّهنيَّة للأحبار والحاخامات ودأبهم المُستمرِّ لتكريس انعزال وانغلاق اليهُودي وتكبُّره وتغطرُسه، ممَّا أدَّى إلى عدم تفاعله مع المُجتمعات الإنسانيَّة قاطبة؛ فالذي اعتمده اليهُودي هُو الكنيس والتَّوراة المنحولة والتَّلمُود، وهُم وطن اليهُودي وقضاء يَهْوَه وأوامره على الأرض من قَتْل وإبادة جماعيَّة. هُناك بشر غير قادرين على مُقاربة الله: إنَّهم نوع البشر الذين ليس لديهم أيُّ مُعتقد دينيٍّ ولا علميٍّ ولا تقليديٍّ مثل آخر الأتراك في أقصى الشَّمال، والزُّنُوج في أقصى الجنوب والذين يُشبهونهم في مناخاتها. هؤلاء يُعدُّون مثل حيوانات غير عاقلة: فأنا لا أُصنِّفهم في مُستوى البشر؛ إذْ إنَّهم من بين الكائنات الحيَّة صنفٌ أدنى من البشر وأعلى من القرد. بما أنَّ لديهم وجه وملامح الإنسان وفطنة أعلى من القرد، هذا ما قاله ابن ميمون، وهُو عَلَمٌ من أعلام اليهُوديَّة الحاخاميَّة. فلنُبحر معاً لاستكشاف ما خفي.

77) **مُناهضة السَّاميَّة تاريخها وأسبابها ، برنار لازار ، ترجمة : د. ماري شهرستان ، 2004.**

يُشكِّل هذا الكتاب مُساهمة أساسيَّة في سعة مراجعه ومنهجيَّته. وإنَّ تغييب هذا النَّصِّ وعدم معرفته تُشكِّل ـ بحَدِّ ذاتها ـ فضيحة. قال اليهُود عنه ـ وهُو يهُودي أيضاً ـ إنَّ لازار مُناهض للسَّاميَّة. لكنَّه يقول: اقرؤوا، وستجدوا أنِّي كتبتُ بتجرُّد ـ بحياديَّة ـ دراسة تاريخيَّة اجتماعيَّة. تحدَّث فيه المُؤلِّف عن أسباب مُناهضة السَّاميَّة الحقيقيَّة مُنذُ القديم حتَّى العصر الحديث. فتكلَّم عن الهكسُوس والرَّواقيِّين ورُوما وأنطاكية واصطدام الدِّيانة الرُّومانيَّة باليهُوديَّة، ومن ثَمَّ بالمسيحيَّة، ثُمَّ اصطدام الكنيسة في القرن الثَّامن باليهُوديَّة، ثُمَّ تحدَّث عن محاكم التَّفتيش، عن اليهُود وتعذيبهم وقَتْلهم ردًّا على ما كانوا يفعلون من جرائم، لعلَّ أبسطها تسميم المياه كي يموت المسيحيُّون في الغرب... ثُمَّ فصَّل في الأدب المُناهض لليهُوديَّة، ثُمَّ تحدَّث عن الثَّورة الفرنسيَّة والثَّورة الرُّوسيَّة وأثر اليهُود فيهما... وفصَّل المُؤلِّف في حديثه عن العِرْق اليهُودي وعن القوميَّة ومُناهضة السَّاميَّة وعن الرُّوح الثَّوريَّة في اليهُوديَّة وعن اليهُود وتحوُّلات المُجتمع... وخَتَمَ بالحديث عن مصير مُناهضة السَّاميَّة (إنَّه كاتب يهُوديٌّ حياديٌّ يفضح اليهُوديَّة).

78) **خارقيَّة الإنسان الباراسيكُولُوجي من المنظور العلمي ، د. صلاح الجابري ، 2004.**

مُنذُ القرن السَّابع عشر وحتَّى بدايات القرن العشرين فَقَدَ العلمُ شفافيَّته، وراح ينأى مُبتعداً عن كُلِّ همسة رُوحيَّة أو لمسة شاعريَّة للكون، والتصق ـ أكثر فأكثر ـ بأقسى جوانب الطَّبيعة صلابة، وبأكثر قوى العقل البشريِّ بُعْداً عن المواهب الحدسيَّة النَّافذة إلى صميم الأشياء. كان لتلك الرُّؤية نتائج فلسفيَّة وخيمة على الإنسانيَّة؛ لأنَّها جمَّدت عواطف الإنسان، وأغلقت منافذه الرُّوحيَّة بجُدُر صلبة، فأفقدتْهُ طابعه الإنسانيَّ الحقيقيَّ، فكان لذلك انعكاسات نَفْسيَّة سُلُوكيَّة، نما في إطارها الدَّافع العُدواني المدفوع بمُيُول حُبِّ الذَّات المُوجَّهة باقتصاديَّات السُّوق، وحُبِّ الثَّراء السَّريع على حساب القيَم الرُّوحيَّة التي بدأت تتراجع مكانتها في نَفْسيَّة الإنسانيَّة، وحلَّت محلَّها قيَم اللِّيبراليَّة، التي تفتقر إلى أيِّ أسلوب أو آليَّات لمُعالجة الانحراف الإنساني وإيقاف قَتْل الإنسان لأخيه. علم السَّاي من العُلُوم الجديدة التي ظهرت حديثاً على السَّاحة العلميَّة، والاسم الشَّائع لهذا الحقل هُو الباراسيكُولُوجي، ويُسمِّيه بعضهم السَّيكوترُونيك، والقُوَّة الأساسيَّة التي يُفترض أنَّها تُسبِّب ظواهره تُسمَّى قُوَّة ساي **Psi**. تظهر قُوَّة ساي بأشكال مُتعدِّدة، ففي بعض الأحيان تتَّخذ شكل قُوَّة إدراكيَّة ـ تخاطر، جلاء بصريِّ (استشفاف)، تنبُّؤ بالمُستقبل ـ وأحياناً؛ تتَّخذ شكل التَّأثير على الأشياء المادِّيَّة بكُلِّ أشكالها. والقُوَّة الإدراكيَّة لـ ساي هي نوع من الاتِّصال بين الأحياء على شكل تخاطر، أو بين الأحياء والبيئة على شكل استشفاف (جلاء بصريّ)، وقد يأتي التَّخاطر والجلاء البصريُّ على شكل تنبُّؤ بالأحداث قبل وُقُوعها. يهدف الكتاب إلى إيضاح طبيعة الدَّليل الذي يُقدِّمه الباراسيكُولُوجي لإثبات واقعيَّة ظواهر ساي، ويُؤكِّد ـ علميّاً وفلسفيّاً ـ أنْ ليس كُلُّ المُتنبِّئين موهُوبين حقيقة، بل يدخل ضمنهم المُشعوذُون والدَّجَّالون والسَّحَرَة، علماً أنَّ السِّحْر لا يدخل في إطار القوى أو المَلَكَات الباراسيكُولُوجيَّة، وأنَّ الباراسيكُولُوجي كأيِّ علم آخر ـ انتزع نفسه من رُكام هائل من الظَّواهر المُختلفة وأعمال السِّحْر والكَهَانة بفضل الطَّريقة العلميَّة والتَّحقُّق التَّجريبيِّ.

79) **القتل من أسفار اليهود وبروتوكولات حكماء صهيون إلى فارس بلا جواد، مازن النقيب، 2004.**

من نُقطة التفريق بين أمٍّ يهوديَّة تحمل طفلاً يهوديّاً بريئاً، رفض حافظ (مُحمَّد صُبحي) في مُسلسل فارس بلا جواد أنْ يُفجِّر مكاناً اجتمع فيه حاخامات اليهود؛ لأنَّ فيه طفلاً بريئاً، من هذه النُّقطة وُلدت فكرة الكتاب، يشرح الكتاب ـ بشيء من التفصيل ـ القَتْل، العُنْصُريَّة، سَلْب حُقُوق وأرواح غير اليهود، من خلال الغوص في التَّوراة، والتلمُود، وبرُوتُوكُولات حُكماء صِهْيَوْن، فاليهُود ـ وحدهم ـ بشر، والشُّعُوب الأُخرى حيوانات مُسخَّرة لخدمتهم، ولا يترتَّب أيُّ عقاب على يهُوديٍّ يقتل غير يهُوديٍّ، فَسَمُّ اليهُوديِّ لغير اليهُوديِّ غير مُلزم، ألم يقل شارون يوماً: أُمنيتي احتلال القاهرة ودمشق، وأتنزَّه ـ عسكريّاً ـ في لُبنان، الفلسطينيُّون من السَّهل مُحاصرتهم وإبادتهم، إنَّهم في فمنا، أمَّا المصريُّون والسُّوريُّون فمازالوا خارج أيدينا، ويجب أنْ يكونوا في أيدينا أوَّلاً، ثُمَّ في فمنا ثانياً، بعدها؛ يُمكن أنْ نقول (إسرائيل) قد حقَّقت أمنها؟ يقولون: إنَّ الصَّهاينة لديهم 24 برُوتُوكُولاً، نفَّذوا منها 19 برُوتُوكُولاً، انتهت بأحداث 11 أيلول في الولايات المُتَّحدة، كما يتعرَّض الكتاب إلى البرُوتُوكُولات ويشرحها ـ بشيء من الاختصار ـ ويُقارن بينها وبين مدى مُطابقتها لما قد تحقَّق منها خلال القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين.

80) **نهاية التَّاريخ في الفكر الإسلامي الحديث، علي سكيف، 2004.**

هل وصل سُكَّان الأرض إلى حضارة تفوق حضارتنا الحاليَّة؟ هل شهد كوكب الأرض حضارة مُتقدِّمة أكثر من حضارتنا الحاليَّة اندثرت نتيجة حرب كونيَّة ؟ هل هُناك مخلوقات بشريَّة على كواكب أُخرى؟ هل صحيح أنَّ الكون يتمدَّد ويتوسَّع: وما هي نهاية هذا التَّوسُّع؟! هل كان أصحاب الكهف في عصر الرُّومان؟ وهل كان الكهف على هذا الكوكب أم كان خارج الأرض؟! هل الخُلُود في الجنَّة والنار أبديٌّ؟ هل صحيح أنَّ يعقوب بن إسحاق هُو إسرائيل وذُرِّيَّته من بعده هُم بنو إسرائيل؟! هل هُناك علامات عن قُرب يوم القيامة لسُكَّان هذا الكوكب؟ هل نشأت المخلوقات البشريَّة على هذا الكوكب أم جاءت وافدة من كواكب أُخرى؟ هل عرف العالم قبلنا الاستنساخ بكافَّة أشكاله وأنواعه؟ هل كان نُوح يعيش في العصر الحجري؟ أم كان عالماً مُتخصِّصاً بعلم الاستنساخ؟ هل هُناك ـ فعلاً ـ جنٌّ وشياطين وأبالسة غير مرئيِّين؟ أم أنَّ هذَيْن المُصطلحَيْن يُعبِّران عن مُصطلحات توراتيَّة.

81) **نَزْع فتيل الإرهاب الدَّولي إسلام السَّلام وأمان العالم، مُحمَّد مُنير إدلبي، 2004.**

82) **مُؤامرة الصَّمت ختان الذُّكور والإناث عند اليهُود والمسيحيِّين والمُسلمين الجَدَلُ الدِّينيُّ الطِّبِّيُّ الاجتماعيُّ القانونيُّ، د. سامي الذِّيب، تقديم: د. نوال السَّعداوي، 2003.**

تعريف الختان وأهمِّيَّته ـ الجَدَل الدِّينيُّ ـ الختان في الفكر الدِّينيِّ اليهُوديِّ ـ في الفكر الدِّينيِّ المسيحيِّ ـ في الفكر الدِّينيِّ الإسلاميِّ ـ الختان والجَدَل الطِّبِّيُّ ـ الآلام النَّاتجة عن ختان الذُّكور والإناث ـ الأضرار الصِّحِّيَّة لختان الجنسَيْن ـ المضارُّ الجنسيَّة لختان الجنسَيْن ـ الفوائد الصِّحِّيَّة المزعومة لختان الجنسَيْن ـ الختان والجَدَل الاجتماعيُّ ـ الختان والجَدَل القانونيُّ ـ مع الختان بين المُثُل والإمكانيَّات. تقول الدُّكتورة نوال السَّعداوي في تقديمها لهذا الكتاب: هذا الكتاب من الكُتُب الضَّروريَّة للمكتبة العَرَبيَّة. لهذا؛ أودُّ أنْ يُنشَر في بلادنا العَرَبيَّة. وأنْ يكون في مُتناول الشُّبَّان والشَّابَّات والتَّلاميذ والتِّلميذات في المدارس والجامعات. إنَّه أحد الأسلحة في مجال الثَّقافة العامَّة؛ حيثُ تُحرم الأغلبيَّة السَّاحقة من الثَّقافة الحقيقيَّة؛ حيثُ يفشل نظام التَّعليم في تدريب الشُّبَّان والشَّابَّات على تشغيل عُقُولهم. تُؤدِّي الهزيمة العقليَّة إلى هزيمة سياسيَّة وعسكريَّة واقتصاديَّة. إنَّ الثَّقافة غير مُنفصلة عن السِّياسة أو الدِّين أو الحرب، والعقل هُو الذي يُوجِّه اليد التي تُمسك السَّيف أو البُندقيَّة.

83) **العراق أوَّلاً حرب إسرائيل الخاطفة على نفط الشَّرق الأوسط عمليَّة (شيخينا)، جُو فيالز، ترجمة: مروان سعد الدِّين، 2003.**

إنَّ فكرة سرقة المخزون النِّفطيِّ لشعب آخر ليست ابتكاراً إسرائيليّاً، بل رُبَّما تعود إلى عام 1941، عندما فرض رُوزفلت حظراً كاملاً على تزويد اليابان بالنِّفط خلال (الحرب على الإرهاب الأمريكيَّة الأُولى)، ويأتي هذا الكتاب ليفضح عمليَّة « شيخينا » التي خطَّطت لها (إسرائيل) لتُسيطر على نفط العراق، وَسَعَت لتحقيقها، لولا الهجمات على مركز التِّجارة العالمي في أيلول 2001، وذلك بعد أنْ عقدت (إسرائيل) العزم على شنِّ اعتداء مُباغت على جنوب العراق، لإحكام السَّيطرة على حُقُوله النِّفطيَّة الجنوبيَّة، ومن ثَمَّ استخدام خطِّ أنابيب نقل النِّفط العَرَبيِّ الموجود سابقاً (التَّابلاين) لضخِّ النِّفط إلى مصافيها في حيفا، كما يُوضِّح الكاتب الأمريكيُّ بأنَّه من أجل تنفيذ هذا المُخطَّط سعت (إسرائيل) إلى التَّسلُّل إلى جنوب العراق وشمال السُّعُوديَّة، وكيف مَنَحَتْ بعض المُسلمين الشِّيعة ـ دُون أنْ يدروا بأنَّ (إسرائيل) وراء هذا التَّخطيط ـ ممرّاً مجَّانيّاً إلى بُلدان أُخرى، بعيداً عن عدوِّهم صدَّام حُسين، ويُبرز الأمريكي فيالز كيف تمَّ التَّخطيط لما سُمِّي بعمليَّة « حُرِّيَّة العراق »، وهي الجُزء الثَّاني من عمليَّة « شيخينا »، وكيف سيتمُّ قَطْعُ رأس صدَّام حُسين وتعيين جي غارنر الذي هُو عُضو في المعهد اليهُوديِّ لشُؤُون الأمن القوميِّ، ليكون حاكماً عسكريّاً للعراق، ثُمَّ سيأتي دور أحمد الشَّلبي كإداريٍّ مُؤقَّت للعراق، على أنْ يتمَّ ـ فيما بَعْدُ ـ إبدال الرَّئيس السُّوريِّ بشَّار الأسد بالأخ الأصغر لأحمد الشَّلبي، وإذا رفضت سُوريَّة هذا، فإنَّه سيجري تدميرها وإعادتها إلى العصر الحجريِّ، ولكنْ؛ لم تسر الأُمُور كما خُطِّط لها... تفاصيل دقيقة ومُثيرة وسرِّيَّة يكشفها الكاتب الأمريكيُّ جُو فيالز في ثنايا هذا الكتاب المُدعَّم بالصُّور والخرائط اللاَّزمة.

84) **الحُكم بالسِّرِّ التَّاريخ السِّرِّيُّ بين الهيئة الثُّلاثيَّة والماسُونيَّة والأهرامات الكُبرى مَنْ يحكم أمريكا والعالم سرّاً؟ جيم مارس، ترجمة: مُحمَّد مُنير إدلبي،**

ط1و2 2003 وط3 2004 وط4 2005.

في هذا الكتاب المُذهل يقوم الكاتب الأمريكيُّ المشهور وكاتب صحيفة نيُو يُورك تايمز والمبيعات الحائزة على أفضل المبيعات جيم مارس باستكشاف وتمحُّص أكثر أسرار العالم خفاء. وذلك بكَشْف الأدمغة المُسيطرة المُختبئة، من خلال مُحاولة للوُصُول إلى جُذُور الحقيقة؛ حيثُ يقوم بإماطة اللِّثام عن البراهين بأنَّ أصحاب الأمر الحقيقيِّين ومُحرِّكي الأحداث في العالم هُم الذين يتمكَّنون ـ عادةً ـ من التَّسبُّب باندلاع الحُرُوب وإيقافها. كما يتحكَّمون بأسواق الأسهم الماليَّة ونَسَب الفوائد على العُملات، كما يُحافظون على تفوُّقهم الفئويِّ، حتَّى إنَّهم يُسيطرون على الأخبار اليوميَّة. وهُم يقومون بذلك كُلِّه تحت رعاية وأنظار مجلس العلاقات الخارجيَّة الأمريكيِّ والهيئة الثُّلاثيَّة، والمُخابرات الألمانيَّة و الـ CIA، وحتَّى الفاتيكان. من خلال تقصِّيه للبراهين التَّاريخيَّة، ومن خلال بحثه المُحكَم، يقوم مارس ـ بعناية ـ بتقصِّي الألغاز التي تربط بين هذه المُؤامرات المُعاصرة لنا بالتَّاريخ القديم للبشريَّة. والنَّتيجة المُذهلة هي تحليل رائع لمُعطيات تاريخيَّة (كثير منها كان مخفيّاً عن جُمهُور النَّاس) وهي تُلقي ضوءاً على المُنظَّمات السِّرِّيَّة التي تحكم شُؤُون حياتنا. من الأشياء المُثيرة في الكتاب: ما هي مُنظَّمة الهيئة الثُّلاثيَّة السِّرِّيَّة. ما هي مُنظَّمة المعهد المَلَكيِّ البريطانيِّ. ما هي مُنظَّمة الإليومِيناتي. ما مُنظَّمة دير صِهْيَوْن. ما هي علاقة اليهُود وأساطين عائلاتهم المصرفيَّة الثَّريَّة بهذه المُنظَّمات. وما هي الماسُونيَّة، وما علاقتها بهذه المُنظَّمات. ومَن يحكم ـ فعليّاً ـ أمريكا. ما هي مُنظَّمة مجلس العلاقات الخارجيَّة الأمريكيِّ. آل رُوكفلر. آل مُورغان. آل رُوتشيلد. أسرار المال ونظام الاحتياط الفيدراليِّ. المعهد المَلَكيِّ للشُّؤُون الدَّوليَّة (المائدة) المُستديرة، رُوديس ورَسكين، ما هُو جبل الحديد، الخليج العَرَبيِّ والحُرُوب للسَّيطرة عليه، حرب الخليج 1991، وأسبابها الحقيقيَّة. بُوش الأب وبُوش الابن والنِّفط. فيتنام. كينيدي وأسباب اغتياله، الحرب الكُوريَّة. النَّازيَّة. برُوتُوكُولات حُكماء صِهْيَوْن. هتلر. اليابان. الحرب العالميَّة الثَّانية. الحرب

العالميّة الأولى. الثّورة الرّوسيّة. بُروز الشّيُوعيّة. الحرب بين الولايات الأمريكيّة. مُنظّمة الفُرسان السّرّيّة. الماسُونيّة. الثّورة الفرنسيّة. اليعقُوبيُّون، الجيمسيُّون. فرانس بيكُون وأتلانتيس الجديدة. الثّورة الأمريكيّة. الإليُوميناتي (المُستنيرون)، الماسُونيّة ضدّ المسيحيّة. الرُّوزيكروشيُّون. فُرسان الهيكل المُقدّس. الحشّاشُون. مصرفيُّو وبُناة فُرسان الهيكل. الكاثاريُّون. الحرب الصّليبيّة. مُنظّمة دير صِهْيَوْن. الميرُوفينجيُّون. الطّريق إلى رُوما. القَبَالاة. الغنُوسطيّة. الإيسيُّون. الأسرار والألغاز القديمة. التّناسُخ في العالم القديم (زمن نُوح).أصل الإنسان. مُوسى. كُلُّ الطُّرُق تُؤدّي إلى سُومر.الأناكيُّون. الطُّوفان والحُرُوب و..و. هذا الكتاب (الحُكْم بالسّرّ) - بما فيه من طبيعة مُقلقة ومُثيرة وحافزة بشدّة ومُجبرة على التّفكير - يُقدّم لنا رُؤية عالميّة فريدة بإمكانها أنْ تُفسّر لنا حقيقة عالمنا، وما هي أُصُولنا؟ وإلى أين نتّجه؟..

85) **الماسُونيّة والمُنظّمات السّرّيّة ماذا فعَلَت؟ ومَنْ خدَمَت؟ عبد المجيد همّو ، ط1 2003 ، ط2 2004 ط3 2005.**

الكَهَنُوت الأعلى في طيبة - القُوّة الخفيّة اليهُوديّة - جماعة الآلهة ميترا وعبادتها - الغنُوصيّة العرفانيّة - الحشّاشُون - النُّورانيُّون - البابيّة - البهائيّة - فُرسان الهيكل - الغاردُونا جماعة الصّليب الورديّ - الفحّامون - أحباب الملاك الحارس - الخصّاؤن - الماسُونيّة:أصلها - نُشُوءها - تعريفها - من أين اسمها؟ - محافلها - وأسماء ماسُونيّة عالميّة وعَرَبيّة - اليمين التي يُقسمها المُنتسب للماسُونيّة - ما الامتحانات؟ وما الاختبارات التي يخضع لها؟ الماسُونيّة والسّياسة - التّجنيد لصالح اليهُود - علاقة الماسُونيّة بالقَبالة وبالتّلمُود - مُحاربة الأديان - التّوراة ولا شيء غيرها - مُحاربة الأُمم - كيف سقطت الإمبراطُوريّة الرُّوسيّة - كيف تفجّرت الثّورة الفرنسيّة - إعادة اليهُود إلى فلسطين - بناء الهيكل - الماسُونيّة والتّنظيم - الماسُونيّة الرّمزيّة - كيف أُقيم أوّل محفل - محافل أُورُوبة - محافل أمريكا - محافل البلاد العَرَبيّة - مشاهير الماسونيّين من الشّرق والغرب اللُّوثريّة - البيُوريتانيّة - أحبّاء صِهْيَوْن - شُهُود يَهْوَه - الرُّوتاريّة - بْنَاي بْريت - الدُّونمة - الاتّحاد والتّرقّي - العلمانيّة - الاشتراكيّة العلميّة - الاتّحاد اليهُوديّ العام - الرّيفُورم بلُوتُو - أنوشيت - تْرُويد رست.كتاب يجمع مُعظم المُنظّمات السّرّيّة العالميّة، ويشرح كيف يتمّ الانتساب لهذه الجمعيّات. كتاب يسدُّ فجوة في المكتبة العَرَبيّة، ويُعرّي ويفضح اليهُود الذين كانوا السّبب الأهمّ وراء تأسيس مثل هذه المُنظّمات السّرّيّة.

86) **الحقيقة بين النُّبُوءة والسّياسة التّوراة الأناجيل نُوستراداموس القُرآن الكريم ، مُحمّد نضال الحافظ ، ط1و2و3/2002 وط4 2004.**

هل كان انهيار بُرجَيْ مركز التّجارة العالمي نُبُوءة؟ ما مصير مَنْ دعا إلى ضرب مكّة المُكرّمة بقُنبلة نوويّة؟ ما هي العلاقة بين العراق الآن وبابل زمن نبُوخذ نصّر؟ ما قصّة النّبُوءات في آخر الزّمان؟ ما هي تلك النُّبُوءات الإنجيليّة والتّوراتيّة والقُرآنيّة؟ وما علاقتها بالسّياسة العالميّة؟ ماذا يفعل اليهُود والمسيحيُّون والمُسلمون تجاه نُبُوءاتهم؟ كيف تبدو نهاية اليهُود و(إسرائيل) من خلال التّوراة والتّلمُود والأناجيل ونُوستراداموس والقُرآن الكريم؟ العراق وبابل واليهُود ونُوستراداموس، هل نسي اليهُود كيف أسرهم نبُوخذ نصّر وسباهم إلى بابل؟ هل يُحاول اليهُود (أمريكا - بريطانيا) الانتقام من العراق؟ هل من المُمكن أنْ تكون هُناك ضربة نوويّة للعراق؟ المسيحيّة الصّهْيَوْنيّة - نشأتها ومشاهيرها، برُوتُوكُولات حُكماء صِهْيَوْن، السّياسيُّون الأمريكيُّون ونُبُوءات التّوراة والأناجيل ونُوستراداموس، معركة هرمجدون والحرب العالميّة النّوويّة الثّالثة، المُؤامرات اليهُوديّة الأمريكيّة، فلسطين واليهُود والتّوراة والتّلمُود ونُوستراداموس، هل بدأ يوم القيامة؟! لنتعرّف الحقيقة المُذهلة من خلال كتاب الحقيقة بين النُّبُوءة والسّياسة.

87) ***الفقه السّياسيّ الإسلاميّ* ، د. *خالد الفهداوي* ،ط1 2003 وط2 2005.**

في هذا الزّمن وفي هذا الوقت بالذّات غدت الحاجة مُلحّة جدّاً جدّاً من أجل وضع قواعد لتأسيس فقه سياسيّ إسلاميّ، بعد أنْ أُشبع الفقه العادي إنْ صحّ التّعبير؛ أيْ فقه المُعاملات وفقه العبادات، تأسيساً ومنهجيّة. يتناول الباحث - تاريخيّاً - السّياسة الإسلاميّة مُنذُ عُمَر بن الخطّاب، مُرُوراً بأبي حنيفة وابن خلدون والشّاطبي وابن تيميّة والماوردي والغزالي، وُصُولاً إلى المدرسة التّجديديّة المُعاصرة. ويُعلّل لماذا الحاجة إلى قواعد فقه سياسيّ إسلاميّ. ثُمّ يُوضّح ما هي أسباب تعطيل الفقه السّياسيّ الإسلاميّ ومظاهره. ويُعرّج على العلمانيّة والاستشراق والخلافة والمُلك وإلى دَور الجامعات الإسلاميّة في إغناء الفقه السّياسيّ. كما يرتدّ الباحث إلى بحث فقه السّياسة عند الأنبياء نُوح وإبراهيم ومُوسى وعيسى، ويبحث في نحو قواعد مُؤصّلة للتّفسير السّياسيّ للقُرآن الكريم. ومن ثَمّ يصل إلى فقه هذه المرحلة التي نعيشها؛ أيْ قواعد الحرب والسّلام. ويبحث في مُصطلحات عديدة مثل: الجهاد - القتال - السّلام - الحرب - وكيفيّة ضبط كُلّ من هذه المُصطلحات في القُرآن والسُّنّة. كما يتطرّق - بشيء من التّفصيل - إلى قواعد السّلام والحرب في مرحلة الاستضعاف (مثال السّلام مع الكيان الصّهْيَوْني بين الشّرع والواقع). ويصل إلى بحث قواعد الحرب والسّلام في مرحلة العالميّة، ويبحث في الدّيمقراطيّة والمجالس النّيابيّة وحُقُوق الإنسان والسّلام العالمي من ميزان الفقه السّياسيّ الإسلاميّ. ويُعرّج إلى قواعد الحرب والسّلام في ضوء المُتغيّرات السّياسيّة، ويُبيّن قواعد الفقه السّياسيّ الإسلاميّ بين الثّوابت والمُتغيّرات. ويتناول العولمة والآخر، وهل ما يحدث الآن هُو حوار حضارات أم صدام حضارات؟ كما يبحث في المُجتمع المَدَنيّ والإرهاب والمُنظّمات الدّوليّة والفقه السّياسيّ والسُّلطات الثّلاث، مُفصّلاً في الخلافة والإمامة والسُّلطان والملك، وأهل الحلّ والعقد ومجلس الشُّورى والنّظام الوراثي، والطّائفيّة والأمّة ودولة المُؤسّسات والمرأة والحُقُوق السّياسيّة والدُّستور وولاية الفقيه وفقه الدّولة وفقه الفَرْد، والنّظام القَبَلي والحوار القوميّ الإسلاميّ والحرب الحضاريّة والحُرّيّات العامّة والتّعدُّديّة السّياسيّة ومعالم النّظام الإسلاميّ العالميّ، والدّين والسّياسة. ثُمّ يُعدّد القواعد التي ارتآها تصلح لتأسيس فقه سياسيّ إسلاميّ.

88) **نزار قبّاني وقصائد كانت ممنوعة في الدّين والسّياسة والجنس ، نضال نصر الله ، ط1و2و3/2003 وط4 2005 .**

نزار قبّاني طفل بردى. طفل البساتين التي نَشَرَتْ وردها وعطرها ذات يوم بين سُور الصّين ومدريد./ سُليمان العيسى/ - إنّ عُمَر بن أبي ربيعة شاعر من قافلة شُعراء التّاريخ العَرَبيّ؛ لكنّ نزار قبّاني هُو مدرسة الشّعر العَرَبيّ الحديث، يعيش على رُوحها آلاف الشُّعراء وأجيال من الشّباب المُثقّف./ سميح القاسم/ . هذا الكتاب يضمّ بين دفّتَيْه قصائد مُنعت لنزار قبّاني حين نَظَمَهَا، ثُمّ تحت ضغط الجماهير العَرَبيّة وحبّها لهذه القصائد أُجيزت، كما يحكي هذا الكتاب قصّة المَنْع أو المُصادرة وقصّة الإجازة؛ من هذه القصائد: خُبز وحشيش وقمر - هوامش على دفتر النّكسة - المُهرولُون - المُستحمّة - مُحاكمة غير شرعيّة - بلقيس - وغيرها... فمنها قصائد مُنعت بحُجّة الأخلاق، ومنها بحُجّة الدّين، ومنها بحُجّة المُجتمع والسّياسة و...

89) **لوعة الشّاكي ودمعة الباكي (من جميل تُراثنا)** ، **المنسوب لصلاح الدّين خليل بن أيبك الصَّفدي ، تحقيق : مُحمَّد عايش** ، 2003 .

العشق والغرام وما يُصاحب ذلك من الوله والهُيام. هذه هي المادّة الأساسيّة للكتاب الذي جمع فيه مُؤلِّفه كُلَّ مُفردات الحُبِّ والعشق والغرام وما يتعلّق بها بأُسلوب السّجع المُوسيقيّ الجميل، مُستخدماً من ذلك الألفاظ البليغة والمُعبِّرة للحالة التي يصفها. ثُمَّ يُلخِّص ذلك بأبيات من الشّعر التي لا تخلو من البراعة ومن مُحسِّنات الشّعر وفُنُونه. يحكي المُؤلِّف ذلك كُلَّه من خلاله قصّة يرويها تبدأ بنظرة، وتنتهي بلقاء، ولكنْ؛ ما بين النّظرة واللّقاء آهات وأشجان وزفرات وعبرات وأحداث ومُجريات، ووصف بليغ وصادق لكُلِّ ما يُحيط بالقصّة يشدُّ القارئ، ويجعله يستمتع بالقراءة. ذلك هُو كتاب: لوعة الشّاكي ودمعة الباكي الذي يُعَدُّ صورة واضحة لواقع الأدب في ذلك العصر. نقول ذلك لأنَّ المُؤلِّف الصّفدي ـ فضلاً عن كونه مُؤرِّخاً وهُو ما اشتهر به من خلال كتابه: الوافي بالوفيات ـ فقد كان شاعراً وأديباً رقيقاً، فقد وُصف من قبل بعض مَنْ ترجم له بأنّه: أديب الزّمان والشّاعر المُجيد، وغير ذلك من الألقاب.

90) **سيرة السُّلطان النّاصر صلاح الدّين الأيُّوبي (النّوادر السُّلطانيّة والمحاسن اليُوسُفيّة)** ، **بهاء الدّين ابن شدّاد ، تحقيق : د. أحمد إيبش** ، ط1 2003 وط2 2005 .

تبقى سيرة البطل الخالد صلاح الدّين الأيُّوبي وجهاده وحُرُوبه مع الصّليبيّين، وانتصاره الأكبر في حطّين، وفَتْحه للقُدس، تبقى واحدة من أنصع صفحات تاريخنا العربيّ الإسلاميّ الوضّاء. في هذا الكتاب الرّائع « النّوادر السُّلطانيّة والمحاسن اليُوسفيّة » ينقل لنا المُؤلِّف بهاء الدّين ابن شدّاد صُورة حيّة ورواية مُباشرة عن حياة بطلنا الكبير وأعماله وبُطُولاته.. ويُصوِّر لنا، كشاهد عيان ثَبْت صادق، مشاهد مُؤثِّرة وعبرًا بليغة عن المزايا العظيمة التي تحلَّى بها السُّلطان النّاصر صلاح الدّين الأيُّوبيّ، حتّى احترمه الأعداء، بَلْهَ الأصدقاء، فارتفع اسم صلاح الدّين عالياً، ليقترن بأمجاد جهاده، وليقترن بالقُدس الشّريف، وليغدو صاحبه ـ بكُلِّ جدارة ـ واحداً من أعظم الشّخصيّات التي أنجبتْها أُمّتنا العَربيّة الإسلاميّة، لا، بل البشريّة جمعاء على امتداد تاريخها. وكفى سُلطاننا صلاح الدّين فخراً أنَّ الشّهادة بفضله ونُبله وتسامحه، فضلاً عن شجاعته وقُوّته وحكمته، كانت قد صدرت عن أعدائه قبل أصدقائه وأتباعه. إنَّ سُلطاننا النّاصر صلاح الدّين واحد من الذين يُقال فيهم: إنّهم نسيج وحدهم.

91) **السّيف الأحمر دراسة في الأُصُوليّة اليهُوديّة المُعاصرة ، د. جمال البدري** ، 2003 .

الصّهيُونيّة انعكاس لليهُوديّة، و(إسرائيل) انعكاس للصّهيُونيّة. ـ الأحزاب الدّينيّة الإسرائيليّة هي القاسم المُشترك بين اليهُوديّة والصّهيُونيّة و (إسرائيل) . ـ إنَّ الوظيفة القوميّة لهذه الأحزاب تجسيد لجوهر الرُّؤية اليهُوديّة الصّهيُونيّة، وليس ـ هُناك ـ فرق استراتيجيّ بين اليسار / اليمينيّ/ الوسط، فكُلُّها تتبنّى الرُّؤية التّلمُوديّة. ـ ما هي السّمات والاتّجاهات التّاريخيّة للدّيانة اليهُوديّة؟ ـ ما هي السّمات الأساسيّة للفكر الدّينيّ الإسرائيليّ؟ ـ ما هي الاتّجاهات اليهُوديّة الحديثة قبل الحركة الصّهيُونيّة؟ ـ نشأة وتطوُّر الأحزاب الدّينيّة الإسرائيليّة. ـ نشأة الحركة الصّهيُونيّة في أُورُوبا. ـ التّطبيقات الإيديُولُوجيّة للأحزاب الدّينيّة الإسرائيليّة. ـ حركة غوش ايمُونيم الثّيُوقراطيّة والدّيمُقراطيّة الصّهيُونيّة. ـ ما هي الوظيفة القوميّة للأحزاب الدّينيّة الإسرائيليّة في إطار الصّراع العربيّ الصّهيُونيّ؟ ـ التّهجير والاستيعاب ـ الوظيفة الأمنيّة والعسكريّة. ـ تعداد الشّخصيات الدّينيّة الرّئيسيّة اليهُوديّة الإسرائيليّة. ـ المُنظّمات الدّينيّة الجديدة وصُعُود العُنْصُر الدّينيّ بعد 1967 . ـ توسُّع الجيش الإسرائيليّ في تجنيد المُتطرّفين اليهُود. ـ تعداد أحزاب الكيان الصّهيُونيّ التي تخوض انتخابات الكنيست

92) **مُثلّث الدّم شارُون أمس ، اليوم ، غداً ، د. جمال البدري** ، 2003 .

إنَّ اريك شارُون أو اريل أو ارئيل بقدر ما هُو فَرْد واحد في المُؤسّسة الإسرائيليّة الحاكمة، فهُو ـ أيضاً ـ رمز لهذه المُؤسّسة؛ رمزٌ سلبيٌّ بالنّسبة لنا، ورمزٌ إيجابيٌّ « ماشيح » بالنّسبة لهم. ـ الماشيح اليهُوديُّ، والعصر الماشيحانيّ. ـ المجموعة الماشيحانيّة « مُواطنو الدّرجة الأُولى ». ـ حاييم وايزمن ـ إسحاق بن زفي ـ زالمان شازار ـ افرام كاتزر ـ إسحاق نافون ـ حاييم هيرتزوغ ـ ديفيد بن غوريُون ـ مُوشي شاريت ـ ليفي أشكُول ـ غُولدا مائير ـ إسحاق رابين ـ مناحيم بيغن ـ إسحاق شامير ـ شيمُون بيريز ـ نتنياهُو ـ براك ـ اريل شارُون ـ اريل شارُون من الوحدة 101 حتّى الكيلو 101 . ـ شارُون فوق القانون !؟ ـ شارُون و(إسرائيل) الكُبرى. ـ الظّاهرة الشّارُونيّة ومُستقبل (إسرائيل).

93) **هندسة القُرآن دراسة فكريّة جديدة في تحليل النّصّ ، د. جمال البدري** ، 2003 .

القُرآن هُو صوت الله الخالد الذي يُلائم الطّبائع البشريّة المُتّزنة مع الحياة، وإنَّ وُجُود القُرآن استمرار للنُّبُوّة. ـ التّفسير والتّأويل. القُرآن أُنزل من أجل الإنسان، وليس للملائكة والجان. ـ خصائص التّحليل القُرآنيّ بـ عُلُوم القُرآن. ـ لماذا الدّائرة في هندسة القُرآن؟ وما هي نماذج هذه الدّائرة؟ ـ سُورة الشّمس ـ سُورة اللّيل ـ سُورة الضُّحى. ـ كيف نُطوِّر الرَّبْطَ بين الرَّقْم والكلمة؟ ـ ما هي العلاقة بين الدّائرة والرَّقْم؟ ـ نماذج تطبيقيّة من التّحليل القُرآنيّ. ـ سُورتا الفاتحة والبقرة ـ سُورة الإخلاص ـ سُورة العَلَق. القُرآن والمُستقبل. إذنْ؛ الهندسة هي تفاعل أصيل بين الكلمات والأرقام مُكوِّناً صُورة مُعبِّرة ومُنظَّمة، صُورة فيها جماليّة الكلمات ودقّة الأرقام، ولكنّها ليست كلمة ولا رَقْماً، بل هي هندسة بموجب مفهومنا في هذا المجال، فإذا كانت الهندسة كلاماً كانت هندسة كلاميّة، أو كلاماً مُهندَساً، والقُرآن كلام الله هندسة مُقدّسة، فيه مُواصفات الجمال والدّقّة.

94) **كيف صَنَعَ اليهُود الهُولُوكُوست؟ نُورمان فنكلشتاين ، ترجمة : د. ماري شهرستان** ، 2003 .

قال الحاخام آرنولد جاكوب وُولف مُدير جامعة دي يال: "يبدو لي أنّهم يبيعون الهُولُوكُوست عوضاً عن أنْ يُعلّموه". إنَّ هذا الكتاب هُو في ـ آن واحد ـ تشريح واتّهام لصناعة الهُولُوكُوست. إنّه يُؤكِّد أنَّ الهُولُوكُوست هُو تقدمة إيديُولُوجيّة للهُولُوكُوست النّازيّ. إنَّ إحدى أكبر القُوّات العسكريّة وأعظمها في العالم؛ وحيثُ إنَّ فيها انتقاصات حُقُوق الإنسان هائلة قدّمت نفسها كبلد ضحيّة. وقد جنت أرباحاً وفوائد هائلة عن هذا الوضع ـ الضّحيّة الذي لا مُبرِّر له. وخُصُوصاً الحصانة في مواجهة النّقد حتّى الأكثر ثُبُوتاً وسناداً. يقول فنلكشتاين: كان أهلي يندهشون ـ غالباً ـ عندما يجدون أنّني مُستنكر ـ إلى حدٍّ كبير ـ تزوير واستغلال الإبادة النّازيّة. ـ الجواب الوحيد والأبسط هُو التّهم التي يستعملونها لتبرير السّياسة الإجراميّة لدولة (إسرائيل) ودَعْم الولايات المُتّحدة لهذه السّياسة. هُناك ـ أيضاً ـ دافع شخصيٌّ؛ إنّه الحملة الحاليّة لصناعة الهُولُوكُوست الهادفة إلى ابتزاز المال من أُورُوبة على حساب الضّحايا المُحتاجين للهُولُوكُوست، وضعت استشهادهم في مُستوى أخلاقي لكازينو مُوناكو. نُورمان ج. فنكلشتاين يهُوديٌّ يفضح كيف صَنَعَ اليهُود الهُولُوكُوست، وكيف يستثمرونه، وكيف يخدعون به الدُّنيا وأُورُوبة وأمريكا.

95) **التّمييز ضدّ غير اليهُود في (إسرائيل) مسيحيّين كانوا أم مُسلمين ، د. سامي الذّيب ، ترجمة : د. ماري شهرستان** ، 2003 .

إنَّ هذا الكتاب يُساهم في فَهْم أفضل لألم الشّعب الفلسطينيّ، ويُؤكِّد أنّه لن يكون لدورة العُنْف (النّضال الفلسطينيّ) نهاية مادامت سياسة (إسرائيل) مُتمثّلة ومُتجسّدة بقوانين ومُمارسات قضائيّة، التي هي باستمرار ضدَّ غير اليهُود لن تُعدَّل. إنَّ هذه الدّراسة تجعلنا نتلمَّس بالإصبع نَهْج الاعتداء المُستمرّ على حُقُوق الإنسان، فيُؤكِّد ـ في البداية ـ مفهوم الحُرّيّة الدّينيّة، ثُمَّ يتحدَّث عن التّرحيل والتّدمير بعد 1948م و 1967م، ويتحدَّث عن حُقُوق غير اليهُود 1948م و 1967م، وكيف يُحرِّف اليهُود العدالة، ويتّخذون القمع وسيلة ضدَّ غيرهم، ثُمَّ يتساءل أيّ مُستقبل منشود لغير اليهُود؟

96) **تطوُّر العُلوم عند العَرَب (الشَّيخ والقارورة) ، د. إسماعيل الرُّبيعي** ، 2003 .

يتحدَّث هذا الكتاب عن نشاط العُلُوم والمُؤثِّرات، وعن نُشُوء الفكر الفلسفيِّ في المجال العَربيِّ الإسلاميِّ، كما يتحدَّث عن الطِّبِّ العَربيِّ، ويُعدِّد أهمَّ الأطبَّاء العَرَب والمُسلمين، وعن الرِّياضيَّات وأهمِّ عُلمائها من العَرَب والمُسلمين، وعن الكيمياء وعُلمائها، والفَلَك وعُلمائه.

97) **تحوُّلات الذَّات الثَّقافي العَربيِّ مُقاربات معرفيَّة ، د. إسماعيل الرُّبيعي** ، 2003 .

ما من أمَّة شغوفة بلَعْن الظَّلام مثل العَرَب. فالجميع حانق وغاضب يُمارس عادة كيل الشَّتائم، وجَلْد الذَّات، والبُكاء على الأطلال، وفوات الفُرص، وغياب العدالة الاجتماعيَّة، وانعدام الحُرِّيَّات، والتَّفرقة العُنْصُريَّة والطَّائفيَّة. إنَّ استمرار الوعي الذَّاتيِّ لدى العَرَب يجعلهم يعيشون خارج السِّياق التَّاريخيِّ. فالتَّصوُّرات والرُّؤى عالقة في مداها من دُون إحساس بعناصر التَّغيُّر والتَّحوُّل، فالتَّقليد هُو الموئل الذي لا فكاك ولا خلاص منه. إذن؛ أين العَرَب من أسئلة اللَّحظة الرَّاهنة؟! يبحث المُؤلِّف في نَقْد العقل، وتحوُّلات الذَّات (العالم وفواصل التَّغيير)، وتحدِّدات التَّغيير. (الطُّغاة والطُّغيان). فاتورة الأحقاد. قياس درجة الكراهية. الوعي بالخُصُوصيَّات. ترسُّبات الماضي. ما يُنتجه الواقع. مُوجِّهات التَّغيير (في صُلب الوظيفة المفاهيميَّة). سيمُولُوجيا الوطنيَّة. ما بعد الوطنيَّة. مُعيقات التَّغيير. كيف نستخدم التَّاريخ؟ الوعي مُتَّهماً. من الأحداث إلى التَّأمُّل. معيارا الذَّاتيِّ والمَوضوعيِّ. بعيداً عن الأحداث؛ قريباً من الخطاب. الحَدَث تمثيل للتَّاريخ ومُحرِّك له. تفكيك الخطاب الثَّقافيِّ العَربيِّ (الحَدَث الكبير يُولِّد الأسئلة الكُبرى). الحادثات تترى، واللُّوك لا ينقطع. ما بعد المُثقَّف. الجاحظ. ترميم بُرج بابل. الرَّجل الذي فَقَدَ أزرار معطفه. تداخلات الوظيفة النَّقْديَّة. محنة المُثقَّف. مُحاولة الاقتراب من مُكوِّنات الخطاب الثَّقافيِّ العراقيِّ المُعاصر (المحنة موقعاً). سيل من أسئلة جارفة ومُحاولات جادَّة للإجابة عنها؛ هذا هُو الكتاب الذي بين أيدينا.

98) **مائير كاهانا وغُلاة التَّطرُّف الأُصوليِّ اليهُوديِّ ، رفائيل ميرجي وفيليب سيمون ، ترجمة : عائدة عم علي** ، 2003 .

من أقوال كهانا: الدِّيمُقراطيَّة والصَّهيُونيَّة لا تتعايشان معاً. اليهُوديَّة مُختلفة - كُلِّيَّاً - عن الدِّيمُقراطيَّة. النَّاس في هذا البلد (إسرائيل) مَرْضَى، مَرْضَى فكريَّاً، وبالنِّسبة لي لا يُوجد هُناك إسرائيليُّون، يُوجد يهُود، بعضهم يعيش في (إسرائيل) وآخرون يعيشون في ... إنَّ هُناك شعباً يهُوديَّاً، ولأنَّ هُناك شعباً يهُوديَّاً فإنَّ لدينا الحقَّ في المجيء إلى هذا البلد وسَلْبه من العَرَب. إنَّ شارُون سيِّئ جدَّاً جدَّاً، إنَّه كاذب، ولا يملك أيَّة مبادئ أخلاقيَّة، ولا أيَّة مُثُل، بإمكانه أنْ يفعل أيَّ شيء، وأنا أخافه تماماً كما يخافه اليساريُّون. سُؤال إلى كهانا: إذنْ؛ فأنت تتقبَّل حقيقة قَتْل المَدَنيِّين العَرَب؟ بالطَّبع؛ بالتَّأكيد، بالطَّريقة نفسها التي أُوافق فيها الإسرائيليِّين على قَصْف لُبنان.

99) **ما بين مُوسى وعزرا كيف نشأت اليهُوديَّة؟ عبد المجيد همُّو ، ط1** 2003 وط2 2004 .

مُوسى وبنُو إسرائيل - القُرآن الكريم لم يُشر إلى اليهُوديَّة في زمن مُوسى - العهد القديم لم يُشِرْ إلى اليهُوديَّة في زمن مُوسى - حقيقة رسالة مُوسى - هل العهد القديم كتاب سماويٌّ؟ متى تمَّ نَسْخُ التَّوراة وتدوينها؟ توراة مُوسى - الألواح وهل هي غير التَّوراة؟ الزَّبور وداود - سُليمان الحكيم - إثبات عدم يهُوديَّة إبراهيم وأبنائه - وإثبات عدم يهُوديَّة مُوسى والأسباط وداود وسُليمان - متى ظهرت اليهُوديَّة في الكتاب المُقدَّس؟ كيف نشأت اليهُوديَّة؟ - عزرا ونحميا أنشأا اليهُوديَّة - سمات اليهُوديَّة.

100) **اليهُوديَّة بعد عزرا وكيف أُقرَّت؟ عبد المجيد همُّو** ، 2003 .

تاريخ تدوين الأسفار كُلِّها - التَّوراة والأخلاق - المُعتقدات - هل هُناك إله واحد يعبده اليهُود أم هُم يعبدون آلهة عدَّة؟ الطُّقُوس - الوصايا - الوصايا الأخلاقيَّة المُحرَّمات من النِّساء - وصايا حول الزِّنى - وصايا مُختلفة - الإيمان باليوم الآخر.

101) **مفاهيم تلمُوديَّة نظرة اليهُود إلى العالم ، عبد المجيد همُّو** ، 2003 .

متى كُتب التَّلمُود؟ تعريفه - جمعه - تأليفه - ترجمته - أهمِّيَّته - الرُّدُود عليه - التَّلمُود والأُمم الأُخرى - التَّلمُود والمسيحيَّة - مسيح اليهُود المُخلِّص - التَّلمُود والعَرَب موضوعات تلمُوديَّة - موقف التَّلمُود من يَهْوَه - موقف التَّلمُود من فلسطين - التَّلمُود والآخرة - التَّلمُود والقَبَّالة (تطوُّر التَّلمُود).

102) **الله أم يَهْوَه؟ أيُّهما إله اليهُود؟ عبد المجيد همُّو** ، 2003 .

تعدُّد الآلهة عند اليهُود - إيل - يَهْوَه - بعل - آلهة أُخرى - إيل إله إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب - ما صفاته؟ يَهْوَه إله اليهُود: من أين أتى؟ ما صفات يَهْوَه؟: التَّسلُّط - الجهل - حُبُّ الجنس - الحُزن - الكذب... إلخ. هل اليهُود مُوحِّدون؟

103) **الفِرَق والمذاهب اليهُوديَّة مُنذُ البدايات ، عبد المجيد همُّو ، ط1** 2003 وط2 2004 .

اليهُود وفِرَقُهُم قبل الإسلام - نُشُوء اليهُوديَّة وانقسامها - السَّامريَّة - الصَّدوقيَّة - الحسيديُّون. الفريسيُّون - الأسنيُّون - الغنوصيُّون - الكَتَبَة - المُتعصِّبون - الرَّبَّانيُّون - التَّلمُوديُّون - القرَّاءون - مُوسى بن ميمُون - الفاءون - القَبَّالة - يهُود الخَزَر - الأشكناز - اللُّوثريَّة - المسيحيَّة اليهُوديَّة - شُهُود يَهْوَه - الصَّهيُونيَّة ونشأتها - وموضوعات أُخرى مُفصَّلة تفصيلاً دقيقاً تُبيِّن موقف اليهُود من المسيحيَّة، وكيف اضطهدوا المسيح وأتباعه..

104) **المجازر اليهُوديَّة والإرهاب الصَّهيُونيِّ مُنذُ ظُهُور التَّوراة ، عبد المجيد همُّو ، ط1** 2003 ط2 2004 .

هذا الكتاب يشرح - بوُضُوح - ما أحدثه اليهُود من مجازر وإرهاب قديماً وحديثاً من خلال كتاب العهد القديم ووقائع الحال على مُرُور التَّاريخ حتَّى العصر الحديث، من هذه المجازر: مجازر ما قبل مُوسى - مجازر نُسبت إلى مُوسى - مجازر يشوع - القُضاة - صموئيل - مجازر نُسبت إلى داود - مجازر يَهْوَه - مدين - العجل - سنحاريب الطُّوفان - إيزابيل - ياهو - مجازر المكابيِّين - يهُوديت - استر - الثَّورة الفرنسيَّة - البلاشفة - مجازر فلسطين قبل الدَّولة المُصطنعة - الاغتيالات اليهُوديَّة الإسرائيليَّة لزُعماء فلسطين تدمير القُرى في فلسطين من قبل 1948 حتَّى 2000 - عبث الصَّهاينة بقرارات الأُمم المُتَّحدة، وغيرها كثير. كتاب توثيقيٌّ من التَّوراة ومن كُتُب اليهُود التي يُؤمنون بها، يُوثِّق القتل والإرهاب اليهُوديِّين، وهُو وصمة عار من وُجهة نَظَر الإنسانيَّة في جبين اليهُود، وسجلٌّ مُشرِّف من وُجهة نَظَر اليهُود في جبينهم.

105) **الخديعة الكُبرى هل اليهُود حقَّاً شعب الله المُختار؟ د. مُحمَّد جمال طحَّان** ، 2003 .

بماذا وَصَفَ مُفكِّرون أُورُوبيُّون وأمريكيُّون اليهُودَ؟ ما مدى العداء الذي يُكنُّه الصَّهاينة للسَّيِّد المسيح أو لنبيِّ الإسلام؟ تقول نيستا ويبستر: إنَّ المفهوم اليهُوديَّ السَّائد عن فكرة شعب الله المُختار هُو مفهوم سياسيٌّ محض ابتكره الحاخامات لحَضِّ اليهُود على السَّعي الدَّؤوب للسَّيطرة على العالم، ويُعتبر هذا الشِّعار أساس الدِّيانة الحاخاميَّة التَّلمُوديَّة، ويأخذ اليهُود بتعاليم التَّلمُود كدُسْتُور لهم في الحياة. - مَنْ هُم اليهُود؟ - مَنْ هُو إسرائيل؟ وصف اليهُود في التَّوراة والأناجيل والقُرآن الكريم الماسُونيَّة - الدَّولة العالميَّة - رسالة الحاخام الأكبر في إستانبول لليهُود في أُورُوبا والعالم - الأسلحة اليهُوديَّة الرَّهيبة.... - الكتاب مُوجَّه إلى الذين لا يعلمون حقيقة اليهُود، وإلى الذين يعلمون حقيقتهم من أجل أنْ يُقاوموا ، ويُحاولوا ....

106) امنحوني فُرصة للكلام ، د. مُحمّد جمال طحّان ، 2003.

ـ اتركْ السّياسة لأهلها، والثّقافة لأهلها، والحُرّيّة لأهلها، واكتف بالعيش، ولا تَنَمْ إلا بعد عشاء ثقيل، ولا تنسَ.. اخلع الوعي قبل النّوم. لا.. لستُ غبيّاً.. كُلُّ ما أرجوه منكم أنْ تُقاوموا فكرة إقامة نَصْب تذكاريٍّ لي بعد أنْ أموت.. لماذا؟ لأنّني لا أريد أنْ أغدو مكاناً أميناً يلجأ إليه مَنْ يريد أنْ يبول.. أنا أكتب.. أنت تقرأ.. هُم يُقتلون.. وهُو يشجب بنصف صوت، أنا أكتب نَدَمي لأنّي لم أحترف القتال، وأنت تقرأ وتتألّم؛ لأنّ الفعل بيد ذلك الذي يهزأ من نَدَمي ويسخر من ألمك.. ـ ألم يَحنْ وقت استخدام حقّ الفيتو على العقل ليتوقّف بُرهة عن المُسالمة والاستسلام؟! وإذا كان العقل والعقلانيّة لم يعودا مُجْدِيَيْن، ألا يحقّ لنا أنْ نُمارس الجُنُون؟! ـ ما الذي جعل الحضارة العَرَبيّة الإسلاميّة تذوي؟ ـ هل بإمكاننا إيقاف تبادُل التُّهم والإدانات لنعمل جميعاً على إعادة نهجنا الحضاريّ الذي انبنى على توفير الحُرّيّات الفكريّة، والتّعدُّديّة، وتعميق القيَم الإنسانيّة الخالدة؟! ـ ما المقدار الذي يحمله الإعلام المُعاصر من مسؤوليّة التّضليل؟! ـ ألا فلنبدأ هُنا، والآن، وبكم، ثُمّ ليَكُن ما يكون...

107) الرّحّالة ك طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، عبد الرّحمن الكواكبي ، تحقيق : د. مُحمّد جمال طحّان ، ط1 2003 وط2 2004 وط3 2005.

تأتي أهمّيّة الكواكبيّ وأهمّيّة كتابه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد من أجل أنْ نتعلّم من الماضي كي لا نُلدغ من الجحر مرّتَيْن، ويأتي نَشْر الطّبائع استكمالاً لدراسة أفكاره التي بدأت في أمّ القُرى. ويقول: تمحّص عندي أنّ أصل الدّاء هُو الاستبداد السّياسيّ ودواؤه دَفْعُهُ بالشُّورى الدُّسْتُوريّة. ويقول: (ويُراد بالاستبداد عند إطلاقه استبداد الحُكومات خاصّة؛ لأنّها أعظم مظاهر أضراره).ويقول: إنّ خوف المُستبدّ من نقمة رعيّته أكثر من بأسه؛ لأنّ خوفه ينشأ عن علْمه بما يستحقّه منهم، وخوفهم ناشئ عن جهل؛ وخوفه عن عجز حقيقيّ، وخوفهم عن توهُّم التّخاذل فقط؛ وخوفه على فَقْد حياته وسُلطانه، وخوفهم على لُقيمات من النّبات وعلى وطن يألفون غيره في أيّام، وخوفه على كُلّ شيء، تحت سماء مُلكه، وخوفهم على حياة تعيسة فقط.

108) أمّ القُرى مُؤتمر النّهضة الإسلاميّة الأوّل ، عبد الرّحمن الكواكبي ، تحقيق : د. مُحمّد جمال طحّان ، ط1 2002 وط2 2004.

الكواكبيّ واحد من أجدادنا الأفذاذ؛ رُوّاد النّهضة الذين حاولوا النُّهُوض بالواقع إيماناً منهم بمسؤوليّة العُلماء في توعية النّاس، ليقدروا على المُطالبة بحُقُوقهم بعد أنْ يُدركوا أنّهم بشر أحرار في صُنْع مصائرهم.ممّا نادى به الكواكبيّ في كتابه هذا : يجب ألاّ يُصرّ أحد على رأيه الذّاتيّ، وألاّ يُمانع في العُدُول عن خطئه ـ سبب الفُتُور هُو تحوُّل السّياسة الإسلاميّة من ديمقراطيّة إلى مَلَكيّة مُقيّدة، ثُمّ إلى مَلَكيّة مُطلقة ـ إنّ البليّة هي فَقْدُنا الحُرّيّة، حُرّيّة التّعليم والخطابة والمطبوعات والمُباحثات ـ كأنّ مُجرّد كون الأمير مُسلماً يُغني حتّى عن العدل، وكأنّ طاعته واجبة ولو كان يُخرّب البلاد، ويظلم العباد ـ إنّ طاعة أُولي الأمر واجبة، ولكنْ؛ مع العدل، فالحاكم العادل الكافر أفضل من المُسلم الجائر وأَوْلى بحُكم المسلمين ـ صرنا نتبع الأشخاص بدلاً من التّمسُّك بديننا الحنيف ـ إنّ المنشأ لكُلّ فساد هُو انحلال السُّلطة القانونيّة وتسلُّط فَرْد عليها، فضلاً عن دُخُول ديننا تحت ولاية العُلماء الرّسميّين؛ أي الجُهّال المتعمّمين ـ إنّ الاقتصار على العُلُوم الدّينيّة يُضعفُ المُسلمين، ولابُدّ من دراسة العُلُوم الرّياضيّة والطّبيعيّة أيضاً ـ إذْ ترك الخُطباء التّحدُّث في الأمور العُموميّة، وعدّوا ذلك لَغْواً. وهكذا؛ تأصّل فينا فَقْدُ الإحساس ـ إنّ السّبب الأكبر للفُتُور هُو تكبُّر الأمراء وميلهم إلى العُلَماء المُتملّقين المُنافقين الذين يُزيّنون لهم الاستبداد ـ إنّ أفضل الجهاد هُو الحَطُّ من قَدْر العُلَماء المُنافقين عند العامّة، وتحويلهم لاحترام العُلماء العاملين حتّى لا يلبث أنْ يحترمهم الأُمراء أيضاً، ويأخذوا بآرائهم. وهكذا؛ نجد أنّ أمّ القُرى واحد من الكُتُب المُذهلة، إنْ حذفنا منه تاريخ تأليفه، فلن نشكّ لحظة واحدة، في أنّه قد أُنجز تَوّاً، وخُصُوصاً أنّ صاحبه قد وقّعه باسم السّيّد الفُراتي.

109) المُثقف وديمُقراطية العبيد ، د. مُحمّد جمال طحّان ، 2002.

في هذا الكتاب بعض الأحاديث عن المتاهات والمفازات، فيه ما يُؤلم ويُرهق، وفيه ما يدعو إلى المُكابدة، ويحثُّ على المُعاناة. الجوُّ مُكفهر والغُيُوم داكنة وكذلك الهُمُوم، من أجل ماذا؟! من أجل الدّيمقراطيّة، ومن أجل الثّقافة.. ولكنْ، فيه إلى جانب ذلك كُلّه، وفوق ذلك كُلّه تجربة قلم حيّ، وتجربة إنسان نابض بالبراءة والنّزاهة، إنّه الأمل في استمرار الدّفاع عن الوطن، وعن المُواطن فيه، الآن وفي المُستقبل.

110) الولايات المُتّحدة الأمريكيّة من الخيمة إلى الإمبراطوريّة. مُرفق خريطة شاملة للولايات المُتّحدة الأمريكيّة وولاياتها ومُدُنها وتاريخها ، إعداد : ديب علي حسن ، تدقيق : إسماعيل الكردي ، ط1 2002 وط2 2004 وط3 2005.

قليلون هُم الذين يعرفون أنّ الولايات المُتّحدة كان الاستعمار يجثم فوق صدرها، وأنّ حرباً أهليّة دامية جرت فيها بين الشّماليّين والجنوبيّين، وقليلون يعرفون ما هُو دُسْتُورها؟ وما ولاياتها؟وما مُدُنها؟و ما ثرواتها؟ وما قوانينها؟ وما تنوُّع سُكّانها؟ وما...؟ وما...؟! ما الجيش الأمريكي ـ الاستخبارات ـ الدّين والسّياسة فيها السّياسة الأمريكيّة وأهمّ السّياسيّين الحاليّين ـ الكتاب يسدّ فجوة في المكتبة العَرَبيّة، ويُبيّن كيف تمّ طَرْد الهُنُود الحُمْر وإبادتهم. وكيف نشأت دولة أمريكا.. ويُعَدّدُ رُؤساءها مُنذُ الرّئيس الأوّل إلى الآن.. يجب على كُلّ عَرَبيّ أنْ يقرأ ما هي الولايات المُتّحدة؟ وكيف نشأت؟ وكيف وصلت إلى ما وصلت إليه الآن.

111) الفِرَق والمذاهب المسيحيّة مُنذُ البدايات حتّى ظُهُور الإسلام ، نهاد خياطة ، ط1 2002 وط2 2004 وط3 2005.

لمحة إلى الأناجيل ـ الأناجيل غير المُعتمدة ـ أناجيل الطّفُولة ـ اليهوديّة المسيحيّة ـ الأبيونيّة ـ النّصارى ـ الدُّوكتيّة ـ المرقيونيّة ـ هل تزوّج يسُوع؟ مجمع نيقية والفِرَق المسيحيّة الآريوسيّة ـ إلهيّة الرُّوح القُدُس ـ السّابليانيّة ـ المسيحيّة بعد نيقية ـ النّسطوريّة مدرسة نصيبين ـ برصوما ـ نرسيس ـ باباي الأكبر ـ خلقيدونية والفِرَق المسيحيّة بعد خلقيدونية ـ المُونُوفيزيّة ـ القول بالمشيئة الواحدة في المسيح ـ التّثليث في المسيحيّة والإسلام ـ الآب ـ ثالوث أم رابوع ـ التّوحيد والتّثليث بين الظّاهر والباطن التّثليث في الفكر الإسلامي ـ الابن ـ الرُّوح القُدُس.

112) أبو حيّان التّوحيدي إنساناً وأديباً ، مُحمّد رجب السّامرّائي ، 2002.

يتناول المُؤلّف في كتابه سيرة حياة التّوحيدي، والظُّلم الذي لحق به من ذوي الجاه والسُّلطان، وتفضيلهم مَنْ هُو أدنى منه مرتبة أدبيّة وعلميّة،كما يتعرّض إلى التّوحيدي كأديب فارس لايُشقّ له غبار في ميادين عديدة كالأدب والفلسفة.

113) رمضان في الحضارة العَرَبيّة الإسلاميّة ، مُحمّد رجب السّامرّائي ، 2002.

يرسم المُؤلّف صُورة عن رمضان في ذاكرة الإنسان العَرَبيّ في الزّمان والمكان، ويسرد سيرته العطرة في المظانّ العَرَبيّة القديمة والمُعاصرة عن طريق التّدوين لهذه المظاهر الاحتفاليّة به، وتدوين المظاهر الاحتفاليّة بعيد الفطر السّعيد ومأكولاته وحُلوياته في أكثر من 22 بلداً عَرَبيّاً وإسلاميّاً.

114) **المسيحيَّة وأساطير التجسُّد في الشَّرق الأدنى القديم اليُونان ـ سُوريَة ـ مصر ، دانييل إ باسُوك ، ترجمة : سعد رُستُم ، 2002.**

يُؤكِّد المُؤلِّفُ الباحثُ الأمريكيُّ باسُوك في كتابه هذا أنَّ عقيدة التَّجسُّد في المسيحيَّة عقيدة خُرافيَّة، وفكرة وَثَنيَّة دخيلة، نفذت إلى المسيحيَّة من وَثَنيَّة اليُونان والرُّومان. ويرى أنَّ رسالة المسيح بذاتها كانت رسالة أخلاقيَّة توحيديَّة بسيطة، لا تعقيد فيها، فالمسيح نشأ يهُوديّاً، مُؤمناً، وترعرع في بيئة نوراتيَّة مُتديِّنة، من ركائزها الأساسيَّة التَّأكيد على وحدانيَّة الله تعالى الخالصة، والفصل التَّامّ بينه وبين مخلوقاته من البشر. إنَّ المسيح هُو عبد الله، وليس ابناً لله، هُو نبيُّ الله، وليس ابناً لله...

115) **التَّوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القدِّيسَين بُولُس ويُوحنَّا ، سعد رُستُم ، 2002.**

يُؤكِّد المُؤلِّف من الأناجيل الأربعة ومن رسائل بُولُس ويُوحنَّا أنَّ المسيح عيسى ـ عليه السَّلام ـ أكَّد أنَّ الله هُو الإله الواحد الأحد، وأنَّه ـ أي المسيح ـ بشرٌ وإنسانٌ، ويُؤكِّد المُؤلِّف أنَّ مَنْ يقرأ الأناجيل قراءة مُتمعِّنة لن يجد عبارة واحدة صريحة لسيِّدنا المسيح نفسه يدعو فيها أتباعه للإيمان بأُلُوهيَّته، وبلُزُوم عبادته، أو يُصرِّح فيها لهم بأنَّه ربُّ العالمين وإله الخلائق أجمعين المُتجسِّد الذي انقلب بشراً، أو يُصرِّح لهم فيها بعقيدة التَّثليث...

116) **الذَّات الإلهيَّة والمجازات القُرآنيَّة والنَّبويَّة وإزالة شُبهة التَّشبيه والتَّجسيم من أساسها ، سعد رُستُم ، 2002.**

إنَّ جماعة من قُدماء أصحاب الحديث، عُرفوا ـ تاريخيّاً ـ باسم الحشويَّة، لكثرة ما حَشَوا به الدِّين من أحاديث وأخبار آحاديَّة فَرديَّة غريبة، وجعلوها حُجَّة في العقيدة والإيمان! فاغترّوا بظاهر ما وَرَد في بعض الأحاديث والأخبار وقليل من الآيات القُرآنيَّة، من تعبيرات أُضيف فيها اسم عُضو من أعضاء الإنسان كالوجه أو الجَنْب أو اليد أو السَّاق أو القَدَم لله تعالى... إنَّ الغرض من الكتاب هُو توضيح المعنى الصَّحيح للآيات التي اشتبه فَهْمُهَا على الحشويَّة المُجسِّمة، توضيحاً ينكشف به ـ بجلاء ـ التَّنزيه المُطلق لله سُبحانه وتعالى، وليس الغرض ـ أبداً ـ اتِّهام أحد في عقيدته أو تكفيره أو تضليله.

117) **نحو تفعيل قواعد نَقْد متن الحديث دراسة تطبيقيَّة على بعض أحاديث الصَّحيحَيْن ، إسماعيل الكردي ، 2002.**

بمُرُور الزَّمن، وكما يحدث في كُلِّ تُراث دينيٍّ مُقدَّس، تكوَّنت هالة مهيبة مُبالغ بها حول صحيح مُسلم وصحيح بُخاري، فصار أيُّ تحفُّظ على عبارة وَرَدَتْ فيهما، أو ردٌّ لسند أو حديث فيها، أو التَّشكيك بصُدُوره عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم مهما أقام صاحبه على رأيه هذا من الدَّلائل العلميَّة والبراهين العقليَّة، واتَّبع في قوله سَلَفاً أو أسلافاً من العُلماء المُتقدِّمين، وعمِل بما وضعوه من قواعد وشُرُوط لقبول المتن، يُعَدُّ زيغاً وضلالاً وعُدواناً على السُّنَّة!! وسنرى ـ يقيناً ـ أنَّه وعلى الرَّغم من الدِّقَّة التي اتَّبعها الإمامان البُخاري ومُسلم في انتخاب الحديث واجتهادهما في تحرِّي صحيح السَّند منه، لم يخل كتاباهما من عدد من الرِّوايات المُنتقدَة سنداً، أو التي لا يُمكن القبول بصحَّتها مَتْناً، طبقاً لقواعد نقد المُتُون التي قرَّرها عُلماء الحديث.

118) **حلُّ الاختلاف بين الشِّيعة والسُّنَّة في مسألة الإمامة ، مُصطفى حُسيني طباطبائي ، ترجمة : سعد رُستُم ، ط1 2002 وط2 2005.**

هل الإمامة أمر مُنفصل عن الإمارة والحُكُومة أم لا؟ كيف كان سُلُوك أئمَّة أهل البيت عليهم السَّلام مع وُلاة الأُمُور وحُكَّام المُسلمين في عصرهم؟ كيف كان سُلُوك أئمَّة الشِّيعة من أهل البيت تجاه فُقهاء وأئمَّة أهل السُّنَّة وعامَّتهم؟ وما هي التَّعليمات التي كان الأئمَّة يقولونها لتلامذتهم ومُحبِّيهم في هذا الشَّأن؟ هل الخطأ في موضوع الإمامة يُوجب حقّاً الخُسران العظيم في الآخرة والمصير إلى النَّار أم لا؟

119) **حوادث دمشق اليوميَّة غداة الغزو العُثمانيِّ للشَّام 926 ـ 951 هـ صفحات مفقودة تُنشر للمرَّة الأُولى من مُفاكهة الخلَّان في حوادث الزَّمان ، ابن طُولُون الصَّالحيّ الدِّمشقيّ ، تحقيق : د. أحمد إيبش ، 2002.**

هذا الكتاب يُقدِّم لنا صُورة حيَّة وصادقة عن حياة المُجتمع وحركته السِّياسيَّة والاقتصاديَّة وحوادثه وغرائبه وطرائفه، فضلاً عن وصفٍ وافٍ للعادات والتَّقاليد ولأنماط الحياة السَّائدة آنذاك في الفترة التي يُغطِّيها الكتاب، ويُمثِّل جُزءاً وافياً من القسم الضَّائع من كتاب (مُفاكهة الخلَّان في حوادث الزَّمان) للمُؤرِّخ الدِّمشقيِّ الشَّهير بابن طُولُون الصَّالحيّ، وهذا القسم يُعَدُّ ـ دُون شكٍّ ـ المصدر الأوَّل لتأريخ مدينة دمشق في مطلع العهد العُثمانيِّ بين عامَيْ 926 ـ 951 هـ ـ وهي فترة غامضة المعالم لم تصلنا عنها مصادر ووثائق كافية. فيأتي هذا الكتاب اليوم ليَسُدَّ ثغرة هامَّة، وليُضيف جُزءاً هامّاً إلى مكتبة المصادر المُختصَّة بتاريخ دمشق وبلاد الشَّام، وليرسم ـ فوق ذلك ـ صُورة حيَّة وطريفة ودقيقة للحياة السِّياسيَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والاقتصاديَّة لدمشق إبَّان دُخُولها تحت حُكْم بني عُثمان في عهد السُّلطان سُليمان خان القانوني.

120) **نَقْدُ الدِّين اليهُودي ، جميل خرطبيل ، 2002.**

أُسطُورة العهد القديم ـ الدِّين ـ يَهْوَه ـ الخُرُوج ـ الأساطير ـ الخليقة والطُّوفان ـ ولادة إبراهيم ومُوسى ـ داود ـ سُليمان ـ اصطفاء اليهُود ـ لا أخلاقيَّات شخصيات العهد القديم ـ يَهْوَه وأخطاؤه ـ صراعه وندمه ـ إبراهيم ـ راحيل ـ ثامار ـ يشُوع...

121) **إسرائيل والعَرَب حرب الخمسين عاماً ، أهرون بريغمان وجيهان الطَّهري ، ترجمة : سالم العيسى ، ط1 2002 وط2 2004.**

من أهمِّ الكُتُب التي صَدَرَتْ عالميّاً، والتي تتناول الصِّراع العَرَبيِّ الإسرائيليِّ. عبد النَّاصر والاتِّصال الأوَّل بين العَرَب و(إسرائيل). كيف قُسِّمت فلسطين؟ الاتِّصالات السِّرِّيَّة في باريس. التَّخريب في مصر ـ المُجابهة ـ حرب الأيام السِّتَّة ـ السَّادات يُدهش العالم بالمُصالحة ـ كامب ديفيد ـ أيلول الأسود ـ شارُون والجميل ـ الحرب في لُبنان. مَكْرُ صدَّام حُسين ـ مُؤتمر مدريد ـ الطَّريق الطَّويلة ـ المُحادثات السِّرِّيَّة في أُوسلُو .... الحلقة المُفرغة؟ النِّقاش مع سُوريَة. وغيرها من الأسرار التي تُكشَف للمرَّة الأُولى.

122) **المرأة في حياة وشعر الجواهريّ ، ديب علي حسن ، 2002.**

مَنْ لا يقرأ الجواهريَّ الشَّاعر المُحبَّ، فسوف يبقى بعيداً عن تذوُّق روائعه التي نظنُّ أنَّها من أجمل الشِّعر العَرَبيِّ. في هذا الكتاب باقة نضرة من بُستان الجواهريِّ آثرنا أنْ تكون فوَّاحة بعطر مَنْ أحبَّ من بغداد إلى لندن إلى... إنَّه الشَّاعر الذي لا تغيب الشَّمس عن مملكته الشِّعريَّة نضالاً وحُبّاً وإيماناً وتفاؤلاً بالقادم.

123) **ظاهرة النَّصِّ القُرآنيِّ تاريخ ومُعاصرة ردٌّ على كتاب النَّصّ القُرآنيّ أمام إشكاليَّة البنية والقراءة للدُّكتُور طيِّب تيزيني ، سامر إسلامبولي ، 2002.**

كيف جُمِع النَّصُّ القُرآنيُّ؟! توحيد القراءات والرَّسم للنَّصِّ القُرآنيِّ. كيف نشأت القراءات؟ بيان أنَّ اختلاف القراءات لا يُؤثِّر على الأحكام. توثيق النَّصِّ القُرآنيِّ من التَّاريخيَّة إلى الواقعيَّة. وهميَّة وُجود النَّاسخ والمنسوخ في القُرآن الكريم؛ وذلك لأنَّه كتاب أُحكمت آياته. الكتاب دراسة علميَّة تحليليَّة تُثبت أنَّ القُرآن الكريم ثابت مُنذُ نُزُوله، ولم يتعرَّض إلى الاختراق أبداً. والدَّليل الأقوى على هذا هُو أنَّه بين أيدينا وهُو قابل للدِّراسة والتَّأكُّد من صحَّة مضمونه على صعيد الآفاق والأنفس، وكيفيَّة إثبات أنَّ مضمونه لا يُمكن أنْ يكون خطأً ومُناقضاً لمحلِّ خطابه أبداً؛ لأنَّ النَّصَّ الرَّبَّانيَّ لا يُمكن أنْ يتناقض مع محلِّ خطابه، ولا بأيِّ شكل من الأشكال.

124) **الآحاد النَّسخ الإجماع (دراسة نَقديَّة لمفاهيم أصُوليَّة)، سامر إسلامبولي، 2002.**

ما فائدة الخبر الظَّنِّيِّ؟ ما موقف القرآن من خبر الآحاد الظَّنِّي؟ ما موقف الصَّحابة والعُلماء من الخبر الظَّنِّيِّ؟ نقاش رسالة الألباني في أنَّ حديث الآحاد حُجَّة بنفسه. ما خُطُورة وُجود فكرة النَّاسخ والمنسوخ في القُرآن؟ هل النَّسْخ مُمكن للنَّصّ الخاتميّ؟ نماذج من الآيات التي قيل إنَّها منسوخة وردٌّ ذلك.ما تفسير : (ما ننسخ من آية أو ننسها)؟ (يمحو الله ما يشاء ويثبت)؟ (وإذا بدَّلنا آية مكان آية)؟ (اتَّبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربِّكم)؟ إثبات أنَّه لا ناسخ ولا منسوخ في القُرآن؛ ذلك الكتاب الذي أُحكمت آياته... ما هُو الإجماع؟ وما مصدريَّته؟ وما مفهومه كمصدر ربَّانيّ؟ مُناقشة الإجماع عند الإمام الشَّافعيّ... نماذج من إجماع الصَّحابة وآل البيت وعُلماء الأمَّة.. نَقْد قاعدة (الأصل في الأفعال التقيد). ماذا ترتَّب على الادِّعاء بأنَّ الإجماع مصدر شرعيٌّ إلهيٌّ؟

125) **العبادات في الأديان السَّماويَّة (اليهوديَّة ـ المسيحيَّة ـ الإسلام، والمصريَّة والعراقيَّة واليونانيَّة والرُّومانيَّة والهندُوسيَّة والبُوذيَّة و الزَّرادشتيَّة والصَّابئيَّة)، عبد الرَّزَّاق رحيم صلال المُوحي، ط1 2001 وط2 2003 وط 3 2005.**

هذا الكتاب هامٌّ جدّاً جدّاً، لأنَّه يسدُّ ثغرة كبيرة في مكتبتنا العَرَبيَّة الإسلاميَّة، بل والعالميَّة. والباحث في دراسته هذه، والمُوثَّقة توثيقاً دقيقاً، يتناول مفهوم العبادات في الأديان الثَّلاثة وفي ديانات مُندثرة مثل ديانة المصريِّين القُدماء والعراقيِّين القُدماء واليُونانيِّين القُدماء والرُّومانيِّين القُدماء، وفي ديانات مازال لها مُعتنقون ومُؤيِّدون إلى الآن؛ مثل الدِّيانة الهندُوسيَّة والبُوذيَّة والصِّينيَّة والزَّرادشتيَّة والصَّابئيَّة. فكم من النَّاس والمُثقَّفين يعرف كيف يُصلِّي اليهُود؟ وكيف يُزكُّون؟ وكيف يتطهَّرون؟ وإلى أين يحجُّون؟ وكيف يصومون؟ وكيف يتوضَّؤون؟ وما هي أعيادهم؟ وكذلك الأمر بالنِّسبة للمسيحيِّين و... هذه الدِّراسة دراسة مُقارنة هامَّة تُبيِّن ـ وبالنُّصُوص المُوثَّقة من التَّوراة والأناجيل والقُرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة ـ ما أصاب بعض الدِّيانات السَّماويَّة من تحريف وابتعاد عمَّا نزل أصلاً في كُتُبها السَّماويَّة، حتَّى وصل بعضهم إلى تحليل ما حُرِّمَ في كُتُبهم، وتحريم ما أُحِلَّ؟ وتبديل ما ليس يُبدَّل، رغم وُجود دلائل قاطعة في كُتُب تلك العبادات حُرِّفَت فيها بعد. ولا شكَّ أنَّه ـ وبعد قراءة الدِّراسة ـ سيتَّضح ـ تماماً ـ جانب هامٌّ من جوانب تاريخ العبادات المُقارَن في العالم.

126) **المرأة اليهُوديَّة بين فضائح التَّوراة وقبضة الحاخامات، ديب علي حسن، ط1 2000 وط2 2001 وط3 2002.**

المرأة في التَّوراة (إبراهيم وسارة وهاجر، يعقوب وراحيل والزَّواج من أُختيْن، يهوذا يزني بكنَّته ثامر، أمنون يغتصب أخته ثامار) سالومي ورأس يُوحنَّا المعمدان، المرأة اليهُوديَّة في الحياة الدِّينيَّة المُعاصرة.المرأة في الجيش الإسرائيليِّ، حاخامات يهُود يُديرون شبكات الدَّعارة و المُخدِّرات في العالم.كيف حاولت (إسرائيل) تصدير عبادة الشَّيطان إلى مصر؟ تفاصيل العمليَّة القذرة لاتِّهام سفير مصر في (إسرائيل) بمُحاولة اغتصاب راقصة إسرائيليَّة.الكتاب دراسة موثُوقة تُبيِّن وتفضح وتُعرِّي كيف لعب حاخامات يهُود بالنِّساء اليهُوديَّات وعن طيب خاطرهنَّ مُنذُ وُجِد اليهُود إلى الآن.

127) **تاريخ مدينة دمشق خلال الحُكْم الفاطميِّ، د. مُحمَّد حُسين محاسنة، 2001.**

هُو دراسة لفترة غفل عنها المُؤرِّخون تماماً، حتَّى بدت ضبابيَّة، وهي من أهمِّ الفترات في تاريخ مدينة دمشق؛ لأنَّها كانت ـ في مُعظمها ـ صراعاً مذهبيّاً بين السُّنَّة والإسماعيليَّة، وهي فترة استجلى فيها المُؤلِّف الدُّكتُور مُحمَّد حُسين محاسنة خفايا صراعات كثيرة؛ من الفاطميِّين إلى القرامطة، إلى الأتراك والتُّركمان، إلى جماعات الأحداث الدِّمشقيَّة، وقد تناول الباحث ـ بدايةً ـ جغرافيَّة المدينة وخُططها وبداية بنائها ومناخها ومياهها.. ثُمَّ انتقل إلى الفَتْح الفاطمي لها، وإلى الأحداث الخطيرة التي رافقت هذا الفَتْح، ثُمَّ تحدَّث عن التَّنظيمات الإداريَّة والماليَّة، ثُمَّ الحياة الاقتصاديَّة، ثُمَّ الثَّقافيَّة.

128) **المرأة مفاهيم ينبغي أنْ تُصحَّح، سامر إسلامبولي، ط1 1999 وط2 2001.**

تفسير آيات : غضِّ البصر. حفظ الفُرُوج. إبداء الزِّينة. ضرب الخمار. هل حقّاً أنَّ الرَّسول الكريم قال : إنِّي رأيتُ أكثر أهل النَّار من النِّساء؟ أنتنَّ ناقصات عقل ودين؟! كيف يكون إذنها سُكُوتها وهي لم تنطق بحَرْف؟! السِّياسة والنِّساء ومنصب الرِّئاسة. ما قصَّة ما أفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة؟! ماذا اشترط الله لتعدُّد الزَّوجات؟ وكيف أهمل المُسلمون شُرُوط الله تعالى؟! ملك اليمين، المُتعة..

129) **تحرير العَقْل من النَّقْل وقراءة نقديَّة لمجموعة من أحاديث البُخاري ومُسلم، سامر إسلامبولي، ط1 2000 وط2 2001.**

هل نعتمد العَقْل أم النَّقْل؟! ما الفَرْقُ بين السُّنَّة والحديث؟! ما هي العصمة؟ وهل هُناك أئمَّة معصومون؟! هل سَحَرَ اليهُود الرَّسولَ الكريمَ؟ هل حقّاً أنَّ الرَّسول الكريم نسي آيات، ثُمَّ تذكَّرها؟! هل حقّاً أنَّ الرَّسول الكريم قال: إنَّما الشُّؤم في ثلاثة؛ في الفرس والمرأة والدَّار؟! هل صحيحا البُخاري ومُسلم مُقدَّسان لا يجوزُ المساس بهما أو نَقْدهما؟!

130) **بيني وبينك هذا القلب، ماهر فضلون، 2002.**

131) **تظلِّين أنت، ماهر فضلون، 2002.**

132) **وحدة الوُجُود من الغزالي إلى ابن عَرَبي، مُحمَّد الرَّاشد، 2003.**

133) **نظريَّة الحُبِّ و الاتِّحاد في التَّصوُّف الإسلاميِّ من الحُبِّ الإلهيِّ إلى دوامات الاتِّحاد المُستحيل، مُحمَّد الرَّاشد، 2003.**

134) **استراتيجيَّة الأمن المائيِّ العَرَبيِّ، د. إبراهيم أحمد سعيد، 2002.**

135) **أمريكا ـ إسرائيل و 11 أيلول 2001، ديفيد ديُوك، ترجمة: سعد رُستُم، ط1 2002 وط2 2003.**

136) **مُخيَّم جنين من النَّكبة إلى الانتفاضة، علي بدوان، 2002.**

137) **القُرآن وتحدِّيات العصر رحلة الشَّكِّ والإيمان، مُحمَّد الرَّاشد، 2002.**

138) **إشكاليَّة وحدة الوُجُود في الفكر العَرَبيِّ الإسلاميِّ (الله والإنسان والعالم في الحضارات الإنسانيَّة) دراسة تحليليَّة رُؤيويَّة، مُحمَّد الرَّاشد، 2002.**

139) **الدِّبلُوماسيَّة القديمة والمُعاصرة، د. علي عبد القوي الغفَّاري، 2002.**

140) **الدَّليل إلى ألفيَّة ابن مالك في النَّحْو والصَّرْف والإعراب (تبويب وتوضيح) ابن مالك الأندلسي، إعداد: باسمة درمش، 2002.**

141) **قَتْل المُرتدِّ الجريمة التي حرَّمها الإسلام، مُحمَّد مُنير إدلبي، 2002.**

142) **إشارات حمراء، رزان المُغربي، 2002، مقطوعات شعريَّة.**

143) **الجياد تلتهم البحر، رزان المُغربي، 2002، قَصَص تُعبِّر عمَّا يشوب حياة النَّاس.**

144) الحلقة المفقودة في سلسلة الحضارات القديمة للجزيرة العَرَبيَّة ، علي سكيف ، 2002.

145) المسؤوليَّة في القانون الجنائيّ الاقتصاديّ دراسة مُقارنة بين القوانين العَربيَّة والقانون الفرنسيّ ، محمُود داوود يعقوب ، 2001.

146) الحياة هي في مكان آخر ، ميلان كُونديرا ، ترجمة : معن عاقل ، 2001.

147) القصر المسحور (سيِّد الباب السَّابع) ، إيفلين بريزو بيللين ، ترجمة : فاطمة عابدين ، 2001.

148) بين ابن المُقفَّع ولافونتين (مدخل إلى دراسة مُقارنة) ، فاطمة عابدين ، 2001.

149) الأُلوهيَّة والحاكميَّة دراسة علميَّة من خلال القُرآن الكريم ، سامر إسلامبولي ، 2000.

150) الوصايا المغدورة (التَّرجمة الكاملة) ، ميلان كُونديرا ، ترجمة : معن عاقل ، 2000.

151) المحاورة ، ميلان كُونديرا ، ترجمة : معن عاقل ، 2000.

152) فيض الملك العلام في ما جاء لأهل البيت من الإكرام ومُثير الغرام من أحاديث سيِّد الأنام في فضل دمشق الشَّام ، نصري بن أحمد الحُسيني والبكري الأشعري الخلواتي ، تحقيق : تميم مأمون مردم بيك ، 2004.

153) من دفء القُلوب ، سُعاد غانم ، 2005.